

تفسير

اصح المفسرين

تأليف

العلامة الفقيه الفقيه
آية الله السيد حسين البروجردي

جزء الحادي عشر

من المعاني والآيات



تفسير المصراط المستقيم

«سورة البقرة»

تأليف

العلامة المفسر آية الله
السيد حسين البروجردي ؓ

تحقيق

الشيخ غلام رضا بن علي أكبر مولانا البروجردي

الجزء الخامس

مؤسسة المعارف الإسلامية

علي مصراط الحق

بروجردی، حسین، ۱۲۵۳ - ۱۳۴۰

تفسیر الصراط المستقیم / تألیف حسین البروجردی : تحقیق غلامرضا بن
علی اکبر مولانا البروجردی - قم: مؤسسه المعارف الاسلامیه، ۱۴ ق = ۱۳ -
ج- (بنیاد معارف اسلامی : ۱۵۱)

ISBN : 964 - 6289 - 43 - 6 (دوره) -

ISBN: 964 - 7777 - 43 - 4 (ج ۴)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیفا (فهرست نویسی پیش از انتشار).

عربی

فهرست نویسی بر اساس جلد چهارم: ۱۴۲۵ ق = ۱۳۸۳.

کتابنامه.

۱. قرآن - بررسی و شناخت. ۲. قرآن - اخلاق. الف مولانا بروجردی، غلامرضا،

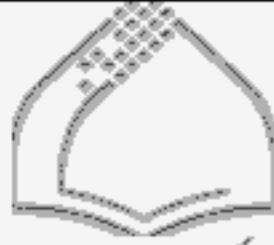
مصحح، ب بنیاد معارف اسلامی، ج عنوان.

۲۹۷/۱۵

BP ۶۵/۴/۳

م ۷۷ - ۱۵۶۲۸

کتابخانه ملی ایران



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اسم کتاب تفسیر الصراط المستقیم ج ۵.
تألیف: العلامة المفسر آية الله السيد حسين البروجردی
تحقیق و نشر: الشيخ غلام رضا بن علی اکبر مولانا البروجردی.
نشر: مؤسسه المعارف الإسلامیة.
الطبعة: الأولى ۱۴۲۵ هـ.ق.
المطبعة: عترة.
العدد: ۱۱۰۰ نسخة.
شابک: ۹۶۴ - ۶۲۸۹ - ۴۳ - ۶

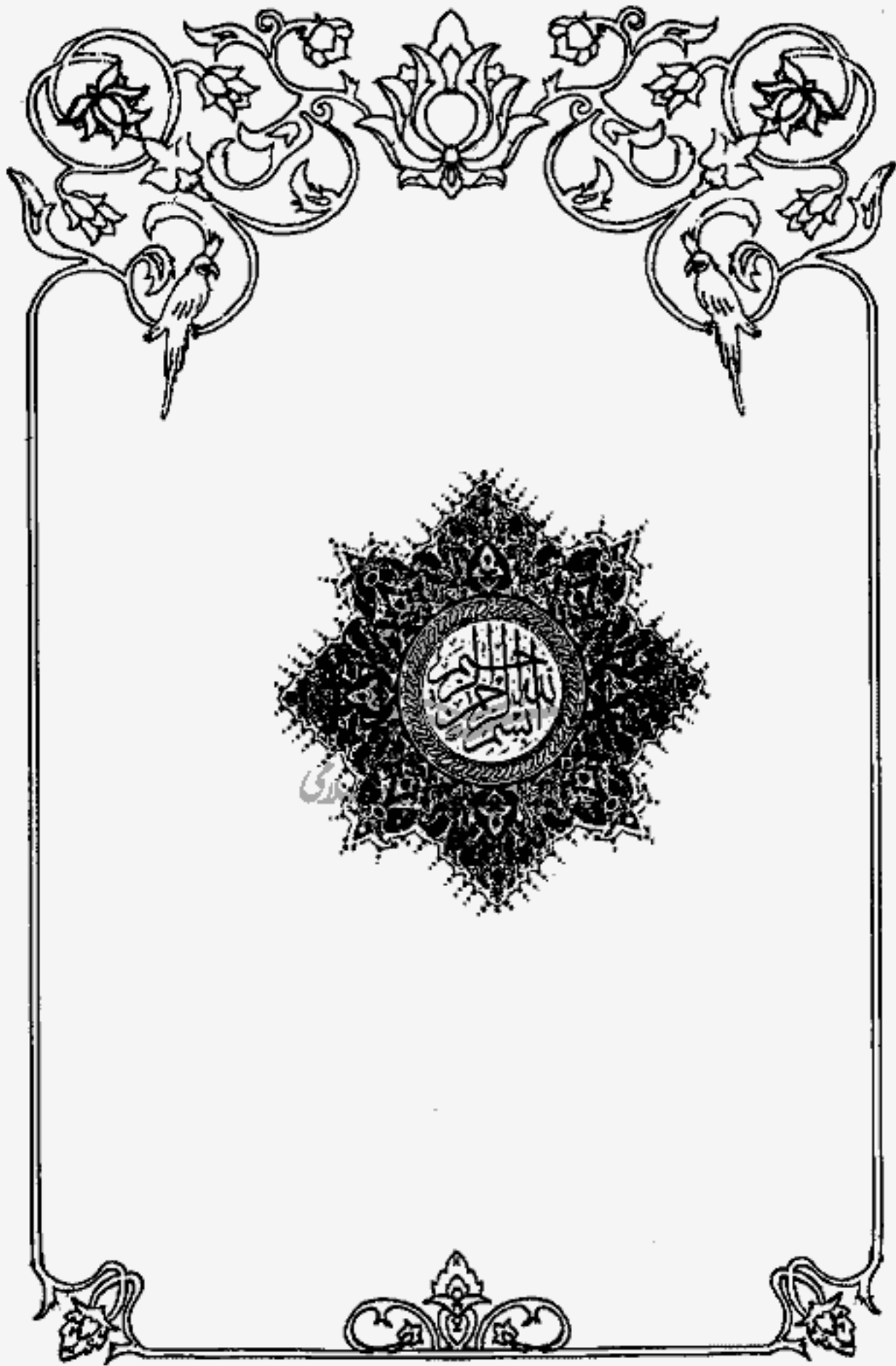
۹۶۴ - ۷۷۷۷ - ۴۳ - ۴

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة المعارف الإسلامیة

ایران - قم المقدسة

ص.ب ۳۷۱۸۵/۷۶۸ تلفون ۷۷۳۲۰۰۹ فاکس ۷۷۴۳۷۰۱





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ }



﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾

إستفهام فيه إنكار وتعجب، وتوبيخ لهم على كفرهم، والخطاب لهم على سبيل الإلتفات تسجيلاً لكفرهم بما قدمت لهم أنفسهم.

(وكيف) إسم وضع للسؤال عن الحال التي يكون عليها الشيء، واشتقوا منه الكيفية كما اشتقوا الكمية من الكم على وجه الإلتساب، وإنكار الحال يدل على إنكار ذي الحال على وجه أبلغ، وحيث إنه حقيقة أو ظاهر ولو بمعونة المقام في السؤال عن جميع الأحوال فالمعنى أنه لا يصح ولا ينبغي أن يوجد حال ما لكفركم وقد علمتم ذلك بضرورة عقولكم فأخبروني على أي حال تكفرون والحال أنكم كنتم أمواتاً؟

﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ أعداماً محضة لاحظ لها من التقرّر والثبوت بحسب الماهية والوجود في شيء من العوالم الكونية والإمكانية، كما قال : ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ

الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً^(١) أو فاقدين للوجودات الكونية وإن كنتم متميزين باعتبار التفرقات الإمكانية بناء على أنها أمور إعتبارية كما قيل، أو باعتبار كونها مجعولة بالمشيئة الإمكانية على وجه ليس لها حدّ ونهاية كما هو الحقّ أو أجساماً لا حياة لها فطرات مزنية أو سجينيّة، ورشحات سحائيّة، وبسائط عنصريّة، واغذية حيوانيّة، واخلاطاً بدنيّة ونظفاً أمشاجيّة، ومضغاً مخلّقة وغير مخلّقة، وعظاماً باللحم مكسّوة، أو فاقدين للعلم والشعور والإدراك الذي به الحياة الانسانية كما قال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾^(٢) أو للايمان والتصديق الذي به الحياة الحقيقيّة الابديّة كما قال: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾^(٤)، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَخْيَيْنَاهُ﴾^(٥)، أو خاملّي الذكر، بناءً على ما قيل: من أنّ العرب تسمي كلّ أمر خامل مَيِّتاً وكلّ أمر مشهور حيّاً قال:

فأحييت عن ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنه من بعض
﴿فَأَخْيَاكُمْ﴾ خلقكم بالمشيئة الإمكانية ثمّ بالمشيئة الكونية ثمّ فطر عقولكم وأبدع نفوسكم وركب أرواحكم وأنشأ أبدانكم خلقاً من بعد خلق إلى أن أنشأكم خلقاً آخر على ما جرى به القدر، وجعل لكم السمع والأبصار والقدرة والاختيار، وعلمكم بعد الجهالة الجهلاء ونجاكم من الضلالة الظلماء، وهداكم إلى المحجّة البيضاء، وكنتم على شفا حفرة من النار فاتقذك منها ونشر ذركم ورفع قدركم بعد

(١) مريم: ٦٧.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) النمل: ٨٠.

(٥) الانعام: ١٢٢.

أن كنتم مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند إنقضاء آجالكم الطبيعية والإخترامية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للسؤال في القبور والبعث والنشور يوم ينفخ في الصور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، بالنشور للحساب أو بالمصير إلى الجزاء من الثواب أو العقاب.

وإنما عطف الأوّل بالفاء الدالة على الإتصال والباقي بضم الدالة على التراخي، لأنّ الإحياء الأوّل قد تعقب الموت الذي طرى عليه الحياة بشيء من الوجوه المتقدّمة بغير تراخٍ لاعتبار المقابلة في معنيهما على ما سمعت، فإنّ الإحياء قد ترتب على كونهم أمواتاً الصادق على ما قبل الإحياء وإن كان له أزمنة غير متناهية متحققة أو موهومة من جهة المبدء، وأمّا الموت فقد تراخى عن الإحياء كما أنّ الإحياء الثاني في القبر أو الحشر متراخ عن الموت، وكذا الرجوع على الوجهين. والموت عدم الحياة مطلقاً أو عدم الحياة عمّا من شأنه الحياة، ويتقابلان بالمعاني المتقدّمة، والحق أنّهما مخلوقان لقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^(١) ولما ورد من ذبح الموت بين الجنّة والنار^(٢)، نعم الموت بالمعنى الأوّل وهو العدم الأزلي المطلق المستمر غير مخلوق ولا مجعول.

والكفر في الآية يشمل كفر الجحود والعناد والاعتقاد والعصيان، فيكون الخطاب للمؤمنين والمنافقين والكفار، ويحتمل الإختصاص بالآخرين على ما مرّ، وبعضهم وإن انكر حياة القبر والبعث في الحشر وأنه إليه يرجع الأمر، إلا أن تمكّنهم عن تحصيل العلم بها بعد نصب الدلائل وإخبار الرسل وتظافر الحجج وشهادة العقول نزلها عندهم منزلة الامور المعلومة التي لا يحوم حولها شبهة وريبة، مع أن

(١) الملك: ٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٦٦.

في الآية دلالة لطيفة على ما يرشدكم إلى صحتها والتصديق بها، وهو أنه تعالى لما قدر أن أحياءهم أولاً وهم حيارى في فيافي العدم قدّر أن يحييهم ثانياً، فإنّ بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته بل الاعادة أهون عليه.

ويحتمل الحمل على ما يشمل كفر النعمة حيث عدّد عليهم أصول النعم، وهي الوجود والبقاء والحياة الحقيقية الابدية والرّجوع إليه سبحانه وإن فصلنا عن الحياة الدنيوية بالموت، ولذ أعدّه أيضاً من جملة النعم مع أنه استراحة لقوم إذ به يحصل الفراغ عن الكدورات الحسّية والعوائق البدنية، وقد سمعت أنّ الآية تشمل المؤمنين أيضاً بل قد يحتمل اختصاص الخطاب بهم لتقرير المنّة عليهم وتبديد الكفر عنهم على معنى كيف يتصوّر منكم وأنتم عالمون باستناد جميع الشؤون إليه متوقعون لنيل جميع الخيرات من لديه.

والوار في ﴿وَكُنْتُمْ أََمْواتاً﴾، للحال والمعنى قد كنتم باضمار «قد» فيه كما في قوله: ﴿أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(١) فإنّ الماضي لما كان بعيداً عن الحال توصلوا إلى تقريبه بدخول «قد» واضماره ليصلح لها، أو أنّ المعنى كيف تكفرون بالله، وقصّتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتاً فاحياكم فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم وزوال الغدر عنكم.

وقرء يعقوب^(٢) ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن.

والآية تدلّ على فساد القول بالجبر ونفي الاختيار وإنّ الكفر بأقسامه من قبل العباد لأنّه لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز توبيخهم عليه مع إسناد الفعل

(١) النساء: ٩٠.

(٢) هو يعقوب بن اسحاق بن زيد بن عبدالله أبو محمد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة مات سنة (٢٠٥) هـ وله (٨٨) سنة.

إليهم في قوله ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ كما أنه لا يجوز إسناد الفعل إليهم ولا ذمهم في الأفعال الخلقية كالطول والقصر والملاحة والقباحة فلا يقال كيف تكونون طوالاً وقصاراً، ضرورة أنه يقبح من الحكيم أن يخلق فيهم الكفر ويقول لهم: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ﴾، ويمنعهم عن الايمان ويقول لهم: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا ﴾^(١)، ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢)، ويخلق فيهم الإعراض والإفك فيقول ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾^(٣)، ﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾^(٤) إلى غير ذلك من التقریعات الغريبة والتوبيخات الشديدة على أن النعمة التي من بها عليهم في الآية لا تكون نعمة لهم حقيقة بل نقمة عليهم حيث أنه أوجب عليهم بما خلق فيهم وأجبرهم عليه العذاب الدائم والخسار اللازم مثل من قدم إلى غيره طعاماً مسموماً له حلاوة ظاهرة وأجبره على أكله فإنه لا يعد نعمة منه، وهذا ظاهر جداً.

وأما ما يقال: من أن الاستدلال بهذه الوجوه ونظائرها يرجع إلى التمسك بطريقة المدح والذم والامر والنهي والثواب والعقاب، ونحن أيضاً نقابلها بشبهة العلم الأزلي المتعلق بكفرهم فلو لم يقع لانقلاب علمه جهلاً وهو محال ومستلزم المحال محال، وبأن القدرة على الكفر كانت صالحة للإيمان وامتنع كونها مصدراً لشيء منهما إلا لمرجح راجع إلى العبد وهو محال على ما قرروه أو إلى الله تعالى وهو المطلوب.

ففيه أنه وإن إفتخر بعض المشككين من أحزاب الشياطين حتى قال إمامهم الرّازي: «إن المعتزلي إذا طوّل كلامه وفرّع وجوهه في المدح والذم فعليك بمقابلتها

(١) الاسراء: ٩٤.

(٢) الانشاق: ٢٠.

(٣) المدثر: ٤٩.

(٤) الانعام: ٩٥.

بهذين الوجهين فأنهما يهدمان جميع كلماته ويشوشان كل شبهاته»^(١).
 إلا أن الجواب عنهما واضح مشهور وفي أصول الامامية مسطور وقد أشرنا
 إليه فيما تقدم عند تفسير آية الختم وغيرها، وأما الاستدلال بها على التجسم بظهور
 الرجوع إليه في التحيز، وعلى بطلان عذاب القبر بحمل قوله ﴿ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ﴾ على
 الحياة الاخرية، كما هو أحد الوجهين فضعيف جداً للمنع عن الظهور اذ المراد
 الرجوع إلى أمره وحكمه ولذا يسمّى الحشر رجوعاً إليه تعالى كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا
 إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾^(٢) وذلك لأنه رجوع إلى
 حيث لا يتولى الأمر والحكم غيره تعالى ولذا قال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾^(٣)، ﴿وَالْإِنَّا
 الْمُصِيرُونَ﴾^(٤)، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾^(٥)، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً
 وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٦).

وأما نفي عذاب القبر فليس فيها إشعار عليه بشيء من الدلالات إلا من جهة
 عدم التعرض الذي هو أعم منه. مركز حق كادكتور علوم إسلامية
 مع أن فيه دلالة على الحياة البرزخية كما هو الوجه الاظهر فيها، مضافاً إلى
 أنه هو المصرح به في تفسير الامام عليه السلام للآية حيث قال عليه السلام: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 لِكُفَّارِ قَرِيشٍ، وَالْيَهُودِ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي دَلَّكُمْ عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَجَنَّبَكُمْ أَنْ
 أُطْعِمُوهُ سَبِيلَ الرَّدَى ﴿وَكُنْتُمْ أََمْواتاً﴾ فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ وَأَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ

(١) تفسير الفخر الرازي ج ١ ص ١٥١.

(٢) الانعام: ٦٢.

(٣) الغاشية: ٢٥.

(٤) ق: ٤٣.

(٥) الشورى: ٥٣.

(٦) الانفطار: ١٩.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أخرجكم أحياء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في هذه الدنيا ويقبركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبور، وينعم فيها المؤمنون^(١) بنبوّة محمد ﷺ وولاية عليّ عليه السلام، ويعذب فيها الكافرون^(٢) بهما، ثمّ إليه ترجعون في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد ثمّ تَجِيئُوا^(٣) للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها^(٤).

فقيل له: يا رسول الله ففي القبر^(٥) نعيم وعذاب؟ قال: أي والذي بعث محمداً بالحق نبياً وجعله زكياً هادياً مهدياً وجعل أخاه علياً بالعهد وفتياً، وبالحق ملياً ولدى الله مرضياً، وإلى الجهاد سابقاً والله في أحواله موافقاً، وللمكارم حازماً، وبالنصر الله على أعدائه فايزاً، وللعلوم حاوياً ولاولياته موالياً ولأعدائه معادياً^(٦) وبالخيرات ناهضاً^(٧)، وللقبائح رافضاً وللشيطان مخزياً، وللفسقة المردة مقصياً^(٨) ولمحمد ﷺ نفساً، وبين يديه لدى المكاره جنة وتُرْسًا، آمنت به أنا وأخي علي بن أبي طالب عبد ربّ الارباب، المفضل على أولي الالباب، الحاوي لعلوم الكتاب، زين من يُوافي يوم القيامة في عرصات الحساب بعد محمد صفي الكريم العزيز الوهاب، إن في القبر نعيماً يوفّر الله به حظوظ اوليائه، وإن في القبر عذاباً يشدّد الله به على أشقياء أعدائه، إن المؤمن الموالي لمحمد وآله الطيبين المتخذ لعلي بعد محمد إمامه

(١) في تفسير البرهان: المؤمنون.

(٢) في تفسير البرهان: الكافرين.

(٣) في تفسير البرهان: تَجِيئُوا.

(٤) البرهان ج ١ ص ٧٢.

(٥) في البحار: ففي القبور.

(٦) في البحار: مناوياً.

(٧) في البحار: ناوياً.

(٨) في تفسير العسكري المطبوع: مُغضِباً.

الذي يحتذي مثاله، وسيده الذي يصدق أقواله، ويصوب أفعاله، ويطيعه بطاعة من يندبه من أطائب ذريته لامور الدين وسياسته إذا حضره من أمر الله ما لا يردُّ، ونزل به من قضاء الله ما لا يصدِّ، وحضره ملك الموت وأعوانه وجد عند رأسه محمداً رسول الله من جانب، ومن جانب آخر علياً سيّد الوصيَّين، وعند رجله من جانب الحسن سبط سيّد النبيَّين، ومن جانب آخر الحسين سيّد الشهداء أجمعين، وحواليه بعدهم خيار خواصهم ومحبيهم الذين هم سادة هذه الأمة بعد ساداتهم، من آل محمّد، ينظر اليهم العليل المؤمن فيخاطبهم بحيث يحجب الله صوته عن آذان حاضريه كما يحجب رؤيتنا أهل البيت ورؤية خواصنا عن عيونهم، ليكون إيمانهم بذلك أعظم ثواباً لشدة المحنة عليهم فيه فيقول المؤمن: بأبي أنت وأمي يا رسول ربّ العزة، بأبي أنت وأمي يا وصي رسول الرحمة، بأبي أنتما وأمي يا شبلي محمّد وضرغاميه، ويا ولديه وسبطيه، ويا سيدي شباب أهل الجنة المقربين من الرحمة والرضوان، مرحباً بكم معاشر خيار أصحاب محمّد وعليّ وولديهما، ما كان أعظم شوقي اليكم، وما أشدّ سروري الآن بلقاءكم، يا رسول الله هذا ملك الموت قد حضرني ولا أشكّ في جلالي في صدري لمكانك ومكان أخيك مني، فيقول: رسول الله ﷺ: يا ملك الموت استوص بوصية الله في الاحسان إلى مولانا وخادمانا ومؤثرنا، فيقول ملك الموت: يا رسول الله مره أن ينظر إلى ما قد أعدّ له في الجنان، فيقول له رسول الله ﷺ: أنظر فينظر إلى العلو وينظر إلى ما لا يحيط به الأبواب ولا يأتي عليه العدد والحساب، فيقول ملك الموت: كيف لا أرفق بمن ذلك ثوابه هذا محمّد وعترته زوّاره يا رسول الله لولا أن الله تعالى جعل الموت عقبة لا يصل إلى تلك الجنان إلا من قطعها لما تناولت روحه، ولكن لخادمك هذا ومحبتك أسوة بك وبسائر أنبياء الله ورسله وأوليائه الذين اذيقوا الموت بحكم الله تعالى.

ثم يقول محمّد ﷺ: يا ملك الموت هاك اخاه قد سلّمناه إليك فاستوص به

خيراً ثم يرتفع هو ومن معه إلى رَوْض الجنان وقد كشف عن الغطاء والحجاب لعين ذلك المؤمن العليل، فيراهم المؤمن هناك بعدما كانوا حول فراشه فيقول يا ملك الموت الوحا^(١) تناول روحي ولا تلبثني هاهنا فلا صبر لي عن محمد وعترته والحقني بهم فعند ذلك يتناول ملك الموت روحه فيسلها كما يُسَل الشعرة من الدقيق، وان كنتم ترون أنه في شدة فليس في شدة بل هو في رخاء ولذة، فاذا أُدخِل قبره وجد جماعتنا هناك، واذا جاء منكر ونكير قال أحدهما للآخر: هذا محمد وعليّ والحسن والحسين وخيار أصحابهم بحضرة صاحبنا فلننتزع^(٢) لهم^(٣) فيأتيان ويسلمان على محمد سلاماً تاماً منفرداً ثم يسلمان على عليّ عليه السلام سلاماً تاماً منفرداً^(٤) ثم يسلمان على ساير من معنا من أصحابنا ثم يقولان قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصتك لخدمك ومولاك ولولا أن الله يريد اظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه ومن يسمعنا من ملائكته بعدهم لما سائلناه ولكن أمر الله لا بد من امتثاله، ثم يسألانه فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك ومن إمامك وما قبلتك^(٥) ومن أخوانك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد نبيي وعليّ وصيي محمد إمامي، والكعبة قبلتي، والمؤمنون الموالون لمحمد وعليّ وأوليائهما والمعادون لأعدائهما إخواني، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأن أخاه علياً وليّ الله، وأن من نصبهم للإمامة من اطائب عترته وخيار ذريته وخلفاء الأمة وولاية الحق والقوامون بالعدل^(٦) فيقولان: على هذا حييت وعليّ هذا

(١) كلمة تقال في الاستعجال ومعناه: البدار البدار.

(٢) أي فلننتذل ولنخشع.

(٣) في البحار: لها.

(٤) في البحار: ثم يسلمان على الحسين سلاماً يجمعانها.

(٥) في البحار: ومن شيعتك ومن أخوانك؟

(٦) في البحار: بالصدق.

مَتَّ وَعَلَى هَذَا تَبَعْتُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ وَتَكُونُ مَعِ مَنْ تَتَوَلَّاهُ فِي دَارِ كِرَامَةِ اللَّهِ وَمُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ.

قال رسول الله ﷺ: **إِنْ كَانَ لِأَوْلِيَانَا مَعَادِيًا وَلِأَعْدَائِنَا مَوَالِيًا وَلَا ضِدَادَنَا بِالْقَابِنَا مَلْقَبًا فَإِذَا جَاءَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ لِنَزْعِ رُوحِهِ مِثْلَ اللَّهِ لَذَلِكَ الْفَاجِرُ سَادَتَهُ الَّذِينَ أَتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِقَابِ مَا يَكَادُ نَظَرُهُ إِلَيْهِمْ يَهْلِكُهُ، لَا يَزَالُ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ حَرِّ عَذَابِهِمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، فَيَقُولُ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ: أَيُّهَا الْفَاجِرُ الْكَافِرُ تَرَكْتَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَى أَعْدَائِهِ فَالْيَوْمَ لَا يَغْنُونُ عَنْكَ شَيْئًا، وَلَا تَجِدُ إِلَى مَنَاصِ سَبِيلًا، فَيُرَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ مَا لَوْ قَسَمَ ادْنَاءُ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا لَا هَلَكَةَ لَهُمْ، ثُمَّ إِذَا أَدْنَى فِي قَبْرِهِ رَأَى بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ مَفْتُوحًا إِلَى قَبْرِهِ، فَيُرَى مِنْهُ خَيْرَاتُهَا فَيَقُولُ مَنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، انظُرْ إِلَى مَا حَرَمْتَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابَ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ عَذَابُهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ يَا رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ^(١).**

وفي كتاب الكافئة للمفيد رحمه الله أنه لما قدم علي الكوفة وجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان ينزله الكوفة فقال قائل استأثر الله به، فقال ﷺ: **أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَأْثِرُ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِتْمَا أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرَهُ بِالْمَوْتِ اعْزَازَ نَفْسِهِ وَادِّلالَ خَلْقِهِ ثُمَّ قرأ ﷺ ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢).**

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٦ وص ١٧٦ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢١٠ - ٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٥٥.

تفسير الآية ﴿٣٥﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ إِنْعَامَهُ عَلَيْنَا بِخَلْقِ ذَوَاتِنَا وَالْإِفَاضَةَ عَلَيْنَا بِنُورِ الْوُجُودِ وَنَفْخِ الْأَرْوَاحِ وَالتَّنْقُلِ إِلَى الْأَطْوَارِ الْبَرَزِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ عَقِبَهَا بَيَانُ نِعْمَةٍ أُخْرَى لِعَامَّةِ الْخَلْقِ مَرْتَبَةً عَلَيْهَا، وَهِيَ خَلْقُ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بَقَاؤُهُمْ وَبِهِ يَتَمَّ مَعَاشُهُمْ مِنَ الْبَسِيطَةِ الْغَبْرَاءِ وَالْمَحِيطَةِ الْخَضْرَاءِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَجْسَامِ الْبَسِيطَةِ وَالْمُرَكَّبَةِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْقُوَى وَالْأَرْوَاحِ وَالْكَيفِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْرَاضِ الَّتِي خَلَقْتَ لِأَجْلِ انْتِفَاعِ النَّاسِ بِهَا فِي دُنْيَاهُمْ بَانَ يَتَمَتَّعُوا مِنْهَا بِفَنُونِ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَنَاحِكِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَكَبِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاطِرِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَنْتَفِعُونَ بِهَا فِي مَصَالِحِ أَسْبَابِهِمْ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ عَنْهَا وَتَقْوِيهَا عَلَى الطَّاعَةِ وَحِفْظِ الْمَقَاصِدِ الْمَطْلُوبَةِ وَفِي دِينِهِمْ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالِاسْتِدْلَالَ بِهَا وَبِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَجَائِبِ الصَّنْعِ وَغَرَائِبِ الْبَدْعِ عَلَى الصَّانِعِ الْحَكِيمِ وَالْقَادِرِ الْعَلِيمِ.

وَلِذَا رَوَى الْإِمَامُ عليه السلام فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَّهُ خَلَقَ لَكُمْ لِتَعْتَبِرُوا بِهِ وَتَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَتَتَوَقَّوْا مِنْ عَذَابِ نِيرَانِهِ ^(١).

وَالِاقْتِصَارِ عَلَيْهِ فِي كَلَامِهِ لِكُونِهِ الْأَهَمَّ الْأَعَمَّ مِنَ الْانْتِفَاعِيِّينَ، وَالْأَفَالَايَةِ بِعُمُومِهَا وَإِطْلَاقِهَا تَدَلُّ عَلَى جَوَازِ انْتِفَاعِهِمْ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْخَالِيَةِ عَنِ الْمَضَرَّةِ، وَلِذَا اسْتَدَلُّوا بِهَا عَلَى أَصَالَةِ الْإِبَاحَةِ الشَّرْعِيَّةِ حَسْبَمَا قَرَّرَ فِي الْأَصُولِ مِنْ تَطَابُقِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ عَلَى ذَلِكَ وَفَسَادِ الْقَوْلِ بِأَصَالَةِ الْحُظْرِ فِيهَا قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ أَوْ بَعْدَ بَيَانِهِ عَقْلاً أَوْ شَرْعاً وَفَسَادِ الْقَوْلِ بِالتَّوَقُّفِ أَيْضاً، وَبِالْجُمْلَةِ فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِنْ الْأَفْعَالِ وَالْمَطَاعِمِ وَغَيْرِهَا عَلَى الْإِبَاحَةِ الْأَصْلِيَّةِ بَلِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَّا مَا وَرَدَ النَّصُّ فِيهِ بِالْحَرْمَةِ بِالْخُصُوصِ أَوْ بِالْعُمُومِ وَلَوْ لِكُونِهِ مِنَ الْخَبَائِثِ كَمَا فِي الْآيَةِ أَوْ مِمَّا يَضُرُّ فِي

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الإمام عليه السلام ص ٢١٥.

البدن.

كما في خبر المفضل قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: لم حرّم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لم يُحرّم ذلك على عباده وأحلّ لهم ما سويه من رغبة منه فيما حرّم عليهم، ولا زهد فيما أحلّ لهم، ولكنّه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحلّ لهم وأباحه تفضلاً منه عليهم به لمصلحتهم وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم ثمّ اباحه للمضطرّ وأحلّه في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلّا به فأمره أن يتناول منه بقدر البلغة لا غير ذلك ^(١) الخبر على ما يأتي في تحريم الخمر واخواتها.

ومتّما يدلّ على الاصل المتقدم مضافاً إلى الآية وآيات كثيرة تأتي الاشارة إليها قوله عليه السلام: كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى ^(٢) إلى غير ذلك ممّا حررناه في الأصول فلا يقدر في الأصل المزبور إمكان تطرق المناقشة في الآية بأنّ الحمل على العموم في المطلقات مشروط بعدم كون المقام مقام الاجمال والإهمال، بل مقام البيان وليس المقام منه إذ المقصود بيان أنّ في خلق الاشياء منفعة لكم لا بيان أنّها أي شيء وفي أي شيء وبان «ما» وإن كان من ألفاظ العموم إلّا أنّ وجوه الانتفاع المستفادة من اللام إمّا مجمل أو مطلق فلا وجه للحمل على العموم بالنسبة إليها أيضاً سيّما بعد ما مرّ في كلام الإمام عليه السلام من تفسيره بالانتفاع في الامور الدينية وبأنّ غاية ما تدلّ عليه أنّه خلق الكل للكل لا أنّه خلق كلّ شيء ممّا في الارض لكل فرد من أفراد الانسان، فاذا احتتم اختصاص شيء من المنافع بغيره ولو لأسباب طارئة لم يجز إستعماله لعدم الدليل سيّما مع ما ذكره في مقابلة الجمع

(١) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٣٤ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٤.

بالجمع إلى غير ذلك من المناقشات التي لا ينبغي الإصغاء إليها بعد اعتضاد الأصل المتقدم بالعقل والنقل بل الاجماع نقلاً وتحصيلاً فيما يتعلق بالأعيان وغيرها مع عدم المخصص بأحد الوجهين.

هذا مضافاً إلى أنه يمكن الجواب عن الوجوه المتقدمة بظهور ورود الآية في مقام الإمتنان الذي هو أعلى مراتب البيان ولذا قالوا بافادة المفرد المنكر في مثله للعموم كما في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(١) و«اللام» وان كان مطلقاً من حيث الجهات الانتفاع إلا أن الإطلاق كافٍ سيما في مقام الإمتنان، ومجرد الإقتصار في تفسير الآية على ذكر البعض غير صالح لشيء من التقييد والتخصيص، وأما مقابلة الكل بالكل فلا دلالة فيها على إختصاص البعض بالبعض وإن علم ذلك من أدلة أخرى، ولذا لزم أن يرجع في الإختصاص إلى سائر الاسباب، وبه يضعف استدلال أهل الإباحة بالآية على نفي الإختصاص ورفض اسباب الملكية وجواز انتفاع كل أحد بما يجده من المطاعم والملابس والمناجح وغيرها.

نعم يستفاد منها أن لكل شيء مما في الأرض فائدة ونفعاً وان لم نعلمها بالخصوص.

وما يقال من أن ما لا نفع فيه كأنواع السموم والحيوانات الموزية من الحيات والأفاعي والعقارب ونحوها خارج عن ذلك ففيه أنه ناشئ عن التصور والجهالة، بما أودع الله فيها من الخواص الجليلة والمنافع العظيمة التي لم يزل الناس من أهل الملل والمذاهب يطلعون عليها شيئاً فشيئاً على مر الدهور والأعصار، وناهيك في ذلك الاطلاع على جملة مما استنبطه أطباء الافرنج والاندلس وحكماؤهم من الخواص الغريبة والآثار العجيبة من تلك العقاقير والنباتات التي ربما يتوهم الجاهل

خلوها عن المنافع حتى من مثل السموم القاتلة ونحوها ومنافع لحوم الافاعي مفردة ومركبة مع الترياق وغيره غير خفية.

ثم إنها وإن دلت على جواز الإنتفاع بجميع ما في الارض نظراً إلى وضع الموصول سيما مع كون ﴿جَمِيعاً﴾ حالاً عنه في المقام، بل ومع كونه توكيداً أيضاً وإن كان احتمالاً في غاية البعد لقلّة التوكيد به ولخلوه عن الضمير إذ لو كان كذا لقل جميعه.

وبالجمله ففيها دلالة على إباحة الانتفاع بما في الارض إلا أنه تختلف كيفية الإنتفاع به باختلاف الأشياء، فقد يكون في بعضها بالاكل وفي بعضها بالشرب، وفي بعضها باللبس، وفي بعضها بالسكون، والزراعة والحراثة ونحوها، فاذا كان للشيء منفعة واحده أو كانت واحده منها ظاهرة فلا ريب في جواز الانتفاع بها، وأمّا المنافع الغير الظاهرة والتي لم يتداول الإنتفاع بها عند الناس أو ما لم يطلعوا عليها قبل ذلك فهل يجوز الإنتفاع بشيء منها بعد الإطلاع وحصول الانتفاع وجهان بل قولان: يظهر من البعض العدم لإجمال الآية بالنسبة إلى هذه الصورة نظراً إلى بعض الوجوه المتقدمه، وقد عرفت ضعفها، ومنه يظهر أن الاظهر الاول ولذا لا ينبغي التأمل في جواز استعمال العقاقير المختلفه في وجوه الانتفاعات التي تطلع عليها الحكماء وغيرهم يوماً فيوماً على مرّ الدهور والأعصار ممّا لم تكن متداولة في القرون السابقه والأزمنة المتقدمه.

ومنه يظهر أيضاً ضعف ما ربما يستدل بالآية على حرمة أكل الطين نظراً إلى أن أكله من المنافع الغير المتداولة مع أنها إنما دلت على إباحة ما في الارض لا هي نفسها إذ فيه أن أكل الطين وإن كان حراماً في الشرع لكن الحرمة غير مستفاده من الآية لا منطوقاً كما لا يخفى ولا مفهوماً لعدم شيء من المفاهيم المعتره وإن كان مراد القائل عدم الدلالة على الإباحة لا اثبات الدلالة على الحرمة.

وأما ما يقال: من أن المراد بالأرض جهة السفلى كما أن المراد بالسماء جهة العلو فالمعنى خلق لكم ما في هذه الجهة المقابلة للعلو فيشمل الأرض، وإن من جملة الأرض ما يطلق عليه أنه في الأرض فيكون جامعاً للوصفين.

ففيه مع الغض عما فيهما من التكلف أنه لا منفعة في أكل الطين بل المضرة فيه واضحة جداً كما صرح به الأطباء وغيرهم.

بل في الخبر المحكي عن «العلل» و«المحاسن» و«الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام إن أكثر مصائد الشيطان أكل الطين إن أكل الطين يوجب السقم في الجسد ويهيج الداء ومن أكل الطين فضعفت قوته التي كانت قبل أن يأكله وضعف عن عمله الذي كان يعمله حوسب على ما بين ضعفه وقوته وعذب عليه ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: من أنهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه ^(٢).
وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه ^(٣)، إلى غير ذلك مما يدل على أنه يوقع الحكمة في الجسد ويورث البواسير ويهيج السوداء ويذهب بالقوة من الساقين والقدمين وغيرها، بل الظاهر من كثير منها والمصرح به في كلام جملة من الأصحاب عدم الفرق في الحرمة بين التراب الخالص والممزوج بالماء.

ومن الغرائب ما في «الجواهر» من اختصاص الحكم بالطين الذي هو الممزوج بالماء، وأما التراب الخالص فلا دليل على حرمة، بل مقتضى الأصول عدمها ضرورة خروجه عن مسمى الطين إلى آخر ^(٤) ما ذكره هناك حيث تفرد القول

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٣ ح ١ عن العلل وفيه: إن أكل الطيب يورث السقم.

(٢) العلل ص ٥٣٣ وعنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٢ ح ٨.

(٣) المحاسن للبرقي ح ٩٧٥ وعنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٤.

(٤) الجواهر ج ٣٦ ص ٣٥٥-٣٥٦.

بحلّية أكله مستدلاً له بما لا دلالة فيه أصلاً فلاحظ وتأمل إذ من البين أنّه وإن كان الحكم في الاخبار معلقاً على الطين الذي هو ظاهر في المخلوط بالماء لكن المستفاد من الاخبار في المقام إرادة مطلق التراب عنه كما أنّه المراد أيضاً في استثناء طين قبر الحسين عليه السلام بل وكذا في طين الأرمني الذي وقع التصريح بجواز أكله في الأخبار وفي كلمات الاصحاب بل الاطباء ذكروا في باب الادوية المفردة الطين المطلق والطين الأرمني والمختوم وغيرها ولم يذكروا التراب أصلاً بل ربّما يحصل القطع بارادة العموم من التأمل في فحوى الأخبار الناهية عن أكله سيّما بعد ملاحظة العلل المنصوصة المشتركة بينه وبين التراب والرّمّل بل ومطلق وجه الارض وان من يأكل ذلك فالغالب أنّه يأكل اليابس دون المبلول بالماء.

مضافاً إلى ما في «الخصال» عن أبي الحسن الأوّل قال أربعة من الوسواس: أكل الطين، وفت الطين^(١) الخ الظاهر في إرادة اليابس منهما ولو بقريئة الفت الذي هو الكسر.

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم اسلامی

وما في مرفوع البرقي أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن أكل المدر^(٢)، بل هو الظاهر أيضاً من الاستثناء الوارد في المعتبرة المشتملة على حرمة أكل الطين كلّها إلا طين القبر وطين الحائر الظاهر فيما يؤخذ من الموضع الشريف، كما هو بل لعله الظاهر أيضاً ممّا دل على النهي عن بيعه، والاستخفاف به، والتعبير في بعض الاخبار والادعية بأنّ الشفاء في تربته^(٣)، وفي بعضها التعبير بطين قبره، بحيث يمكن تحصيل القطع باتحاد المراد منهما الى غير ذلك من الشواهد التي يطول بذكرها

(١) الخصال ص ٢٢١ ح ٤٦ وعنه البحار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣.

(٢) البحار ج ٦٠ ص ١٥٨ ح ٢٨ عن معاني الاخبار ص ٢٦٢.

(٣) الوسائل الباب ٦٧ من أبواب المزارح ٩.

الكلام وانما أشرنا إلى شطر منها في المقام لما في القول المذكور من الغرابة.
 بقي الكلام في شيء وهو أنه قد اختلف أهل العلم في معنى اللام في المقام
 وفي قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) وقوله ﴿وَلَا يَزَالُونَ
 مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٢) وغيرها مما يضاهاها.
 فاصحابنا الإمامية وأكثر المعتزلة حملوها على ظاهرها من الدلالة على
 الغاية والفائدة ولو باعتبار عودها إلى خلقه لا إلى ذاته الذي هو غني عن فعله فضلاً
 عن غيره.

وأما الأشاعرة فقالوا أنه تعالى لما فعل ما لو فعله غيره لكان فعله لذلك
 الشيء لاجل الغرض لا جرم أطلق عليه ما يدل على الغرض بقريته المشابهة
 المسوغة للتجاوز، واستدلوا على نفي الغرض بأن من فعل فعلاً لغرض كان مستكماً
 بفعل ذلك الشيء والمستكمل بغيره ناقص لذاته.

وتوهم ان فعله تعالى محال بغرض غير عايد إليه بل إلى غيره مدفوع بأن
 عود ذلك الغرض إلى ذلك الغير هل هو أولى لله تعالى من لا عود ذلك الغرض أو
 ليس أولى، فان كان الاول فهو قد انتفع بذلك الفعل فيعود المحذور المذكور، وان
 كان الثاني لم يكن تحصيل ذلك الغرض للغير غرضاً لله تعالى فلا يكون مؤثراً في
 فعله وبان من فعل فعلاً لغرض كان عاجزاً عن تحصيل ذلك إلا بواسطة ذلك الفعل
 والعجز محال عليه سبحانه.

وبأنه تعالى لو فعل فعلاً لغرض فذلك الغرض ان كان قديماً لزم قدم الفعل،
 وإن كان حادثاً كان فعله لذلك الغرض لغرض آخر ولزم التسلسل وهو محال.

وبأنه تعالى لو كان لفعله غرض لكان ذلك الغرض هو رعاية مصلحة المكلفين ولو توقفت فاعليته على ذلك لما فعل ما كان مفسدة في حقهم لكنه قد فعل ذلك كلف من علم أنه لا يؤمن.

فهذه هي الوجوه التي استدلت بها الأشاعرة على نفي الغرض على ما حكاه الرازي وغيره، وقد سمعت الجواب عن الاول في تفسير الفاتحة عند البحث عن حقيقة الاستعانة مع الاشارة إلى ما ينفعك في تحقيق أصل المسألة.

والجواب عن الثاني أنه لا دلالة فيه على العجز فإن الحكمة قد تقتضي ترتب الغايات على المباديء التي هي الافعال، وان امكن تعلق المشيئة بنفس الغايات على أنه ربما ينشأ عدم القبول فضلاً عن عدم الحكمة والمصلحة من خصوص المحل كما أشير اليه في الخبر المتضمن لخلق الدنيا في البيضة عن دون أن تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة^(١).

وعن الثالث أن الفعل لغرض غير حاصل لكنه لا يجب أن يكون لذلك الغرض غرض آخر مغاير له ولا أن يكون الغرض لنفس الفعل بل قد يكون نفسه كما في المشيئة على ما حقق في محله.

والسؤال عن سبب تخصيص بعض الازمنة دون غيره بخلقها ساقط عندنا بعد ظهور كون الازمنة من متعلقات المشيئة وكذا الامكنة وغيرها من متعلقات الفعل فلا أين ولا متى ولا كيف في صقع انوجاد المشيئة فضلاً عن ايجادها.

وعن الرابع ان التكليف في نفسه لطف ومصلحة لعامة المكلفين على ما قرر في الكتب الكلامية.

(١) بحار الانوار ج ٤ ص ١٤٠ ح ٧ عن توحيد الصدوق ص ١٢٢ ح ١.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١) قصد إليها بعلمه ومشيتته وإرادته قصدا تقتضيه الحكمة البالغة والقدرة الشاملة من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً من غير أن يلوي على شيء أو أقبل إليها آخذاً في خلقها وإتقانها كما يظهر من تفسير الإمام^(٢)، ويؤيده ما عن أحمد^(٣) بن يحيى بن ثعلب من أن الاستواء في صفة الله هو الإقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى عليّ وإليّ يكلمني على معنى أقبل عليّ وإليّ أو استوى وعلا أمره الفعلي إلى ناحية السماء لا يجادها وتسويتها أو استولى وقهر وملك كما ذكره في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٤) ومنه قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرٍ
وقال آخر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق^(٥)
والمعنى استيلاؤه ملكاً وتديراً وعلماً وقدرة عليها كغيرها من سائر خلقه.
وقيل: إن المراد تفرد بملكها وأنه لم يجعلها كالارض ملكاً لخلقها وهو ضعيف في المقام كضعف إرادته منه ولو في غيره سيّما مع السعدي «بإلى» دون «على» ومرجع الوسطين إلى الأوّل فلا تغفل، وأمّا الاستواء بمعنى الانتصاب والاعتدال الذي ضده الاعوجاج فلا يتصف به سبحانه به لأنه من صفات الاجسام.
والمراد بالسماء جهة العلو أو الاجرام العلوية أو خصوص الافلاك السبعة

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢١٥.

(٣) احمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي اللغوي الاديب المعروف بثعلب المتوفى س (٢٩١).

(٤) الاعراف: ٥٤، يونس: ٣.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٧١.

الكلية أو مع جزئياتها على فرضها، وهي اسم جنس يطلق على القليل والكثير، وقيل: أنها جمع سماوة أو سمائة .

ثم إن ظاهر هذه الآية وكذا قوله في سورة السجدة: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١)، إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٢)، أن خلق الأرض كان قبل خلق السماء مع أن مقتضى قوله في سورة النازعات: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣).

أن التدحية التي هي البسط كانت بعد خلق السماء ولذا أورد بعض الملاحدة تناقضاً بين هذه الآيات وأجيب عنه في المشهور بأن خلق الأرض كان قبل السماء كما هو ظاهر الآيتين إلا أن دحوها بعد خلق السماء كما هو صريح الثالثة.

ويدل عليه ما رواه في «الكافي» بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل وفيه انه قال: إن الله سبحانه خلق الشيء الذي جميع الاشياء منه، وهو الماء الذي خلق الاشياء منه، وخلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا تقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار فشقت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب ولا تقب وذلك قوله: ﴿أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا،

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١٠.

(٣) النازعات: ١٠-١٤.

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا»، وقال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب
ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الارض فذلك
قوله: عزّ ذكره ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يقول بسطها الخبير^(١).

والمراد بقوله ثم نسب الخليقتين أنه رتبهما في الوضع وجعل أحدهما فوق
الآخرى، أو أنه بين بنسبة خلقهما في كتابه بقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٢)
فبين أن دحو الأرض بعد رفع السماء، أو أنه رفع الأشرف الألف ثم بسط الأوضع
الأخس تحقيقاً لرتبتهما كذا قيل في معنى النسبة لكن الأظهر الاول كما لا يخفى.
وفي «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام أنه سأله الزنديق عن
النهار خلق قبل الليل: قال عليه السلام نعم خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر
والارض قبل السماء^(٣) الى غير ذلك من الاخبار التي ستسمع شطراً منها في تفسير
الآيات الآتية.

ويؤيده ما رواه في «الدر المنثور» عن ابن عباس أن رجلاً قال له: آيتان في
كتاب الله تخالف احدهما الاخرى، فقال: إنما أتيت من قبل رأيك، إقرء قال:
﴿أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٤)، ﴿حَتَّىٰ بَلَغَ﴾، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ
إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٦) قال خلق الله الارض قبل
أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الارض بعد ما خلق السماء وإنما قوله

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٩٧ ح ٨١ عن الكافي الروضة ص ٩٤ ح ٦٧.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) الإحتجاج ص ١٩٣ وعنه البحار ج ٦٠ ص ٧٨ ح ١.

(٤) فصلت: ٩.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) النازعات: ٣٠.

دحاها يعني بسطها^(١).

ويؤيده في الجملة ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشر قبل خلق الخير، وفي يوم الأحد والاثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السموات يوم الأربعاء، ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٢) آه^(٣). حيث أنها تدل على تقدم خلق الأرضين.

نعم فيها إشكال من وجوه سنشير إليها وإلى الجواب عنها في سورة السجدة. وفي «العلل» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أن الله تعالى خلق البيت قبل الأرض ثم خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته^(٤).

وفي «التوحيد» و«مجالس» الصدوق و«الاحتجاج» وغيرها في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء، قال عليه السلام: هذا بيت استعبد الله به خلقه - إلى قوله - خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام^(٥).

وأما ما رواه القمي عن الصادق عليه السلام: من أنه تعالى كان عرشه على الماء والماء على الهواء والهواء لا يحد، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح، فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزيد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد، ثم دحى

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) الفرقان: ٥٩.

(٣) روضة الكافي ص ١٤٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٥٨ - ٥٩ ح ٣٠.

(٤) العلل ج ٢ ص ٨٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٦٥ وفيه: إن خلق البيت قبل الأرض.

(٥) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢١٠ ح ١١.

الارض من تحته فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١) ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى زبدتها^(٢)، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء فجعل فيها النجوم والبروج ومنازل الشمس والقمر^(٣)، الخبير. فهو وإن كان بظاهره يدل على تقدم الدحو على خلق السماء أيضاً إلا أنه لمخالفته لظاهر الآية بل صريحه يجب تأويله بعدم ترتب قوله: فلما أراد أن يخلق السماء على سابقه الذي هو الدحو، بل على ما تقدم من خلق الارض أو أن الفاء لمجرد الارتباط دون الترتب، فإنه لم يلحظ فيه.

كما أنه لم يلحظ فيما ذكره الإمام عليه السلام في تفسيره قال: إن الله تعالى لما خلق الماء فجعل عرشه عليه قبل أن يخلق السماوات والارض، فأرسل الرياح على الماء فتفجر^(٤) الماء من أمواجه، وارتفع عنه الدخان وعلا فوقه الزبد، فخلق من دخانه السماوات السبع وخلق من زبده الارضين، فبسط الارض على الماء، وجعل الماء على الصفا، والصفا على الحوت والحوت على الثور، والثور على الصخرة إلى أن قال: فلما خلق الله الارض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فاحاطت بكل شيء^(٥) آه.

وفيما ذكر الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم على ما رواه في «الكافي» قال عليه السلام: كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر الله ﷻ الماء فاضطرم ناراً، ثم أمر النار

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) في المصدر: أزبد بها.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٩ - ٧٠ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٧٢ وفي المصدر: فبخر الماء.

(٤) وفي المصدر: فبخر الماء.

(٥) تفسير الامام عليه السلام ص ١٤٤ - ١٤٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٨٧.

فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، وخلق الارض من الرماد، آه^(١).

وربما يستشكل هذا الوجه مرة بأن الارض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية ، فاذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء، كان خلقها أيضاً متأخراً عن خلق السماء، وأخرى بأن الآية في المقام دلت على أن خَلَقَ الأرضِ وَخَلَقَ كُلَّ ما فيها متقدم على خَلَقِ السماء، وَخَلَقَ الأشياءِ في الارض لا يكون إلا بعد ما كانت مدحوة فدلّت على تقدم كونها مدحوة فالتناقض بحاله .

ويضعف الاول بوضوح عدم امتناع انفكاك خلقها عن التدحية سيما بعدما دلت عليه الاخبار الكثيرة حسب ما سمعت شطراً منها.

والمناقشة في اطلاق خلق الارض على ايجادها غير مدحوة لا ينبغي الإصغاء إليها بعد ما سمعت من الآية والرواية.

والثاني بأن تقدم خلق ما في الارض لا يستلزم تقدم دحوها ضرورة أنه ليس المراد بالمتصلة خصوص ما يتجدد فيها من أفراد النبات والثمار والحيوان وضروب الانتفاعات الجزئية، فانها متأخرة عن الجميع كائنة فاسدة بمر الدهور والازمنة، بل المراد بها أصول أسبابها القابلة الاستعدادية التي كانت قائمة بسنخ الارض ونوعها بل بالارض التي كانت كالطينة والخميرة للارض المدحية، ولذا عبر بالدحو الذي هو مجرد البسط والسعة، وبالجملة فالجواب المذكور بمكان من الصحة والقبول.

نعم ربما يجاب عن أصل الإشكال بوجوه آخر أيضاً؛ منها أن كلمة «ثم» في آيتي البقرة والسجدة لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض

(١) روضة الكافي ص ٩٥ ح ٦٨ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٨ ح ٨٣

كما يقول الرجل لصاحبه: أليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت كذا وكذا، ومثله قوله: ﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾^(١) إلى قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)، أي وكان فعلى هذا يكون خلق الارض بما فيها من الأقوات وغيرها متأخراً عن خلق السماء، وهذا الوجه ذكره شيخنا الطبرسي وتبعه الرازي والقاضي وغيرهما.

ومنها: أن معنى قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣) أي مع ما ذكر من خلقها وجعلها مهاداً كما في قوله: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾^(٤) أي مع ذلك، وهو المحكي عن مجاهد والسدي^(٥).

ومنها ما يرجع إلى سابقه وهو أن تكون كلمة بعد لمجرد الإذكار وتعداد النعم لا للتأخر الزمني والرتبي حيث لا يتعلق لغرض بالاخبار عن الاوقات والازمنة كما تقول: أليس قد أعطيتك كذا وكذا وبعد ذلك أحسنت إليك في كذا^(٦).

وأما كون الظرف للاخبار بعد الاخبار لا المخبر عنه فلا يخلو عن تكلف.

ومنها أنه فرق بين التسوية المطلقة للسماء المذكورة في آيتي السجدة والنازعات وبين تسويتها سبع سماوات المذكورة في المقام، فتسويتها مطلقاً متقدمة على دحو الارض والمقيدة متأخرة عنه، وأما قوله في آية السجدة: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٧) فمرتبة على قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ

(١) البلد: ١٢.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) النازعات: ٣٠.

(٤) القلم: ١٣.

(٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٣٤.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ٧٢.

(٧) فصلت: ١٢.

دُخَانٌ»^(١)، إلا أنها مبيّنة لها ويدل عليه ما رواه في «الدر المنثور» كما تقدم.
ومنها: أن كلمتي «بعد» و«ثم» على ظاهرهما من التأخر والتراخي إلا أن
المراد بالخلق هو التقدير لا الإيجاد في العين وإطلاقه عليه شائع كثير، ولذا يقيد
الخلق في الاخبار مرة بالتكوين وأخرى بالتقدير ويؤيده قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ
فَسَوَّىٰ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) وفي الخبر عن الرضا عليه السلام: أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا
خلق تكوين^(٤).

وعلى هذا فخلق الارض وما فيها متأخر عن خلق السماء كتأخر دحوها
عنه إلا أن تقديرها وهندستها متقدم على خلق السماء، ويؤيده أنه سبحانه ذكر في
سورة السجدة خلق الأرض واقواتها ثم قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٥)
ومن البين أن المراد الإتيان من العدم إلى الوجود تعبيراً للخلقة العينية
وتصويراً للقدره الكامله، ولذا ذهب بعضهم إلى تقدم خلق السماء على الارض
وما فيها.

وما رواه الكيدري في شرح النهج، قال ورد في الخبر: أن الله تعالى لما أراد
خلق السماء والارض خلق جوهرأ أخضر ثم، ذوّبه فصار ماء مضطرباً ثم أخرج
منه بخاراً كالدخان وخلق منه السماء كما قال ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ﴾^(٦)، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبعاً ثم جعل من ذلك الماء زبدأ فخلق منه

(١) فصلت: ١١.

(٢) الأعلى: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) بحار الانوار ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٨ عن العيون.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) فصلت: ١١.

أرض مكة، ثم بسط الارض كلها من تحت الكعبة، ولذلك تسمى مكة أم القرى، لأنها أصل جميع الارض، ثم شق من تلك الارض سبع أرضين وجعل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكذلك بين كل أرض وأرض، وكذلك بين هذه السماء وهذه الارض^(١)، الخبر.

وفي «الدر المنثور» عن النبي ﷺ في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(٢)، قال: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء ثم أيسس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الاحد والاثنين، فجعل الارض على الحوت وهو الذي ذكره في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ والحوت في الماء على صفاة، والصفاءة على ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الارض، فتحرك الحوت، فاضطرب فتزلزلت الارض فأرسي عليها الجبال فقرت فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾^(٣) وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله: ﴿أَتَيْنَكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٤) إلى قوله: ﴿وَبَارَكْ فِيهَا﴾ يقول أنبت فيها شجرها وقدر فيها أقواتها

(١) بحار الانوار ج ٥٧ ص ٢٩ ح ٤ عن شرح نهج للكيدري.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) الانبياء: ٣١.

(٤) فصلت: ٩.

يقول أقواتها واهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سال فهكذا الامر ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١) فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والارض^(٢) الخبر وهذا الخبر ظاهر في الوجه المتقدم وان خلق السماء كان أولاً على وجه الدخانية ثم بعد خلق الارض واقواتها جعلها سماء واحدة ثم جعلها سبع سموات.

ومنها: أن لا يكون معنى دحيها مجرد البسط بل يكون المراد أنه بسطها بسط مهياً لنبات الاقوات ويؤيده قوله مبيناً للدحو المذكور ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾^(٣)، وذلك لان الاستعداد لا يحصل للارض إلا بعد وجود السماء فان الارض كالام والسماء كالأب، وما لم يحصل لم تتولد المواليد التي هي المعادن والنباتات والحيوانات.

ومنها: أن الارض مقدمة في الخلق ويدفع المناقاة المذكورة باعتبار الاية الثالثة بان الفاء في قوله: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ بمعنى ثم أو لمطلق الترتب والمشار إليه بذلك في قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٤) وهو بناء السماء وخلقها لا مجموع ما ذكر قبله حتى تسويتها، فيجوز معه تأخر التسوية عن التدحية.

ومنها: أن قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يقتضي تقدم خلق السماء على دحو الارض ولا يقتضي تقدم تسوية السماء على دحو الارض فجاز تأخر التسوية عن الدحو فيكون خلق الارض قبل خلق السماء وخلق السماء قبل الدحو والدحو

(١) فصلت: ١١.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٢٠٤-٢٠٥ ح ١٥٢.

(٣) النازعات: ٣١.

(٤) النازعات: ٣١.

قبل تسوية السماء.

وفيه نظر واضح لدلالة آية الدحو على تأخره عن تسوية السماء إلا أن يرفع التنافي بشيء من الوجوه المتقدمة أو الاتية فيرجع إليه.

ومنها: ما يحكى عن مقاتل أنه قال: خلق الله السماء قبل الارض وقبل دحوها وخلق ارزاقها وأما قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ فمعناه ثم كان قد استوى وهي دخان قبل أن يخلق الارض فاضمر فيه كان كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبْلُ﴾^(١)، معناه أن يكن سرق.

ومنها: أن تكون دحيتها جملة مستأنفة وتنصب الارض بفعل مقدر دل عليه ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾^(٢) مثل تعرف الارض واذكرها وتدبر أمرها بعد ذلك وهو كما ترى .

ومنها: أن يضمر الفعل على شريطة التفسير كما هو الظاهر ويكون ذلك إشارة إلى المذكور سابقا فالمشار إليه ذكر خلق السماء لا خلقها نفسه للدلالة على أنه قاصر في الدلالة عن الاول لكنه يتميم كما تقول جملاً ثم تقول بعد ذلك كيت وكيت ومثله شايع في الاستعمال.

ومنها: ما ذكره الشيخ الامجد الاحسائي طاب ثراه حيث سئل عن ذلك فأجاب بأنه تعالى لما رمق الماء بعين الهيبة فذاب وزيد وارتفع دخانه وكان الزبد والدخان فصعد الدخان وكان الدخان قد أخذ في الصعود لطيفة قبل بدء الزبد وارتفع آخره عند انتهاء الزبد خلق الارض واقواتها من الزبد في أربعة أيام ثم توجه وجه المشية إلى الدخان به الصاعد فخلق من وسطه فلك الشمس وذلك لاستوانه في اللطافة والغلظ وخلق فلك القمر وفلك زحل وفلك عطارد وفلك المشتري

(١) يوسف: ٧٧.

(٢) الصافات: ١١.

وفلك الزهرة وفلك المريخ فصار الاستواء إلى السماء بعد الارض والسماء دخان موجودة وهو قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١) إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٢) فكان كون السماء قبل كون الارض وكان عين الارض قبل عين السماء فكلما لطف وعلا تأخرت صورة الجسمانية ولذا قلنا فلك القمر وفلك زحل والمراد بالاستواء الالتفات أي توجه وجه المشية والقدر.

وهذا الوجه يساعده في الجملة ظاهر آية السجدة لكن الاظهر في دفع التنافي ما ذكرناه أولاً، وأما سائر الوجوه فبعضها وإن لم يكن به بأس على وجه الاحتمال إلا أن كثيراً منها لا يخلو من ضعف أو اختلال.

﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ التسوية هو التعديل وجعل الشئيين أو الاشياء على حد سواء، والمعنى خلقهن مصونة من العوج والامت والفتور والتفاوت على أعدل ما يمكن وأقومه وأحسنه وأتقنه، والضمير للسماء بناء على كونها جمعاً أو جنساً على ما مر وإن نوقش فيهما بعدم ثبوت الأوّل وعدم كفاية الثاني، ولذا قيل: إن الاولى كونه مبهماً يفسره ما بعده كقولهم: ربه رجلاً مع أن فيه حينئذ من التفحيم والتشويق والابهام والتفسير والتمكن في النفس ونحو ذلك ما لا يخفى، ويمكن كونه للسماء باعتبار نواحيها وجهاتها فتكون الواحدة جماعة كما في قولهم: ثوب اخلاق وامهال أو باعتبار أن السماوات كانت سماء فوق سماء فتكون الجملة واحدة من حيث الاطباق والاحتواء، أو باعتبار أن المراد بالسماء هو الجوهر الدخاني الذي خلق منه السموات فالافراد باعتبار الوحدة وعدم التميز والتعدد

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

يومئذ والتعدد باعتبار الاول والمشاركة هذا مضافاً إلى ما قد يقال من جواز اجراء اسماء الاجناس في الاضمار والتوصيف على الوجهين كما يقال: أهلك الناس الدراهم البيض والدنانير الصفر، والسبع للمؤنث كالسبعة للمذكر واشتقوا منه السبع بضم الباء وسكونها لأنه مضاعف القوى كانه ضوعف سبع مرات أو لأنه كامل القوى، فإن السبعة عدد كامل مركب من زوج الفرد وفرد الزوج أو زوج الزوج وفرد الفرد، ونصبه على البدل أو التفسير والسماوات هي الافلاك.

وأما ما يحكى عن علي بن عيسى من التغاير وإن الافلاك تتحرك وتدور والسماوات لا تتحرك ولا تدور لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾^(١) أي تتحركا فضعيف جداً ومعنى الآية نفي زوالها عن مراكزها التي تدور عليها أو نفي رجوعها إلى العدم الاصلى الذي مر مقتضى امكاناتها لان كل ممكن سيال الوجود دائم الحركة إلى العدم الاصلى، وأما بقاءه فانما هو بالاضافات السيالة المتجددة الدائمة حسبما هو مقتضى قسومية الفعلية، وبالجملة فالقول المذكور شاذ لا يعرف به قائل غيره.

نعم قد يحكى ذلك أيضاً عن الشيخ الكراجكي في كتابه كنز الفوائد، حيث قال: اعلم أن الارض على هيئة الكرة والهواء يحيط بها من كل جهة، والافلاك يحيط بالجميع احاطة استدارة، وهي طبقات بعضها يحيط ببعض، فمنها سبعة يختص بالنيرين والكواكب الخمسة التي تسمى بالمتحيرة، ولكل منها فلك يختص به ثم عدّ الافلاك السبعة على ما هو المشهور عند الجمهور إلى أن قال: ويحيط بهذه الافلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة وهي جميع ما يرى في السماء غير ما ذكرنا ثم الفلك المحيط الاعظم المحرك لجميع هذه الافلاك، ثم السماوات السبع تحيط

بالأفلاك وهي مساكن الافلاك، ومن رفعه الله تعالى الى سمائه من أنبيائه وحججه ﷺ انتهى^(١).

وهو مع شذوذه مردود بالاخبار الكثيرة كالخطبة العلوية المذكورة في «النهج» وفيها: ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبتها وأدام مَرَبَّهَا واعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزَّخَّار وآثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء، تردُّ أوله على آخره وساجيه على مائته، حتى عبَّ عبايه ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتح، وجو منفتح، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكا مرفوعاً بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينتها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، فأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر، ثم فتق ما بين السماوات العلى فعلاهن أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون^(٢)، الخطبة.

حيث دلت على أن السماوات هي المجاري للكواكب والمساكن للملائكة والاخبار بهذا المعنى كثيرة جداً، وورد أن زحل مطلع في السماء السابعة، وأنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا^(٣) وأن الشمس في السماء الرابعة إلى غير ذلك مما يدل على ما ذكرناه فلا اشكال فيه وان اختلفوا في أن المراد بالفلك هل هو نفس السماء؟ أو المجرى أو المنطقة أو غيرها مما لا يهمنا البحث عنه في المقام إنما الكلام فيما ذكره الرياضيون من الترتيب بين الافلاك الكلية واثبات افلاك

(١) كثر الفوائد ج ٢ ص ١٠١-١٠٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى ص ١.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

جزئية للحركات السبع المشهورة واثبات فلكين آخرين مضافاً إليها فإنها عندهم تسع، سبع منها للسبعة السيّارة على الترتيب المشهور، وثامنها فلك الثوابت وتاسعها فلك الافلاك المحرك لجميعها حركة يومية سريعة شرقية واستندوا في ذلك إلى جملة من المشاهدات والحدسيات والاصول الطبيعية التي لم يقم على كثير منها برهان، وبالجملة فإنهم لم يأتوا بدليل متين أو بسُلطان مبين فيما اتفقوا عليه واختلفوا فيه من اعداد الافلاك قلة وكثرة، نعم دلّ صريح الكتاب وهو الحجة بأنها سبعة فجعلوها للكواكب السبعة التي أحسوا باختلاف حركتها طولاً في الجميع وعرضاً في غير الشمس، فإن لها الميل وهي النيران والخمسة المتحيرة التي فسرها قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾^(١) في العلوي^(٢) المروي في «المجمع» وغيره وجعلوا ادناها للقمر واعلاها لزحل والبواقي على الترتيب المشهور وفي بعض الأخبار دلالة على بعضها مثل ما روي عن الصادق عليه السلام من أن زحل مطلقه في السماء السابعة وأنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب^(٣) والعلوي المتضمن للخمسة المتحيرة على الترتيب الذكري الدال على كونها كذلك حيث قال عليه السلام: أن الخنس خمسة انجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد^(٤)، إلا أنهم استندوا فيما ذكروه من الترتيب إلى وجهين:

الاول الكسف فإن الكوكب الاسفل يكسف الاعلى في المقارنة المرئية بحسب عين الناظر وإن لم تكن باعتبار المركز ويعرف الكاسف بلونه الغالب كعمود زحل ودريّة المشتري وحمرة المريخ وبياض الزهرة وصفرة عطارد ثم

(١) التكوير: ١٥.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٤٦.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

(٤) بحار الانوار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

أنهم وجدوا القمر يكسف الكواكب وعطارد يكسف الزهرة، وهكذا في الجميع إلا أنه بقي الشك في أمر الشمس فالأكثر على أنها في وسط الأفلاك السبعة فوق الزهرة وعطارد لاقتضاء النظام الطبيعي أن يكون ما هو ابطء حركة من الكواكب أكثر بعداً وأعظم مداراً وأن تكون الشمس واسطة في النظم والترتيب بمنزلة شمسة القلادة بين ما يبعد عنها الأبعاد الأربعة وهي المقابلة وأخواتها وبين ما لا يبعد منها أقل البعد وهو التسديس ولما يحكى عن جماعة أنهم رأوا الزهرة كشامة على صفحتها، وعن آخر أنه رأى شامتين وحسبهما الزهرة.

وهذه الوجوه كلها ضعيفة بل قيل: إنه في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر ولعلها الشامة المرئية، ولذا ذهب بعض القدماء إلى أنها تحتها وبعض المتأخرين إلى أنه فوق عطارد وتحت الزهرة بل جزم به صاحب التحفة لدليل لاح له في الأبعاد والأجرام.

والثاني اختلاف المنظر لكنه غير جارٍ في الجميع لانتفائه في العلوية محسوساً ومحسوباً وكونه في الشمس في غاية القلة بل عن أبي الريحان وغيره أن اختلاف المنظر لا يحس إلا في القمر فانهم صرحوا بأنه في الشمس غير محسوس بالآلات الرصدية أصلاً وإن اقتضاه حسابهم بحسبانهم وأما السفليتان فلتعذر الوقوف على مواضعهما الحقيقية في الطول والعرض.

ثم أن هذا كله على ما حققه الحكماء السابقون وأما المتأخرون من حكماء الأندلس والفرنجة فقد ذهبوا إلى نفي الأفلاك رأساً، وإن كرة الشمس ساكنة في مركز العالم وأن كرة الأرض من جملة السيارة التي تدور حول جرم الشمس وتكتسب منها النور والحرارة، وإن كلاً من الثوابت المرصودة وغيرها مما لا يعلم عددها أحد إلا الله مركز لعالم كلي كالشمس في عالمها ولكل منها أقمار وسيارات مشتملة على عوالم كثيرة وأصناف من المخلوقات كالمواليد وغيرها.

وهذا كله رجم بالغيب ومخالفة للنواميس والقواعد الحكيمية على ما أشرنا إليه آنفاً نعم قدر ورد في بعض الاخبار تعدد (١) القباب والعوالم والشموس بل في البصائر عن ابي الحسن عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء قيل وما النطاق؟ قال عليه السلام: الحجاب والله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الانس والجن وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً (٢)، وعن الصادق عليه السلام: إنَّ من وراء شمسكم هذه اربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإنَّ من وراء قمركم اربعين قمراً فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق ادم أم لم يخلقه ألهموا الهاماً لعنة فلان وفلان (٣).

وأما اسماء السماوات وألوانها فقد روي في «العلل» و«العيون» و«الخصال» في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النحاس والسماء الثالثة اسمها الماروم، وهي على لون الشبه، والسماء الرابعة اسمها ارفلون وهي على لون الفضة، والسماء الخامسة اسمها هيفون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس، وهي ياقوتة خضراء والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء (٤)، الخبر.

وروي عن ابن جعفر عليه السلام: السجين: الارض السابعة وعليون: السماء السابعة (٥).

وفي حديث ابن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله فقال اخبرني ما بال السماء الدنيا

(١) البحار: ج ٤٧ ص ١٥٩.

(٢) البصائر ص ٤٩٢ ح ٧ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٣٣٠ ح ١٥.

(٣) البحار ج ٢٧ ص ٤٥.

(٤) البحار ج ١٠ ص ٧٦.

(٥) البحار ج ٥٨ ص ٥١ ح ٤ عن المحاسن ص ٣٣٤ ح ١٠٣.

خضراء؟ قال ﷺ: اخضرت من جبل قاف قال صدقت فاخبرني ممّا خلق؟ قال ﷺ: من موج مكفوف قال: وما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب لها وكانت في الاصل دخاناً. قال: صدقت يا محمّد، إلى أن قال: فاخبرني عن السماء الثانية ممّ خلقت؟ قال ﷺ: من الغمام قال: صدقت فاخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت؟ قال: من زبرجد خضراء قال: فالرابعة؟ قال ﷺ: من ذهب احمر قال: فالخامسة؟ قال ﷺ: من ياقوتة حمراء، قال: فالسادسة؟ قال: من فضة بيضاء؟ قال: فالسابعة؟ قال: من ذهب قال صدقت، الخبر^(١).

وبعض الناس قد تكلم في أمثال هذا الخبر بالتأويل والتوجيه والتطبيق على قواعد الفلاسفة وترهات الصوفية والاكاذيب الاحكامية من اثبات الطبايع والمنسوبات للافلاك والكواكب والحمل على ظاهرها والسكوت عن التأويل أولى فان كان ولا بد فلعلها كانت مشتهرة عندهم كذلك أو كانت رموزاً موروثة عن الانبياء ﷺ.

بقي الكلام فيما قد طال التشاجر بينهم فيه وهو أنّ السماوات وما فيها من الكواكب هل هي حيّة مدركة أم لا؟ فجمهور الحكماء على الاول واكثر أهل الشرع على الثاني وفي الآيات والابخار اشارات إلى القولين ولذا قال شيخنا البهائي طاب ثراه في الحديقة الهلالية بعد قوله: أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في ذلك التدبير بعد جملة كلام له: أنّه لا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبره القمر نفسه نظراً إلى ما ذهب اليه طائفة من أنّ كلّ واحد من السيارات السبع مدير لفلكه كالقلب في بدن الحيوان.

قال سلطان المحققين في شرح الاشارات: ذهب فريق إلى أنّ كلّ كوكب منها

ينزل مع افلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلق بالكوكب أول تعلقها وبافلاكه بواسطة الكوكب كما تتعلق نفس الحيوان بقلبه أولاً وباعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في افلاكه التي هي كالجوارح والاعضاء الباقية انتهى كلامه زيد إكرامه إلى أن قال: إن خطابه للقمر ونداؤه له وصفه بالطاعة والجد والتعب والتردد في المنازل والتصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة وإدراك ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل او نقلي ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١) فإن الواو والنون لا يستعملان حقيقة في غير العقلاء، وقد أطبق الطبيعيون على أن الافلاك باجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها واكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقريب إليه جل شأنه، وبعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها أنا فأنا فهي من قبيل هزة الطرب والرقص الحاصل من شدّة السرور والفرح، وذهب جم غفير منهم إلى أنه لا ميت في شيء من الكواكب ايضاً حتى اثبتوا لكل واحد منها نفساً على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه، وابن سينا في «الشفاء» مال إلى هذا القول ورجحه وحكم به في النمط الخامس من (الاشارات) ولو قال به قائل لم يكن مجازاً وكلام ابن سينا وامثاله وإن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد ولم يرد في الشريعة المطهرة على الصادع بها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ما ينافي هذا القول، ولا قام دليل عقلي على بطلانه واذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة وما دونهما حياة فاي مانع من أن يكون لتلك الاجرام

الشريفة أيضاً ذلك، وقد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة ونطقاً وجعلوا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١) محمولاً على ظاهره، وليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة استبعاد المصرين على إنكاره وردّه وتسكين صولة المشنعين على من قال به وجوزّه^(٢) انتهى كلامه زيد مقامه، واعترضه شيخنا المجلسي طاب ثراه بأن هذا الترجيح الذي أبداه في لباس الاحتمال والتجوز مناف لسياق أكثر الآيات والأخبار الواردة في أحوال الكواكب والأفلاك ومسيرها وحركاتها والإشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها أنها من قبيل المجازات والاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في أكثر المحاورات فأنهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء وغرضهم تفهيم غيرها كما في هذا الخطاب وخطاب شهر رمضان ووداعه وخطاب البيت والمخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى والغرض إظهار نعمه تعالى وشكره عليها ولم أر أحداً من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلا بعض المتأخرين الذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم ويوافقون المسلمين فيما لا يضر بمقاصدهم، ثم حكى عن السيد المرتضى أنه قال في كتاب «الغرر والدرر»: «قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا طبعه على ما يهذي به القوم وإنّ الله تعالى هو المحرك له والمتصرف باختياره فيه وقال رحمه الله في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة من الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فأنها مسخرة مدبرة متصرفه وذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ١٨٥ - ١٨٦.

أقول: لا يخفى أنه لو قلنا بأن الاشياء من الجمادات وغيرها كلها مدركة شاعرة حيّة مسبحة لله سبحانه حسبما تسمع تمام الكلام فيه عند تفسير قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَنْتَ أَتَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، فلا ريب في القول بذلك في الافلاك والكواكب أيضاً سيما مع التصريح بالسموات وما فيها كما في أول الآية وفي المسبّحات وغيرها من الآيات وان حملنا ذلك على التسبيح التكويني وقلنا أن الاجسام على قسمين: منها حيّة مدركة كالانسان ومنها فاقدة للدراك والشعور كالجمادات فمن البين أنه لم يدل دليل على الحاق الافلاك والكواكب بالثاني دون الأول بعد ظهور امكان كلّ من الوجهين فيها فلا ينبغي الجزم بأحد الوجهين من دون حجة ولذا قال شيخنا الشهيد الأول في قواعده كلّ من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم وموجدة فيه فلا ريب أنه كافر وان اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطيء اذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي ولا نقلي^(٢) آه.

ومراده كما ترى عدم الثبوت لا ثبوت العدم، ومن هنا يظهر ضعف ما ذكره الشيخ الاكبر^(٣) في شرح القواعد^(٤) مازجاً عبارته بعبارة العلامة قائلاً: وعمل التنجيم حرام، وكذا تعلم علم النجوم والفلكيات، وتعليمه، وعلمه بالنظر من غير تعليم مع اعتقاد قدمها لذاتها، وهو كفر الإنكار والإشراك، أو لقدم علّتها، وحدوثها متّصفة بالعلوم والإدراكات وصفة الاختيار لها مع الصفات، وهذان من كفر إنكار الضروريات انتهى.

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) القواعد للشهيد: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) هو الشيخ جعفر بن خضر الجناجي النجفي المتوفى سنة (١٢٢٧) هـ.

(٤) هو شرح مبسوط لطهارة «قواعد العلامة» مستقصى فيه كلام الفقهاء.

اذ فيه أنّ ضروريّة الاخير غير واضحة، اللهم إلا أن يكون مراده كغيره ممّن يدّعي الاجماع عليه، نفي الحياة والشعور والارادة الموجبة للتصرف في السفليات بايجاد الآثار على وجه الاستقلال أو التشريك أو التفويض أو غيرها، وهذا لا شبهة في قيام الإجماع بل الضرورة على فسادة على اكثر الوجوه، ولعلّ هذا هو المنساق منهم في نفي الحياة والاختيار، حيث أنّ كلامهم مع الفلاسفة والمنجمين القائلين باستناد الحوادث بأسرها إليها على وجه الاختيار أو الايجاب، ولذا قال العلامة (١) أعلى الله مقامه في «أنوار الملكوت في شرح الياقوت» (٢): اختلف قول المنجمين على قسمين: أحدهما قول من قال: إنّ الكواكب السبعة حيّة مختارة، والثاني قول من قال: أنها موجبة، والقولان باطلان، أمّا الأول فلأنها أجسام محدثة فلا تكون، آلهة، ولأنها محتاجة إلى محدث غير جسم، فلا بد من القول بالصانع إلى آخر ما ذكره.

فانظر كيف أبطل قولهم بنفي الآلهتها وإثبات الصانع المحدث لها، وأين هذا من القول بأنها مصنوعة محدثة حيّة مختارة في عبادة ربّها، مع عدم استناد شيء من الحوادث إليها بوجه، أو مع القول بإثبات نوع إرتباط لها إليها على وجه لا يمنع من القول به شيء من العقل والنقل.

ولذا قال شيخنا المدقق الورع التستري (٣) دام ظلّه العالی بعد نقل عبارة الشهيد المتقدّمة ما لفظه: وظاهره (٤) أنّ عدم القول بذلك لعدم المقتضي له وهو

(١) آية الله العلامة الحلي المتوفى (٧٢٦) هـ.

(٢) الياقوت: في علم الكلام لأبي اسحاق اسماعيل بن اسحاق بن أبي سهل النوبختي كان من أعلام الشيعة في عصر الامام الرضا عليه السلام.

(٣) هو الشيخ الاعظم الشيخ مرتضى الانصاري المولود (١٢١٤) هـ والمتوفى (١٢٨١).

(٤) أي وظاهر كلام الشهيد الأول في قوله: وإن اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها، والله =

الدليل، لا لوجود المانع منه، وهو انعقاد الضرورة على خلافه، فهو ممكن غير معلوم الوقوع، ولعلّ وجهه أنّ الضروري، عدم نسبة تلك الأفعال إلى فاعل مختار باختيار مستقل مغاير لاختيار الله تعالى، كما هو ظاهر قول المفوضة.

أما استنادها إلى الفاعل بإرادة الله المختار بعين مشيئته واختياره حتى يكون كالألة بزيادة الشعور وقيام الاختيار به بحيث يصدّق عليه أنه فعله وفعل الله تعالى، فلا مانع عنه إذ المخالف للضرورة انكار نسبة الفعل إلى الله على وجه الحقيقة لا اثباته لغيره أيضاً بحيث يصدق أنه فعله.

نعم ما ذكر الشهيد طاب ثراه من عدم الدليل عليه حقّ، فالقول به تخرّص، ونسبة لفعل الله إلى غيره بلا دليل وهو قبيح ثمّ قال سلمه الله: وما ذكره قدّس سرّه كأنّ مأخذه ما في «الاحتجاج» عن هشام^(١) بن الحكم قال سأل الزنديق أبا عبدالله^(ع)، فقال: ما تقول فيمن يزعم أنّ هذا التدبير الذي يظهر في هذا العالم تدبير النجوم السبعة؟^(٢) قال^(ع): يحتاجون إلى دليل أنّ هذا العالم الاكبر والعالم الاصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك^(٣) وتدور حيث دارت مُتبعه، لا تفتقر^(٤) وسائرة لا تقف، ثمّ قال: ^(ع): وإنّ كلّ نجم منها موكل مدبّر فهي بمنزلة العبيد

= تعالى هو المؤثر الأعظم.

(١) هشام بن الحكم الكوفي الواسطي البغدادي المتوفى سنة (١٧٩) هـ.

(٢) وهي الشمس والقمر، وزحل والمرّيج والمشتري، وعطارد والزهرة، بناء على رأي القدماء.

(٣) الفلك (بضم الفاء وسكون اللام): جمع فلك (بفتح الفاء واللام) وهي المدارات حول

الشمس.

(٤) تفتقر: فعل مضارع على وزن يفتقد ويجلس أي لا تضعف.

المأمورين المنهيين، فلو كانت قديمة ازليّة لم يتغيّر من حال إلى حال ^(١) الخبر .
 والظاهر أنّ قوله بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين يعني في حركاتهم لا أنهم
 مأمورون بتدبير العالم بحركاتهم، فهي مدبّرة باختيارها المنبعث عن أمر الله .
 ثمّ حكى عن المحدث ^(٢) الكاشاني . أنه قال في «الوافي» في توجيه البداء
 كلاماً ربما يظهر منه مخالفته للمشهور حيث قال: أعلم أنّ القوى المنطبعة الفلكيّة لم
 تُحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور، بل إنّما
 تنقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً، فإنّ ما يحدث في عالم الكون والفساد إنّما هو من
 لوازم حركات الافلاك ونتائج برركاتها، فهي تعلم أنّه كلّما كان كذا كان كذا انتهى ما
 حكاه عن الكاشاني ^(٣) .

ثمّ قال: وظاهره ^(٤) أنّها فاعلة بالاختيار لملزومات الحوادث، وبالجمله
 فكفر المعتقد بالربط على هذا الوجه الثاني لم يظهر من الأخبار، ومخالفتها لضرورة
 الدّين لم يثبت أيضاً، إذ ليس المراد العلّية التامة كيف وقد حاول المحدث الكاشاني
 بهذه المقدمات اثبات البداء ^(٥) .

أقول: وهو جيّد وجيه فيما ذكره من المنع عن قيام الإجماع والضرورة على
 نفي الحياة والقول بالتأثير في الجملة، وإن كان لا يخلو من نظر فيما ذكره في معنى
 الخبر حسبما سنشير إليه والى ما يرد على المحدث الكاشاني في تفسير الآيات

(١) الاحتجاج ط النجف الأشرف ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) هو العالم الفاضل الكامل الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعوّ بالمولى محسن القاشاني توفي
 سنة (١٠٩١) هـ .

(٣) الوافي: ج ١ ص ١١٢ .

(٤) أي وظاهر كلام المحقّق الكاشاني .

(٥) المكاسب ج ٢ بتعليق الكلانتر ص ٣٣١ - ٣٤٤ .

المتعلقة بها.

ثم أن قوله ﷺ في الخبر المتقدم بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين ظاهر فيما ذكرناه من الحياة والإختيار على كلا الوجهين في معنى الخبر فلا تغفل، فقد ظهر مما مر أنه ليس لهم الإستناد في نفي الحياة إلى الإجماع والضرورة وأما الوجوه التي ربما يحكى عن المتكلمين فهي بمكان من الضعف والقصور، ولذا قال السيد المرتضى^(١) في أجوبة^(٢) المسائل السلارية أنه قد سطر المتكلمون طرقاً كثيرة في أن النجوم ليست بحيّة ولا قادرة، اكثرها معترض، وأشرف ما قيل في ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة كحرارة النار تفنيها ولا تثبت معها، ومعلوم أن حرارة الشمس أشد وأقوى من حرارة النار بكثير، لأن الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار ولما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حياً. تحقيق كتاب تزيين علوم رسولي

أقول: وهو كما ترى، ثم لا يخفى أن شيخنا المجلسي طاب ثراه قد صرح في موضع آخر بأن للأشياء كلها شعوراً واختياراً وتسبيحاً إرادياً حملاً للآيات والابخار الناطقة بذلك على ظاهرها، وقد مرّت حكاية عبارته، فاعتراضه في المقام على شيخنا البهائي طاب ثراه لا يخلو من غرابة، سيما مع ما ربّما يوهمه كلامه من التعريض عليه أو على غيره.

(١) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم الامام موسى الكاظم ﷺ توفي لخمس بقين من ربيع الاول سنة (٤٣٦) هـ

(٢) كتاب في المسائل التي سأها عن السيد المرتضى تلميذه حمزة بن عبيد العزيز الديلمي أبو يعلى سلار المتوفى (٤٦٣) هـ

ثمَّ أن ما ذكره شيخنا التستري دام علاه في تحقيق الفاعلية بقسميه والمنع من أحدهما دون الآخر لعلّه ينفك في تقريب ما مرّت الاشارة إليه من معنى وساطة النبي وآله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين للفيوض الالهية وبابيتهم وشفاعتهم وأنه غير التفويض الذي نقول بكفر معتقده حسبما مر غير مرّة.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لَمَّا وصف نفسه بكمال القدرة والاستيلاء قرن ذلك بكمال العلم ليعلم وقوع الفعل منه على النمط الأتقن والوجه الأحسن، فإنّ القادر العالم بوجوه الصنع وهندسة المقادير لا يختار في فعله بالحكمة البالغة إلاّ الاكمل الأجل، وهذا من الاستدلال بالعلّة على المعلول، ويحتمل العكس تنبيهاً على أنّ من كان فعله على هذا النظم العجيب والتسق البديع مع اتّصال الإمداد وسيلان الفيض منه عليه الموجب لبقائه بقيوميته المطلقة فهو متّصف بكمال العلم بجميع ما في الإمكان والأكوان، فإنّ إتقان الأفعال وإحكامها واختيار الوجه الأحسن الأتقن فيها أدلّ دليل على العلم والحكمة.

وفيه تهديد شديد على من قابل الإحسان بالكفران حيث ختم به الإمتنان عليهم بخلق أنفسهم والتفضل عليهم بما فيه حياتهم في العاجل والآجل بعد توبيخهم على كفرهم في صدر الآية السابقة فكأنه هدّدهم بأنّ عاقبتهم السّوى لعلمه بقبیح فعالهم وسوء مقالهم ونظيره قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(١).

ومن هنا ينقدح أنّ فيها إشارة إلى دفع الشبهة المختلجة في صدورهم الجارية على ألسنتهم من أنّ الابدان بعد ما تفتتت وتفرقت أجزاءها وتمزقت كلّ ممزّق واتصلت أجزاءها البسيطة بما يشاكلها في مراكزها وعادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة، فكيف يجمع أجزاء كلّ بدن مرّة ثانية بحيث لا يشذ منها شيء ولا ينضم إليها غيرها، فأجاب بأنّه سهل يسير لمن له القدرة الكلّية والإحاطة العلميّة كما في قوله: ﴿قُلْ يُخِيبُهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿يَا بَنِي إِثْنَاهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) وذلك بعد ما أشار في الآية السّابقة إلى أنّ مواد الابدان قابلة للجمع والتفريق والحياة بعد الموت، وأنّ القادر على انشائها أوّل مرّة قادر على احيائها في الآخرة، فصحّ دلالة الآيتين على صحّة الحشر.

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

وقد ظهر ممّا مرّ وجه التعبير بصيغة الفعيل دون الفاعل، ولذا قال سيبويه^(٣): إذا ارادوا المبالغة عدلوا إلى فعيل نحو عليم وحكيم، وقد سکن نافع^(٤) من طريق قالون^(٥)، وأبو عمرو^(٦)، والكسائي^(٧) الهاء في نحو (فَهُوَ) و (وَهُوَ) تشبيهاً له بعضد،

(١) يس: ٧٩.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) هو عمرو بن عثمان الفارسي البيضاوي الفارسي النحوي المتوفى (١٨٠) هـ.

(٤) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني المتوفى (١٦٩) أحد القراء السبعة.

(٥) هو عيسى بن مينا بن وردان الملقب بقالون قاريء المدينة توفى سنة (٢٢٠) هـ.

(٦) هو زيان بن العلاء بن عمار أبو عمرو البصري المتوفى (١٥٤) أحد القراء السبعة.

(٧) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي المقرئ النحوي (المتوفى (١٧٩) أحد القراء السبعة.

وفي نحو (فهي) و(هي) تشبيهاً له بكَيْفٍ، تنزيلاً للأوائل منزلة الأواسط، حيث جعلوا الواو والفاء كأنهما من نفس الكلمة، وهي لغة فصيحة.

تفسير الآية ﴿

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

شروع في ذكر بدء خلق آدم وكيفية تكريم الله تعالى له قبل ظهوره في هذا العالم، حيث بشر به ملائكته ونوّه باسمه وأهله للخلافة الكلية، وأودعه علمه وحكمته، والنور الذي هو السبب الكلي لاجاده وتكريمه وأمره بسجود ملائكته له، وغير ذلك ممّا يأتي، وذلك النور هو نور نبينا ﷺ والأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين، فالآية إشارة إلى مننه التي لا تحصى ولا تستقصى عليه وعلى ذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين، حيث إنه سبحانه آتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين، ثم على خصوص هذه الأمة المرحومة الذين هم شيعتهم ومحبتوهم حيث خلقهم الله تعالى من فاضل طينتهم، وعجنهم بماء ولايتهم، ثم على عموم بني آدم حيث خصهم بهذه النعمة العظمى من بين أهل العالم، فأنه من أدلّ الدلائل على عناية الباري سبحانه بشأن هذا النوع.

و﴿إِذْ﴾ في الأصل ظرف للزمن الماضي، واستعماله للاستقبال في نحو ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾^(١) قليل، أو مؤوّل، وتلزمه الإضافة إلى الجمل، فأشبهه الحروف بافتقاره الأصلي، ثم أنه قد يخرج عن الظرفية المحضة لكثرة دوره في

الكلام، فيستعمل للتعليل للمناسبة بينه وبين الظرف، وقد يحذف عامله نحو ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ﴾^(١) أي وإذ لم يهتدوا ظهر عنادهم، ثم توسعوا فيه باستعماله بمعنى الوقت مطلقاً، فنصبوه على المفعول به بتقدير اذكر، كما في الآية وفي كثير من أوائل القصص، أو على البداية كقوله ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً﴾^(٢) وخفضه بإضافة الأزمنة خاصة إليه، في نحو حينئذ ويومئذ، و ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٣).

وأما رفعه بالفاعلية ونحوها فالجمهور على عدم جوازه، حسبما يحكى عنهم لكن الأظهر وفاقاً لكثير ممن تأخر جوازه، ولذا وجه الزمخشري^(٤) قراءة بعضهم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً﴾^(٥) بكونه في محل الرفع على الابتداء حملاً له على إذا في قولهم: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائماً^(٦) للتسوية بين المبتدأ والخبر، ولا غرابة في ذلك بعد مساعدة القليل، وهو اتفاقهم على التصرف والخروج عن الظرفية، ومن هنا يظهر أنه لا يحتاج إلى سماع خاص، فلا يقدح فيه عدم التصريح به، ولعل فيما يأتي من عبارة الإمام عليه السلام دلالة على ما اخترناه فلاحظ، والتزام ظرفيته دائماً حتى في مثل المقام تكلف جداً، بل قيل: إنه وهم فاحش، لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في الوقت الذي قد مضى مع أن امتثال الأمر في الحال أو الاستقبال، بل من البين أن المراد في مثل المقام ذكر الوقت نفسه

(١) الاحقاف: ١١.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) آل عمران: ٨.

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي المتوفى (٥٣٨) هـ.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

(٦) الكشاف ج ١ ص ٤٧٧ ط بيروت دار الفكر.

لا الذكر في الوقت.

وجعله ظرفاً للحادث المحذوف، كما توهمه البيضاوي^(١) بأن يكون التقدير واذكر الحادث، إذ قال ربك، مع كونه خلاف المنساق عن السياق واشتماله على التكلف الظاهر مردود بأولوية المجاز من الإضمار. وأوهن من الجميع القول بكونه زائداً في مثل المقام كما عن أبي عبيدة^(٢) وغيره.

وعامله في الآية اذكر على أن يكون مفعولاً به له، لا على ما قيل من التأويل، وتكون الجملة عطفاً على قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾^(٣) من عطف القصة على القصة، من غير التفات إلى ما فيها من الجمل إنشائية وإخبارية، والمتخلل من تمام القصة، أو جار مجرى الاعتراض، وعطفاً على فتدبر، ونحوه مقدراً بعد قوله: وهو بكل شيء عليم، كأنه قال بعد تعداد النعم والاستدلال بالعلّة على المعلول، أو العكس على ما تقدم فتدبر ذلك واذكر.

ويحتمل أن يكون الفاعل فيه قوله في هذه الآية: ﴿قَالُوا﴾، فيكون على حقيقة الظرفية، والمعنى قالت الملائكة إذ قال ربك لهم إني جاعل في الأرض خليفة: أتجعل، وإن يكون ظرفاً لمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل: وبدأ خلقكم.

(١) هو القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الأشعري الشافعي توفي

بتهريز سنة (٦٨٥) هـ - الكنى واللقاب ج ٢ ص ١٠٠.

بتهريز سنة (٦٨٥) هـ

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي اللغوي المتوفى (٣٠٩) أو ٢١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥.

لكن في تفسير الإمام عليه السلام ما يستفاد منه كونه ظرفاً لقوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ حيث قال عليه السلام: لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾^(١) قالوا: متى كان هذا؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: إبداعى هذا الخلق: ﴿لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ حين قال ربك^(٢).

بناءً على أحد الوجهين فيه، والوجه الآخر خروجه عن الظرفية بكونه خبراً عن قوله ابداعى، ولذا عبّر عنه بلفظ حين وجعله مسنداً، ولعلّ المراد أنهم لما سألوا عن الوقت أجيبوا بأنه حيث لم يكن لكم وجود، ولا قوّة اعانة له في خلق معاشكم، ولا لسان سؤال منه بل كان حين التفضل عليكم بالإخبار من إرادة خلق أيكم وتكريمه بكذا وكذا، فالظرف هو الزمان الممتد قبل خلق آدم، وإن كان خلق ما في الأرض في طرف منه، والقول في آخر تنبيهاً على أنه هو المبتدئ بالنعيم قبل الاستحقاق وقبل وجود المستحق.

والقول موضوع لحكاية لفظ أو فعل أو حال باللفظ الدال عليه، وقد يعمّ في الحكاية كالمحكي بناءً على التوسعة فيه عمّا وضع له في أصل اللغة، ويقال: قال بيده أي أشار، وهو منه تعالى بما يفيد الإفهام من وحي أو إلهام أو خلق صوت وكلام، أو نصب دليل على المرام.

وقد مرّت الإشارة إلى معاني الرّب في الفاتحة والأنسب منها في المقام هو المربّيّ بايصال الفيوض والمتفضل بالإمدادات الظاهرة والباطنة مع دفع العوائق إلى أن يصل إلى الكمال اللائق، وأضافته إلى ضمير الخطاب المكنى به عن النبي صلى الله عليه وآله للإشارة إلى أنه هو المقصود الاصلى والسبب الكلّي في خلق آدم وإنّ ذلك من تمام

(١) الآية: ٢٩.

(٢) تفسير النسوب الى الإمام العسكري عليه السلام، نقل عنه تفسير البرهان ج ١ ص ٧٢.

تربيته واردة ظهوره في هذا العالم، فإنه كالثمرة المقصودة من هذه الشجرة، والتنبيه على أنه ﷺ كان مقيماً على حدّ العبوديّة متمكناً في مقام الشهود الدائم، ولذا شافهه كفاحاً.

والملائكة جمع ملك، وأصله ملاك، بل قيل: أنه لا خلاف في ذلك وقد جاء الأصل في نحو.

ولست لأنسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصب
 وإنما اختلفوا في ملاك فعن الكسائي وابن السكيت^(١) والليث^(٢) أصله مأك بتقديم
 الهمزة من اللوك، وهي الرسالة، ثم قلبت بتقديم اللام، ثم تركت همزته لكثرة
 الاستعمال، فلما جمعوه ردّوها إليه فقالوا ملائكة وملائك أيضاً، وعن أبي عبيدة أنه
 فعل من لأك إذا أرسل، قال في القاموس: الملاك والملاكة الرسالة والكني إلى فلان
 أبلغه عني، أصله التكني، حذف الهمزة وأقيت حركتها على ما قبلها، والملاك
 الملك، لأنه يبلغ عن الله تعالى ووزنه مفعول والعين محذوفة، والزممت التخفيف إلا
 شاذاً، وهذا لسلامته من القلب سيما مع شيوع استعماله أجود من الأول، وتوهم
 ضعفه مدفوع بثبوت النقل والاستعمال، مع أنه المحكي عن ابن الأنباري^(٣) وابن

(١) ابن السكيت (بكسر السين وتشديد الكاف): أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الدورقي
 الاهوازي النحوي اللغوي المقتول بامر المتوكل سنة (٢٤٤) هـ

الكني والالقباب: ج ١ ص ٣١٤.

(٢) الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقرئ من جلة أصحاب الكسائي توفي سنة
 (٢٤٠) هـ غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٤.

(٣) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار اللغوي النحوي الاديب المستوفى (٣٠٤) أو

الهيثم^(١) وغيرهما، فلا ينبغي التأمل في ثبوته لعدم نصّ الجوهري^(٢) وغيره وعن ابن كيسان^(٣) أنه من ملك لدوران المادة مع القوة والشدة يقال: ملكت العجين أي شددت عجنه، وملك النبعة، وهي اسم شجرة صلبها وذلك إذا يبسها في الشمس مع قشرها، وملك بالطعنة كفي أي شددت، ومعنى القوة ظاهر في المالك والملك وما تصرف منهما، ومنه ملك الدابة بضم الميم واللام لقوائمها، وملك الطريق بالتثنية لمعظمه، بل قد يرجح هذا على الأولين بأن معنى الشدة والقوة يعم جميع الملائكة، وناهيك في ذلك قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤)، وأي قوة أعظم من ذلك وأنه سبحانه جعلهم وسائط جلّ أو كلّ ما يظهره في هذا العالم ببديع حكمته وباهر قدرته من الفيوض التكوينية والاحكام التشريعية.

وأما الرسالة فلقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ

النَّاسِ﴾^(٥).

وأما قوله ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾^(٦) فمخصص جمعاً بل وضرورة إلا مع التجوّز في معنى الرسالة، ويشكل حينئذ بجمعه هذا الجمع إلا باعتبار أصله الذي هو ملاك على أن الهمزة مزيدة فيجمع على ملائك كشمأل وشمائل، وأما الحاق التاء فليل: إنه لتأكيد تأنيث الجماعة، وأوسط الاقوال أوسطها لسلامته من القلب

(١) هو داود بن الهيثم بن اسحاق ابو سعيد التنوخي الانباري اللغوي النحوي المتوفى (٣١٦).

(٢) الجوهري: ابو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي: المتوفى سنة (٣٩٣) هـ على الأشهر.

(٣) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان البغدادي النحوي المتوفى (٢٩٩) هـ.

(٤) الأنبياء: ٢٠.

(٥) الحج: ٧٥.

(٦) فاطر: ١.

وقلة البناء على فعال فلا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق كما في شمال، مضافاً إلى ظهور المناسبة، وعدم أطرادها على فرضه غير قادح.

والمراد بهم هذا الخلق المعروف الذين هم أجسام نورانية على ما تأتي إليها الإشارة، والجعل إما بمعنى الخلق أو بمعنى الصيرورة، فله مفعولان دخل على المبتدأ والخبر، «في الأرض خليفة» عمل جاعل فيهما لكونه بمعنى الاستقبال معتمداً على المسند إليه، وهو ضمير المتكلم في أني، و«الخليفة» فعيلة من إستخلف في الأمر مكان من قبله فكأنه خلف غيره وقام مقامه، كما أن الامام مأخوذ من الام الذي هو القصد، أو من الامام لتقدمه فهو المتقدم الذي يقتدى به، وزيدت الهاء للمبالغة.

والمراد به خصوص آدم لأنه كان خليفة الله في أرضه في عمارة الأرض ونشر الشرايع والأحكام وتكميل الانام وسياستهم وتنفيذ أمره فيهم.

أو لأنه خليفة من سكن الأرض قبله من الملائكة حيث كانوا يعبدون الله في الأرض فلما قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة بدلاً منكم ورافعكم منها اشتد ذلك عليهم لأن العباداة عند رجوعهم الى السماء تكون أثقل عليهم، كما في تفسير الإمام عليه السلام (١).

أو من بني الجان والنسناس وغيرهم ممن سكن الأرض واشتغل بالسفك والافساد فأكلوا رزقه وعبدوا غيره.

وأن المراد به هو الخاتم لاختصاصه بالخلافة الكلية المحمدية ولذا نكره تعظيماً له وتفخيماً لشأنه.

(١) تفسير آلرهمان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام.

أو كلّ نبيٍّ أو الحجّة بعد الحجّة في كلّ زمان حيث إنّ الارض لا تخلوا في كلّ زمان من حجة معصوم أو آدم وذريّته، وستسمع تفصيل الكلام فيه، وإفراد اللفظ على بعض الوجوه ظاهر للوحدة الشخصيّة أو الوجوديّة في كلّ عصر وعلى غيره فعلى تأويل من يخلف أو خلقا يخلف، أو للاستغناء بذكر الأب الجسماني أو الروحاني عن ذكر نبيّه، كما استغنى بذكر أبي القبيلة في قولهم : هاشم، ولؤيّ، ومضر، على أنه قد يقال بمعنى فاعلة إسم يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

وقرأ خليفة بالقاف وهو في الاصل مصدر يطلق على الخلائق يقال هم خليفة الله وهم خلق الله وعلى الطبيعة لاختصاص هذا النوع بطبيعة لا يشاركه فيها شيء من الخلق وإن شارك الكلّ في طبائعهم في الجملة، والتاء...باعتبار تعدد الموصوف أو تأنيثه، فأنه قد استعمل بمعنى المفعول.

والمراد بالارض تمام البسيط من البراري والبحار، فإنّ للانسان الخلافة في الجميع ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١) وكذا تمام الجهات الأربعة من الشرق والغرب والشمال والجنوب لظاهر الآية وتحقق الدّحو قبل الخطاب.

وأما ما روي من طرق العامة عن النبي ﷺ أنه قال : دحيت الأرض من مكّة وكانت الملائكة تطوف بالبيت وهي أوّل من طاف بها، وهي الأرض التي قال الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) فضعيف سنداً، ولو صحّ فلعلّ تخصيص أرض مكّة بالذكر لتبعيّة غيرها لها خلقاً وشرفاً، فلعله إشارة إلى أن المقصود من

(١) يونس : ٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ١٦٥ رواه عن عبدالرحمن بن سابط، عن النبي وعبد الرحمن بن

توفي سنة (١١٨) فخره مرسل.

تلك الخلافة بل من خلق آدم وغيره هو الخلافة الكلية الثابتة لنبينا ﷺ، حيث إنه بعث في الاميين لينذر أمّ القرى ومن حولها، فكما أنّ الأرض دُحيت من مكة، فكذلك أعلام العلم والهداية تشرف منها، ولعلّ هذا هو السرّ في إعلام الملائكة بخلق آدم الذي هو طليعة ظهور الخاتم الذي هو علة وجود العالم، لأنّه المخاطب بقوله: «لولاك لما خلقت الافلاك»^(١) ففي الإيشار بوجوده قبل خلقه واستحقاقه الخلافة الالهية وجامعية المطلقة، سيّما مع إزاحة ما ربما يختلج في صدورهم من الشك في فضله أو التردد في سببه اشارات إلى تعظيمه وتكريمه واظهار لفضله الرّاجح على ما فيه من المفساد، سيّما مع كونه مستودعاً للأنوار الالهية والاشباح القدسيّة التي هي أنوار الأئمة ﷺ.

بقي الكلام في أمور: أحدها أنّه لا خلاف بين الملتين القائلين بحدوث العالم في تأخر خلق آدم عن هذا العالم الجسماني، واختلفوا في قدر تأخره، كما أنّهم قد اختلفوا في قدر بقائه فالاحكاميون منهم بنوا ذلك على ما إصطلحوا عليه من حساب الأدوار، وذلك أنّهم أجمعوا على أنّ الكواكب السبع السيّارة كانت في بدو خلق العالم مجتمعّةً مقترنةً في أوّل نقطة برج الحمل وإنّ أوجاتها وجوزهريتها كانت مقترنة معها في أوّل دقيقة من الحمل، بل وكذا الثوابت على رأي المتأخرين الذين ذهبوا إلى أنّ لها حركة بطيئة، وتنقسم الأدوار عندهم إلى أدوار الالوف وادوار الفصول، وللأول أقسام أربعة: أعظم واكبر وأوسط وأصغر، ولكلّ منها تيسير وانتهاء، ولهم في ذلك كلام طويل لا طائل تحت التعرض له، وزعموا أنّ مقدار عمر

(١) بحار الانوار ج ١٦ ص ٤٠٦ عن المناقب لابن شهر آشوب.

الدنيا هو ما بين القران الكلي للسبع في دقيقة أول الحمل إلى قران آخر مثله، فاعتمدوا في معظم الحوادث على القرانات الكلية، سيما التي بين العلويين إلى غير ذلك من هذياناتهم التي لا ينبغي الإصغاء إليها، وذكر بعضهم في تاريخ صنفه في سنة تسعمائة واحدى وأربعين من الهجرة النبوية أنه قد انقضى من حركة الافلاك والكواكب ثمان مائة وستّ عشر ألف سنة وثلاثمائة واثان وثمانون سنة، ومن أول أيام العالم الذي هو عبارة عن اجتماع السبع السيارة في أول نقطة من الحمل وهو المسمّى عندهم بالقران السباعي مائة وأربع وثمانون ألف سنة وستمائة واثان وسبعون سنة، ومن خلقة الجنّ والشياطين ستّ وستون ألف سنة وتسعمائة وأربع وعشرون سنة، ومن كتابة الصخرة أربعون ألف سنة وأربع وثلاثون سنة، ومن بناء هرمان بمصر ثلاثة عشر الف سنة وستمائة وثلاث وأربعون ألف سنة، ومن هبوط آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام سبعة الاف سنة ومائة وأربع سنين، إلى آخر ما ذكره.

وليت شعري من أين قدّر هذه الاوقات، ثمّ إنّ المشهور أنّ بناء الهرمين كان بعد الهبوط وان بانيه كان من بني أينا آدم أبي البشر، وإن اختلفوا في بانيها على أقوال قال في القاموس: الهرمان بالتحريك بناء آن أوليان بناهما إدريس عليه السلام لحفظ العلوم فيهما عن الطوفان، أو بناء سنان بن المششل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم، وفيهما كلّ طبّ وطلسم وهناك أهرام صغار كثيرة انتهى. ولعلّ توهم تقدّمه على الهبوط مبني على ما اشتهر في الألسنة أو وجد مكتوباً هناك، أو في موضع آخر من أنه بنى الهرمين والتسر طائر في السرطان،

وعده في «تحفة العالم» حديثاً وهو وهم.

وبالجملة فأقوالهم في ذلك على اختلافها لا عبرة بشيء منها لفقد الحجّة عليها، وأمّا الأخبار فهي مختلفة أيضاً ففي «المشارك» وغيره أنه سُئِلَ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن عمر الدنيا فقال عليه السلام يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد^(١).

ولعلّ المراد أنّ تلك المدة المذكورة كانت من آدم إلى الخاتم، كما لعله يؤمىء إليه خبر أبي ليبيد^(٢) المتقدّم في تفسير «الم» وأمّا نفي التحديد فمن مبعث النبي صلى الله عليه وآله إلى قيام الساعة.

وفي «جامع الاخبار» عن النبي صلى الله عليه وآله أن موسى عليه السلام سأله ربه صلى الله عليه وآله أن يعرفه بدء الدنيا منذ كم خلقت؟ فوحي الله تعالى إلى موسى تسألني عن غوامض علمي؟ فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف الف عام عشر مرّات^(٣)، الخبر على ما مرّ مع أخبار آخر في تفسير قوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وروى العياشي عن عيسى بن أبي حمزة قال: قال رجل لابي عبدالله عليه السلام جعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ الدنيا عمرها عشرة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً قفراً، خاوية عشرة آلاف، ثمّ بدأ الله بداء فخلق فيها خلقاً ليس من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الانس، وقدّر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمّر الله عليهم تدميراً ثمّ تركها

(١) بحار الانوار ج ١٠ ص ١٢٧ عن ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٠٦ وابو ليبيد هو البهراني الهجري الخزومي من أصحاب الباقر عليه السلام.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٣١ عن جامع الاخبار.

خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها وقدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت افسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما سفكت بنو الجان، فاهلكهم الله تعالى ثم بدا لله فخلق آدم وقدر له عشرة آلاف، وقد مضى من ذلك سبعة، الاثنا عشر عام ومائتان وأنتم في آخر الزمان^(١). وفي «الخصال» و«المعاني» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام قبل أن يخلق السموات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربعمئة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة^(٢). وفي الاختصاص عنهم عليهم السلام: أن الله خلقنا قبل الخلق بالفي ألف عام فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا^(٣). الخبر.

وفي البحار: عن أبي الحسن البكري^(٤) استناد الشهيد الثاني في كتاب الانوار عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال كان الله ولا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد عليه السلام قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء وأربعمئة وعشرين وأربعمئة ألف عام، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد عليه السلام بقى ألف عام بين يدي الله تعالى واقفاً يسبّحه ويحمده،

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ٣١ وعنه تفسير البرهان ج ١ ص ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١ ح ٢ عن الاختصاص.

(٤) هو الشيخ الجليل أحمد بن عبدالله بن محمد البكري صاحب كتاب الانوار في مولد النبي عليه السلام، وكتب آخر، توفي سنة (٩٥٢) هـ بمصر ودفن جنب قبر الشافعي وبنوا عليه قبة عظيمة.

والحق تبارك وتعالى ينظر اليه ويقول: يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الافلاك، من أحبك أحبته ومن أبغضك أبغضته، فتلاً نوره وارتفع شعاعه فخلق الله تعالى منه إثني عشر حجاباً أولها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزة، ثم حجاب الهيبة، ثم حجاب الجبروت، ثم حجاب الرحمة، ثم حجاب النبوة، ثم حجاب الكبرياء، وفي بعض النسخ الكرامة، ثم حجاب المنزلة، ثم حجاب الرفعة، ثم حجاب السعادة، ثم حجاب الشفاعة، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة فدخل وهو يقول سبحان العليّ الاعلى، وبقي على ذلك إثني عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول: سبحان عالم السرّ واخفى أحد عشر ألف عام، ثم دخل في حجاب العزة وهو يقول: سبحان الملك المئان عشرة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الهيبة وهو يقول: سبحان من هو غني لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الجبروت وهو يقول: سبحان الكريم الاكرم ثمانية آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرحمة وهو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب النبوة وهو يقول: سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون ستة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الكبرياء وهو يقول: سبحان العظيم الاعظم خمسة آلاف عام، ثم دخل في حجاب المنزلة وهو يقول: سبحان العليم الكريم، أربعة آلاف عام، ثم دخل في حجاب الرفعة وهو يقول: سبحان ذي الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام، ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول: سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول الفي عام، ثم دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم الف عام، قال الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ثم إن الله تعالى خلق من نور محمد ﷺ عشرين بحراً من نور، في كل بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى، ثم قال لنور محمد ﷺ: أنزل في بحر العزّ فنزل.

ثم في بحر الصبر، ثم في بحر الخشوع، ثم في بحر التواضع، ثم في بحر الرضا، ثم في بحر الوفاء، ثم في بحر العلم، ثم في بحر التقى، ثم في بحر الخشية، ثم في بحر الإنابة، ثم في بحر العمل، ثم في بحر المزيد، ثم في بحر الهدى، ثم في بحر الصيانة، ثم في بحر الحياء، حتى تقلب في عشرين بحراً، فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي وسيّد رسلي ويا أوّل مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشّفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجداً ثمّ قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبياً من الانبياء، فلما تكاملت الانوار صارت تطوف حول نور محمّد ﷺ كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يستبحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حلیم لا يعجل، سبحان من هو غني لا يفتقر، فناداهم الله تعالى: تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمّد ﷺ قبل الأنوار ونادى: أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب وملك الملوك، فاذا بالنداء من قبل الحق أنت صفتي وأنت حبيبي وخير خلقي، أمّتك خير أمة أخرجت للناس ثمّ خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة، وقسمها قسمين: فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماء عذبا، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسي من نور العرش، وخلق من نور الكرسي اللّوح، وخلق من نور اللوح القلم إلى آخر الخبر^(١).

وبالجملة فالأخبار الدالّة على بدو العالم ومقدار كينونته مختلفة جداً بحيث لا يمكن الجمع بينها إلا بالتأويلات البعيدة التي لا داعي إلى ارتكابها في المقام، بل الأولى ردّ علمه إلى أهله.

(١) بحار الانوار: ج ٥٧ ص ١٩٨ - ٢٠٠.

ثم أن لغير المليين أيضاً مقالات في ذلك وأكثرهم على القدم بل على إنكار آدم أبي البشر، حيث زعموا أنه لا أول لنوع البشر بل ولا لغيرهم من الأنواع المتوالدة كما هو المحكي عن الفلاسفة، وأمّا الهنود والبراهمة فآكثرهم على نفي الأفلاك واستقلال الكواكب سيّما السيّارة وخصوصاً الشمس في الآثار الواقعة وايجاد الكينونات الحادثة وزعموا أنه تعالى خلقها وفوض إليها تدبير العالم واختفى هو في الملاء الأعلى وربما يظهر لبعض المصالح في صور بعض الحيوانات وأكثر ما يظهر في صورة البقر، ولذا يببالغون في تكريمه وإعظامه، ولهم غلوّ في القول بالحلول والتناسخ وإنكار المعاد، وقالوا: إن العالم ليس له أول ولا آخر، ولا يزال يدور بين أدوار أربعة فالامتداد للدور الأول ألف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة، وللدور الثاني ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وتسعون ألف سنة، وللدور الثالث ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة، وللرابع أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة، وزعموا أنه قد مضى من الدورة الرابعة ما يقرب من خمسة آلاف سنة، وأنه إذا إنقضت الأدوار فلا بد أن ينقلب العالم ويفنى أهله، ثمّ يبتدئ من الدور الأول أيضاً من دون فصل، وزعموا أنه قد كانت الأعمار الطبيعيّة لنوع البشر في الدورة الأولى مائة ألف سنة، وفي الثانية عشرة آلاف سنة، وفي الثالثة ألف سنة، وأنه كان آدم ونوح في أواخر تلك الدورة، وفي الرابعة مائة وعشرين سنة.

وحكى شيخنا المجلسي عن الهنود: أن من كان منهم على رأي الفلاسفة فهو يوافقهم في القول بالقدم، ومن لم يكن منهم على رأي الفلاسفة وقال بحدوث العالم

لم يثبت آدم، ويقول: إن الله تعالى خلق الافلاك وخلق فيها طباعاً محرّكة لها بذاتها، فلما تحرّكت وحشوها أجسام، لاستحالة الخلاء، وكانت الاجسام على طبيعة واحدة، فاختلفت طبيعتها بالحركة الفلكية، وكان القريب من الفلك أسخن وألطف، والبعيد أبرد وأكثف، ثم اختلطت العناصر وتكوّنت منها المركّبات، ومما تكوّن منه نوع البشر، كما يتكوّن الدود في الفاكهة واللحم والبقي في البطايح والمواضع الغضة، ثم تكوّن البشر بعضه من بعض بالتوالد، ونسي التخليق الأوّل الذي كان بالتولد، ومن الممكن أن يقول: يتكوّن بعض البشر في بعض الأراضي القاصية بالتولد وإنما انقطع التولد لأن الطبيعة إذا وجدت للكون طريقاً استغنت عن طريق ثان.

قال: وأمّا المجوس فلا يعرفون آدم ولا نوحاً ولا ساماً ولا حاماً ولا يافث وأوّل متكون من البشر عندهم كيومرث، ولقبه كوهشاه أي ملك الجبل، وقد كان كيومرث في الجبال ومنهم من يسمّيه كيشاه أي ملك الطين، لأنّه لم يكن يوماً بشراً يملكهم، وقيل: تفسير كيومرث حي ناطق ميت قالوا وقد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا ولة وأغمي عليه، ويزعمون أنّ مبدء تكوّنه وحدوثه أنّ يزدان وهو الصانع الأوّل عندهم فكّر في أمر «أهرمن» وهو الشيطان عندهم فكرةً أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق ورمى به، فصارت منه كيومرث، ولهم خبط عظيم في كيفة تكوّن أهرمن عن فكرة يزدان، أو من اعجابه بنفسه، أو من توحّشه، ثمّ إنهم قالوا بعد هذيانات غريبة، أنّه قطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان في جبل باصطخر، ثمّ ظهرت على تينك الريباستين الاعضاء البشرية في أوّل الشهر التاسع وتمّت أجزائه فتصوّر منها بشران ذكر وانثى، وهما ميسا وميشانه،

وهما بمنزلة آدم وحواء عند الملتين ويسميهما مجوس خوارزم: مرد ومردانه، وزعموا أنّهما مكثوا خمسين سنة مستغنين عن الطعام والشراب منعمين غير متأذيين بشيء، حتى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار واكل منها وهما يبصرانه شيخاً فعاد شاباً. فاكل منها حيثئذ، فوقعا في البلايا وظهر فيهما الحرص حتى تزوجا وولد لهما ولد، فأكلاه حرصاً ثم القى الله تعالى في قلوبهما رافة فولد بعد ذلك ستة أبطن، كل بطن ذكر وانثى وأسماءهم في كتاب زردشت معروفة^(١).

الى غير ذلك من خرافاتهم التي لا تليق بالذكر، وأمّا اليهود والنصارى فالمحكي عنهم الإتفاق على ما أجمع عليه المسلمون لكن المحكي عن كثير من نصارى الفرنسة والأرض الجديدة الميل إلى مذاهب الدهرية والتناسخ، وانكار المعاد وغير ذلك من الالحاد. مركز تحقيق كتاب توحيد علوم رسولي

ثانيها: في الإشارة إلى ما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من النّسناس وبني الجان وغيرهما.

روى الزّاوندي في «قصصه» في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريته؟ فقال: نعم قد كان في السموات والأرض خلق من خلق الله تعالى يقدرسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار لا يفترون فإنّ الله تعالى لما خلق الأرضين خلقها قبل السموات، ثمّ خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطرون بها حيث

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

يشاء الله، فاسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدسونه بالليل والنهار واصطفى منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل، ثم خلق ﷻ في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة، وخفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك، فاسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون ثم خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون، نناس اشباه خلقهم وليسوا بانس، وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله الليل والنهار لا يفترون، قال ﷻ وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السماوات فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلمون منهم الخبر، ثم إن طائفة من الجن والنناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله تعالى فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم، واظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله.

قال: وأقامت الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته، وباينوا الطائفتين من الجن والنناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى، قال: فحط الله تعالى أجنحة طائفة من الجن الذين عتوا عن أمر الله وتمردوا وكانوا لا يقدرّون على الطيران إلى السماء وإلى ملاقات الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي.

قال: وكانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجن تطير إلى السماء الليل والنهار على ما كانت عليه، وكان ابليس واسمه الحارث يظهر للملائكة أنه من الطائفة المطيعة ثم خلق الله خلقاً على خلاف خلق الملائكة، وعلى خلاف خلق الجن،

وعلى خلاف خلق التناس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلّهم ذكران ليس فيهم إناث، لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حبّ الأولاد ولا الحرث ولا طول الأمل ولا لذة عيش ولا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار ليسوا ببهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار، ثمّ أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ، وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع إلى السماء فاسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا، ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ والتناس، فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرض من الجنّ والتناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها، ثمّ تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، ولا يعلم أهل جابرسا إذا طلعت، لأنّها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا.

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم؟ فقال عليه السلام: إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس، ولا يرون أنّ الله تعالى خلق شمساً ولا قمرأً ولا نجوماً ولا كواكب لا يعرفون شيئاً غيره، فقيل: يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال لا يعرفون

ابليس ولا سمعوا بذكره، لا يعرفون إلا الله وحده لا شريك له لم يكتسب احد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً، لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون، الليل والنهار عندهم سواء، قال ﷺ : **ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا وَذَلِكَ بَعْدَ مَا مَضَى لِلْجَنِّ وَالنَّسْنَسِ سَبْعَةَ أَلْفِ سَنَةٍ فَلَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ لِلَّذِي أَرَادَ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّقْدِيرِ فِيمَا هُوَ مَكُونُهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِينَ كَشَطٌ^(١)** عن أطباق السماوات ثم قال للملائكة: **انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي، فلما أطلعوا ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق أعظموا ذلك وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا يا ربنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن، وهؤلاء كلهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك، كلهم يتقلبون في قبضتك ويعيشون برزقك، ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا واكبرناه فيك، قال: فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فيكون حجتي على خلقي في أرضي فقالت الملائكة: سبحانك ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال الله تعالى: يا ملائكتي ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أني أخلق خلقاً بيدي واجعل من ذريته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وائمة مهتدين، واجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من**

(١) كشط: أي كشف.

عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي، أجعلهم حجة لي عذراً ونذراً وأنفي الشياطين من أرضي واطهرها منهم، فاسكنهم في الهواء وأقطار الأرض وفي الفياقي، فلا يراهم خلقي ولا يرون شخصهم، ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يواكلونهم ولا يشاربونهم وأنفِرَ مردة الجنّ العصاة من نسل بريتي وخلقِي وخيرتي فلا يجاورون خلقي، واجعل بين خلقي وبين الجن حجاباً فلا يرى نسل خلقي شخص الجنّ ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا يتجمعون تهجمهم، ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظّمته واصطفيته لغيبي اسكنهم مساكن العصاة وأوردهم موردهم ولا أبالي، فقالت الملائكة: ﴿لَا عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

فقال للملائكة: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١)، قال وكان ذلك من الله تقديماً للملائكة قبل أن يخلقه احتجاجاً منه عليهم، وما كان الله ليغيّر ما بقوم إلا بعد الحجّة عذراً أو نذراً فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة يمينه فصلصلها في كفه فجمدت فقال الله ﷻ منك أخلق^(٢)، الخبر على ما يأتي ان شاء الله.

وفي «الخصال» وتفسير «العياشي» وغيرهما عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله ﷻ في الأرض منذ خلقها سبعة عوالم ليس هم من ولد آدم خلقهم من اديم الأرض فاسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم

(١) الحجر: ٢٨ - ٢٩.

(٢) بحار الانوار: ج ٥٧ ص ٣٢٢ - ٣٢٥ ح ٥ عن قصص الراوندي.

خلق الله ﷻ آدم ابا البشر وخلق ذريته منه، ولا والله ما خلت الجنة من ارواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من ارواح الكفار والعصاة منذ خلقها ﷻ، لعنكم ترون انه إذا كان يوم القيامة وصير الله ابدان أهل الجنة مع ارواحهم في الجنة وصير ابدان أهل النار مع ارواحهم في النار ان الله تبارك وتعالى لا يُعبدُ في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحدونه؟ بلى والله ليخلقن الله خلقاً من غير فحولة وأنانث يعبدونه ويوحدونه^(١). الخبر

وفي العلل عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تعالى لما أحب أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعدما مضى من الجن والنسناس سبعة آلاف سنة... إلى أن قال عليه السلام: فاغترف تبارك وتعالى غرفة من الماء العذب الفرات، فصلصلها فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق النبيين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمة المهتدين الدعاة إلى الجنة واتباعهم إلى يوم القيامة، ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون، يعني بذلك خلقه أنه سيسألهم، ثم اغترف غرفة من الماء المالح الاجاج فصلصلها فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبارين والفراعنة والعُتاة اخوان الشياطين والدعاة إلى النار يوم القيامة واتباعهم ولا أبالي ولا أسأل عما أفعل وهم يسألون.

قال: وشرط في ذلك البدء ولم يشترط في أصحاب اليمين البدء ثم خلط المائين فصلصلها ثم ألقاهما قدام عرشه، وهما ثلثة من طين ثم أمر لملائكة الجهات الأربع: الشمال والديبور والصبأ والجنوب، أن حولوا على هذا السلالة الطين وابرؤها وانشؤها ثم جزوها وفصلوها واجروا فيها الطبائع الأربعة الريح والمرة

والدّم والبلغم قال: فجالت الملائكة عليها وهي الشمال والصباء والجنوب والدّبور فاجروا فيها الطبائع الاربعة قال والريّح في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الشمال قال والبلغم في الطبائع الأربعة في البدن من ناحية الصبا قال والمرّة في الطبائع في البدن من ناحية الدّبور قال والدّم في الطبائع الاربعة في البدن من ناحية الجنوب قال فاستقلت النّسمة وكمل البدن قال فلزمه من ناحية الرّيح حبّ الحياة وطول الامل والحرص ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام والشراب واللين والرفق ولزمه من ناحية المرّة الغضب والسفه والشيطنة والتجبر والتمرد والفجلة ولزمه من ناحية الدّم حبّ النساء واللذات وركوب المحارم والشهوات قال عمرو بن أبي المقدم أخبرني جابر أن ابا جعفر عليه السلام قال: وجدناه في كتاب من كتب عليّ عليه السلام ^(١).
أقول ورواه القمي بأدنى تغيير مع اشتماله على زيادة ونقصان ^(٢) ولعلنا نورده بعبارة ان شاء في سورة الحجر.

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم اسلامی

❖ في حقيقة الملائكة ❖

ثالثها: في الاشارة الى حقيقة الملائكة وأصنافها ووجودها في الجملة من ضروريّ الدّين عند جميع المسلمين بل كثير من الملّئين، فيجب الايمان بها والتّصديق بوجودها.

قال الله سبحانه: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ^(٣)

(١) علل الشرائع: ص ١٠٤ - ١٠٦ وعمرو بن أبي المقدم هو عمرو بن ثابت بن هرمز، يروي

الكثير عن الامامين الهمامين الباقر والصادق عليهما السلام توفي سنة (١٧٢) هـ

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

وقال النبي ﷺ حين سئل عن الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله^(١).

وأما البحث عن أنها روحانية محضة أو جسمانية محضة، أو مركبة من القسمين، ويتقدير كونها جسمانية فكثيفة أو لطيفة نورانية أو هوائية أو على الاختلاف كما ذهب إلى كل طائفة، فقد يقال: إنه ليس بواجب لأن مدار الإيمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في أنفسهم، بل هو اضافتهم إليه تعالى من حيث أنهم عباد مكرمون من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي.

وفيه نظر إذ قد علم من الأخبار المتواترة كونها قادرة على التجسد والتشكل بالاشكال المختلفة ولذا كان جبرئيل قد يُرى بصورة دحية الكلبي^(٢)، بحيث ربما كان يراه بعض الناس أو كل من كان حاضراً عند النبي ﷺ وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ﴾^(٣).

وهذا كله ينافي كونها روحانية محضة من قبيل العقول والنفوس، ولذا ادعى شيخنا المجلسي طاب ثراه إجماع الامامية بل جميع المسلمين على وجودها وأنهم أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة، وأنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال والصور

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ١ ص ٤٦٢، سبل الهدى والرشاد: ج ١١ ص ٤٨٦.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي الصحابي نزل المزة ومات في خلافة معاوية.

التقريب: ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الانعام: ٩.

على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً وكان يراهم الانبياء والأوصياء عليهم السلام.

قال: والقول بتجردهم وتاويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطبائع، وتأويل الايات المتظاهرة والأخبار المتواترة، تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى واتباع لأهل الغواية والعمى.

أقول ويمكن أن يقال: إنّ روحانيتهم لا تنافي تجسّمهم متى شاؤا باذن الله سبحانه، إلا أنّ الظاهر من الأخبار كونهم أجساماً متحيّزة مثل ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنّه ليس في السماء موضع قدم إلا وفيها ملك يسبحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلا وفيها ملك موكل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلا ويتقرّب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبتنا ويلعن اعدائنا^(١).

وفي «التوحيد» و«الخصال» أنّه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كلّفت الجنّ والانس أن يصفوه ما وصفوه لبعده ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة اذنيه، ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، ومنهم من السماوات إلى

(١) بصائر الدرجات: ص ٨٩، بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢١٠ ح ٧.

حجزته ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الاسفل والأرضون إلى ركبتيه ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لو سعتها، ومنهم من لو ألقى السُّفْن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله فتبارك الله أحسن الخالقين^(١).

وفي الخطبة الشريفة العلوية المذكورة في النهج: ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته وعمارة الصُّفِيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، وملاً بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زَجَلِ المسبّحين منهم في حظائر القدس، وسترات الحجب، وسرادقات المجد، ووراء ذلك الرّجيج الذي تستك منه الأشماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، وأقذار متفاوتات... إلى قوله ﷺ: ومنهم من هو في خلق الغمام الدّبح، وفي عظم الجبال الشُّمخ، وفي فترة الظلام الأبهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض، قد نفذت في مخارق الهواء، وتحتها ربح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية.. إلى أن قال: وليس في أطباق السماوات موضع إصاب إلا وعليه ملك ساجد أو ساعٍ حافد^(٢).

وفي التوحيد عن النبي ﷺ: إن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّوجل والماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلا وله ألف وأربعمائة جناح، في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه

(١) الخصال: ص ٣٦ والتوحيد ص ٢٠١ وعنهما البخارج ٥٩ ص ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٤٢٣ خ ٩٠ المعروفة بخطبة الاشباح.

أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى تسبيح لا يشبهه نوع منه صاحبه^(١).

وفي الخرائج وغيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن الذين تختلف الملائكة إلينا فمنا من يسمع الصوت ولا يرى الصورة، وإن الملائكة لتزاحمنا على تكأتنا وإننا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخياً لأولادنا^(٢).

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال: خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض^(٣).

وقال عليه السلام: إذا أمر الله تعالى ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة والأخرى في الأرض السابعة، وأن الله تعالى ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلفاً بين البرد والنار ثبتت قلوبنا على طاعتك، وإن الله تعالى ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير^(٤).

وقصة دردائيل وصورته كغيره من الملائكة مشهورة^(٥).

وفي النبوي المشتهر أطب السماء حق لها أن تنظ ما فيها موضع قدم إلا وفيه

(١) البحار: ج ٥٨ ص ١٨٢.

(٢) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

(٣) البحار: ج ٤ ص ٤٣.

(٤) البحار: ج ٥٩ ص ١٧٤.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ١٩٩.

ملك ساجداً أو راكم^(١).

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي يمكن تحصيل القطع منها بأنّها أجسام نورانيّة وان كانت غير مرئيّة إلاّ بأسباب خاصّة وانّ لها أمكنة وأحيازاً وأعضاء وجوارح وقوّة ونشاطاً وقوتاً من التسييح والتهليل وحركة وسكوناً واجتماعاً وافتراقاً وقياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً وأصواتاً وكلاماً وعظماً وأقداراً وغير ذلك من أحكام الاجسام وخواصها.

وحمل ذلك كلّه على الإستعارة والتشبيه وأنه لو تجسّم بمقدار قوّته لكان كذا وكذا خروج عن الظواهر المتظاهرة التي هي الحجة من غير حجة، والمؤمن الموحّد لا يتجاسر على أدنى من ذلك، فكيف بما هنالك، ولو ساغ في الشريعة فتح باب أمثال هذه التأويلات والإحتمالات المشتملة على ما لا يخفى من التكلّف والتحمّل لما أخضر للدين عود، وما قام للإسلام وعمود، لكنهم قد استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله ولذا تراهم يتلاعبون بأحكام الشريعة ويستخفون بأهلها، ويتصرّفون بعقولهم القاصرة وفطرتهم المغيرة وأحلامهم الناقصة في أحكامها الظاهرة بلا برهان ولا دليل، فاضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

وبالجملة يجب التصديق والإذعان بما صغ عنهم فيما لا تصل إليه عقولنا، وقد سمعت أنّ الظاهر من الكتاب والسنة كونهم أجساماً لطيفة نورانيّة كما عليه أكثر المسلمين، نعم لا نأبى من القول بأن يكون هناك أصناف آخر من الملائكة غير جسمانيّة، ولا متعلقة بالأجسام، بل يكون فوق عالم الأجسام كملائكة العالين

(١) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

والكرويين، والروح الذي هو من أمره سبحانه دون الذي على ملائكة الحجب.

❖ الملائكة عند الفلاسفة ❖

بقي الكلام في سائر الأقوال التي ذكروها في حقيقتها وهي عديدة منها: ما يحكى عن الفلاسفة وهي أنها جوهرة قائمة بنفسها ليست بمتحيزة البتة، وأنها بالمهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علماً وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء، ثم أن هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنسبة إلى اجرام الافلاك والكواكب كالنفوس الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، ومنها ما هي أعلا شأنًا من تدبير أجرام الافلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله مشغولة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتفق الفلاسفة على اثباتها، ومنهم من أثبت نوعاً آخر من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لآحوال هذا العالم السفلي، ثم أن مدبرات هذا العالم وإن كان خيرة فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين، وهذا القول ربما مال إليه بعض الإسلاميين كالسيد الداماد والصدر الأجل الشيرازي وغيرهما.

قال السيد: إن القول بتجسم الملائكة إنما هو ممشى الخارجين عن دائرة التحصيل، وأما ما هو صريح الحق وعليه الحكماء الإلهيون والمحصلون من أهل الاسلام فهو أن الملائكة على قبائل: سفلية وعلوية أرضية وسماوية، جسمانية وقدسانية، وفي القبائل شعور وطبقات كالقوى المنطبقة والطبائع الجوهرية وأرباب

الأنواع والنفوس المفارقة السماوية، والجواهر العقلية القادسة بطبقات أنواعها وأنوارها، ومنها روح القدس النازل بالوحي النافث في ارواح أولى القوة القدسية باذن الله سبحانه.

وقال الصدر الاجل بعد الاشارة إلى دعاء الصحيفة المشتمل على اصناف الملائكة وقبائلها: إن قوله «اللهم وحمة عرشك» إشارة إلى الملائكة المقرّبين والجواهر المقدّسين الواقعين في سلسلة العقول المفارقة، وقوله: «والرّوح الذي هو على ملائكة الحجب والرّوح الذي هو من أمرك» إشارة إلى الارواح المهيمنة الذين يستغرقون في شهود جمال الأزلية وليس لهم رسالة من الله إلى خلقه، ولذا سمّاهم بالرّوح ولم يطلق عليهم اسم الملك لأنّه مشتق من الألوكة بمعنى الرّسالة وكلّ روح مفارق لا رسالة له فهو ليس بملك وإنما هو روح فقط، وقوله: «على الملائكة الذين من دونهم» إشارة إلى الملائكة المتوكّلين بالأجرام السماوية والنفوس المدبرة للجواهر الفلكية والكوكبية، قوله: «وعلى الروحانيين من ملائكتك» اشارة إلى الملائكة العقلية الواسطة في سلسلة اسباب الوجود بينه وبين ملائكة السماء ولهذا قال في الدعاء: «وأسكنتهم بطون اطباق سمواتك» فإنّ بطون أطباق السماوات هي نفوسها المحركة لها إذ لكلّ نفس فلكي جوهر عقلي مفارق مسكنه قلب ذلك الفلك ونفسه الناطقة كما أنّ قلب المؤمن بيت الله اي نفسه الناطقة مكان معرفة الله سبحانه وقوله: «وخزان المطر» آه إشارة إلى ملائكة الأرضين وهم مبادئ الصّور النوعية للأنواع الطبيعية العنصرية، فكلّ ملك من جنس ما يدبّره ويحرّكه باذن الله تعالى وأمره: فملك الرّياح من باب الرّياح، وملك الامطار من باب الامطار، وملك الجبال

من باب الجبال، وكذا ملك النار من باب النار، وملك الماء وملك الأرض كل هؤلاء من نوع ضمّه ومسمّى باسمه فملك الأرض أرض لعالم الغيب والملكوت وملك الماء ماؤه وملك الهواء هوائه وملك النار ناره بل ما من موجود في هذا العالم إلا وله صورة طبيعّية محرّكة ونفس تدركه وعقل يسخره واسم إلهي يبدعه وإذا ترقّيت بذهنك إلى عالم الملكوت الأعلى شاهدت الماء هناك وهو حياة كل شيء والهواء عشق كل ذي روح وشوقه والنار قدر كل حي وقهره والأرض قوّة تمسكه لكلّ جوهر ومديله انتهى.

وأنت ترى أن هذا كلّه رجم بالغيب وما كلّفنا بالتّصديق بأمثال هذه التخريجات الظنّية والاعتبارات الوهميّة إن هم إلا يظنون وإن هم إلا يخرصون.

❖ الملائكة عند النصارى والمجوس ❖

ومنها ما يحكى عن النصارى وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيريّة، وذلك لأنّ هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

ومنها: قول معظم المجوس والثنوية وهو أنّ هذا العالم مركّب من أصلين أزليين، وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شقّافان حسّاسان مختاران قادران، متضادّا النفس والصورة، مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل خير، تقيّ طيّب الرّيح كريم النفس، يسرّ ولا يضر، وينفع ولا يمنع، ويحيي ولا يبلي،

وجوهر الظلمة على ضد ذلك، ثم إن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح، بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم، والضوء من المضيء وجوهر الظلمة لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفه.

■ الملائكة عند أرباب الهياكل ■

ومنها : أرباب الهياكل وعبدة الأصنام، فأنهم قالوا: إن الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب المتصرفة في هذا العالم بصورها واشكالها وتشكلاتها وارواحها المحركة لها المدبرة للعالم السفلي، لا على وجه القصد والالتفات، فإن العالي لا يلتفت إلى السافل، بل على وجه الاشراف والتجلي، ولذا زعموا أن لها أرواحاً عالية قاهرة قوية، وهي مختلفة بجواهرها ومهيئاتها، وكما أن لكل روح من الأرواح البشرية بدناً معيناً، فكذلك لكل روح من الأرواح الفلكية بدن وهو ذلك الفلك، وله قلب وهو الكواكب المركوز فيه، فتعلق الروح الفلكية أولاً بقلبه، ثم ينبعث من جرم الكوكب خطوط شعاعية تتصل بها قوة ذلك الكوكب ونوره إلى اجزاء العالم، وكما أن بواسطة الأرواح الفائضة من القلب والدماغ إلى اجزاء البدن يحصل في كل جزء منها قوى مختلفة كالقوى الحيوانية من السامعة والباصرة والشامة والذائقة واللامسة، وكالقوى الطبيعية، كالجاذبية والدافعة والغازية وغيرها، فتكون هذه القوى كالنتائج والاولاد لجوهر النفس المدبرة لكلية البدن، فكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبثة من الكوكب الواصلة إلى أجزاء هذا العالم يحصل في تلك الأجزاء

على حسب التأثيرات الجزئية وخصوصيات القوابل والفواعل نفوس جزئية مخصوصة مثلاً نفس زيد ونفس عمرو ونحوهما، وهذه النفوس كالتتابع والأولاد لتلك النفوس الفلكية، ولما اختلفت النفوس الفلكية اختلافاً نوعياً من حيث جواهرها ومهيئاتها فكذلك النفوس المتولدة من نفس فلك زحل مثلاً صنف من الناس متجانسة متشاكلة في افرادها وجزئياتها، إلا أنها متخالفة اختلافاً ضيقاً للنفوس المنتسبة إلى روح المشتري مثلاً ثم نسبوا إلى كل من الكواكب شيئاً من أصناف الناس وسائر الحيوانات والاقاليم والأزمنة والساعات والأيام والليالي والألوان والطعوم والاثمار والنباتات والزواجر وغير ذلك مما ملئت منه كتب الاحكاميين.

ثم أنهم قالوا إن تلك الأرواح الفلكية كالأب المشفق والسُلطان المرابي لمواليدها ومنسوباتها، ولذا سَمَّوْها بالآباء العلوية فتعين أولادها على صلاحها ونجاحها، ولذا سَوَّلَتْ لهم نفوسهم أن بنوا لكل منها بصورها المتوهمة لها هياكل واشكالاً وصوراً عظموها واستشفعوا بها وتقرَّبوا إليها بالسجود إليها وغيره من أنواع التعظيم والتكريم، حتى آل أمرهم إلى عبادتها، وهذا الأصل الذي سمعت هو الذي بنوا عليه علم أحكام النجوم، فسحقاً لهم بما سَوَّلَتْ لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

❖ قول المشركين في الملائكة ❖

ومنها: ما تقوله بعض المشركين ككفار قريش وأحزابهم، حيث قالوا: إن

الملائكة بنات الله، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وجعلوا له من عباده جزء فرد الله عليهم في محكم كتابه، إلى غير ذلك من الأقوال التي لا جدوى للتعرض لها ولا لابطالها بعد قيام ضرورة الدين واجماع المسلمين على ما سمعت الدال على وجودهم أيضاً في الجملة، ولذا كنا في غنى عن التكلف لإثباتها بما تجشمه بعض الناس من الأدلة الاقناعية التي استدلل بها الرازي وغيره من أنه يبعد في العقل أن يحصل الحياة والعقل والنطق في هذا العالم الكدر الظلماني ولا يحصل في ذلك العالم الذي هو عالم الأضواء والانوار وأنه أشرف أنواع الحي فهو أولى بالوجود من الأوسط الذي هو الحيوان الناطق والأحسن الذي هي البهائم ونسى أصحاب المشاهدات والمكاشفات والمجاهدات شاهدها في مشاهدتهم التورانية وأصحاب الحاجات والضرورات أثبتوها من عجائب آثارها في الهداية إلى المعالجات النادرة الغريبة والاختراعات البديعة العجيبة وتركيبات المعجونات واستخراج صفة الترياقات وغيرها من الآثار والاسرار، لكنّها كما ترى قاصرة عن افادة المطلوب، وإنما المعتمد ما سمعت، وأما مواد وجوداتهم وكيوناتهم فالأصل فيها هو الرحمة الكلية والكلمة الالهية والمراد بها نور نبينا محمد وآله الطاهرين صلى الله عليهم، ولذا ورد في الاخبار الكثيرة التي مرّت إلى جملة منها الإشارة إلى أنّ الملائكة والانبياء خلقوا جميعاً من أشعة أنوارهم ومن فاضل طينتهم، وأنّ الملائكة العالين الذين هم أفضل أصناف الملائكة قوم من شيعتهم من الخلق الأول، بل ورد أنّ سبب قربهم سبقهم ومبادرتهم إلى الإقرار بالولاية.

وقال الصادق عليه السلام: إنّ الله سبحانه وتعالى عرض ولايتنا على الملائكة فمن

بادر إليها وعقد قلبه عليها صار من المقربين.

وفي «مصباح الأنوار» عن النبي ﷺ أن العرش خلق من نور النبي ﷺ وأن الملائكة خلقوا من نور عليّ ﷺ.

وعن أبي جعفر ﷺ أنه خلق الله الملائكة واسكنهم السماء ثم ترائى لهم الله تعالى ثم أخذ عليهم الميثاق له بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولعليّ بالولاية فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله عليهم واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا فرضى عنهم بعد ما أقرّوا بذلك واسكنهم بذلك الاقرار السماء واختصهم لنفسه واختارهم لعبادته، ثم أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا، ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبحون الله ولا كيف يقصدونه، الخبر.

ثم أن ههنا مواداً آخر لوجودهم ولذا ورد في كثير من الأعمال الحسنة والطاعات المقبولة أن الله تعالى يخلق منها الملائكة فيسبحون لصاحبها.

ففي خبر وضوء مولانا أمير المؤمنين أنه قال لمحمد بن حنيفة يا محمد من توضأ مثل وضوئي وقال مثل قولي خلق الله له من كل قطرة ماء ملكاً يقدهه ويسبحه ويكبره فيكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة^(١).

وفي تفسير الامام ﷺ أن من قال في آخر وضوئه أو غسله من الجنابة سبحانك اللهم وبحمدك...الدعاء تحاتت عنه ذنوبه كما تحات أوراق الشجر وخلق الله بعدد كل قطرة من قطرات وضوئه أو غسله ملكاً يسبح الله ويقدهه ويهلله

(١) المحاسن: ص ٤٥ - عن البحار ج ٨٠ ص ٣٦٨.

ويكبره ويصلي على محمد وآله الطيبين وثواب ذلك لهذا المتوضىء^(١).
 بل قد روي عن النبي ﷺ على ما رواه في «الانوار» عن ابن عباس أنه لما
 أسري به إلى السماء انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له النور وهو قول الله ﷻ وخلق
 الظلمات والنور فلما انتهى به إلى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمد على بركة
 الله فقد نور الله لك بصرك ومد لك ملكك فإن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرب
 ولا نبي مرسل غير أن لي في كل يوم اغتماسة فيه ثم اخرج منه فانفض أجنحتي
 فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرباً له
 عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان في كل لسان يلفظ بلغة لا يفهما اللسان
 الاخر فعبر رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمائة حجاب من
 حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمائة عام^(٢)، الخبر بطوله.

وفيه عن النبي ﷺ أن في السماء الرابعة نهراً يقال له الحيوان يدخل فيه
 جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس فاذا خرج انتفض أنتفاضة جرف عنه سبعون
 ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون
 فيه ثم لا يعودون فيه أبداً^(٣).

ولا يخفى أن الملائكة المخلوقة من أفعال العباد وغيرها من المواد أيضاً
 مخلوقة من أشعة أنوار محمد ﷺ الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين ولو بواسطة
 أو وسائط بحسب القرب من المبدء والبعد عنه، وأما استقصاء الكلام في ذكر

(١) تفسير الإمام، ص ٢٣٩ وعنه البحار ج ٨٠ ص ٣١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٣ - وعنه البحار ج ١٨ ص ٤٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٥٥ عن تفسير الطبرسي ج ٩ ص ١٦٦.

أصناف الملائكة ومراتبهم وأوصافهم وشؤونهم وعصمتهم وغير ذلك من أحوالهم فسيأتي كل في موضعه من الآيات المتعلقة بها.

بقي الكلام في أن المراد بالملائكة في الآية هل هو الكل نظراً إلى دلالة الجمع المحلّي على العموم الاستغراقي فيشمل جميع الأفراد أو البعض المطلق لكون اللام إشارة إلى الهيئة الجنسية الصادقة على الكلّ والبعض، والمراد أنه خاطب هذا الجنس من أجناس العالم، أو خصوص من حارب منهم بني الجان وأسروا ابليس، فيكون اللام للعهد بأحد الوجهين وأن لم يجز له ذكر في خصوص ظواهر الآيات وجوه بل أقوال.

وقد مرّ في العلوي المروي عن القصص أنه سبحانه كشط عن أطباق السماوات ثم قال للملائكة أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنّسّاس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي فلما اطلعوا ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ اعظموا ذلك وغضبوا لله^(١) إلى آخر ما مرّ الظاهر في كون الخطاب متوجّهاً إلى الجميع والعمدة عموم الكتاب الذي لم يظهر له مخصّص مضافاً إلى ما ستسمع من كون الأمور بالسجود هو الجميع.

ولا يقدح فيه ما ورد عن أن أهل المدينتين اللتين بالشرق والمغرب لم يطلعوا على خلق آدم^(٢) لاستغراقهم في عبادته سبحانه ولعدم كونهم من الملائكة. وكذا لا ينافيه ما روي عن النبي ﷺ قال: مررنا ليلة المعراج بملائكة من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٤ عن قصص الراوندي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٩.

ملائكة الله ﷻ خلقهم الله تعالى كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، وليس شيء من اطباق وجوههم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية باصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله تعالى، فسألت جبرائيل عنهم فقال: كما ترى خلقوا أن الملائكة منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، ولا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم، خوفاً من الله تعالى وخشوعاً، فسلمت عليهم فردوا عليّ ايماء برؤوسهم ولا ينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل ﷺ: هذا محمد نبي الرحمة ارسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم الأنبياء وسيدهم أفلا تكلمونه، قال: فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسلام وبشروني وأكرموني بالخير لي ولأمتي (١).

وأما ما رواه العامة عن ابن عباس من أنه سبحانه إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع إبليس لأن الله تعالى لما أسكن الجن الأرض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً فبعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم إبليس بعسكره حتى أخرجوهم من الأرض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم إني جاعل في الأرض خليفة (٢).

ففيه أنك ستمسح فيما يأتي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأنه لم يقاتل الجن بل قوتل بالملائكة فقتل حزبه وأسروا نفسه، وأما كون المخاطبين خصوص المحاربين فهو غير واضح أيضاً، سيما بعدما سمعت من الكشط عن اطباق

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٢٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٢ ص ١٦٥.

السموات^(١) الظاهر في إرادة الجميع.

نعم في تفسير الامام عليه السلام أنه قال ذلك للملائكة الذين كانوا في الأرض مع ابليس وقد طردوا عنها الجنّ بني الجان^(٢) الخبر على ما يأتي، وفي بعض الاخبار الآتية ما يدلّ عليه ايضاً، لكنها لا تقاوم الأخبار الدالة على العموم المؤيدة بظاهر الكتاب وبوقوع الاستدلال في كثير من الأخبار على فضل البشر على الملائكة بسجودهم لآدم.

بل في العيون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك إلى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم : ثم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه فكيف لا تكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون^(٣).

وهو كما ترى صريح في العموم مع زيادة التأكيد لكن لا دلالة فيه على كون المقول لهم أو القائلين هم جميع المأمورين بالسجود بل في «العلل» عن الصادق عليه السلام فيما يأتي في حجج الحشوية أنه تعالى لما أَرَادَ خلق آدم قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها

(١) البحار: ج ٥٧ ص ٣٢٤.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٢٧ عن تفسير الإمام عليه السلام.

(٣) عيون الاخبار: ص ١٤٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٤٠.

ويسفك الدماء فوق الحجب بينهما وبين الله ﷻ، الخبر^(١) على ما يأتي.

رابعها: في الإشارة إلى معاني الخلافة التي تختلف باختلاف مراتب الإستخلاف وهي عديدة منها: مجرد إذهاب قوم بالإهلاك أو الإجلاء أو غيرهما وإقامة غيرهم مقامهم في مساكنهم واماكنهم ومكاناتهم كما في قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾^(٢) ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) والخلافة بهذا المعنى تطلق مع القيام بمقتضاها من الايمان والعبودية وعدمه، ولذا أطلق على الكافر في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾^(٤) وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾^(٥) ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾^(٦) إلى غير ذلك من الإطلاقات الكثيرة الواردة في القرآن وغيره وفي الدعاء: «وَيُهِلِكَ مَمْلُوكًا وَيَسْتَخْلِفُ آخَرِينَ»، وبمثل هذه الاطلاقات أُطلقت على الخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية وبني العباس وغيرهم من المنافقين المتخلفين، وعليه يُحمل ما وضعوه وافتروه على النبي ﷺ من أنه قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، والأفهم يزعمون أنه ﷺ لم يستخلف أحداً بعد وفاته،

(١) علل الشرائع: ص ١٤٠ وعنه البحارج ١١ ص ١٠٩ ح ٢٣.

(٢) الانعام: ١٣٣.

(٣) الاعراف: ١٢٩.

(٤) الانعام: ١٦٥.

(٥) الاعراف: ٦٩.

(٦) الاعراف: ٧٤.

ولذا اعترض عليهم المأمون لعنه الله في مجلس عقده للمناظرة معهم بمحضر الرضا عليه السلام فقال لهم وهم زهاء اربعين رجلاً من علمائهم من أصحاب الحديث وأهل الكلام : أليس قد روت الأمة باجماع منها أن النبي صلى الله عليه وآله قال : من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار^(١) قالوا: بلى قال ورووا عنه صلى الله عليه وآله أنه قال من عصي الله بمعصية صغرت أو كبرت ثم اتخذها ديناً ومضى مصراً عليها فهو مخلد بين أطباق الجحيم، قالوا: بلى : فخبروني عن رجل تختاره الأمة فتنصبه خليفة هل يجوز أن يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قبل الله صلى الله عليه وآله ولم يستخلفه الرسول؟ فإن قلت نعم كابرتم، وإن قلت لا وجب أن أبا بكر لم يكن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ولا كان من قبل الله صلى الله عليه وآله وانكم تكذبون على نبي الله، وانكم متعرضون لأن تكونوا ممن وسمه النبي صلى الله عليه وآله بدخول النار، وخبروني في أي قولكم صدقتم أفي قولكم مضى صلى الله عليه وآله ولم يستخلف أو في قولكم في أبي بكر يا خليفة رسول الله، فإن صدقتم في قولين فهذا ممّا لا يمكن كونه اذ كانا متناقضين، وإن صدقتم في أحدهما بطل الآخر.

إلى أن قال: خبروني عن النبي صلى الله عليه وآله هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا: لم يستخلف، قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ فقالوا هدى، قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى ويتكفوا الضلال، قالوا: قد فعلوا ذلك، قال ولم استخلف الناس بعده وقد تركه هو وترك فعله ضلال ومحال أن يكون خلاف الهدى، واذا كان ترك الاستخلاف هدى فلم استخلف ابو بكر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وآله ولما جعل عمر الأمر بعده شورى بين المسلمين خلافاً على صاحبه؟ وزعمتم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يستخلف

(١) هذا الحديث مروى عن الفريقين في كتبهم منها: كنز العمال ج ٣ ص ٣٥٥.

وانّ أبا بكر استخلف وعمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي ﷺ بزعمكم ولم يستخلف كما فعل أبو بكر وجاء بمعنى ثالث فخبّروني أي ذلك ترونه صواباً؟ فإن رأيتم فعل النبي ﷺ صواباً فقد خطأتم أبا بكر، وكذلك القول في بقية الأقاويل، وخبّروني أيهما أفضل ما فعله النبي بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟ وخبّروني هل يجوز أن يكون تركه من النبي ﷺ هدى وفعله من غيره هدى فيكون هدى ضدّ هدى فأين الضلال حينئذٍ؟ وخبّروني هل وليّ أحد بعد النبي ﷺ باختيار الصحابة منذ قبض النبي ﷺ إلى اليوم فإن قلتم لا فقد أوجبتم أنّ الناس كلّهم على ضلالة بعد النبي وإن قلتم نعم كذبتهم الأمة وابطل قولكم الوجود الذي لا يدفع إلى آخر ما ذكره على مارواه في العيون (١).

ثمّ أنّ الخلافة بهذا المعنى ثابتة لنوع البشر لأنّ كلّ قرن منهم خلف أو خلف لسلف، ولآدم وذريته ايضاً لأنّ الله تعالى قد استخلفهم في الأرض بعد اهلاك النّسّاس وبني الجان وغيرهم على ما مضى وبياتي، وهذا المعنى هو الظاهر من بعض اخبار الباب.

ومنها: الولاية من الله تعالى بلا واسطة أو معها في تبليغ الاحكام ونشر الشرايع والقضاء بين الناس بشرط كون الولاية خاصة ناصّة من الله سبحانه ولو بلسان الرسول ﷺ مع إقترانها بالعلم والفضيلة والعصمة فيكون الولي بهذا المعنى حجّة على غيره ممّن استخلف عليه، وهذا المعنى هو الظاهر من الآية على ما يستفاد من بعض الأخبار كالخبر المرويّ في «الكافي» و«العلل» و«تفسير القمي» وغيرها وفيه: أنّه قال جلّ جلاله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تكون حجّة لي

(١) العيون للصدوق: ج ٢ ص ١٩٧-١٩٨.

في أرضي على خلقي ولذا قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد هؤلاء المردة من الجن والنسناس الذين كانوا في الأرض ويسفك الدماء كما فعل هؤلاء ويتحاسدون ويتباغضون فأجعل ذلك الخليفة منّا فأنّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدماء ونحن نسيح بحمدك وتقدس لك قال تبارك وتعالى إني أعلم ما لا تعلمون إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي واجعل في ذريته الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين وأئمة مهديين واجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي يهدونهم إلى طاعتي وينهونهم عن معصيتي واجعلهم حجة لي عليهم عذراً ونذراً الخبر^(١) على ما يأتي انشاء الله، حيث أنّ الظاهر منه ارادة الخلافة على الوجه المذكور وهو المراد ايضاً في قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

ولذا ورد أنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رابع الخلفاء، ففي «العيون» وغيره عن مولانا ابي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن ابائه عن أمير المؤمنين قال بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة اذ لقينا شيخ طوال كث اللحية طويل ما بين المنكبين فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ورحب به ثم التفت إليّ وقال السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته اليس هو كذلك يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بلى ثم مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له قال صلى الله عليه وآله:

(١) كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٣٠ - ٣٣١ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) ص: ٢٦.

أنت كذلك والحمد لله إن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) والخليفة المبعول فيها آدم ﷺ وقال ﷻ ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٢) فهو الثاني وقال ﷻ حكاية عن موسى قال لهارون ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾^(٣) فهو هارون اذا استخلفه موسى ﷺ في قومه وهو الثالث وقال ﷻ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾^(٤) وكنت أنت المبلغ عن الله ﷻ وعن رسوله وانت رصيي ووزير وقاضي ديني والمؤدي عني وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فانت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ أو لا تدري من هو؟ قلت: لا قال: هو أخوك الخضر ﷺ^(٥).

والخلافة بهذا المعنى ثابتة للأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين سيما قائمهم وخاتمهم عجل الله فرجه فإنه المضطر الذي يجاب اذا دعى، ويكشف السوء ويجعله خليفته في أرضه واليه الإشارة بقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾^(٦) وهو الموعود بالخلافة والتمكين في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الاعراف: ١٤٢.

(٤) التوبة: ٣.

(٥) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٩ - ١٠.

(٦) النمل: ٦٢.

خَوْفِهِمْ أَمْنًا»^(١)، الآية.

وفي الكافي عن ابي الحسن عليه السلام قال الأئمة خلفاء عليهم السلام في أرضه^(٢) وفيه عن محمد بن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام الا تدلني إلى من آخذ عنه ديني. فقال: هذا ابني عليّ إن أبي أخذ بيدي فادخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا بني ان الله صلى الله عليه وآله قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وان الله صلى الله عليه وآله اذا قال قولاً وفي به^(٣).

وفيه دلالة على أن المراد بالخلافة هي الخلافة المتصلة في كل عصر كما أشير إليها بقوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

ومن فروع هذه الخلافة ما ثبت للنائب العام في زمن غيبة الإمام عليه السلام في نشر الاحكام وبيان الحلال والحرام والقضاء بالحق بين الانام واقامة الحدود وولاية الایتام.

ولذا ورد في النبوي على ما رواه في «العيون» و«المعاني» من الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويروون عني أحاديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي، ومثله في «الفقيه» و«المجالس» عن امير المؤمنين عنه عليه السلام.

(١) النور: ٥٥.

(٢) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٣) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٤) القصص: ٥١.

ومنها الولاية في الامور التكوينية وفي شؤون الربوبية إذ مروب باذن الله سبحانه، وهذه الخلافة ثابتة فيما شاء الله سبحانه لمن شاء من عباده كالملائكة الذاريات والمقسّمات والمعقبات والنّازعات والزّاجرات وغيرهم من الملائكة الموكّلين بمصالح العالم وحفظ بني آدم، وهذه الخلافة ثابتة ايضاً للنبي محمّد وآله الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين فيما أشهدهم على خلقه واتخذهم أعضاء على ما يستفاد من فحوى الآية وصريح قول الحجّة عجل الله فرجه في دعاء رجب بأعضاء وأشهاد^(١)، وغير ذلك من الأخبار التي مرّت إلى جملة منها الاشارة في تفسير الفاتحة.

وأما الخلافة الكليّة المحمّدية الثابتة له ولاوصيائه الطيبين فهي اشارة إلى ذلك مضافاً إلى المعنى السابق من وساطتهم في التبليغ إلى جميع الاكوان في جميع العوالم ولذا ورد عنهم: انّ الله تعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم ونحن الحجج على جميع تلك العوالم وهؤلاء الادميين.

وفي الكافي: عن أبي جعفر الثاني: انّ الله لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثم خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف ألف دهر ثم خلق جميع الاشياء فاشهدهم خلقها واجرى طاعتهم عليها وفوض امورها إليهم فهم يحلّون ما يشاؤون ويحرّمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى^(٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٥ بتفاوت سير.

وفي «الاختصاص» في خبر المفضل عن الصادق عليه السلام على ما رواه في البحار عنه عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه، فعرف عباده نفسه، ثم فوض إليهم أمره، وأباح لهم جنته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والانس عرفه ولايتنا، ومن أراد الله أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال يا مفضل والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام وما كلم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام ولا أقام عيسى بن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال عليه السلام: اجمل الامر ما استاهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا^(١).

وهذه الخلافة هي المعبر عنها بالقيام في سائر العوالم في الاداء مقامه في الخطبة العلوية الغديرية على ما رواه شيخ الطائفة في «المتهجد» على ما مرّت لكنها هو المسك ما كرّره يتضوع، وفيها: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إستخلصه في القدم على سائر الامم، على علم منه به انفراد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وانتجبه^(٢) أمراً وناهياً عنه، أقامه في سائر عالمه في الاداء مقامه.

إلى أن قال عليه السلام: وإن الله تعالى اختص لنفسه من بعد نبيّه عليه السلام من بريته خاصة علاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحق إليه، والأدلاء بالارشاد عليه، قرن قرن وزمن زمن.

أنشأهم في القدم قبل كل مذروء ومبروء أنواراً أنطقها بتحميده، والههما

(١) البحار ج ٢٦ ص ٢٩٤ ح ٥٦ عن الإختصاص ص ٢٥٠.

(٢) في البحار: وائتمنه.

شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترف له بملكة الربوبية وسلطان العبودية، واستنطق بها الخرسان بأنواع اللغات بخوعاً له بأنه فاطر الأرضين والسموات، واشهدهم خلق خلقه، وولاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجم مشيئته، والسن إرادته عبيداً لا يسبقونه بالقول: وهم بامرهم يعملون^(١) آه.

ومنها: جامعيته للنشآت الكونية ومظهريته للأسماء الالهية والصفات الفعلية على ما تأتي إليه الاشارة في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) وإن كان مرجعه إلى سابقه في ركنه الاعظم الذي هو العمدة في معنى الخلافة قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ استفهام على وجه الاستعلام عن وجه الحكمة والمصلحة في استخلاف أهل المعصية مكان أهل الطاعة ليعلموا الحكمة في ذلك مفضلاً بعدما علموه مجملاً من علمه وحكمته، أو تعجب عن السر الناهض والحكمة التي أوجبت استخلاف من يفسد في الأرض لفرض عمارتها واصلاحها، مع أنّ الافساد والسفك على طرف الضد من المطلوب على أنّ ما هو المقصود الاصيلي من الخلق وهو العبادة إنما يتأتى منا لا منهم ولذا قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أرادوا أنهم معصومون عن معصيته، مداومون على طاعته، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يستحسرون، يستبحون الليل والنهار لا يفترون، فاستكشفوا عن الحكمة العجيبة التي غلبت تلك المفاصد والفتها وترجحت على مصلحة استخلافهم على ما هم عليه من دوام الطاعة حتى أهملتها، وكان مقصودهم

(١) البحار: ج ٩٧ ص ١٣١ - ١١٤ ح ٨

(٢) البقرة: ٣١.

في ذلك هو الاستفسار والاستخبار، لا الافتخار والاستحقار.

والسفك: الصبّ والاهراق وانّ اختصّ بحسب الاطلاق في الدّم والذّمع، فيطلق فيهما كما يطلق السبك في الجواهر المذابة، والسفح في الصبّ من أعلى، والشنّ في الصبّ من فم القربة، وكذلك السنّ بالمهملة، فالجميع مشترك في جنس والخصوصيّة مستندة إلى الوضع أو الاطلاق والآتي منه يسفك بالكسر، وقُرىء يسفك بالضم، ويسفك من أسفك ويسفك من سفك ويسفك على البناء للمفعول، فيكون الراجع إلى من سواء جعل موصولاً أو موصوفاً محذوفاً أي يسفك الدماء فيهم.

والدّم أصله دمو بالتحريك من دمي يدمي كرضي يرضى، ولذا ابدلوا الواو ياء، وقيل: إنّ أصله الياء وجاء تثنيته على دميان ودموان، وعليهما فجمعه على الدماء مخالف لنظائره.

وقال سيبويه: أصله دمي بالتسكين لأنه يجمع على دماء ودُمى مثل ظبي وظباء وظبي، ودلّو ودلاء ودلى.

والمراد بالإفساد أن كان هيّج الحروب والفتن حيث أنّ فيه فساد حال الإنسان الذي هو أشرف المواليد ويتبعه فساد الآخرين ولذا قال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾^(١)، فالعطف للبيان أو مطلق إحداث الفساد الذي هو ضد الصلاح فمن تعقيب العام بالخاص الذي هو اظهر افراده، وأشدّها في بابه، وأقبحها فعلاً، وأهمّها تركاً، وربما يفسر بالشرك فيغاير السفك.

والتسبيح التنزيه وأصله تبعيد الله عن السوء من سبوح في الأرض إذا ذهب فيها وابتعد، ومنه السباحة للقوم، وفرس سابع كثير الجري، ولذا قيل: إن السبح في الأصل سرعة الذهاب في الماء، ثم استعير لجرى النجوم في الفلك، ولجرى الفرس، ثم لسرعة التسبيح والطاعة.

والواو في قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ للحال، والجملة حالية مقررة للاشكال على ما مر، والعامل فيها ﴿أَتَجَعَلُ﴾ كأنه قال أتجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا و ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال أي متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا من معرفتك ووقفنا لتسبيحك، أو بحمدك بمعنى والحمد لك، نظير ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتُونٍ﴾^(١) أي والنعمة له، ولعل مرجعه إلى الأول، والمراد تدارك ما أوهمه اسناد التسبيح إلى أنفسهم وتنجيز الشكر على التوفيق للعبادة، أو نسبه لما هو عليه من المحامد ذاتاً وفعلاً، والمراد كونه محموداً أو تسبحة بالتكلم بالحمد له، فإن النطق بالحمد لله تسبيح له كما قيل في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ والتسبيحات الأربع يطلق عليها التسبيح، وإن كان بعضها تحميد أو تهليلاً وتكبيراً وعلى هذا فيكون بياناً للتسبيح متعلقاً به.

وهذا كله مع إرادة التنزيه من التسبيح، ويمكن أن يراد به الصلاة ورفع الصوت والتكلم كما قيل، أي نصلي لك كما في قوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾^(٢) أي من المصلين أو نرفع أصواتنا بذكرك، ومنه قول جرير^(٣):

(١) القلم: ٢.

(٢) الصافات: ١٤٣.

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي الشاعر المتوفى (١١٠) هـ.

قبح الاله وجوه تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا إهلالا
 أو نتكلم بحمدك وننطق به لكن في تفسير الامام عليه السلام : ننزهك عما لا يليق بك من
 الصفات وتقدس لك نظهر أرضك ممن يعصيك (١) .
 وهو من قدس في الأرض اذا ذهب فيها وأبعد، ومنه القدس بالسكون
 وبالضم للطهر فإن الطاهر بعيد عن الاقدار، والمطهر مبعده عنها، والمراد به ما مر في
 كلام الإمام عليه السلام .

وقيل : ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف إليك القبائح،
 فاللام زائدة اي تقدسك، وقيل : نصلي لأجلك، وقيل : نظهر أنفسنا من الخطايا
 والمعاصي، كأنهم قابلوا الفساد المفتر بالشرك على ما مر بالتسبيح كما قابلوا سفك
 الدماء الذي هو أعظم قبائح الافعال بتطهير النفس عن الذنوب الذي هو اساس
 محامد الخصال، أو أنهم جعلوا سفك الدماء نهاية الافساد بمعناه العام وقابلوه
 بالتقديس الذي قيل إنه ابلغ في التنزيه من التسبيح، حيث إن النظر في التسبيح إلى
 أن العارف أنى استطاع في التنزيه على حسب معرفته وفي التقديس إلى أن الذات
 الكاملة التي لا يمكن في الوجود والتصور مما يدانيها في شيء من الكمال لها
 الطهارة عن كل سوء أطلق عليه لفظ دالّ أم لم يطلق، فقد لوحظ في الأوّل العارف
 وفي الثاني المعروف.

ويمكن أن يكون الفعلان اشارة إلى ركني الكمال من صفات الجمال والجلال
 فإن التسبيح بالحمد اشارة إلى تمجيده بمحامده الكثيرة الذاتية والعقلية في المراتب

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام .

الاربع المشار إليها في الدعاء بقوله : والحمد لله كُلمًا حمد الله شيء وكما يحبّ الله أن يحمد، وكما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله^(١) إلخ على ما مرّت إليه الإشارة في تفسير الحمد، والتقدّيس إشارة إلى تنزيهه عمّا لا يليق به من صفات الإمكان والاكوان.

ولا يخفى أنّ قضية الإطلاق هو الحمل على ما مرّ وغيره يمكن حمل اللفظ عليه، فلا وجه لتخصيص البعض بالحمل عليه، وفي إضافة هذه الأفعال إلى أنفسهم وتمدحهم بها وصدقهم في تنزيهه وتقديسه وإضافة الأفساد والسفك إلى المجمعول فيها على وجه يشعر بالذم. والحوالة في الجواب عن مقالهم إجمالاً إلى علمه وتفصيلاً إلى علم المستخلف دون أن يقول إني أفعل ما أشاء لانتفاء الحسن والتبجح وانتساب الكلّ إلى وجوه من الدلالة على ما هو المختار من العدل والاختيار، وفساد القول بالاجبار والاضطرار، والمناقضة بمسألة الداعي والعلم مدفوعة بما مرّ مراراً، وأمّا إخبار الملائكة عن الإفساد والسفك فلعلّه مستند إلى مطالعة اللوح المحفوظ أو الألواح الجزئية السماوية حيث إنه قد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وذلك لا يوجب سقوط سؤالهم رأساً مع علمهم بجواز البداء أو كون السؤال للاستفسار عن وجه الحكمة على ما مرّ، أو إلى إخبار الله سبحانه حيث إنه أعلمهم أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء أو أخبرهم به بالخصوص لما يُروى عن ابن مسعود وغيره أنّه تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربّنا ويكون الخليفة؟، قالوا تكون له ذرية يفسدون في

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٤٤ ح ٥٤.

الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا : ربنا أتجعل فيها، أو أنهم علموا أنّ العصمة من خواص نوعهم لا نوع آخر وأن اتّصف بها منه أفراد كثيرة أو أنّهم قاسوا أحد الثقلين بالآخر لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض كما يحكى عن ابن عباس والكليني قيل ويؤيده ما في تفسير الامام عليه السلام : فقالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعلت الجن بنوا الجن الذين قد طردناهم عن هذه الأرض ^(١) آه وهو كما ترى اذ غايته التنظير واين هو من القياس الذي لم يجعل طريقاً لاحد من الخلق إلى معرفة شيء سيّما مع ما تضمّن القدح والتعيب وغيره بل من المشهور المستفيض انّ أوّل من قاس ابليس فكيف استعملته الملائكة قبله.

وأما ما يحكى عن تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام قال : وما علم الملائكة بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لولا أنّهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدماء ^(٢) فالظاهر أنّ المراد أنّهم راوا ذلك مكتوباً في الألواح السماوية، أو أنّهم علموا ذلك ولو بطرق آخر من رأى بمعنى علم، أو أنّهم رأوا ذلك رأي العين بناءً على تجرّدهم وإحاطتهم بالازمنة وما فيها، بلا فرق بين الماضي والحال والاستقبال، أو لأنّ معنى الخلافة هو النيابة عن الله تعالى في الحكم والقضاء وانما يكون الاحتياج إليه عند التنازع والتظالم، فالأخبار عن وجود الخليفة كأنه إخبار عن وقوع الشرّ والفساد بطريق الالتزام، أو أنّه لما خلق الله النار خافت الملائكة

(١) تفسير البرهان : ج ١ ص ٧٣.

(٢) البرهان ج ١ ص ٧٤ عن العياشي.

خوفاً شديداً فقالوا: ربنا وسيّدنا لمن خلقت هذه النار؟ قال: لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ الله خلق إلا الملائكة، فلما قال: إني جاعل في الأرض خليفة عرفوا أنّ المعصية منهم، أو لأنّهم علموا أنّ المَجْعول خليفة يكون له ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهويّة وغضبيّة تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء، وعقليّة تدعوه إلى المعرفة والطاعة واستخدام الأوليين بعد تسخيرهما وتعليمهما ما علّمها الله تعالى في مقاصدها، لكن قضيّة التركيب هو التغالب والتقاهر فكلّ منها بين قاهر غالب أو مقهور مغلوب، ولذا نظروا إليها كما هي مرّدة بين الحالين وقالوا: ما الحكمة في استخلافه، وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلاً عن استخلافه وأما باعتبار القوّة العقليّة ففي استخلافنا ما يترتّب عليه تلك المقاصد سليمة عن معارضة تلك المفاسد، ولذا قال الله سبحانه في جوابهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) من أنّ الملائكة وإنّ منحوا بالجنبة الرّوحانيّة ولو ازمها من الاشراقات واللذات العقليّة إلا أنّه ليس لهم جنبة جسمانيّة ولا إستعدادات كليّة لدرجات متفاضلة، ولا إحاطة فطريّة او كسبيّة لادراك النشآت المختلفة، وأما الانسان فأنّه محيط بجميع المراتب المختلفة محتو على ما في العوالم المترتبة سائر في الاطوار المتباينة من الجماديّة والنباتيّة والحيوانيّة والملكيّة مستفيداً بصورته التركيبيّة التي استعدّت بها للمنح الالهية والفيوض الربانيّة لما تقصر عنه الاحاد كالا حاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكاينات من القوّة إلى الفعل وقوّة التصرف فيها بالتسخير والتدبير والتدمير وله التّرقى عن جميع تلك المراتب بان

يتحقق له في مرتبة الجمعية الكلية والجامعية الربانية والكليّة الالهية بحيث لا يشغله شأن عن شأن ولا يحجبه ناسوت عن ملكوت فيتجاوز حينئذ عن/أفق الملائكة، فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت، والمظهر الكلي لحضرة الرحموت، والمعجون المركب من القبضات المأخوذة من عالم الملكوت في صقع الناسوت .

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَكَّبَ فِي الْمَلَائِكَةِ عَقْلاً بِلا شهوة وركَّب في البهائم شهوة بلا عقل وركَّب في بني آدم كليهما فمن غاب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم»^(١).
وفي تفسير الامام عليه السلام: إني أعلم من الصالح الكائن فيمن أجمعه بدلاً منكم ما لا تعلمون، وأعلم أيضاً أن فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه وهو إبليس لعنه الله^(٢).

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم اسلامی

❖ بسط في المقام للإشارة إلى عصمة

الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام ❖

إعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور هو عصمة الملائكة من صفات الذنوب وكبائرها بلا فرق بين الملائكة الأرضية والسماوية، بل ادعى كثير من الفرقة المحقة عليه الإجماع ووافقهم عليه أكثر المخالفين، واستدلوا عليه بأن المعصية في الحقيقة

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٩٩- عن علل الشرائع ج ١ ص ٥.

(٢) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الامام عليه السلام.

عبارة عن مخالفة القوة السافلة للقوة العالية فيما لها أن يفعل الغرض الاعلى عند تخالف الاغراض والدواعي، ومع بساطة القوة وفقد التركيب من الأجزاء المختلفة لا يتصور التنازع والتمانع، وبالإجماع القطعي من الفرقة المحقة عليه ولذا لم ينسبوا الخلاف إلا إلى الحشوية، وبظاهر الآيات الكثيرة كقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣) ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤) ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾^(٥) ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٦) وغيرها من الآيات التي لا تخفى وجوه الدلالة فيها بملاحظة الاطلاق والعموم على ما هو المطلوب بل في هذه الآية ايضاً دلالة عليه ايضاً حيث إنهم طعنوا باليسير من المعصية ولو كانوا من العصاة لما حس منهم ذلك الطعن، سيما عند من لا تخفى عليه خافية هذا مضافاً إلى جملة من الاخبار الدالة على عصمتهم ودوام طاعتهم كما في الخطبة العلوية المروية في النهج وفيها انشائهم على صور مختلفات، واقدار متفاوتات، جعلهم الله فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب

(١) التحريم: ٦.

(٢) الانبياء: ٢٧.

(٣) الانبياء: ٢٨.

(٤) النحل: ٥٠.

(٥) الانبياء: ١٩.

(٦) الانبياء: ٢٠.

الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته^(١).

وفي تفسير فرات معنعناً عن الحسن بن علي عليه السلام في خبر طويل وفيه أنه سبحانه جعل في كل سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهو بحر الرحمة وجعل طعامهم التسييح والتهليل والتقديس، الخبر^(٢).

وفي «العيون» عن الرضا عليه السلام: إن الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطفاف الله تعالى قال الله فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٣) وقال عليه السلام ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - يعني الملائكة - لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤) الآية^(٥) ولا يخفى أن استدلاله بظاهر الآيتين مما يؤكد دلالتهما على ذلك إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة وقال الامام عليه السلام في تفسيره رداً على العامة فيما ذكروه من قصة هاروت وماروت ما لفظه: معاذ الله من ذلك أن ملائكة الله تعالى معصومون عن الخطأ محفوظون من الكفر والقبائح بالطفاف الله تعالى فقال الله عليه السلام فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ﴾^(٦) الآية^(٧) إلى آخر ما يأتي الاشارة اليه في تلك القصة وغيرها.

واحتجبت الحشوية مضافاً إلى ما يأتي من توهم أن ابليس كان منهم وقد كفر

(١) نهج البلاغة: خ ٩٠ - المعروفة بخطبة الاشباح.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٩٢ عن تفسير فرات.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) الانبياء: ١٩.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ٢٧٢.

(٦) التحريم: ٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٢١.

ومن قصة هاروت وماروت على ما اشتهر بهذه الآية حيث اشتملت على وجوه من الدلالة، حتى انهاها بعضهم إلى ثمانية عشرة خصلة ذميمة كانت كامنة فيهم، وقد ظهرت بالاختيار الذي هو الاخبار عن خلق الخلفاء والاختيار وذلك لا يتم إعتراضوا على الله الحكيم في فعله، وذلك من اعظم الذنوب، وطعنوا في بني آدم بالافساد وسفك الدماء وهي الغيبة التي هي من الكبائر، وتمدحوا بخلو أنفسهم عنهما، وباشتغالهم بالتحميد والتقديس، بل وبانحصار ذلك بهم، حتى كأنهم نفوا كون غيرهم كذلك وهو يشبه العجب والغيبة للذين هما من المهلكات والكبائر، مع ما يظهر منه من التزكية وسوء الظن، والتفحص عن معائب الغير، وحسدهم على فضيلته وصلاحيته للخلافة، وحرصهم عليها، وازافتهم العبادة إلى أنفسهم لا إلى حول ربهم وقوته وتوفيقه وعصمته، واعتمادهم على القياس والاستنباط، والقول بغير علم سيما في القدح على الغير، وفي الاعتراض على الحكيم وذلك لأن علمهم بذلك لو كان مستنداً إلى الوحي لم يكن لاعادة ذلك الكلام فائدة مع ان قوله : ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) يدل على أنهم كانوا كاذبين فيما قالوا وأن قوله : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(٢) يدل على أنهم ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة، وأنهم كانوا شاكين في كونه تعالى عالماً بكل المعلومات، وإن قولهم : ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(٣) يشبه الاعتذار ولولا تقدم الذنب لما اشتغلوا بالعدر، هذا مضافاً

(١) البقرة : ٣١.

(٢) البقرة : ٣٣.

(٣) البقرة : ٣٢.

إلى الاخبار الكثيرة الدالة على ذلك من طرق الفريقين في تفسير الآية.

ففي العلل عن احدهما عليه السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف فقال: ان الله تبارك وتعالى لما اراد خلق آدم قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فوعدت الحجب فيما بينهما وبين الله عز وجل وكان الله تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة فلما وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنه سخط قولهما فقالا للملائكة: ما حيلتنا وما وجه توبتنا فقالوا ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلودا بالعرش قال فلاذا بالعرش حتى انزل الله تعالى توبتهما، ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما وأحب الله تبارك وتعالى أن يُعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطواف حوله وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(١).

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم اسلامی

وفيه بالاسناد عن علي بن الحسين عليه السلام في سبب كون الطواف سبعة أشواط قال: لان الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، قال الله إني أعلم ما لا تعلمون: وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً فصار الطواف سبعة اشواط واجباً على العباد لكل الف سنة شوطاً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠ عن العلل.

واحداً^(١) فيه، وفي العيون في علل محمد بن سنان قال: كتب الرضا عليه السلام إليه علة الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيه ويسفك الدماء فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنهم اذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، الخبر قريباً مما مرّ وفي «الكافي» عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل قال عليه السلام: أما بدؤ هذا البيت فإن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فردت الملائكة على الله تعالى فقالت: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاعرض عنها فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه فامر الله تعالى ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة يسمّى الضراح بازاء عرشه^(٢).

الخبر وفيه عنه عليه السلام أنهم لما ردوا عليه بقولهم: أتجعل فيها.. الخ قال الله تبارك وتعالى: إني أعلم ما لا تعلمون فغضب عليهم ثم سألوهم التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور ومكتوا يطوفون سبع سنين يستغفرون الله عليه السلام مما قالوا ثم تاب الله عليهم من بعد ذلك ورضى عنهم، فهذا كان أصل الطواف ثم جعل الله البيت الحرام حذو الضراح توبة لمن اذنب من بني آدم وطهوراً لهم^(٣).

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام: إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقديسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠-١١١ عن العلل ص ١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١١٠ عن العلل والعيون.

(٣) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٥.

بعد هبوطه أن يبني له في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله للملائكة إني أعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وروت العامة عن ابن عباس أنه قال سبحانه للملائكة الذين كانوا جنداً لابليس في معاربة بني الجان إني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة محبين له سبحانه: أتجعل فيها من يفسد فيها ثم علموا غضب الله عليهم فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾ (٢).

وفي بعض رواياتهم أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها أرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم.

بل يمكن الاستدلال أيضاً بما في «الكمال» وغيره عن النبي ﷺ: إن الله تبارك وتعالى ملكاً يقال له دركائيل كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء والهواء كما بين السماء والأرض فجعل يوماً يقول في نفسه أفوق ربنا جلّ جلاله شيء فعلم الله تبارك وتعالى ما قال فزاده اجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثم أوحى الله ﷻ إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم يبل رأسه قائمة من قوائم العرش فلما علم الله ﷻ اتعابه أوحى إليه أيها الملك عدّ إلى مكانك فانا عظيم فوق كلّ عظيم وليس فوقي شيء ولا أوصف بمكان فسليه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين ﷺ هبط جبرئيل ﷺ في

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٦.

(٢) البقرة: ٣٢.

ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النبي ﷺ فمرّ بدردائيل فقال له سل النبي ﷺ بحق مولوده أن يشفع لي عند ربّه فدعا له النبي ﷺ بحق الحسين فاستجاب الله دعائه وردّ عليه اجنحته وردّه إلى مكانه^(١).

وفي البصائر عن أبي عبدالله عليه السلام: قال إنّ الله تعالى عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة وأباها ملك يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بن علي عليه السلام بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمّد عليه السلام يهنيهم بولادته فمرّ بفطرس فقال له فطرس يا جبرئيل إلى أين تذهب قال بعثني الله تعالى إلى محمّد عليه السلام بهنيهم بمولود ولد في هذه الليلة فقال له فطرس احملني معك وسل محمّداً يدعو لي فقال له جبرئيل اركب جناحي فركب جناحه فأتى محمّداً فدخل عليه وهنّاه فقال له يا رسول الله أن فطرس بيني وبينه أخوة سألتني أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه فقال رسول الله ﷺ لفطرس أتقبل؟ قال نعم فعرض عليه رسول الله ﷺ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها فقال رسول الله ﷺ شأنك بالمهد فتمسح به وتمرغ فيه قال فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي عليه السلام ورسول الله ﷺ يدعو له قال قال رسول الله ﷺ: فنظرت إلى ريشه وأنه ليطلع ويجري منه الدّم ويطول حتّى لحق جناحه الآخر وعرج مع جبرئيل إلى السماء وصار إلى موضعه^(٢).

والجواب أمّا عن قصّة ابليس والملائكة فسيأتي، وأمّا عن الآية فبالمنع من

(١) البحار: ج ٤٣ ص ٣٤٩.

(٢) البحار: ج ٢٦ ص ٣٣١.

دلالتها على المقصود بشيء من الوجوه المتقدمة، ضرورة أن سؤالهم لم يكن للإنكار ولا لتنبية الله ﷻ على شيء لا يعلمه ولا للاعتراض عليه في فعله، بل إنما المقصود من ذلك أمور منها ما مرّت اليه الإشارة من السؤال عن وجه الحكمة فإن إبداء الاشكال طلباً للجواب غير محذور فكأنهم قالوا ربنا أنت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتة وتمكين الظلم من الظلم والفساد قبيح من الحكيم فضلاً عن خلقه فما الحكمة في ذلك فاجابهم الله تعالى بقول: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة.

ومنها: أن ذلك مسألة منهم ان يجعل الأرض أو بعضاً لهم ان كان ذلك صلاحاً نحو قول موسى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٢) أي لا تهلكنا فاجابهم الله ﷻ بأنني أعلم من صلاحكم وصلاح هؤلاء ما لا تعلمون وإن الأصلح لكم السماء ولهم الأرض، وقد مرّ في الأختار المتقدمة أنهم سألوه أن يجعل الخليفة منهم فاجيبوا بذلك^(٣).

ومنها: أنه تعالى أخبر الملائكة بأنه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما يحكى عن ابن مسعود وغيره، والغرض في اعلامه إياهم أن يزيدهم ايماناً ويقيناً بعلمه بالغيب، أو ليعلموا أن آدم إنما خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما فيه من الحكمة ولعله يرجع إلى الأول إلا أنه يقتضي أن يكون حذف في أول الكلام ويكون التقدير

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الاعراف: ١٥٥.

(٣) البحار ج ٩٩ ص ٢٠٦.

إني جاعل في الأرض خليفة وإني عالم بأنه سيكون في ذريته من يفسد فيها
ويسفك الدماء فحذف اختصاراً للقريظة.

ومنها ما قيل ايضاً في تأويلها وإن لم يخلو من ضعف مثل أن سؤالهم كان
على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى حيث أن العبد المخلص لشدة حبه لمولاه
يكره أن يكون له عبد يعصيه وإن هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول
جرير: «أستم خير من ركب المطايا» أي أنتم كذلك، وإلا لم يكن مدحاً فكأنهم
قالوا: إنك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بخمدك لانا نعلم في الجملة أنك لا تفعل
إلا الحكمة والصواب فقال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الاحاطة بظواهرهم
وباطنهم وما يؤول اليه امرهم وأما أنتم فأنما علمتم ظاهريهم وهو الفساد والقتل أو
من الاحاطة والعلم بجميع افراد هذا النوع حيث أن فيهم من هو المقصود الاعظم
من خلق الملائكة وسائر العالم، وأما أنتم فأنما نظرتهم إلى بعض الافراد الموجودة
بالتبعية لمصالح آخر، وأما القدر فيهم بالغيبه فالامر فيه واضح ضرورة أن المقصود
صدور الفعل من بعضهم ومثله لا يعد غيبه سيما بالنسبة إلى من لم يوجد بعد سلمنا
لكنه غيبه للفساق وهي جائزة، هذا مضافاً إلى عدم تسليم حرمة ذكر مثله لعلم
الغيوب لا سيما من الملائكة الذين جملة منهم موكلون بتفتيش اعمال الخلائق
وابتاتها في الصحف والشهادة عليها مع أن ايراد السؤال يوجب التعرض لمحل
الاشكال وأما التمدح فلعله لاطهار النعمة وشكرها ولتتممة تقرير الشبهة، وأما
العجب وهو سوء ظن بهم، وأما سوء الظن فقد مر الكلام في مستند أخبارهم، وأما
التزكية والفحص والحسد والحرص وغير ذلك مما مر فتطرق المنع إلى استفادتها

من الآية واضح، وقد مرّ أن في قوله نسّح بحمدك دلالة على تحميدهم له بالتوفيق على ذلك مضافاً إلى ما فيه من اظهار الاختيار وتنزيهه عن الاجبار وقوله: «ان كنتم صادقين» أي في زعمكم الاحقية بالخلافة وقوله: «ألم أقل لكم» لظهور فضيلة آدم بعد الإعلام به مجملاً، والاعتذار غير ظاهر وعلى فرضه فلا يستلزم الذنب، بل لعله اظهار للنعمة واقراراً على أنفسهم بالعجز والعبودية فان كان ولائهم فاستناده إلى ترك الأولى أولى جمعاً بينه وبين ما دلّ على العصمة ورداً للمتشابه إلى الايات المحكمة، وأما الاخبار ففيها مع التضمّن عن ضعف سند الاكثر أنها قاصرة الدلالة لأن اطلاق الاحتجاب والتوبة والاستغفار لا دلالة في شيء منها على صدور المعصية وارتكاب الخطيئة سيّما في شأن المقرّبين الذين يتحرّجون ويردّون على أنفسهم باقل من ذلك، إذ حسنات الابرار سيئات المقرّبين مع أنهم ربما يجبرون بمثل ذلك ما يستشعرون من انفسهم من القصور دون التقصير، وسيأتي الاشارة إلى جميع ذلك، على أنه قد ورد أنهم ظنّوا الاحتجاب كما في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: ان الله ﷻ لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ضجت الملائكة من ذلك وقالوا يارب ان كنت لا بد جاعلاً في أرضك خليفة فاجعله منا من يعمل في بطاعتك فردّ عليهم إني أعلم ما لا تعلمون فظنّت الملائكة أن ذلك سخط من الله ﷻ عليهم فلاذوا بالعرش يطوفون به فامر الله ﷻ له ببيت من مرمر سقفه ياقوته حمراء واساطينه الزبرجد يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم^(١)، الخبر.

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٣٢.

إلا أن ظاهرة صدق ظنهم فلا يبعد حمله على العلم سيما بعد ملاحظة الاخبار المتقدمة وعصمتهم عن الخطأ في الاعتقاد لكن الخطب في ذلك كله سهل بعد قيام الاجماع لو لم نَدع الضرورة على عصمتهم وتظافر الآيات والابخار على ذلك فلا بد من تأويل هذه الاخبار على فرض صحتها وتامية دلالتها أو طرحها، كما أنه المتعين ايضاً في الاخبار بل الآيات الدالة على الطعن في الانبياء وتخطئتهم ونفي العصمة عنهم سيما مع مخالفة الاخبار المتقدمة للآيات الدالة على عصمتهم وبراءة ساحتهم عن اقرار الذنوب والمعاصي على ما مرّت الإشارة إليها.

وقد استفاض عنهم وجوب العرض على كتاب الله سبحانه، فقالوا إن ما وافق الكتاب فخذوه وما خالف الكتاب فذروه فدعوه فاضربوه على الحائط^(١). فان قلت أن الاخبار الدالة على نفي عصمتهم ايضاً توافق ظاهر الكتاب كهذه الآية والمتضمنة لقصة الملكين وإبليس وغير ذلك، قلت قد سمعت أنه لا ظهور في الآية أصلاً وأنه من الآيات المتشابهة التي يجب ردها إلى المحكمات ولو بقريئة الاجماع وغيره على عدم ابقائها على ظواهرها.

ومن هنا يظهر الجواب عما يمكن ايراده في المقام من أن قضية تخصيص العام بالخاص حمل الآيات الدالة على العصمة على غير مورد هذه الآية الخاصة بحسب المورد والزمان والمعصية وغيرها من الخصوصيات اذ فيه ان التخصيص بعد احراز حجية الخاص وظهور دلالته وهو في المقام أول الكلام. وتوهم اعتضاد دلالتها بظواهر الاخبار المتقدمة المتضمنة لتفسيرها سيما مع

(١) البحار: ج ٢ ص ١٦٥.

تكرّرها في أصول الإمامية واشتمالها على الإبناء عن بدو بناء البيت حسبما هو المشهور بين الطائفة المحقة، مدفوع بأن المحكمات حاكمة عليها فلا ينفعها الاعتضاد بالاخبار التي سبيلها سبيل الاخبار الواردة في تفسير الايات المتضمنة للخبر والتشبيه وغيرها ممّا يلزم فيه رفع اليد عن الظواهر كما في المقام ولو للاجماع وغيره، فان قلت إنّ الاجماع ممنوع في المقام فإن المحكي منه غير معلوم الحجية سيما في مثل المسألة التي هي من فروع الاصول دون الفروع التي يجري فيها دليل الانسداد وغيره والمحقق منه غير معلوم التحقق لو لم نقل إنّ المحقق انتفاؤه فإن هذه الاخبار المتعلقة بهذه القصة أو المتضمنة لتوبة درذائيل واخويه قد تعرض لنقلها العصابة من دون اشارة إلى ردّها أو طرحها أو التأويل فيها بما لا ينافي العصمة على أنّ الشيخ أبا جعفر الطوسي رحمه الله قد اختار في تبيانه كون ابليس مع تمرّده وعصيانه من جملة الملائكة واستدلّ على ذلك بما يأتي وأيضاً يظهر ممّا يحكى عن محمد بن بحر الشيباني الدهني وهو من أجلة الامامية في كلامه المحكى في «العلل» وغيره في تفضيل الانبياء على الملائكة اتفاق جميع المفسرين من الأمة على كون ابليس وهاروت وماروت من الملائكة ولم يحكّ الخلاف في ذلك عن أحد من الامامية بل العامة ايضاً إلا عن الحسن البصري ونسبه إلى الشذوذ عن أقوال سائر المفسرين ولعله يستفاد من كلامه دعوى الاجماع على نفي العصمة فكيف يمكن دعوى الاجماع عليها قلت لم نرد بالاجماع مجرد الاتفاق الذي يقدر فيه امثال هذه الاقوال الشاذة بل المراد به ما هو الحجّة عند الامامية لكونه كاشفاً عن قول المعصوم ورضاه وهو محقق في المقام بحيث لا

يصفى معه إلى امثال هذه الاخبار والاقوال الشاذة التي لم تكن معروفة ولا مذكورة عند الامامية ولذا ادعى المفيد الاجماع على عدم كون ابليس من الملائكة، ولعمري أنه من الواضح بمكان يمكن دعوى ضرورة المذهب عليه على ما ستعرف بل ولعله كذلك بالنسبة إلى الملكين ولذا قال ايضاً الصدوق بعد حكاية كلام الدهني في «العلل» ما لفظه إنما اردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب وليس قولي في ابليس؛ أنه كان من الملائكة، بل كان من الجن، إلا أنه كان يعبد الله بين الملائكة وهاروت وماروت ملكان، وليس قولي فيهما قول أهل الحشو بل كانا عندي معصومين إلى آخر ما ذكره رحمه الله^(١).

❖ عصمة الملائكة وحقيقتها ❖

وبالجملة لا ينبغي الإشكال في أصل العصمة وعدم صدور المعصية بعد قيام الإجماع وإنما الكلام في أنهم قادرون على الشرور والمعاصي أولاً فالمحكي عن جمهور الفلاسفة وكثير من الجبرية أنهم خيرات محض لا قدرة لهم على شيء من ذلك بل الظاهر منهم أن أفعالهم كالأفعال الطبيعية الصادرة عن فاعلها من دون كلفة ومشقة، بل قد يحكى عنهم: أنهم جعلوها نفس الطبايع التي تصدر عنها الأفعال من دون شعور واختيار، ولقد فرغنا عن الكلام في ابطاله على ما مرّ وظاهر المتكلمين والفقهاء بل صريح بعضهم أنهم قادرون على كل من الطاعة والمعصية، إلا أنهم باختيارهم وارانتهم بل واستلذاذهم وميلهم يختارون الطاعة على المعصية كما يستفاد من هذه القصة المتضمنة لترك الأولى ومن قوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

(١) علل الشرائع ص ٢٧.

﴿إِلَهٌ﴾^(١)، الظاهر في قدرتهم على ذلك، بل هو الظاهر أيضاً من التمدح بالتسبيح والتقديس في هذه الآية، ومن قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾^(٣)، إلى غير ذلك من الايات الظاهرة في ذلك.

بل قد يستدل أيضاً بانهم لو لم يكونوا قادرين على ترك الخيرات لما كانوا ممدوحين بفعلها لأن الملجأ إلى الشيء ومن لا يقدر على ترك الشيء لا يكون ممدوحاً بفعل الشيء.

قال الرازي: ولقد استدل بهذا بعض المعتزلة فقلت له: أليس أن الثواب والعوض واجبان على الله تعالى، ومعنى كونه واجباً عليه أنه لو تركه للزم من تركه إما الجهل وإما الحاجة وهما محالان، والمفضي إلى المحال محال، فيكون ذلك الترك محالاً من الله، وحينئذ فيكون الفعل واجباً منه، فكون الله تعالى فاعلاً للثواب والعوض واجب وتركه محال مع أنه تعالى ممدوح على فعل ذلك، فثبت أن امتناع الترك لا يقدر في حصول المدح، قال فانقطع وما قدر على الجواب^(٤).

والجواب عنه واضح ضرورة ظهور الفرق بين كون الترك مستنداً إلى الاختيار، بحيث لا يختار الفعل أصلاً أبداً ولو للحكمة او العصمة، وكونه مستنداً على العجز وانتفاء القدرة وانتفاء المدح إنما هو في الثاني دون الأول الذي يثبت معه

(١) الانبياء: ٢٩.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الانبياء: ٢٩.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٧١.

القدرة والاختيار على مذهب العدلية، إلا أن الرجل ليس منهم بل من الذين يظنون بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء.

تفسير الآية ﴿٥﴾

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾

شروع في بيان الجواب عن سؤال الملائكة على وجه التفصيل بعد ما أجمل الجواب عنهم، وتمهيد للاستدلال على أفضلية آدم عليهم بما خصّه من العلم. والتعليم فعلٌ يترتب عليه العلم غالباً، وهو في حقّه تعالى يكون بالتكوين وبالوحي والالهام، أو بمطلق الإعلام، وإطلاق المعلم عليه غير سائغ لتوقيفية الأسماء، وغلبة إطلاقه فيما يكون بأدوات ولهوات، وإن أطلق عليه ما اشتق منه كما في المقام، وفي قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ﴾^(١)، ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾^(٢)، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

■ وجه تسمية آدم ■

«آدم» إمّا اسم أعجمي بل في «الكشاف»: وما آدم إلا اسم أعجمي واقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر، وعازر، وعابر، وشالخ، وفالغ، وأشباه ذلك. وإمّا عربي مشتق من أديم الأرض، بمعنى وجهها لما روي من أنه تعالى لما

(١) الانبياء: ٨٠.

(٢) الرحمن: ٢.

(٣) العلق: ٥.

أراد أن يخلقه أمر أن يقبض قبضةً من جميع الأرض سهلها وجبلها فخلق منها آدم،
فلذلك يأتي بنوه أخياً فإي مختلفين من قولهم: الناس أخياف، ويقال لإخوة الأم
أخياف، لاختلافهم في نسب الآباء.

وفي خبر ابن سلام عن النبي ﷺ أنه سأله عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه
خُلِقَ من طين الأرض وأديمها، قال: فأدم خُلِقَ من الطين كَلَّهُ او من طين واحد؟
قال: بل من الطين كَلَّهُ، ولو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً،
وكانوا على صورة واحدة قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض، وفيه
أخضر، وفيه أشقر وفيه اغبر، وفيه احمر، وفيه أزرق وفيه عذب وفيه ملح وفيه
خشن وفيه لين وفيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لين وفيهم خشن، وفيهم
أبيض، وفيهم اصفر، واحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب^(١).

وفي «الاختصاص» عن الصادق عليه السلام أنه خلق آدم من صفحة الطين^(٢).

أو بمعنى باطنها من الأدمة بالتحريك لباطن الجلد، وباطن الأرض كما في
«القاموس»، أو خصوص الأرض الرابعة كما قال الصدوق في «العلل» بعد قول
الصادق عليه السلام: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض: إن اسم أرض الرابعة
أديم وخلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من اديم الأرض^(٣).

وان قيل إنه لم يوجد له أثر في كتب اللغة ولعله وصل إليه بذلك خبر، لكن
في «قصص الأنبياء» بعد نقل خبر يأتي ذكره ما لفظه: وقيل: أديم الأرض أدنى

(١) علل الشرايع ص ١٦١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٠١.

(٢) البحار ج ١١ ص ١٠٢ عن الاختصاص.

(٣) علل الشرايع ج ١ ص ١٤.

الأرض الرابعة إلى اعتدال، لأنه خلق وسط بين الملائكة والبهائم، وستسمع ما فيه من الإشارة.

وفي «الاحتجاج» عن أبي بصير قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمي آدم آدم؟ قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى^(١). وهذا الخبر يحتمل كلاً من الوجوه الثلاثة وغيرها.

أو من الأدمة بمعنى الألفة والاتفاق يقال: آدم الله بينهما أي أصلح وآلف وكذلك آدم الله بينهما فعل وأفعل بمعنى، ومنه الخبر: فإنه أحرى أن يؤدم بينكما^(٢) يعني أن يكون بينكما المحبة والاتفاق ولعله الأنسب بما في «العلل» قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام يهودي فقال: لم سمي آدم آدم؟ قال عليه السلام: لأنه خلق من أديم الأرض، وذلك إن الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل وأمره أن يأتيه من أديم الأرض أربع طينات: طينة بيضاء، وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح وماء قر وماء منتن، ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين وآدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطين وجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المرّ في أذنيه، وجعل الماء الممتن في أنفه^(٣). الخبر.

(١) الاحتجاج ص ١٧٩ وعنه البحار ج ١١ ص ١٠٠.

(٢) في لسان العرب ج ١٢ ص ٨: في الحديث عن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أنه قال للمغيرة بن شعبة وخطب امرأة: لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما قال الكسائي: يؤدم بينكما يعني أن تكون بينهما المحبة والاتفاق.

(٣) علل الشرايع ص ٢ ح ١.

وصدره وان وافق الأخبار المتقدمة إلا أن قوله: ادمه الله يؤمى إلى ما سمعت، وكذا قوله في الخبر الآتي عن تفسير فرات فخلقه من اديم الأرض لأنه لما عجن بالماء استأدم^(١)، وان كان محتملاً لغيره من الوجوه، بل صدره ظاهر فيما تقدم، ولعل فيه إشارة إلى سببين للتسمية.

وربما يقال بكونه مشتقاً من الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة وهي القدوة لأنه يقتدي به ذريته أو الملائكة ويعرف به افراد هذا النوع، قال في «القاموس»: وهو آدم اهله وادمتهم ويحرك وأدامهم: أسوتهم الذي به يعرفون، وقد أدمهم كنصر صار كذلك انتهى.

أو من الأدمة بالضم بمعنى السمرة لأنه عليه السلام كان أسمر اللون على ما قيل، وأورد عليه بأنه لا يناسب ما ورد من براعة جماله وان يوسف عليه السلام كان جماله على الثلث منه.

وفيه ضعف واضح فإن الأدمة لا ينافي البراعة في الحسن، أو بمعنى القرابة والوسيلة يجعلها في ذريته بالتوالد إلى غير ذلك مما لا يأبى عنه اللغة والاستعمال وان كان ظاهر النصوص هو ما سمعت.

وأما المناقشة في أصل الاشتقاق نظراً إلى اختصاصه بلغات العرب، ثم في عربيته وقد روى من أنه عليه السلام كان يتكلم بالسريانية مضافاً إلى وضوح حدوث اللغات العربية.

(١) تفسير فرات: ٦٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

فمدفوعة بالمنع من الاختصاص وقد روى أنه ﷺ كان يتكلم بكل لسان وإن كان الغالب هو البعض، وحدثت اللغة العربية بعد اسماعيل غير مسلم، وقد روى أن الكتب السماوية كلها باللغة العربية وإن وقعت في الاسماع بلغاتٍ أخرى، والظاهر أن التسمية بآدم كانت من الله سبحانه.

وبالجملة لا ينبغي التأمل في عربيته سيما بعد ما سمعت من الأخبار ولذا قال الجواليقي^(١): أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ.

بل في الخبر: أول من تكلم بالعربية آدم ﷺ^(٢).

وأما ما رواه في المعاني والخصال عن النبي ﷺ: إن أربعة من الأنبياء سريانيون آدم وشيث وادريس ونوح^(٣) فمحمول على غلبة تلك اللغة على لسانه، والآن فقد ورد أن الله تعالى أنزل عليه ألف ألف لسان لا يفهم فيه أهل لسان من أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم^(٤).

بل في «الاختصاص» مثل ما سمعت عن «المعاني» و«الخصال» ثم قال

(١) هو أبو محمد اسماعيل بن أبي منصور موهوب بن أحمد البغدادي، كان بعد أبيه أمام أهل الأدب بالعراق، توفي سنة «٥٣٩» هـ.

(٢) قال السيوطي: عن ابن العباس: أول من تكلم بالعربية المهضمة هو اسماعيل ﷺ وأراد به عربية قريش التي نزل بها القرآن، وأما عربية قحطان وحير فكانت قبل اسماعيل - المزهر للسيوطي ج ١ ص ٢٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٥٧ ح ٣.

وكان لسان آدم العربية وهو لسان أهل الجنة فلما عصى ربه أبدله بالجنة ونعيمها الأرض والحرث وبلسان العربية السريانية (١).

إلى غير ذلك مما تأتي إلى بعضها الإشارة.

ومن جميع ما مرّ قد ظهر ضعف ما ذكره الزمخشري من القطع بعجمته، وإن استدّل عليه غيره بما لا يخلو من ضعف واضح، ثم إنهم صرحوا بأن أصله بهمزتين، لأنه أفعل لكنهم ليتوا الثانية، وإذا حرّكت جعلت واواً فيجمع على أوادم، لأنه ليس لها أصل في الياء معروف فجعلت الغالب عليها.

وفي «المجمع» أنه إن أخذ من أديم الأرض صرف بالتنكير، أو من ادمه اللون والصفة فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرف (٢) والوجه واضح. ثم أنه ﷺ يكتنى أبا البشر، وروى أبا محمد أيضاً ففي «البحار» عن نوادر الراوندي بالاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة ليست لهم كنى إلا آدم ﷺ فإنه يكتنى بأبي محمد توقيراً وتعظيماً (٣).

والمراد بالاسم ما يدلّ على الشيء في مرتبة الذات والكيونة أو في مرتبة الفعل والطبيعة والخواص، أو في مرتبة الألفاظ الموضوعات المؤلفة من الحروف، ولذا ينقسم إلى أقسام ثلاثة بل أربعة حسبما مرّت إليها الإشارة في تفسير البسملة. «والكلّ» لفظ يدلّ على الاستيعاب والاحاطة بالأجزاء، ويؤكد به مثل أجمعون إلا أنه يبدأ في الذكر بكلّ كما في قوله: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٥٦ عن الاختصاص.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٧ عن نوار الراوندي ص ٩.

أَجْمَعُونَ»^(١)، لأنَّ الكلَّ قد يلي العوامل، وأجمعون لا يكون إلا تابعاً والتأكيد بالاستيعاب إمّا باعتبار أنواع الإسم حسبما سمعت، أو افراد كلِّ نوع، والأولى إعتبار العموم من الجهتين، سيّما مع تأكيد الجمع المحلّي، أو أنّ المراد بالأسماء مستيائها بتقدير المضاف اليه، فتشمل جميع الأكوان، وأفعالها، وخواصّها واثارها، واصول العلوم والصناعات، وانواع المدركات من المعقولات والمحسوسات، وغيرها ممّا علّمها الله تعالى آدم تعليماً إلهامياً مترتباً على كمال الإستعداد الحاصل من التعليم التكويني، فأنه جعل وجوده وكيونته نسخةً مختصرةً مشتملة على كليّات ما في العوالم الملكوتية والناسوتية، ولذا ورد أنه قد اخذ من جميع القبضات المأخوذة من السموات والأرضين.

ففي «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بِحُكْمِ الْقَبْضَاتِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ فَمِنْ أَوَّلِ سَاعَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً فَبَلَّغَتْ قَبْضَتَهُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَاخَذَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ تَرَبَةً وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْقُصْوَى فَأَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَأَمْسَكَ الْقَبْضَةَ الْأُولَى بِيَمِينِهِ وَالْقَبْضَةَ الْأُخْرَى بِشِمَالِهِ فَفَلَقَ الطَّيْنِ فَلَقَتَيْنِ فَذَرَا مِنَ الْأَرْضِ ذُرُوءاً وَمِنَ السَّمَاوَاتِ ذُرُوءاً فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ : مَنكَ الرَّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ وَالصَّادِقُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالسَّعْدَاءُ وَمَنْ أُرِيدَ كِرَامَتُهُ فَوْجِبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ وَقَالَ لِلَّذِي بِشِمَالِهِ : مَنكَ الْجَبَّارُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْكَافِرُونَ وَالطَّوَاعِغِيتُ وَمَنْ أُرِيدَ هَوَانُهُ وَشَقْوَتُهُ فَوْجِبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ ثُمَّ إِنَّ الطَّيْنَتَيْنِ خُلِقَتَا

جميعاً^(١)، الخبر على ما يأتي.

فإن المراد بيوم الجمعة يوم إجتمع فيه خلق العالم، وتمّ فيه مراتب الوجود الكليّة من العلويّة والسفليّة على ما أشير إليه في الأخبار المتضمنة لبيان خلق السموات والارض في ستة أيّام.

وأما ما يقال في بيان تفصيل القبضات التي يستفاد من بعض الأخبار كونها عشرا من أنها في المؤمن قبضة من محدّد الجهات خلق منها قلبه وقبضة من الكرسي خلق منها صدره، وقبضة من فلك زحل خلق منها عقله، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه، وقبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده، الثاني، وقبضة من فلك الزهرة خلق منها خياله، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته، وقبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده، وفي الكافر قبضة من الحوت الذي على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه، وقبضة من الثور فخلق منها صدره، وقبضة من الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة فخلق منها دماغه، وقبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه، وهي أرض الالحاد وقبضة من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه، وقبضة من الأرض الرابعة أرض الشهرة خلق منها وجوده الثاني، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله، وقبضة من الأرض الثانية أرض العادة خلق منها فكره، وقبضة من الأرض الاولى أرض النفوس خلق منها جسده، وقبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته.

(١) بحار الانوار: ج ٦٤ ص ٨٧ عن الكافي ج ٢ ص ٥.

فهو مبني على مقدمات واصل لا يخلو بعضها عن ضرب من الحدس والتخمين على ما أشرنا إليه سابقاً.

لكن القدر المعلوم من ملاحظة أخبار الباب كقول الصادق عليه السلام: ان الصورة الانسانية هي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ^(١) وقول العالم عليه السلام: خلق الله عالمين فعالم علوي وعالم سفلي وركب العالمين جميعاً في ابن آدم^(٢) والشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

إلى غير ذلك مما مرّت إليه الإشارة في تفسير الفاتحة^(٣).

هو ان الانسان جامع بجمعيته الكونية لجميع النشآت الكلية، محتوي على روحانيات العوالم الملكية والملكوئية، مطرح لاشعة نجوم الداراي العلوية وقوى الاجسام السفلية، ولذا استعد بكيئوتها لادراك ما فيها والتخلق باخلاقها.

قال مولانا أمير المؤمنين في الخطبة المذكورة في النهج: ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبغها تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجل منها صورة ذات أحناء ووصول، واعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود وأجل معلوم، ثم نفخ فيها من روحه، فمثلت إنساناً ذا اذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والاذواق والمشام

(١) شرح الاسماء الحسنی ج ١ ص ١٢.

(٢) الاختصاص ص ١٤٢.

(٣) تفسير الصراط المستقیم ج ٣ ص ٤١٢.

والألوان والاجناس، معجوناً بطينته الألوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبله والجمود، والمسائة والسرور، الخطبة (١).

وفي تفسير فرات عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنه سبحانه لما خلق السموات والأرض والليل والنهار والنجوم والفلك وجعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فاثبتها بالجبال فلما استكمل خلق ما في السموات والأرض يومئذ خالية ليس فيها أحد قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فاخذ من أديم الأرض قبضة، فعجنه بالماء العذب والمالح، وركب فيه الطبايع، قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمي آدم، لأنه لما عجن بالماء إستادم فطرحة في الجبل، كالجبل العظيم، وكان ابليس يومئذ خازناً على السماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره، ثم يضرب بيده على بطنه فيقول لايّ أمر خلقت؟ لأن جعلت فوقى لا أطعتك، وان جعلت أسفل متي لا أعينك، فمكث في الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من ماء وطين، ونور وظلمة، وريح ونور من نور الله تعالى، فأما النور فتورثه الإيمان، وأما الظلمة فتورثه الكفر والضلالة، وأما الطين فيورثه الرعدة والضعف والاقشعرار عند اصابة الماء، فينبعث به على اربع

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

طبايع: على الدّم، والبلغم، والمرار، والرّيح^(١)، الخبر.

إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه كونه مخلوقاً من الطّبايع السّفلية والأرواح العلوية الفلكيّة والنّاطقة القدسيّة والكلية الالهية حسبما تسمع الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٢).

❏ الأسماء التي علمها الله سبحانه آدم ❏

وهذا التّعليم تعليم تكوينيّ للاسماء التي هي كليّات العوالم وجزئياتها، وهي مظاهر للأسماء الالهية التي هي النعوت الكمالية والصفات الجمالية والجلالية باعتبار غلبة ظهور الصّفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، وهي التي تسمّى كليّاتها بالمهيّات والحقايق، وجزئياتها بالهويات عند قوم، وتسمّى عند آخرين بالفيض الذي ينقسم عندهم إلى الفيض الأقدس والفيض المقدّس، وبالأوّل يحصل إمكانات الأعيان وإستعداداتها بالمشيئة الامكانية، وبالتالي يحصل تلك الأعيان في عالم الاكوان، مع لوازمها وتوابعها وآثارها وارتباطاتها بالمشيئة الكونية، ولهذا كلّما كانت أفراد هذا النوع أكمل كان مظهريّتها للاسماء الالهية أظهر، ونبينا محمّد وآله الطاهرين صلّى الله عليهم أجمعين أفضل الموجودات واكمل البريات.

ولذا ورد في الأخبار الكثيرة أنّهم أسماء الله الحسنی التي لا يقبل الله من احد إلا بولايتهم ومعرفتهم وكرامتهم لأنّ الله تعالى جعلهم أبوابه وججابه ودلائل معرفته

(١) تفسير قرأت ص ٦٥ وعنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

(٢) الحجر: آیه ٢٩.

ووسائل فيضه وكرامته، فهم الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتهم، وهم الأسماء الذين علمهم الله تعالى آدم وشرفه بهم، واكرمه بإسجاد الملائكة تعظيماً لهؤلاء الأنوار، وتكريماً لآدم وعبوديته لله سبحانه.

ففي «الأكمال» وغيره عن الصادق عليه السلام قال الله تبارك وتعالى علم آدم أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين انكم أحق بالخلافة في الأرض لتسيحكم وتقديسكم من آدم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره، فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته ثم غيبتهم عن أبصارهم واستعبدتهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾^(١)، الآية.

وفي تفسير الامام عليه السلام: وعلم آدم الاسماء، كلها أسماء انبياء الله واسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين عن آلهما واسماء خيار شيعتهم وعتاة أعدائهم^(٢).

وفيه عن سيد الشهداء قال: إن الله تعالى لما خلق آدم وسواه وعلمه أسماء كل شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمداً وعلياً وفاطمة والحسن

(١) بحار الانوار ج ٢٦ ص ٢٨٣ ح ٢٨ عن اكمال الدين.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

والحسين عليه السلام اشباحاً خمسة في ظهر آدم ^(١)، إلى آخر ما يأتي في الامر بالسجود له. وفي «المجمع» عن الصادق عليه السلام أنه سأل عن هذه الآية فقال: الأرضين والجبال والشعاب والاوودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال وهذا البساط ممّا علمه الله ^(٢). ورواه العياشي في تفسيره وفيه أنه سئل الصادق عليه السلام عن الأسماء في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ما هي؟ فقال عليه السلام: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض ^(٣).

وفيه عن داود بن سرحان العطار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدعا بالخوان فتغذينا، ثم جاؤا بالطست والدست شويه ^(٤) فقلت: جعلت فداك وعلم آدم الاسماء كلها الطست والدست شويه منه؟ فقال: الفجاج والأودية وأهوى بيده كذا وكذا ^(٥). وفي تفسير القمي قال: اسماء الجبال والبحار والاوودية والنبات والحيوان. وقد ظهر لك ممّا لوحنّا إليه الجمع بين الخبر الباب، بل بينها وبين ما قيل: من أنّ المراد بالاسماء هي الاسماء الالهية أو الحقائق الكونية التي هي لها مظاهر كلية، وذلك لأنه قد تواتر عنهم أنه تعالى خلق أول ما خلق أنوار محمد وآل محمد وارواحهم عليهم السلام، ثم خلق من أشعة انوارهم سائر الحقائق الكلية من المجرد والمادية العلوية والسفلية، على حسب درجاتها ومراتبها وقربها من ينبوع الرحمة الكلية

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٥٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) البحار ج ١١ ص ١٤٧ عن تفسير العياشي.

(٤) الدست شويه: كلمة فارسية أي الاناء الذي يغسل فيه الايدي.

(٥) البحار ج ١١ ص ١٤٧.

وبعدها عنه، كما أشير إليه فيما مرّ نقله من كتاب «الانوار» وغيره، وقد علّمها الله تعالى آدم بأن جعل تكوينه من القبضات المأخوذة من جميع العوالم الكليّة، وجعل طينة مستعدّة لظهور الحجج والأنبياء سيّما محمّد وآله الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين. منها في هذه النشأة الدنيوية، فعلمه الأسماء الكليّة والحقائق الكونيّة تعليماً تكوينيّاً، وجعلها مستعدّة لإدراك كلّ حقيقة من الحقائق بما فيه من القبضة المأخوذة من تلك النشأة والتّجلي الحاصل من ذلك الاسم، فكان انموذجاً وخلصاً مأخوذة من جميع العوالم، فخلق في عالم الناسوت بعد خلق جميع اجزائه الكونيّة، لأنّ ما هو متقدّم في الخلقة الملكوتيّة متأخّر في الظهور الناسوتي فيتعكس التقدّم الدهري والزّماني، فلمّا دارت الأدوار وتمّت الاكوار ظهر الانسان، محيطاً على جميع الشؤون والنشآت، مجعلاً لجميع الاقتضات والاستعدادات، قابلاً للترقيّات من جميع الجهات، فهو ثمرة شجرة الوجود، والقابل لاشراق أشعة انوار الشهود، فكما أنّ الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلّها حتّى تظهر على أعلى الشجرة بعد تمامها، كذلك عبّر آدم على جميع اجزاء شجرة الوجود حتّى ظهر في هذه النشأة الدّانية السافلة في كسوة الناسوت.

وأما الملائكة فكلّ منهم له مقام معلوم لا يتعدّاه، ولا يدرك ما سواه، ولا يعبد الله سبحانه إلاّ بلسان واحد، ولا يدعو إلاّ باسم واحد، وأمّا سائر الأسماء الالهية فمحجوبة عنهم لا يدركونها أصلاً نعم ربما كان الاسم الذي يدعو به واحد منهم مغايراً لما يدعو به الآخر لكنّها متّفقة في نوع الإتحاد بخلاف الانسان، فأنّه يدعو باسمائه الحسنی وامثاله العليا ونعمه التي لا تحصي المفسّرة في الأخبار

الكثيرة بالنبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام.

ومن هنا يتضح تفسير الأسماء بالانبياء والحجج وبتلك الحقائق الكلية والاعيان الموجودة الخارجيّة التي عبّر عنها بالأرضين والجبال والنبات والحيوان وغيرها ممّا هي تعيّنات لتلك الحقائق البسيطة والمركبة.

وقريء: وعلم آدم الاسماء على البناء للمفعول.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾

عرض هؤلاء الأسماء الفعلية الذين هم نفس الحقائق الكونية المشتملة على ذوات العقول الذين هم الأصول لها ولو باعتبار الشرف وسبق الخلقة ووساطة الفيض تكويناً وتشريعاً على النحو المقرر، أو مسميات الأسماء اللفظية المدلول عليها ضمناً باعتبار حذف المضاف إليه في قوله: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» لدلالة المضاف عليه، وتعويض اللام عنه كما في قوله: «وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً»^(١)، فينتظم حينئذٍ قوله: «عَرَضَهُمْ» وقوله: «بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ» ولم يجعل المحذوف مضافاً اي مسميات الأسماء لينتظم تغليب الإنباء على الأسماء فيما ذكر بعد التعليم وعلى الوجهين فالمراد اشباح المخلوقات وحقايقها فرداً فرداً في عالم الملكوت، فإنّ السؤال عن أسماء المعروضات، فلا يكون المعروض نفس الاسماء سواء أريد بها الألفاظ او الاثار واللوازم والفوائد.

وتذكير الضمير إمّا لأن لكل منها عقلاً وشعوراً في عالمه، ولذا نسب إليهم

التسبيح وذكرهم في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، وإما لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء لما مرّ كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٢)، وإما لكون الضمير للنبي والائمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين.

ولذا قال الامام عليه السلام في تفسيره: عَرَضَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَالْاِئِمَّةَ عليهم السلام الملائكة اي عرض اشباحهم وهم أنوار في الأظلة^(٣).

وفي الخبر المتقدم: علّم آدم أسماء حجج الله كلّها ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة^(٤).

وقراءة أبي^(٥) «ثم عرضها»، وعن ابن مسعود: ثمّ عرضهنّ، ويظهر الوجه فيهما ما مرّ.

والعرض مصدر من قولهم: عرضت المتاع على البيع، وعرضت الجند عليه، وعرضت البعير على الحوض، وإن كان هذا من المقلوب، وأصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء، ومنه العرض بالفتح خلاف الطول، وبالكسر يقابل به المال، فإنه

(١) الاسراء: ٤٤.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٤) البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن اكمال الدين.

(٥) هو أبي بن كعب ابو المنذر الانصاري سيّد القراء، توفي سنة (١٩) هـ العبرّ للذهبي ج ١

ناحيته التي يصونها عن المكروه، ثم أطلق على الإظهار الذي يعرف به جهة الشيء وناحيته، ثم على مجرد الإظهار.

نعم قد يقال: إنه يختص بالمحسوسات بالعين يقال: عرضت الجند، عرض العين إذا أمررتهم عليك ونظرت ما حالهم، كما عن الجوهرى، وهذا مما يؤيد كون المعروض نفس المسميات لا الأسماء التي هي المسموعات أو ما في حكمها، والمعنى أظهرهم على الملائكة بكشف الحجب عن الأرواح وراءة الاشباح وهم فى أصقاع الملكوت وسرادقات الجبروت متوجهين إلى الحي الذي لا يموت فقال الله سبحانه لملائكته تعجزاً وتبكيئاً لهم، وتنبهاً على قصورهم عن أمر الخلافة أو تكليفاً مطلقاً أو مشروطاً:

﴿أَنْبِئُونِي﴾ أخبروني على وجه الإحاطة العلمية التي لا تتأتى إلا بالاحاطة الكونية أو أن المراد مجرد الإخبار، فإن الإنباء إخبار فيه إعلام ولذا يجري مجرى كل منهما ﴿بِأَسْمَاءِ هَسْؤَلَاءِ﴾ الحجج الذين لولاهم لم يخلقكم الله تعالى، ولا أرضاً ولا سماءً، ولا شيئاً من الأكوان المجردة والمادية، وذلك لأنهم هم العلل الغائية والمقاصد الاصلية من خلق العالم وآدم، وهم المختصون بالخلافة الكلية والوسائط الأولية للفيوض الالهية أو باسماء الله التي بما خلقت هذه الاشباح، فانها بتمامها كانت محجوبة عن الملائكة إلا نوعاً واحداً لكل صنف منهم أو بخواص تلك المسميات وآثارها ووجوه استنباط منافعها وافعالها وغير ذلك مما يتوقف عمارة الأرض والانتفاع بما فيها عليها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى زعمكم أنكم أحقاً بالخلافة من ذريته لعصمتكم أو اشتغالكم بالتسبيح والتقدیس على ما يستفاد من

خبر «الكمال» المتقدم^(١).

أو أنّ جميعكم مطيعون منقادون وليس فيكم من يعصي الله وان لم يكن منكم لشمول الخطاب للجميع، ولذا قال الامام عليه السلام في تفسير: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّ جميعكم تسبحون وتقذّسون، وان ترككم هنا أصلح من ايراد من بعدكم، اي فكما لم تعرفوا غيبَ من في خلالكم فالحريّ أن لا تعرفوا الغيب الذي لم يكن كما لا تعرفون اسماء أشخاص ترونها.

أو في زعمكم أنّه لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا وانتم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلوم فقيل: إن كنتم صادقين في هذا الظنّ فاخبروا.

او انّ المراد، إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فأخبروا بها ومعناه هو التعليق بالعلم على أحد الوجهين اللذين تأتي إليهما الاشارة.

أو في أنّ خلقهم واستخلاقهم مع أنّ من شأنهم الإفساد والقتل لا يليق بالحكيم وعلى هذا فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ﴾ وإن كان انشاءً إلا أنّ التصديق لم يتعلّق به من هذه الجهة، بل باعتبار ما يلزم مدلوله من الإخبار.

ثمّ الأمر في قوله: ﴿أَنْبِئُونِي﴾ يحتمل كونه توطينا امتحانياً محضاً بمعنى أنّه لم يتعلّق الغرض بطلب فعل المأمور به أصلاً ولو على وجه الاشتراط، فالأمر وان كان أمراً في الصورة إلا أنّ المراد به هو البعث على التصديق والاذعان بحكمته تعالى وعلمه بالغيوب او بفضل آدم عليهم على ما يأتي على حدّ سائر الأوامر الامتحانيّة التي ليس هناك في الحقيقة طلب اصلاً.

(١) تقدّم عن البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن الكمال.

ويقرب من ذلك ما قيل: من كونه للتبكيك تنبيهاً على عجزهم عن اقامة رسم الخلافة، فإن التصرف والتدبير والقضاء بالقسط متوقف على تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق.

ويحتمل كونه أمراً حقيقياً مشروطاً بصدقهم أي بعلمهم على ما مرّ ويأتي أو غيره ممّا لم يتحقق بعد كي ينتج الأمر بالنسبة إليهم، أو حقيقياً مطلقاً في الحقيقة وإن كان مشروطاً في الظاهر، وذلك لتحقق الشرط الذي علق عليه الأمر وهو صدقهم فيما أخبروا عنه من عبادتهم، أو كون ذرّيّة آدم ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء، والامتثال على هذا الوجه وإن لم يكن مقدوراً لهم بالذات لجهلهم بتلك الاسماء إلا أنّهم مقدور لهم بواسطة رجوعهم إلى آدم وتعليمهم منه، ولذا أمر الله تعالى آدم بتعليمهم إزاحة للعلّة وتنبهاً على فضل آدم عليهم وعدم استغنائهم عنه في عبوديتهم وطاعتهم لله سبحانه وهذا الوجه وإن لم أجد من تعرّض له من المفسرين إلا أنّه لا بأس به بعد المحافظة على استقامة الكلام واحراز الفائدة.

نعم قال شيخنا الطبرسي بعد تأويل الاشتراط بالصدق إلى ارادة العلم بالخبر على ما مرّ والاشارة إلى أنّ معنى الأمر هو التنبيه أو أنّه يكون أمراً مشروطاً ما لفظه: ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً لأنّه لو كان تكليفاً لم يكن تبييناً لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله آياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه فلما اراد تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك علمنا أنّه ليس بتكليف انتهى^(١) كلامه زيد مقامه.

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٧٧.

وفيه ان ارادة تعريفهم ما خصص به آدم من ذلك ليس مانعاً عن كونه تكليفاً لهم، بل لعله يؤكد من حيث إنهم لما أمروا بالإنباء ولم يقدرُوا عليه إلا من جهة التعلم من آدم ثم أنبأهم آدم بها بامرهِ سبحانه علموا أن له الفضل والشرف بالعلم وزيادة حق التعليم لهم فيما توقف عليه طاعتهم وتقربهم إليه سبحانه، فهذا تنبيه على شرفه وفضله عليهم على وجه ابلغ كما لا يخفى.

ومما يؤمى إلى ما ذكرنا ان كلاً من الاشتراط والتوطين خلاف الظاهر من الأمر، ومن البين ان المتعين هو الحمل على الظاهر الذي هو الإطلاق إلا أن يمنع عنه مانع، والاصل بل الظاهر ايضاً عدمه مضافاً إلى أن اعتذارهم بعدم العلم دليل على عدم فهم الاشتراط من الخطاب بل كأنهم فهموا الطلب على وجه الاطلاق فاعتذروا بعدم العلم فازاح الله عذرهم بان امر آدم بتعليمهم وانبأهم.

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم اسلامی

تفسير الآية ﴿٣٢﴾

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

تنزيه منهم له سبحانه عن أن يكون فعله على غير وجه الحكمة او أن يعلم الغيب أحد سواه واعتذار عن الإستفسار مع الإشعار بأنه لم يكن للإعتذار بل لمجرد الاستخبار واعتراف بالعجز والقصور عن الاحاطة بوجوه الحكمة في أفعاله، وأنه قد ظهر له ما خفي عليهم من علم الانسان وفضله والحكمة في خلقه ومراعاة للادب حيث مجدّوه أولاً بالتنزيه الذي هو ابلغ من اثبات الكمال، اذ ربّما لا يخلو عن شوب التوهم والتشبيه، ولذا قال سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

يَصِفُونَ﴾^(١)، ثم نفوا العلم بجنسه المستوعب بجميع أفراده عنهم ونسبوه إليه، ثم أظهروا شكر نعمته بما منحهم به منه، ولذا أضافوا ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إلى قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع الإكتفاء به في الجواب، فأنهم أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه إنما يعلمونه من جهته، وان هذا ليس من جملة ذلك، ثم حَقَّقوا الإِعْتِرَافَ بعلمه وحكمته واكَّذَوْهُ بقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ بكلِّ شيء علماً ذاتياً لم يعرض ولا يزول ﴿الْحَكِيمُ﴾ المصيب في كلِّ فعل من أفعاله، المحكم لمبدعاته على أتم الوجوه وأتقنها.

ومن هنا يظهر أنَّ مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم، فلا تكرار، وانَّ في الفعيل من المبالغة ما ليس في الفاعل، وانَّ تقديم الأوَّل علي الثاني طبيعي.

و﴿سُبْحَانَ﴾ مصدر كغفران، أو إسم للتسبيح يقوم مقامه، ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوباً بفعل مضمر كعباد الله، وهو هنا مضاف إلى المفعول، دون الفاعل، ويضاف إلى الضمائر الثلاثة وإلى الظاهر، ويستعمل مقطوعاً للتعجب، تقول العرب: سبحان من كذا إذا تعجبوا منه، ومنه قول الأعشى^(٢):

أقول لَمَّا جَاءَنِي فخرُهُ سبحان من علقمة الفاخر

قال الجوهري: وإنما لم ينون لأنه معرفة عندهم وفيه شبه التأنيث^(٣).

والمراد به في المقام الأشعار بتنزيهه تعالى على ما مرَّ أو اظهارهم التعجب

(١) الصافات: ١٨٠.

(٢) هو عامر بن الحارث الباهلي، شاعر جاهلي وأشهر شعره «رأيت في رثاء أخيه لأمه: المنتشر ابن وهب اوردها البغدادي برمتها في خزانة الأدب ج ١ ص ٩.

(٣) الصحاح ج ١ ص ٣٧٢ في سبَّح.

عن سؤالهم عمّا لا يعلمونه، او معناه السّرعَة إليه والخُفَة في طاعته على ما صرّح به في «القاموس» اخذاً له من السباحة للقوم، ومنه السابحات للسفن، أو أرواح المؤمنين أو النجوم.

و«لا» لنفي الجنس تفيد بنفيه نفي جميع الافراد، والظرف بمتعلقه في موضع الرفع على الخبريّة، والموصول بدل من اسم «لا» و العائد محذوف، و«أنت» فصل فلا موضع له من الاعراب، أو مبتدأ خبره «العليم الحكيم» والجملة خبر إن أو تأكيد للكاف كما في قولهم: مررت بك انت.

تفسير الآية

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾

أخبرهم بالحقائق الكلية التي لم تنزل محجوبة عنهم، والمعارف اليقينية التي لم تتكشف لهم ممّا لديهم من العلوم الخاصة بهم، والطرق الموصلة لهم إلى معرفته كي يعرفوا جامعيتك بين الصفات المختلفة والأسماء المتباينة وقابليتك للخلافة الكلية والموهبة الربانية وظهور أنوار الأنبياء والأولياء سيّما نبينا خاتم النبيين وآله الطيبين صلى الله عليهم أجمعين من صلبك في هذا العالم الجسماني الذي هو مجمع التّضاد ومطرح الاشعة.

وقريء بقلب الهمزة ياءً وبحذفها، والهاء فيهما مكسورة، وهما من الشواذ، بل وكذا ما يحكى عن ابن عامر^(١) من تفرّده بكسر الهاء مع الهمزة كما عن بعض

(١) هو عبدالله بن عامر ابو عمران الدمشقي أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة =

العرب، وقرأ الباقون بضمّ الماء معها بناءً على أنّ الاصل في هاء الضمير أن تكون مضمومة، وأنما تكسر اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم، وعليهم، وفي خبر أسئلة عبدالله بن سلام^(١) عن النبي ﷺ أنه قال: يا محمد أخبرني كم خلق الله نبياً من بني آدم؟ قال: يا بن سلام خلق الله مائة الف نبي واربعة وعشرين ألف نبي، قال: صدقت يا محمد أخبرني آدم كان نبياً مرسلًا؟ قال: نعم أفما قرأت في التوراة قال يا آدم أنبئهم باسمائهم، الآية قال صدقت يا محمد ﷺ^(٢).

❖ الاقوال في نبوة آدم حين تعلّم الاسماء ❖

اقول وظاهر هذا الخبر أنه ﷺ كان يومئذ نبياً مرسلًا، وهو أحد الأقوال في المسألة، وبه قالت المعتزلة نظراً إلى أن ما ظهر من آدم من علمه معجزة دالة على نبوته لكونه خارقاً للعادة، وإذا ثبت كونه معجزاً ثبت كونه رسولاً في ذلك الوقت، وأجيب بأننا لا نسلم كونه خارقاً لأن حصول العلم باللغة لمن علّمه الله وعدم حصوله لمن لا يعلمه الله ليس بخارق للعادة والاولى أن يقال بعد تسليم ذلك ان اظهار الخارق إنما يكون دليلاً على النبوة مع اقترانه بالدعوى والتحدّي وهو غير واضح في المقام.

وثاني الأقوال كونه مرسلًا إلى حواء خاصة يومئذ ثم على ولده بعد خروجه

= الوليد بن عبد الملك، مات سنة (١١٨) هـ الأعلام ج ٤ ص ٢٢٨.

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الاسرايلي ابو يوسف - صحابي أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة وكان اسمه الحصين، فسماه النبي ﷺ ع: الله مات سنة (٤٣) هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٣.

(٢) البحار ج ٥٧ ص ٢٤٢.

من الجنة وتجدهم، وذلك لكونهم من أفراد نوعه ولأنهم هم المحتاجون في معاشهم وعبادتهم إلى تبليغه، وأما اشتراك حواء معه في الخطاب بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١) حيث يدل على تلقّيها الوحي لا بواسطة فلا يقدح في رسالته إليها لأن ذلك من قبيل اشتراك النبي مع المؤمنين في الخطابات العامة كقوله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

وفيه بعد الغض عما في الجواب من المناقشة أنه يبقى أصل القول دعوى بلا دليل، والنبوي المتقدم مع ضعفه معارض بأقوى منه سنداً وعدداً ودلالة على ما يأتي، وإطلاق ما دل على نبوته ﷺ لا ينهض حجه على اثباتها يومئذ للانصراف. وثالثها: القطع بأنه ﷺ لم يكن في ذلك الوقت نبياً لقوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾^(٢) الدال على أنه تعالى إنما اجتباها بعد الزلّة فقبل الزلّة لم يكن مجتبي فلم يكن رسولاً لأن الاجتباء والرسالة متلازمان، فإن الاجتباء هو التخصيص بأنواع التشريعات وكل من جعله الله رسولاً فقد خصّه بذلك لقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣) ولأنه لو كان نبياً في ذلك الزمان لكانت قد صدرت المعصية بعد النبوة، وذلك غير جازم فوجب أن لا يكون نبياً في ذلك الزمان، والملازمة بيّنة بعد القول بكون تلك الزلّة من الكبائر، ولأنه لو كان رسولاً لكان إما مبعوثاً إلى حواء وهو باطل، لأنها عرفت التكليف لا بواسطة أو إلى غيرها من الجنّ والملائكة، ومن البين أنه ما كان في السماء أحد من الجنّ، وأما الملائكة فهم أفضل من البشر ولا

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الانعام: ١٢٤.

يجوز جعل الأدون رسولاً إلى الأشرف.

وهذه الوجوه بمكان من الضعف والقصور، وأما حكاية الإجتباء فلان المراد به على ما ذكره المفسرون هو الحمل على التوبة والتوفيق له، كما في قوله في صاحب الحوت ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١) والإجتباء يكون قبل النبوة كما في غير الانبياء وبعدها كما في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مَنِ رُئِيَ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وأما الثاني فهو واضح الفساد بناء على ما أجمعنا عليه من عدم صدور المعصية من الانبياء قبل النبوة وبعدها.

وأما الثالث فقد سمعت الجواب عنه مضافاً إلى أن البشر عندنا أفضل من الملائكة، نعم يمكن الاستدلال لهذا القول بما رواه في «الأمالي» عن الرضا عليه السلام حيث سئل عن زلة آدم ومنافاتها لعصمته عليه السلام فقال عليه السلام: إن الله خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ولم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله تعالى فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣).^(٤)

وفي العيون عنه عليه السلام في خبر يأتي في كيفية وسوسة ابليس وصدور الزلة منه

(١) القلم: ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٢.

قال ﷺ: وكان ذلك من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله ﷻ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾^(١) وقال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ الآية^(٢).

اقول: ويظهر من الخبرين صحة الاستدلال بالآيتين ايضاً إلا أن الظاهر ورودهما مورد التقية لاشتمالهما على ما علم فساده من ضرورة مذهب الامامية من جواز ارتكاب الذنب قبل النبوة، اللهم إلا أن يؤول بترك الأولى، أو يقال: إن رفع اليد عن بعض الخبر لتقية او غيرها لا يوجب رفع اليد عن غيره، ولذا قال الاصوليون: أنه كالعام المخصص حجة فيما بقي منه بعد التخصيص.

واحتمال أن المراد بما في الخبرين كونه حجة في الأرض بعد التوبة فلا ينافي كونه حجة في السماء أو على الملائكة قبل الهبوط، مدفوع، لمخالفته لظاهر الخبرين سيما الثاني.

وفي تفسير الامام ﷺ قال الله ﷻ: يا آدم انبىء هؤلاء الملائكة باسمائهم اسماء الانبياء والأئمة قال ﷺ: ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فعرفوها أخذ عليهم لهم العهد والميثاق بالايمان بهم والتفضيل لهم على أنفسهم قال الله تبارك وتعالى عند ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، سرهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا

(١) طه: ١٢١-١٢٢.

(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ٧٨ عن العيون.

تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ وما كان يعتقدہ ابليس من الإياء على آدم إن أمر بطاعته واهلاکه إن سلط عليه، ومن اعتقادکم أنه لا احد ياتي بعدکم إلا وانتم افضل منه، بل محمّد وآله الطيبون افضل منکم الذين انباکم آدم باسمائهم^(١).

وفيه تفصيل واستحضار لقوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وتنبیه على أنه هو العالم بأسرار الملك والملکوت ممّا خفي عليهم من غيوب السموات والارض او ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة، وقيل: ما تبدون من نسبة الإفساد والسّفك وما تکتمون من استبطانکم انکم الاحقاء بالخلافة أو ما تبدون من الطّاعة وما تکتمون من اسرار ابليس المعصية، ولا يقدح فيه اختصاص الخطاب بالملائكة الذين ليس منهم ابليس لأنه لما عمّهم التكليف جاز أن يذكر في جملتهم مع أنه كان يرى للملائكة أنه منهم، وكان ذلك معتقد كثير من الملائكة على ما يأتي.

قال في «المجمع»: وقد رويت روايات تدلّ عليه^(٢) والاولى الحمل على العموم الشامل لجميع ما مرّ وغيره حتى ما قيل: من انّ الله تعالى لما خلق ادم مرّت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الرّوح ولم تكن رأّت مثله فقالوا لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنّا اكرم منه وافضل.

وروى العياشي عن الصادق عليه السلام قال: لما أن خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنّا نظنّ انّ الله تعالى خلق خلقاً اكرم عليه ممّا فنحن جيرانه، ونحن أقرب خلقه إليه فقال الله الم اقل لكم إنّي أعلم ما

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٨٢.

تبدون وما تكتمون فيما أبدوا من أمر بني الجان وكنتموا ما في أنفسهم فلاذت
الملائكة الذين قالوا ما قالوا بالعرش^(١).

وفي خبر آخر عنه عليه السلام ان الملائكة منوا على الله بعبادتهم اياه فأعرض عنهم
وانهم قالوا في سجودهم في أنفسهم ما كنا نظن أن يخلق الله خلقاً اكرم عليه منا
نحن خزان الله وجيرانه وأقرب الخلق إليه فلما رفعوا رؤوسهم قال الله: وأعلم ما
تبدون من ردكم عليّ وما كنتم تكتمون من ظنكم اني لا اخلق خلقاً اكرم عليّ منكم
فلما علمت الملائكة أنها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش وانما كانت عصابة من
الملائكة ولم تكن جميعهم^(٢).



❖ أسئلة وأجوبة ❖

ثم أنه ربما يورد في المقام وجوه من السؤال منها: أن آدم على نبيينا وآله
وعليه السلام انما علم الاسماء بتعليم الله سبحانه، والملائكة ايضاً كانوا قائلين
لذلك، ولذلك أنباهم آدم بما جهلوه من تلك الأسماء، فهلاً علمهم الله تعالى اولاً ثم
امرهم بتعليم آدم عليه السلام، والرّد إلى حكمته البالغة وان خفيت المصلحة علينا مشترك
بينه وبين ما أخبرهم به اولاً من خلق آدم واختصاصه بالخلافة فلم يظهر من هذا
التفصيل مصلحة اخرى غير الرّد إلى الحكمة الذي يقتضيه الايمان بالغييب.

وتوهم ان الملائكة لم يكونوا مستعدين لأخذ تلك العلوم بلا واسطة بل إنما

(١) البحار: ج ١١ ص ١٤٨ عن تفسير العياشي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٠٥ ح ١٩.

علموها بواسطة آدم ﷺ وهو المراد بالفضيلة مدفوع بأن الملائكة هم الرسل إلى الانبياء وهم الملقيات ذكراً أو نذراً فهم الوسائط في العلوم الالهية الواصلة إلى البشر.

والجواب أنه قد مرّت الاشارة إلى أن هذا التعليم كان تكوينياً مُختصاً بآدم دون الملائكة الذين ليس في طبيعتهم وجبلتهم خلط وتركيب بل هم وحدانية الصفة فردانية القوة لا يفعل كلّ صنف منهم إلا فعلاً واحداً وما منهم إلا لهم مقام معلوم، فأنى لهم الاحاطة بجميع العوالم والعلوم، فإنّ مثالهم مثال القوى البسيطة كالحواس حيث إنّ البصر لا يزاحم السمع في مدركاته وهي الأصوات ولا السمع البصر في المرئيات ولا هما يزاحمان الشم ولا الذوق ولا شيء منهما يزاحم شيئاً من الأولين وأمّا آدم فكان صفوة العالم وقد خلقه الله تعالى من اجزاء مختلفة وقوى متباينة حتى استعدّ بذلك لادراك انواع المدركات من المحسوسات والمعقولات والتمييز بينها والحكم عليها بما يليق بها والتوسط في الفيوض الواصلة إليها والعبور عنها جميعاً إلى مركزه الاصلي وعالمه الكلي فصلح بذلك لتحمل اعباء الخلافة في جميع النشآت والعوالم فجعله الله مستودعاً لأنوار علمه وحكمته ومعرفته وأودع فيه انوار النبي محمد واهل بيته الطاهرين وغيرهم من الانبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين، ولذا كان آدم مخصوصاً بمعرفة الاسماء كلّها والملائكة لا علم لهم إلا بما علمهم ربهم من خصوصيات جهات كينوناتهم، ثمّ ان الله سبحانه قد نبّه على ما اراد التنبيه عليه من شرف آدم وفضله عليهم بان علمه أولاً بلا واسطة احد منهم ثمّ أمرهم بالرجوع إليه في اقتباس العلوم واقتناص المعارف فله الفضل عليهم من

حيث التقدّم في المعرفة وتعليمه لهم وكون علمه الذي هو أشرف الفيوض الالهية والمنح الربانية مفاضاً عليهم بلا واسطة اصلاً وعلومهم متأخراً مع الواسطة، فنبتّه بذلك على عدم تاهلهم لأخذ تلك العلوم إلا بواسطته ﷺ، ثمّ أنّه يمكن أن يكون المراد هو التنبيه على تفرّده بعلم الغيوب واحاطته بجهات المصالح والحكم وذلك أنّه امرهم بالاخبار عن الاسماء التي لا يعرفونها كي يعترفوا بالعجز ويقرّوا بقصورهم عن نيل معرفتها فينتبههم على أنّهم اذا لم يعرفوا ذلك ولم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد، ومن أن يحيطوا علماً بمصالح جعل الخليفة واسرار الخليفة أعجز.

وعلى هذا فمعظم المقصود هو التنبيه على تفرّده بعلم المصالح، وأنّه يجب على كافة العبيد الاذعان والتسليم لأمره، وإن استفيد منه ايضاً ولو على جهة الاستتباع شرافة آدم وفضله عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِعَبِيدٍ إِلَّا لِرَبِّنَا الَّذِي اسْتَنبَأَنَا وَإِلَيْكُمُ الْمَصِيرُ﴾. ومنها: أنّه تعالى كيف أمر الملائكة أن يخبروا بما لا يعلمون مع أنّ من شرايط التكليف القدرة على الامتثال ومن البين انتفاؤها في المقام.

فان قلت: إنّ الممتنع هو التكليف المنجز لاستحالة الطلب حينئذ وقبح التكليف بما لا يطاق، وأمّا المشروط فلا بأس به ما لم يتنجز التكليف، وأنما القدرة شرط التنجيز، وهو في المقام مشروط بكونهم صادقين فيما ادّعوه، وحيث لم يتحقّق الشرط لم يتحقّق المشروط.

قلت: لم يظهر وجه لارتباط الأمر بالإنباء بهذا الشرط الذي هو صدقهم، وما المراد بهذا الصدق المنتفي في حقهم؟ وما الذي ادّعت الملائكة حتّى خوطبوا بهذا

الخطاب؟

والجواب انّ الشرط هو علمهم بما سُئلوا عنه فالمراد بالصدق صدقهم فيما ادّعوه من العلم بالصّراحة او بالالتزام حسبما مرّ أو صدقهم في الخبر الذي كلفوا بالاخبار عنه وذلك بعلمهم بالصدق، ولا يكون إلاّ بالعلم بالمخبر عنه فكأنه قال لهم: أخبروا بذلك إن علمتموه ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم، وهذا كما يقول القائل لغيره: أخبرني بذلك ان كنت تعلمه، أو ان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه، وبالجمله فالامر مشروط بالعلم المنتفي في حقهم فلا تكليف، وبهذا قد ظهر المراد بالصدق وارتباط الأمر بالانباء به.

وأما فائدة الأمر حينئذ على وجه الإستتار مع علمه سبحانه بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به فالوجه فيها هو أن يكشف باقرارهم على أنفسهم بالجهل واعترافهم بعدم تمكنهم من الاخبار بالأسماء ما أراد الله سبحانه بيانه من استتاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين.

وقد أجاب السيّد المرتضى رحمته الله عن اصل الاشكال بوجه اخر وهو انّ الأمر وان كان أمراً بصورته وظاهره إلاّ أنّه ليس بامر في الحقيقة بل المراد به التقرير والتثنيه على مكان الحجّة قال: وتلخيصه انّ الله تعالى لما قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي اتي مطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تظلمون عليه، ثمّ اراد التثنيه على أنّه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع أنّها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي أولي

بالاستخلاف في الأرض، وإن كان في ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء، فعلم آدم ﷺ أسماء جميع الاجناس أو اكثرها وقيل: أسماء النبي محمد والأئمة من ولده صلى الله عليهم أجمعين وفيه احاديث مروية، ثم قال للملائكة: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ مقرراً لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالاً على اختصاص آدم بما لم يخصوا به، فلما أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ منبهاً على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين، وإن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره، ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو الاصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه، قال: وعلى هذا الجواب يكون قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ محمولاً على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكلون له فلولا أن الأمر على ما ذكرناه وأن القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ معنى لأن التكليف الاول لا يتغير عن حاله بان يخبرهم آدم ﷺ بالأسماء ولا يكون قوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى آخر الآية إلا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسماء فانتم عن علم الغيب أعجز وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى^(١).

(١) الأمالى للسيد المرتضى: ج ٢ ص ٦٩ - ٧٠.

أقول: ومرجعه إلى كون الأمر امتحانياً محضاً غير مشتمل على التكليف اصلاً ولو في صورة الاشتراط، والفرق واضح بينه وبين الأمر المشروط ولو مع علم الأمر والمأمور بانتفاء الشرط وذلك لأن مطلوبيّة الفعل ومحبوبيّته حاصل في الأمر المشروط على فرض حصول الشرط، وإن كان عالماً بانتفاءه بخلاف الأمر التوطيني الذي هو بمجرد الامتحان أو غيره من المصالح الخارجة التي لا تعلق لها بالمأمور به، بل المقصود حاصل بنفس الأمر.

فان قلت: إنه لا سبيل في المقام إلى شيء من الوجهين لعلم كل من الأمر والمأمور بانتفاء الشرط بالنسبة إلى جميع المكلفين في جميع أزمنة الامتحان فيلغوا الاشتراط وينتفي فائدة الامتحان والابتلاء على أن السيد عليه السلام وإن جوّز الوجهين في المقام إلا أن مذهبه في الاصول على خلاف ذلك فإنه قد صرح بأن الشروط إنما يحسن فيمن لا يعلم العواقب ولا طريق له إلى علمها، فأما العالم بالعواقب وبأحوال المكلف فلا يجوز أن يأمره بشرط إلى آخر ما ذكره رحمه الله فكيف التوفيق.

قلت: التحقيق على ما قرّر في محلّه هو جواز الأمر المشروط مع علم الأمر والمأمور بانتفاء الشرط إذا كان هناك فائدة للتعليق، ولا وجه للقول بعدم الجواز حينئذ، إذ قصارى ما يستدلّ به لذلك بعد وضوح عدم كونه تكليفاً بالمحال لقضيّة الاشتراط وانتفاء الموضوع أن فعله عبث قبيح فيستحيل صدوره من الحكيم، إذ المفروض اتحاد الاحوال وعدم حصول القدرة على الشرط وعلم المأمور بذلك فلا يتأتى منه التوطين والعزم على الفعل مضافاً إلى أن الأمر المشروط لا بدّ فيه من اعتبار الطلب وتعلقه بالفعل ولو معلقاً على الشرط وهو محال على الحكيم العالم

بالحال، ضرورة أن طلب المحال محال والجواب :

أن مدار الجواز على حصول الفائدة التي بها يخرج الفعل عن العبث، ومن البين أن الفائدة غير منحصرة في التوطين، بل ربما يكون المقصود اقرار المخاطب بالعجز والقصور كما في المقام، وهو غرض صحيح يتعلّق به أمور مقصودة، ومن هنا يتّجه ان يقال إنه وان نُسب إلى أصحابنا القول بعدم جواز التعليق من العالم بالنسبة إلى العالم إلا أن كلامهم مقصور على ما انتفت فيه الفائدة كما ينادى به دليلهم، وأما مع تحقّقها فمذهبهم فيه هو الجواز، فالتزاع معهم صغروي في وجود الفائدة وعدمها لا كبروي في الجواز على فرضها، وعليه ينزل كلام السيّد أيضاً في المسألة الأصوليّة فيرتفع التنافي بين الكلامين على أن كلامه في المقام لبيان الجواب عن الاشكال ولو على مذاق غيره، وقد ظهر ممّا قرّرناه جواز تعلّق الأمر على كلّ من الوجهين بلا فرق بين تعلّق القصد على وجه التعليق وعدمه، بل قد سمعت فيما مرّ أنه يحتمل أن يكون الأمر مطلقاً بسبب تحقّق الشرط وهو صدقهم فيما نسبوه إلى ذرّيّة آدم أو اضافوه إلى أنفسهم على ما مرّت الاشارة اليها.

ونزيد في المقام وجهاً ثالثاً وهو: أن يكون الشرط صدقهم في الخبر اي علمهم بما يخبرون عنه على ما حقّقناه سابقاً فيكون الحاصل تنجز التكليف بالاخبار بشرط القدرة التي اليها مرجع العلم ايضاً، ومن البين أنه مقدور لهم بواسطة التعلّم من آدم والرجوع إليه، ولذا أمر سبحانه آدم بتعليمهم تحقيقاً للاستطاعة وازاحة للعلة وابانة للفضيلة، وهذا جواب اخر عن اصل الاشكال والله أعلم بحقيقة الحال.

ومنها ما أورده السيد عليه السلام قال: ولم نجد احداً ممن تكلم في تفسير القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرّض له وهو من مهم ما يسأل عنه، وذلك أن يقال من اين علمت الملائكة لما خبرها آدم عليه السلام بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات، وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل، اذ لو كانت الملائكة عالمة بالاسماء لأخبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم، والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالاسماء علموا بصحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم اذ كل ذلك إنما يتم مع العلم دون غيره ثم اجاب عنه: بأنه غير ممتنع من أن تكون الملائكة في الأول غير عارفين بتلك الاسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله تعالى لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات إما عن طريق أو ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول: ان ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطراراً، وفي هذا منافاة طريقة التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة مما يقتضي العلم بالثبوت ضرورة، بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها، ويجري هذا مجرى ان يخبر أحدنا نبي، بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة، وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته، لأنّ علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنّه طريق يوصل إليها على ترتيب.

ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم

يعرف اسماء الأجناس في لغة دون لغة غيره، إلا أنه يكون احاطة عالم واحد لأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة، فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم ﷺ علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء لِلُّغَتِهِ، وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات لخبر كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم، فاذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته. وهذا الجواب يقتضي أن يكون قوله انبثوني بأسماء هؤلاء اي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء.

وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم ﷺ لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن اخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته، لأنه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا به فيه غير الصدق^(١).

اقول ولعل الأولى من جميع ذلك هو العلم بصدقه بتصديق الله سبحانه له فيما أخبر به حيث قرّر ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ومنها أنه ما الفائدة في سبق الاعلام بخلق آدم وتسميته خليفة؟ والجواب أنه نوع ابتلاء للملائكة وتمهيد لتمييز ابليس من جملتهم، ليتبين

(١) أمالي السيد المرتضى ج ٢ ص ٧٥-٧٦.

بذلك من يقصد الطاعة كالملائكة ممن يُضمر العداوة له والمخالفة لأمره سبحانه،
 كإبليس على ما يأتي تمام الكلام فيه نقلاً عن الصدوق^(١).
 مضافاً إلى ما فيه من إظهار شرف آدم والتمهيد لبيان فضله على الملائكة،
 حيث إنه تعالى نوّه باسمه وبشّر ملائكته بخلافته قبل أن يخلقه بسبعمئة عام على
 ما رواه الصدوق في «الاکمال» وفيه أيضاً صيانة للملائكة عن اعتراض الشبهة
 عليهم في وقت استخلاف آدم والحجج من ذريته عليهم.
 وأمّا ما يقال من أنّ الغرض تعليم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يُقدموا
 عليها فهو يمكن من الوهن والسقوط، وكأنهم أرادوا أن يستأنسوا بمثله لما وقع من
 الثاني من الشورى في أمر الخلافة وهو كما ترى.
 بقي الكلام في أمور يستفاد من الآيات المتقدمة ينبغي التنبيه عليها في
 فصول:

❖ فضل الانبياء على الملائكة ❖

الفصل الأوّل : يستفاد من هذه الآيات وغيرها تفضيل الأنبياء على الملائكة
 وقد طال التشاجر في هذه المسألة بين المسلمين، فالذي عليه الإمامية هو أنّ
 الأنبياء والائمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة العلوية والسفلية، ووافقهم عليه أكثر
 الاشاعرة واصحاب الحديث، وربما يقال إنّ الخلاف في فضلهم على الملائكة
 العلوية، وأمّا السفلية فالانبياء أفضل منهم بالاتفاق كما أنّ عامة البشر من المؤمنين

(١) إكمال الدين: ج ١ ص ١١.

أيضاً أفضل من عامة الملائكة عندهم، والمحكي عن المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة تفضيل الملائكة، ثم أنهم ربما عنونوا البحث بتفضيل البشر على الملائكة أو العكس، وليس المراد بتفضيل كل فرد من احدهما على جميع افراد الآخر، ولا التطبيق بين افراد النوعين بتفضيل كل فرد على ما يقابله، بل المراد تفضيل الانبياء والائمة على الملائكة او تفضيل المعصومين من البشر، فيدخل فاطمة عليها السلام وسائر الأوصياء أيضاً على جميع الملائكة، وان كانوا كلهم معصومين من الصغائر والكبائر على ما أشرنا إليه، او تفضيل الجنس ولو باعتبار النوع الاشرف على الجنس، فلا ينافي ذلك تفضيل بعض الملائكة او كلهم على بعض المؤمنين بل على الفساق والكفار، ثم المراد بالأفضل الاكثر ثواباً والارفع درجة، والأقرب إلى الله تعالى منزلة الاكمل باعتبار العلم والعمل وسائر الكمالات.

اذا عرفت هذا فاعلم أن الحق ما ذهب إليه الامامية لوجوه، الاول: الاجماع القطعي الكاشف عن قول الإمام عليه السلام ورضاه حيث ان الطائفة المحقة كانوا قديماً وحديثاً متفقين على تفضيل الانبياء والائمة عليهم السلام على الملائكة من دون نكير منهم في ذلك، حتى أنهم كانوا معروفين بهذا المذهب يعرفه منهم المخالفون لهم في المذهب كما يعرفون منهم القول بحلية المتعة، ووجوب المسح على الرجلين ونفي العول والتعصيب، فلا يبعد دعوى ضرورة المذهب عليه بل هو كذلك.

ولذا قال شيخنا الصدوق في «العقائد»: اعتقادنا في الانبياء والحجج والرسل عليهم السلام أنهم أفضل من الملائكة ^(١) وقال المفيد: اتفقت الامامية على أن انبياء

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦.

الله ورسله من البشر أفضل من الملائكة ووافقهم على ذلك اصحاب الحديث واجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعم الجمهور منهم ان الملائكة أفضل من الانبياء والرسل وقال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر^(١) إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

وقال السيد المرتضى رحمته الله : المعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لأنهم لا يختلفون في هذا بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أن الأئمة افضل من الملائكة اجمعين واجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم وقد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه وأجبنا عن كل سؤال يسأل عنه فيها وبيننا كيف الطريق مع غيبة الامام إلى العلم بمذاهبه واقواله وشرحنا ذلك فلا معنى للتشاعل به ههنا^(٢).

وممن ادعى عليه اتفاق الامامية العلامة الحلي في «انوار الملكوت»^(٣) والعلامة المجلسي في مواضع من البحار والرازي^(٤) والدواني وغيرهم من علماء الفريقين فلا ينبغي التامل في تحقق الاجماع عليه.

الثاني: الآيات الكثيرة الدالة عليه بظواهرها التي هي الحجة حتى في غير الفروع العلمية الذي لا يجري فيه دليل الإنسداد على بعض الوجوه، وذلك لما حققناه في المقدمات من حجة ظواهر الكتاب وهي كثيرة.

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٥ عن عقائد الصدوق.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٢٨٧ - عن الفرز والدرر للسيد المرتضى ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦ عن انوار الملكوت.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج ٢ ص ٢١٥.

منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، القصة بتمامها الدالة عليه بوجوه من الدلالة حيث أنه سبحانه جعل آدم خليفة له، والمراد منه خلافة الولاية في التبليغ أو في التكوين، أو في وجوب الطاعة والانقياد كما يومي إليه قصة داود وهرون وغيرهما، ومن البين أن أعظم الناس منصباً عند الملك من كان قائماً مقامه، في كل من التبليغ والولاية والتصرف ووجوب الطاعة حتى سماه خليفة له، ثم أنه تعالى نبه على فضله وشرفه بتعليمه الأسماء وتخصيصه بعلمها دونهم، وجعله معلماً للملائكة فكان عنده من العلوم الفاضلة ما لم يكن عندهم وقد قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، و﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ثم أنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم تكريماً وتعظيماً له، ومن البين أن السجود نهاية التواضع وتكليف الأشرف الأفضل بنهاية التواضع للأدون مستقبح عقلاً، تحقيقاً كما في علوم إلهية

فان قلت: إن قضية خلافته كونه أشرف من كل من في الأرض، وأين هذا من الدلالة على فضله على جميع الملائكة حتى من في السموات؟
وأما علمه بالاسماء فهو وإن كان عالماً بها وهم لم يعلموها لكن لعلمهم كانوا عالمين بعلوم أخرى لم يكن آدم عالماً بها.

وأما الأمر بالسجود فلعل آدم قبله لهم في عبادتهم له سبحانه على أن الحكمة قد تقتضي تواضع الأشرف للشريف لبعض المصالح التي من جملتها

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩.

الإمتحان وكسر سورة العجب والأناثية، واطهار نهاية الطاعة وغيرها.

قلت: قضية عموم الجمع المحلى شمول الملائكة للجميع وظاهر اطلاق الخلافة كونها بالنسبة اليهم جميعاً، ولو بمعونة ما مرت إليه الاشارة وتأتي الأخبار الدالة عليه من أن المقصود من خلق آدم ظهور أنوار محمد، وآله الطيبين الذين لهم الخلافة الكلية على جميع ملائكة الأرضين والسماوات والحجب والسرادقات وحملة العرش وغيرهم، وأما التشكيك في أعلميته باحتمال أن لهم علوماً آخر فغريب جداً فكيف يندفع المحقق بالمحتمل بل لعله كالرّد عليه سبحانه حيث أنه سبحانه وتعالى جعل تعليمه لادم وجعله معلماً لهم في معرفة الأسماء الالهية التي هي أشرف العلوم دليلاً على فضله عليهم، وتبياً لهم على وجوب رجوعهم إليه، وتحقيقاً لحسن ما اختاره من ايثاره عليهم.

واغرب من الجميع أن الرازي بعد ما أجاب عن الحجة بما سمعت فساده قال: والذي يحقق هذا أنا توافقنا أن محمداً ﷺ أفضل من آدم ﷺ مع أن محمداً ﷺ لم يكن عالماً بهذه اللغات باسرها، وأيضاً فإن ابليس كان عالماً بان قرب الشجرة مما يوجب خروج آدم عن الجنة وأدم لم يكن كذلك، ولم يلزم منه كون ابليس أفضل من آدم، والهدهد قال لسليمان ﴿أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(١)، ولم يلزم ان يكون افضل من سليمان^(٢).

وهو على ما ترى من الضعف والقصور، ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له

(١) النمل: ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢٣٥.

من نور، وأما احتمال كون السجود له على وجه القبلة والجهة او مجرد الامتحان من دون التكريم والتعظيم اصلاً فيدفعه أنه لو كان كذلك لم يجز أنفة ابليس من ذلك بل قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ﴾^(١) وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٢) وغير ذلك من مساق ما ورد في بيان هذه القصة يدل على أن امتناع ابليس عن السجود إنما هو لاعتقاد التفضيل به والتكرمة له، فلو لم يكن الأمر على ذلك لوجب على الله إعلامه بأنه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله عليه، بل على الوجه الآخر الذي لا حظاً للتفضيل فيه، وقضية اللطف عدم جواز إغفاله مع كونه سبب معصية ابليس وضلالته.

هذا مضافاً إلى الاخبار الكثيرة الدالة على كونه على وجه التعظيم والتكريم لآدم حسبما تأتي إلى جملة منها الاشارة، ثم أنه بعد ما ثبت تفضيل آدم على جميع الملائكة بمقتضى ما تضمنته هذه القصة يثبت أيضاً تفضيل سائر الانبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين عليهم أيضاً لإطلاق الخليفة عليهم على بعض الوجوه ولأفضلية بعضهم كأولي العزم وغيرهم ايضاً على آدم، ولعدم القول بالفصل بين آدم وغيره من الانبياء.

ولذا قال السيد عليه السلام في الغرر والدرر أنه كل من قال إن آدم عليه السلام افضل من الملائكة ذهب إلى أن جميع الانبياء افضل من جميع الملائكة ولا أحد من الأمة فصل بين الأمرين^(٣).

(١) الاسراء: ٦٢.

(٢) الاعراف: ١٢.

(٣) الغرر والدرر: ج ٢ ص ٣٢٣.

قلت وأما الأئمة عليهم السلام فاصحابنا مجتمعون على تفضيلهم على كثير من الانبياء، بل الحق المستفاد من الاخبار وغيرها أنهم أفضل من جميع الانبياء سوى نبينا صلى الله عليه وآله.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، والمراد بال ابراهيم وآل عمران إما الانبياء منهم او المعصومون أو غيرهم بناءً على اجرائه على إطلاقه او عمومه، والثالث باطل بالأجماع لأن فيهم الفساق والكفار، فيتعين أحد الأولين والعالم يطلق على ما سوى الله تعالى والجمع المحلى باللام يفيد العموم، فدلّت الآية على أفضليّة هؤلاء المذكورين على جميع العالمين وفيهم الملائكة وغيرهم، وتخصيص العالمين على فرضه في قوله خطاباً لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين مع شموله لنبينا وآله وسائر اولي العزم صلى الله عليهم اجمعين، وفي قوله خطاباً لمريم واصطفاك على نساء العالمين مع شمولها لفاطمة عليها السلام ليس دليلاً على التزامه في المقام ايضاً بعد فقد الدليل عليه مع أنه قد يفسر العالمين فيهما على عالمي ذلك العصر والزمان فيندفع الاشكال عنهما وإن كان هذا أيضاً بنوع من التخصيص، وأما آية الاصطفاء فهي على عمومها للأصل، سلمنا لكن الملائكة كانوا موجودين في اعصاره هؤلاء الانبياء وفي زمان نزول الآية.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وقضية العموم

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الانبياء: ١٠٧.

كونه ﷺ رحمةً لجميع ما سوى الله من الملائكة، وهو كذلك حسبما دلت عليه الأخبار الصحيحة، وقضت به ضرورة المذهب من أنه ﷺ واوصياؤه المعصومين هم الوسائط الكلية لوصول الفيوض الالهية إلى أهل العالم، بل كينونات الملائكة إنما كانت من أشعة انوارهم، فوجوده ﷺ مظهر الرحمة وتمام النعمة ومساق الآية كما ترى على حد ما ورد من في القدسيات: «لولاك لما خلقت الافلاك»^(١). واما ما يقال من ان كونه رحمة لهم لا يستلزم كونه أفضل منهم كما في قوله: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّبِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، وأنه لا يمتنع ان يكون هو صلى الله عليه واله رحمة لهم من وجه، وهم يكونون رحمة له من وجه.

ففيه ان ظاهر الآية وساطته للرحمة الكلية، بل كونه نفس الرحمة الالهية حسبما قررناه في تفسير البسمة وكون الأمطار من آثارها غير قادح بعد ظهور ان لها مظاهر وآثار، وكونه ﷺ رحمة لهم ولغيرهم معلوم من الآية وغيرها وأما عكسه فغير واضح.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣)، بناء على كون الظرف صفة للكثير لا صلة له، ولو بمعونة الأخبار المفسرة لها بأن المراد تفضيل بني آدم على سائر الخلق بلا فرق بين تفسير السائر بالباقي او بالجميع.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ

(١) بحار الانوار: ج ١٥ ص ٢٨.

(٢) الروم: ٥٠.

(٣) الاسراء: ٧٠.

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾.

والتقريب فيه على ما مرّ، والتخصيص بعالمي أعصارهم غير قادح في
الدلالة، ودعوى الظهور أو الانصراف إلى العالمين من نوع البشر دون سائر الانواع
ممنوعة جداً سيما في العمومات التي من اقربها دلالة الجمع المحلى.

الثالث: الاخبار الكثيرة التي لا يبعد دعوى تواترها الدالة على المطلوب ففي
«العيون» و«العلل» و«الاکمال» عن الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله تعالى خلقاً افضل مني ولا اكرم عليه مني قال علي عليه السلام
فقلت يا رسول الله فانت افضل او جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله يا علي ان الله تبارك وتعالى
فضل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين. وفضلني على جميع النبيين
والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك، وان الملائكة لخدّامنا
وخدّام محبيتنا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
للذين امنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار
ولا السماء ولا الارض، فكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة
ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله تعالى خلق ارواحنا فأنطقنا
بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا واوجبه لنا من
فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد

على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتحميده وتهليله وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله ﷻ عبودية ولادم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لادم كلهم اجمعون، وأنه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرئيل مثني مثني واقام مثني مثني، ثم قال لي: تقدّم يا محمد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك فضل انبيائه على ملائكته اجمعين، وفضلك خاصّة، فتقدّمت وصلّيت بهم ولا فخر^(١)، الخبر بطوله.

وفي «الكمال» بالاسناد عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: انا سيّد من خلق الله، وانا خير من جبرئيل واسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقربين وانبياء الله المرسلين^(٢). مركز تحقيق كتاب توحيد علوم إسلامية

وفي ارشاد القلوب للديلمي عن أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول افتخر اسرافيل على جبرائيل فقال انا خير منك لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش، وانا صاحب النفخة في الصور وانا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرئيل: انا خير منك لأنّي أمين الله على وحيه وانا رسوله إلى الانبياء والمرسلين وأنا صاحب الخسوف والقذوف وما أهلك أمة من الامم إلا على يديّ فاختصما إلى الله تعالى فأوحى الله إليهما اسكتا فوعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٩ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) اكمال الدين: ص ١٥١ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٢.

قالا يا ربّ او تخلق خيراً منا ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم واوحى إلى حجب القدرة انكشفي فانكشفت فاذا على ساق العرش الايمن مكتوب لا اله الا الله محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله فقال جبرئيل: يا ربّ فاني أسألك بحقهم إلا جعلتني خادمهم قال الله تعالى قد جعلت فجبرائيل من اهل البيت وانه لخادمنا^(١).

وفي البصائر وتفسير القمي عن الصادق عليه السلام: انه ما من احدٍ من الملائكة إلا ويتقرب كل يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت^(٢)، الخبر.

وروى عن الصفار والكليني عن ابي جعفر عليه السلام قال والله ان في السماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم على أن يحصوا عدد صنف منهم ما احصوهم وأنهم ليدينون بولايتنا^(٣).

وفي البحار نقلاً عن كتاب تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام بالاسناد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِمَلَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا سَأَلْتَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي السَّمَوَاتِ أَشْهَرُ مِنْ اسْمِي، فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ وَنَظَرْتُ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا وَأَنَا أَقْبَضُ رُوحَهُ إِلَّا أَنْتَ وَعَلِيٌّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمَا بِقُدْرَتِهِ وَجَزَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَإِذَا أَنَا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاقِفًا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقُلْتُ: يَا عَلِيُّ سَبَقْتَنِي؟ فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: مِنْ هَذَا الَّذِي تَكَلَّمَهُ يَا

(١) ارشاد القلوب: ص ٢١٤ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٢٤٤.

(٢) البصائر: ص ٢١ وتفسير القمي ص ٥٨٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٠.

محمد؟ فقلت هذا علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: يا محمد ليس هذا علي بن ابي طالب، ولكنه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة علي بن ابي طالب عليه السلام، فحن الملائكة المقربون كلما اشتقنا إلى وجه علي بن ابي طالب زرنا هذا الملك لكرامة علي بن ابي طالب عليه السلام على الله سبحانه ^(١).

وفيه عنه عليه السلام علي أفضل خلق الله غيري ^(٢). الخبر.

وفيه أنه نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: خير الاولين والآخرين من أهل السموات والارضين هذا سيد الصديقين وسيد الوصيين ^(٣).
الخبر

وفي القصص بالاسناد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنا العرش فاذا خمسة اشباح فقال يا رب: هل خلقت قبلي من البشر احداً؟ قال: لا قال: فمن هؤلاء الذين أرى اسمائهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، ولا خلقت الجنة ولا النار، ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الارض، ولا الملائكة ولا الجن ولا الأنس، هؤلاء خمسة من شققت لهم اسماً من أسمائي فأنا محمود وهذا محمد، وأنا الأعلى وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة وأنا ذو الاحسان، وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي أنه لا ياتيني أحد وفي قلبه مثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلا ادخلته ناري، يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم أنجي من أنجي، وبهم أهلك من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٠٣.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٣٠٢.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٠٢.

اهلك^(١).

وفي البحار نقلاً عن كتاب تفضيل الأئمة على الانبياء للحسن بن سليمان قال ذكر السيد حسن بن كيش في كتابه باسناده مرفوعاً إلى عدّة من اصحاب رسول الله ﷺ منهم جابر بن عبدالله الانصاري وأبو سعيد الخدري وعبدالصمد بن امية وعمرو بن أبي سلمة وغيرهم، قالوا: لما فتح النبي ﷺ مكة أرسل رسله إلى كسرى وقيصر، يدعوهما إلى الاسلام أو الجزية والّا آذنا بالحرب، وكتب ايضاً إلى نصارى نجران بمثل ذلك.

فلما اتتهم رسله ﷺ فزعوا إلى بيعتهم^(٢) العظمى وكان قد حضرهم ابو حارثة اسقفهم الاوّل، وقد بلغ يومئذ مائة وعشرين سنة وكان يؤمن بالنبي والمسيح ﷺ ويكتم ذلك عن كفره قومه، فقام على عصاه وخطبهم ووعظهم والجائهم بعد مشاجرات كثيرة إلى حضارة الجامعة الكبرى التي ورثها شيث ففتح طرفها.

إلى أن قال: ثم أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفة شيث الكبرى التي انتهى ميراثها إلى ادريس على نبيّنا وآله السلام وكان كتابتها بالقلم السرياني القديم، وهو الذي كتب به من بعد نوح ﷺ ملوك الهياطلة المتماردة فافتضّ القوم الصحيفة فافضوا منها إلى هذا الرّسم، قالوا: أجمع إلى ادريس ﷺ قومه وصحابته

(١) البحار: ج ٢٧ ص ٥ ح ١٠ - عن القصص في ذيل الصفحة: هذا يعارض الروايات التي تدلّ على أن الله خلق قبل أبينا آدم أيضاً آدم، وحمله على أوّل آدم خلق الله في الارض بعيد، والحديث كما ترى من ضروريات العمّة.

(٢) البيعة: معبد النصاري واليهود.

وهم يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخيرهم بما إقتصَّ عليهم قال: إن بني
 ابيكم آدم ﷺ لصلبه وبني بنيه وذريته اجتمعوا فيما بينهم وقالوا اي الخلق عندكم
 اكرم على الله تعالى وارفع لديه مكاناً واقرب منه منزلة فقال بعضهم: أبوكم آدم
 خلقه الله ﷻ بيده وأسجد له ملائكته وجعله الخليفة في أرضه وسخر له جميع
 خلقه، وقال آخرون بل الملائكة الذين لم يعصوا الله ﷻ، وقال بعضهم: لا بل الامين
 جبرئيل فانطلقوا إلى آدم ﷺ، فذكروا الذي له قالوا واختلفوا فيه، فقال: يا بني أني
 اخبركم باكرم الخلق عند الله ﷻ جميعاً ثم قال: إنه والله ما عدا أن نفخ في الروح
 حتى استويت جالساً، فبرق لي العرش العظيم فنظرت فاذا فيه: لا اله إلا الله محمد
 خيرة الله ﷻ ثم ذكر عدّة اسماء مقرونة بمحمد ﷺ.

قال آدم: ثم لم أر في السماء موضع أديم او قال: صفيح منها إلا وفيه
 مكتوب: لا اله إلا الله، وما من موضع مكتوب فيه لا اله إلا الله إلا وفيه مكتوب
 خلقاً لا خطأ محمد رسول الله، وما من موضع فيه مكتوب محمد رسول الله إلا وفيه
 مكتوب: علي خيرة الله، الحسن صفوة الله، والحسين امين الله ﷻ، وذكر الائمة من
 اهل بيته ﷺ واحداً بعد واحد إلى القائم بامر الله عجل الله فرجه.

قال آدم: فمحمد ﷺ ومن خُط من أسماء اهل بيته اكرم الخلائق على الله
 قال فلما انتهى القوم إلى آخر ما في صحيفة ادريس قرؤا صحيفة ابراهيم ﷺ وفيها
 معنى ما تقدّم بعينه وانفضوا^(١).

وفي القصص بالاسناد عن الصادق ﷺ قال: اجتمع ولد آدم ﷺ في بيت

فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله ابونا آدم فقال بعضهم: الملائكة المقرَّبون فقال بعضهم: حملة العرش اذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرِّج عنكم فسلِّم ثم جلس فقال: في أيِّ شيء كنتم؟ قالوا كُنَّا نتفكَّر في خير خلق الله فاخبروه فقال اصبروا قليلاً حتَّى ارجع اليكم، فأتى اياه فقال يا أبت إنِّي دخلت على اخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتَّى ارجع اليكم فقال آدم على نبيِّنا وآله السلام: يا بنيَّ وقفت بين يدي الله ﷻ فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمَّد وآل محمَّد خير من برأه الله (١).

وفي جامع الاخبار بالاسناد عن جابر بن عبدالله الانصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين والائمة ﷺ من نور فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا فسبحنا فسبحوا، وقدسنا فقدسوا، وهللنا فهللوا، ومجدنا فمجدوا، ووحدنا فوحدوا ثم خلق الله السموات والأرضين وخلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقدسياً ولا تمجيداً، فسبحنا وسبحت شيعتنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا، وقدسنا فقدست شيعتنا فقدست الملائكة لتقدسنا، ومجدنا فمجدت شيعتنا فمجدت الملائكة لتمجيدنا، ووحدنا فوحدت شيعتنا فوحدت الملائكة لتوحيدنا، وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقدسياً من قبل تسبيحنا وتسبيح شيعتنا، فنحن الموحِّدون حين لا موحد غيرنا وحقيق على الله تعالى كما اختصنا واختص

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٨٢ ح ٣٧.

شيعتنا أن ينزلنا أعلى عليين، إن الله سبحانه وتعالى إصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن تكون أجساماً، فدعانا وأجبنا، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالى^(١).

وفيه دلالة على تفضيل شيعتهم على الملائكة من حيث سبق الخلق ووساطة التعليم، وغير ذلك.

وعن كتاب المُختَصَر للحسن بن سليمان بالاسناد عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي أنا سيد الانبياء، وانت سيد الأوصياء، وأنا وانت من شجرة واحدة، ولولانا لم يخلق الله الجنة ولا النار، ولا الانبياء ولا الملائكة، قال: قلت: يا رسول الله فنحن أفضل أم الملائكة؟ فقال: يا علي نحن أفضل، ونحن خير خليفة الله على بساط الارض وخيرة الله على ملائكته المقرين، وكيف لا نكون خيراً منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده، فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا اهتدوا السبيل إلى معرفة الله^(٢).

وفيه عن المفضل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال: كنا أنوارا نسبح الله تعالى ونقدسه حتى خلق الله الملائكة فقال لهم الله ﷻ: سَبِّحُوا، فقالت اي ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سَبِّحُوا فسَبَّحْنَا، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ألا إننا خلقنا أنواراً وخلقنا شيعتنا من شعاع ذلك التور، فلذلك سميت شيعة، فاذا كان يوم القيمة التحقت السفلى بالعليا، ثم

(١) جامع الأخبار: ص ٩ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

قَرَّبَ ما بين اصبعيه (١).

وفي الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام انَّ يهودياً سأل أمير المؤمنين عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟ فقال علي عليه السلام لقد كان ذلك، ولكن أسجد الله لادم ملائكته فان سجودهم لم يكن سجود طاعة، أنهم عبدوا آدم من دون الله تعالى، ولكن اعترافاً لادم بالفضيلة، ورحمةً من الله له ومحمد صلى الله عليه وآله أعطي ما هو افضل من هذا إنَّ الله جلَّ وعلا صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبَّد المؤمنون بالصلوة عليه، فهذه زيادة له يا يهودي (٢).

وفي تفسير العياشي وغيره عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله حضرت الصلوة فأذن وأقام جبرئيل فقال يا محمد تقدّم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تقدّم يا جبرئيل فقال له إنا لا نتقدّم الأدميين مذ أمرنا بالسجود لادم (٣).

وفي العلل عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبل فاطمة، فقالت له: اتحبها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمت حبي لها لازددت لها حباً إنَّه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل ثم قيل لي: أدن يا محمد فقلت أتقدّم وأنت بحضرتي يا جبرئيل؟ قال: نعم إنَّ الله تعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضلك أنت خاصة، فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة ثم التفت عن يميني فإذا أنا بابراهيم عليه السلام في روضة من رياض الجنة

(١) بحار الانوار: ج ٢٦ ص ٣٥٠.

(٢) البحار: ج ١٠ ص ٢٩.

(٣) البحار: ج ١٨ ص ٤٠٤ عن تفسير العياشي.

وقد اكتنفها جماعة من الملائكة^(١)، الخبر.

الرابع: انَّ عبادة البشر أشقُّ وأصعب فوجب أن يكون افضل، أما الصغرى فلانَّ للبشر شواغل عن الطاعات العلميَّة والعملية، من الشهوات النفسانية، والدَّواعي الجسمانية، والقوى البهيمية والسبعية الدَّاعية إلى ثوران الشهوة والغضب، والاشتغال بالامور الحسنة والعوارض الجسمية، وغير ذلك من الحاجات والخيالات الشاغلة والموانع الداخلة والخارجة، سيما مع تعاضد الهوى ووسوسة الشيطان بجنوده في صدورهم، وخفاء الحقِّ وقلَّة أهله، وشيوع الباطل وكثرة جنده، مضافاً إلى ما يقاسون من الأمراض البدنية والاعراض النفسانية والعاهاات الجسمانية.

والملائكة ليس لهم شيء من ذلك فلا يعارض دواعي طاعتهم شيء من الإرادات المضادة والموانع الطارئة بل عباداتهم كالأقوات الممدة لأرواحهم يلتذون بها، وأما الكبرى فلانَّ ايثار رضا الله تعالى مع صعوبته ومشقته على النفس دليل على كمال العبودية والإتياد ألا ترى أنَّ الشَّيخ الذي له ميل إلى النساء إذا امتنع عن النساء فليست فضيلة كفضيلة من يمتنع عنهنَّ مع شدَّة الشبق والشهوة الهائجة.

هذا مضافاً إلى النبوي المشتهر أفضل العبادات أحمرها^(٢) أي اشقها على النفس.

وتوهم أنَّ للملائكة ايضاً شهوة داعية إلى المعصية، وهي حبُّ الرياسة كما

(١) علل الشرايع: ص ٧٢ وعنه البحار ج ١٨ ص ٣٥٠ ح ٦١.

(٢) البحار: ج ٧٠ ص ١٩١ وص ٢٣٧.

يؤمي إليه مقاتلهم في أمر الخلافة وامتحانهم بالسجود، بل وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١).

مدفوع بعد الغضِّ عمّا فيه بأنهم إنما يطلبون الرياسة الحقّة التي توجب مزيد القرب، والكرامة، وأين هذا من طلب الرياسات الباطلة التي هي من مقتضيات النفس الامّارة وجنود الجهل.

وعلى فرض التسليم فللبشر مضافاً إلى ذلك أنواع كثيرة اخرى من الشهوات، ومن البيّن أنّ المبتلى بأنواع كثيرة منها تكون الطاعة عليه أشقّ من المبتلى بشهوة واحدة.

وامّا ما يقال في دفع هذه الحجّة من أنّ العبادة مع كثرة البواعث والشواغل إنّما تكون أشقّ وأفضل من الأخرى إذا استويا في المقدار وباقي الصفات، وعبادة الملائكة أكثر وأدوم، فإنّهم يسبحون الليل والنهار ولا يفترون، والاخلاص الذي به القوام والنظام واليقين الذي هو الاساس والتّقوى الذي هو الثمرة فيهم أقوى وأقوم، لأنّ طريقهم العيان لا البيان.

وايضاً ينتقض ذلك بما أنا نرى الواحد من الصّوفية يتحمّل في طريق المجاهدة من المشاقّ والمتاعب ما تقطع بأنه ﷺ لم يتحمّل مثلها، مع أنا نعلم أنّ محمداً ﷺ افضل من الكلّ، وما ذاك إلا أنّ كثرة الثواب تترتب على كثرة الإخلاص، فربما يكون الفعل أسهل على فاعله ويكون الثواب اكثر لكثرة اخلاصه. ففيه أنّ مبنى الإستدلال إنّما هو على التفاضل من حيث تحمّل كثرة المشقّة

والألم في الطاعة والالتقياد، وقضية تفضيل الأنبياء وهو المطلوب، وأما معارضة سائر الصفات الموجبة للتعكيس فلم يظهر دليل عليها، ومجرد الجواز لا يدل على الوقوع، ودعوى أن الاخلاص واليقين والتقوى فيهم أشد وأقوى في حيز المنع كيف وهو أول الكلام، بل التحقيق أن ظهور هذه الصفات في الأنبياء أقوى منه في غيرهم حتى الملائكة، لأن أخشى الخلق أعلمهم بالله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) وقد نصت الآية وغيرها على كون آدم أعلم وأتقن هو المستأهل للخلافة العلمية ومنصب التعليم، فاذا اقترنه العمل من جميع الجهات كما هو مقتضى العصمة فقد تمت له الفضيلة بشرطها، وأذعن له الرياسة الكبرى بقرنها، وأما دوام العبادة وعدم الفتور فلا تظن إختصاصه بالملائكة ضرورة أن أرواح الأنبياء سبقهم في عالم الأنوار والأرواح بالاجابة، وعبده قبل خلقه الملائكة وكانوا مستمرين على عبادتهم إلى أن أمروا بالظهور في هذا العالم الجسماني لمصالح قضت بها العناية الكلية والمصلحة الربانية، فصحبوا أهل هذا العالم بأبدان ارواحها معلقة بالملكوت الاعلى فكأنهم وهم في جلايب من أبدانهم العنصرية قد نضوها وتجردوا عنها إلى عالم القدس وحضرة الأنس، وأما اذا فارقوا هذا العالم فلا تظن أنهم إذا ماتوا فاتوا، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون، باستنشاق نفحات قدسه واستضاءة تجليات وجهه.

وبالجملة فالظاهر سلامة الدليل المذكور عن وصمة الاشكال سيما بعد ما أشير اليه في الخبر المروي في «العلل» عن عبدالله بن سنان قال: سألت ابا عبدالله

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت، الملائكة افضل أم بنوا آدم؟ فقال؛ قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، ان الله تعالى ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم ^(١).

وفي المروي في تفسير الامام والاحتجاج عن أبي محمد العسكري عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه أمر العقبة ان المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ أخبرنا عن عليّ اهو أفضل ام ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهل شرفت ملائكة الله إلا بحبها لمحمد وعليّ، وقبولها لولايتهما أنه لا أحد من محبي عليّ عليه السلام وقد نظف قلبه من قدر الغشّ والدغل والغلّ ونجاسة الذنوب إلا لكان أظهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم اذا رُفِعوا عنها إلا وهم يعنون انفسهم أفضل منهم في الدين فضلاً، وأعلم بالله وبيدنه علماً، فأراد الله تعالى أن يعرفهم أنهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلمه الأسماء كلها ثم عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها وعرفهم فضله في العلم عليهم.

ثم أخرج من صلب آدم ذريةً منهم الانبياء والرسل والخيار من عباد الله، أفضلهم محمد ثم آل محمد صلى الله عليهم أجمعين، ومن الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمد وخيار أمة محمد صلى الله عليه وآله، وعرف الملائكة بذلك أنهم افضل من الملائكة اذا احتملوا ما حملوه من الأثقال وقاسوا ما هم فيه من تعرّض أعوان

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

الشياطين ومجاهدة النفوس، واحتمال أذى ثقل العيال والاجتهاد في طلب الحلال، ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداء، من لصوص مخوفين، ومن سلاطين جورة قاهرين، وصعوبة المسالك في المضائق والمخاوف والاجزاع والجبال والتلال لتحصيل أقوات الانفس والعيال من الطيب الحلال، عرّفهم الله ﷻ أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلياء،

ويتخلّصون منها، ويتحاربون الشياطين ويهزمونهم^(١) ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها ويغلبونها مع ما ركبت فيهم من شهوة الفحولة، وحبّ اللباس والطعام والعزّ والرئاسة والفخر والخيلاء، ومقاساة العناء والبلاء من ابليس لعنه الله وعفرارته وخواطرها وأعاونهم واستهوائهم ودفع ما يكيدونه من ألم الصبر على سماع الطعن من أعداء الله وسماع الملاهي والشتم لأولياء الله، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم، والهرب من أعداء دينهم، والطلب لمن يأملون^(٢) معاملته من مخالفيهم في دينهم.

قال الله ﷻ: يا ملائكتي؛ وانتم من جميع ذلك بمعزل لا شهوات الفحولة تزعجكم، ولا شهوة الطعام تخفركم، ولا الخوف من أعداء دينكم ودنياكم ينخب^(٣) في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سمواتي وارضى سبيل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم فمنهم؛ يا ملائكتي فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات

(١) في النسخة المخطوطة: ويهزمونهم (بالحاء المهملة) ولعلّه (لو لم يكن مصحفاً) من حزم النفوس: شدّ حزامه - والحزام: ما يشدّ به وسط الدابة.

(٢) في البحار: أو الطلب لما يأملون معاملته.

(٣) النخب: انزع، ورجل نخب (بكسر الخاء): جبان.

والنكبات فقد احتمل في جنب محبتي ما لم تحتملوا واكتسب من القربات إليّ ما لم تكتسبوا، فلما عرف الله ملائكته فضل خيار أمة محمد ﷺ وشيعة عليّ عليه السلام، وخلفائه عليهم السلام، واحتمالهم في جنب محبة ربهم ما لا تحتمله الملائكة أبان أنّ بني آدم الخيار المتقين بالفضل عليهم فلذلك.

ثمّ قال فاسجدوا لآدم لما كان مشتملاً على انوار هذه الخلايق الافضلين، ولم يكن سجودهم لادم، إنّما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله ﷻ، وكان بذلك معظماً له مبعجلاً، ولا ينبغي لاحد أن يسجد لأحد من دون الله تعالى يخضع له خضوعة لله ويعظمه بالسجود له، كتعظيمه الله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم عليّ وصي رسول الله ومخصّ وداد خير خلق الله عليّ بعد محمد رسول الله واحتمل المكاره والبلايا في التصريح باظهار حقوق الله فلم ينكر عليّ حقاً ارقبه عليه وقد كان جهله او اغفله^(١). الخبر

وهو كما ترى صريح في تقرير الحجّة المذكورة باتّمة بيان وأحسنه، بل فيه دلالة ظاهرة على تفضيل الفاضلين من شيعتهم على الملائكة، ويظهر ذلك ايضاً من بعض الاخبار المتقدمة الدالة على أنّ الملائكة لخدامهم وخدام محبيهم، ومن العلوي المروي عن «العلل»^(٢) من فضل بني آدم على الملائكة معللاً بما مرّ.

بل عن صحيفة الرضا بالاسناد عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ قال: مثل

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٦ - ١٣٨ عن تفسير الامام عليه السلام والاحتجاج.

(٢) البحار: ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

المؤمن عند الله كمثله ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله ﷻ أعظم من الملك، وليس شيء أحب إلى الله من مؤمن نائب أو مؤمنة تائبة^(١).

وعنه بالاسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن ليعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده، وأنه أكرم عند الله ﷻ من ملك مقرب^(٢). إلى غير ذلك مما يستفاد منه فضل المؤمن على الملائكة، أو الملك المقرب، وإن لم يجد في ذلك كلاماً محرراً لأحد من الأصحاب، نعم قال المجلسي ﷻ: لا خلاف بين الامامية في أن الانبياء والأئمة ﷺ أفضل من جميع الملائكة، والأخبار في ذلك مستفيضة، وأما سائر المؤمنين ففي فضل كلهم أو بعضهم على جميع الملائكة أو بعضهم فلا يظهر من الآيات والأخبار ظهوراً يتناهي عن الحكم بأحد الجانبين، فنحن فيه من المتوقفين^(٣).

وفيه أنه لا ينبغي التأمل في فضل بعض المؤمنين على كثير من الملائكة، لو لم نقل كلهم بعد دلالة الأخبار المتقدمة، مع أنه قد روي عن الصادق ﷻ أنه قال: إن في الملائكة من باقة بقل خير منه^(٤)، ولا في فضل بعض الملائكة كحملة العرش والعالين وروح القدس وغيرهم على كثير من المؤمنين لو لم نقطع بفضلهم على غير المعصومين ﷺ وإنما الكلام في المتوسطين عن الفريقين، ورد العلم في ذلك إلى أهله أوفق بالاحتياط وأقرب إلى النجاة.

(١) صحيفة الامام الرضا ﷺ: ح ٢٧ وعنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٦.

(٢) الصحيفة: ح ٣٦ وعنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢٨٥.

(٤) البحار: ج ٥٧ ص ٣١٣.

بقي الكلام في انّ الاستفادة من الوجه المتقدم بل وبعض الاخبار المتقدمة خصوصاً المروي عن (١) العسكري عليه السلام انه ليس للملائكة شهوة الحيوان، ولا ميل إلى أنواع اللذات الدنيوية، ولذا استشكل بعضهم بأنه اذا كان الله تعالى قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتى يفضلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين، قال في الأنوار النعمانية: وهذا المعنى قد اشكل على جماعة من الاصحاب حتى أنّ شيخنا المعاصر أدام الله أيامه يعني به المجلسي عطر الله مرقده ذهب إلى أنّ الملائكة لهم نوع من الميل إلى اللذات الحسيّة، لكنهم يجاهدون أنفسهم ويمنعونها عن الارادات البشريّة، حتى يكون لهم جزيل من الثواب، ويستحقّوا محامد الثناء والتفضيل قال عليه السلام: والجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله: أنّ الله سبحانه قد أقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها، وإن كان قوّة الملائكة على العبادات أشدّ وأكثر، والبشر مع قدرتهم على أكثر أنواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها واقبلوا على تركها، وأمّا الملائكة فقد أقبلوا على فعلها والإتيان بما وصلت إليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذّة عندهم، كاستلذاذ الأكل والشرب عندنا فهم يأتون بكلّ ما يقدرون عليه من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، ونحن إنّما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف والمشقة والخوف من العقاب، فهم فضّلونا بإتيانهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثمّ قد وقع من بعضهم الترك حتى عوقب عليه، فاحترقت اجنحته وسقط عن مقامه كما وقع للملك الذي وقع من السماء في زمن ادريس على

(١) البحار ج ١١ ص ١٣٦ تقدّم ذكره.

نبينا وآله وعليه السلام حتى لجأ إلى ادريس، فدعى له فرجع إلى مقامه وكما وقع للملك الذي فتر عن العبادة في عصر النبي ﷺ فسقط أيضاً من عالم الملكوت ولجأ إلى الحسين ﷺ فتمسح به ورجع ببركة الحسين ﷺ إلى مقامه، وأما الانبياء والأئمة عليهم السلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتصافهم بالقوى الحيوانية فهم أفضل من الملائكة كما إنعقد عليه إجماعنا، ومن ثم كان العامل منا بما يطبق من انواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب ودلت عليه بعض الاخبار^(١).

أقول: وهذا الكلام لا باس به غير ان نسبة ترك العبادة واستحقاق العقوبة إلى الملائكة الذين قامت ضرورة المذهب على عصمتهم، ليس ممّا ينبغي، وأمثال تلك الأخبار على فرض صحتها لها وجه آخر سنشير إليه في قصة هاروت وماروت انشاء الله تعالى.

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم اسلامی

❖ نقض و ابرام على دفع حجج

❖ مفضلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام

استدلوا بوجوه من المنقول والمعقول نستقصي الكلام بذكرها والجواب عنها وان كنا في غنية عن ذلك كله، بعد دلالة الاجماع بل ضرورة المذهب فضلاً عما سمعت من الآيات والأخبار على ما مرّت الإشارة إليه من تفضيل الانبياء والأئمة عليهم السلام.

(١) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢١٤-٢١٥.

أما الوجوه النقلية فمنها قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) حيث إن ظاهر العطف في امثال المقام الترقى من الأدنى إلى الأعلى سيما مع تخصيص الملائكة بالمقربين منهم لكونهم افضل كما يقال افضل كما يقال: هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا الملك المقتدر، وهذا الحجر لا يقدر على حمله العشرة ولا المائة اولو القوة إذ من البين أنه لا يقال: في الأول ولا الجندي، ولا في الثاني ولا الواحد، فضلاً من أن يوصفا بالحاجة والضعف او يوصف بهما الاولان.

والجواب ان الكلام إنما سيق لرد مقالة النصارى في المسيح حيث ادعوا فيه مع النبوة البتة بل الالهية والترفع عن العبودية، ثم استطرد الكلام في رد من زعم ان الملائكة بنات الله كما قال: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾^(٢) وقال: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾^(٣) وتقديم الاول لسبق الخطاب مع أهل الكتاب في أمره في الآيات المتقدمة.

وقد يجاب أيضاً بان الواو لمطلق الجمع، فتدل على أن المسيح لا يستنكف والملائكة لا يستنكفون، وأما الترقى والتفضيل فغير مستفاد اصلاً كما في قوله: ﴿وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾^(٤) وقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) الزخرف: ١٦.

(٤) المائدة: ٢.

بِحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ ﴿١﴾، وكذا قولك: ما أعانني على هذا الامر زيد ولا عمرو، وما اقترضت من زيد ولا من عمرو.

نعم ربما يستفاد الترقى إذا علم كون المعطوف أقوى في المعنى المراد، وأما إذا لم يُعلم ذلك فإثباته بمجرد العطف لا يخلو عن دور.

وبأنّ النَّصَارَى إنما توهموا فيه البنوة بل الألوهية لكونه روح الله ولد من غير أب، ولما ظهر فيه من صفات الرّوحانيّين من إخبار بما يأكلون وما يدخرون، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى، ولا يسعد أن يكون الملائكة المقربون الموكّلون بتلك الشؤون أرفع في هذا المعنى وأقدر على تلك الشؤون والمعنى لا يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو فوقه في هذا المعنى، وهم الملائكة الذين لا أب ولا أمّ ويقدرّون على ما لا يقدر عليه عيسى، وابن هذا من سائر الكمالات العلميّة والعملية الموجبة لمزيد القرب وكثرة الثواب.

وبأنّه يجوز أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى قومٍ يعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم، كما يقول أحد منّا: لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك، وإن كان القائل يعتقد أنّ أباه أفضل، وإنّما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب وهو ضعيف.

وبأنّه مع تقارب المراتب وتداني الدّرجات يحسن أن يؤخّر ذكر الأفضل الذي ليس بينه وبين غيره فضل تفاوت كما يقال: لن يستنكف من خدمتي هذا الخادم ولا هذا الخادم، ولا ذلك وإن كان بينهم ضرب من التفاضل من بعض

الجهات الذي لم يساق الكلام للتنبيه عليها.

وبأنه إنما اُخِرَ ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة أكثر ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً وهذا لا يدل على تفضيل كل منهم على المسيح، وهو كما ترى.

وأما ما يجاب به أيضاً من تسليم فضل الملائكة على المسيح وان كان نبينا ﷺ مفضلاً عليهم كلهم نظراً إلى أن المقصود اثبات القضية الجزئية فضعيف جداً.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) حيث خصهم بالذكر بعد التعميم الشامل للأنبياء وغيرهم، ووصفهم بالاستكانة والتواضع ودوام الامتثال والخوف وترك المخالفة على وجه الاطلاق، وفيه اشارة إلى أن غيرهم ليس كذلك، وإن اسباب التكبر والتعظم حاصلة لهم.

على أنه يستفاد منه الاحتجاج بعدم استكبارهم على أن غيرهم وجب أن لا يستكبر، ولو كان البشر أفضل منهم لما تمّ هذا الاحتجاج ألا ترى أن السلطان إذا اراد أن يقرّر على رعيته وجوب طاعتهم له يقول: الملوك لا يستكبرون عن طاعتي ولا يحسن منه ان يحتج عليهم بطاعة الضعفاء والمساكين له.

والجواب أن الآية إنما تدلّ على الفضيلة لا الأفضلية، وفائدة التخصيص بعد التعميم التنبيه على حالهم تمهيداً لردّ من زعم من مشركي مكة أنهم بنات الله، ولذا

قال بعد هذه الآية بفصل قليل: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِكُلِّ أَلْبَانٍ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(١)، الآيات.

على أنه قد يقال: لا نزاع في أن الملائكة أشد قوة وقدرة من البشر، ولو في زعم المخاطبين واعتقادهم، فكأنه يقول إن الملائكة مع شدة قوتهم وطول أعمارهم لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع ضعفهم وعروض الفتور والهرم والمرض بالنسبة إليهم أولى بأن لا يتركوا العبادة، وهذا القدر كافٍ في صحة الاستدلال، وأين هذا من الدلالة على الافضلية بمعنى كثرة الثواب والاقربية؟

ثم أنه يحتمل في الآية أن يكون ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ بياناً للموصولة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ عطفاً عليها لظهور الدبيب في حركة الاجسام، فيكون المراد إستيعاب الماديات والمجردات بناءً على القول بتجرد الملائكة ولذا استدل بها عليه على ما يأتي.
ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٢).

والتقريب قريب مما مر من جهة التخصيص بعد التعميم للتشريف والتكريم والتوصيف بدوام التسبيح ونفي الاستكبار والاستحسار والفتور، على أن المراد بالعندية عندية القرب والشرف لا عندية المكان والجهة.

والجواب ظاهر بعدما سمعت، والعندية حاصلة للمؤمنين ايضاً: ﴿فِي مَقْعَدٍ

صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾^(٣)، وفي القدسيات: أنا عند المنكسرة قلوبهم^(٤).

(١) النحل: ٥٧.

(٢) الانبياء: ١٩ - ٢٠.

(٣) القمر: ٥٥.

ومنها: قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾^(٥)، حيث إن ظاهره ولو بمعونة غيره من الآيات والأخبار كونهم رسلاً إلى الأنبياء، والرسل أفضل من المرسل إليه، سلّمنا كونهم رسلاً إلى الملائكة، لكن الرسول الذي كلّ امته رسل معصومون أفضل ممّن ليس كذلك، وهو يتمّ على الوجه الاول ايضاً.

والجواب أنّ الرسالة قد تكون على وجه الحكومة والولاية على النفس والمال وغيرهما وهذا يدلّ على الفضيلة، وقد تكون على وجه الإخبار والإعلام ومجرّد التبليغ، ولا دلالة فيه على الأفضلية كما يرسل السلطان إلى وزيره واحداً من غلمانه لإعلامه ببعض مقاصده، ولو مع اطلاع الوزير قبل ذلك بما أخبره به لاقامة بعض الرسوم ودفع لجاج الخصوم، فمجرّد الوساطة في التبليغ لا يدلّ على الأفضلية.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(٦)، فلو لم يكن حال الملائكة أفضل من حال النبي لم يحسن منه مثل هذا الكلام.

والجواب أنّ الغرض من سوق الكلام إنّما هو نفي ما لم يكن عليه لا التفضيل لذلك على ما هو عليه، ولذا عطف عليه في الآية الاخرى ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾^(٧) وهذه منزلة خسيصة ينبغي تنزيه النبي

(٤) في البحار: ج ٧٣ ص ١٥٧: قيل لرسول الله ﷺ: أين الله؟ فقال ﷺ: عند المنكسرة قلوبهم.

(٥) فاطر: ١.

(٦) الانعام: ٥٠.

(٧) هود: ٣١.

عنها على أنه إنما قال ذلك حين استعجلته قريش العذاب الذي أوعدوا به بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١)، والمعنى أنني لست بملك موكل بالعذاب حتى انزله عليكم باذن الله كما كان ذلك بجبرئيل وغيره من الملائكة، أو أنهم سألوه الامور العظيمة اقتراحاً كصعود السماء واسقاطها كسفاً وتفجير العيون من الأرض وغيرها فاجاب بانني بشر عليّ إقامة الحجّة والهداية على الطريقة السوية، ولست بملك موكل بهذه الامور كما حكى عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢).

ومنها قوله تعالى في بيتي آدم: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٣)، بناءً على أن المكلفين من مخلوقاته سبحانه أفضل من غيرهم، وجملة المكلفين اربعة انواع: الملائكة، وبنو آدم، والجن، والشياطين، ولا ريب ان بني آدم افضل من الاخيرين، فلو كانوا افضل من الاول ايضاً لكانوا افضل من جميع ما خلقه فلا يستقيم التفضيل على الاكثر المشعر بعدم التفضيل على القليل سيما في مقام الامتنان بالتشريف والتكريم.

(١) الانعام: ٤٩.

(٢) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٣) الاسراء: ٧٠.

والجواب أنك قد سمعت أن الآية دليل لنا لا علينا، ولو بمعونة الأخبار المفسرة لها حسبما مرّ شطر منها، ولعلّ المعنى على ما قيل إنا فضلناهم على من خلقناه وهم كثير من دون أن يريد التبويض فيجري مجرى قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(١)، أي كلّ ثمن اخذ عنها فهو قليل من دون ان يريد التخصيص بان يمنع عن الثمن القليل خاصّة ومثله قول الشاعر:

من اناس ليس من اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وانما اراد نفي الفحش والجزع على إطلاقهما وان وصفهما على صورة التقييد، مع أنه يمكن أن يكون المراد هو التفضيل في وجوه الكرامة المذكورة في الآية من رزق الطيبات وحملهم في البرّ والبحر وأين هذا من الافضليّة بالاقربيّة واكثرية الثواب، سلّمنا لكنّه لا حجّية في دليل الخطاب في مثل المقام على ما قرّر في الأصول من عدم حجّية مفهوم العدد واللقب ونحوهما، سلّمنا لكنّه باعتبار مقابلة المجموع بالمجموع.

ومنها قوله تعالى: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢)، أي إلا كراهة أن تكونا ملكين فرغبهما في تناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتّى دلاهما بغرور، وذاقا منها فبدت لهما سؤاتهما، ومن البين أنّ التغرير إنّما يحصل بالترغيب على منزلة هي فوق منزلته حتّى يحمله ذلك

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الاعراف: ٢٠.

على مخالفة الله ومعصيته طمعاً في الإرتقاء إلى منزلة الملائكة، وهو دليل على فضلهم عليهما.

والجواب أنه من المحتمل قوياً أن يكون المراد اختصاص النهي بهذين الفريقين اعني الملائكة والخالدين فكان غرض إبليس ايقاع الشبهة لهما بأنه إنما تعلق النهي بهما وإن عدم الاكل مختص بمن كان ملكاً او مخلداً فيها، وهذا كما تقول لواحد من فقراء السادات: ما حرم الله عليك أخذ الخمس إلا أن تكون غنياً او من غير بني هاشم اي بكونك كذا وكذا، وهذا كما ترى لا يدل على كونهما أفضل منه، سلمنا أن الصورة الملكية والخلود كانا مرغوبين لهما لكنه لا يدل على زيادة الفضل وكثرة الثواب والقرب بحصول شيء منهما، ولعله إنما رغبهما في أن يكونا مساوين لهم في التجرد والانسلاخ عن عوارض التركيب وان اختصا عنهم بمزيد الاجر والثواب كما أنه رغبهما في الخلود الذي لا يقتضي مزية في الثواب، وإنما هو نفع عاجل، بل من البين ان كلاً من الخلود والملكية ينافي زيادة الإستحقاق ورفع الدرجة.

وأما ما يجاب عنه ايضاً من أن هذا قول إبليس فلا يكون حجة، وآدم وان اعتقد صحة ذلك إلا أنه لم يكن نبياً في ذلك الوقت، وايضاً لعله كان مخطئاً في ذلك الاعتقاد لجواز الزلة على الانبياء، سلمنا كونه حجة لكن آدم عليه السلام لم يكن قبل الزلة نبياً فلم يلزم من فضل الملك عليه حينئذ فضله عليه بعد نبوته، فلا يتم شيء منهما على الاصول المقررة عندنا كما لا يخفى، ولعله إنما ذكره من ذكره منا على وجه الفرض والتقدير، كما أنه يمكن أن يقال: سلمنا دلالتها على فضله على آدم لكنها لا

تدلّ على فضله على أولي العزم الذين هم افضل من آدم، وايضاً لا تدلّ على فضل الملك على نبيّنا وآله الطاهرين صلّى الله عليهم اجمعين الذين هم افضل من جميع الانبياء والمرسلين.

ومنها قوله تعالى حكاية عن النسوة على وجه التقرير في تفاوت الدرّجة لا النفي ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾^(١) بناءً على أنه ليس المراد وقوع التشبيه في الصورة بل في السيرة حيث أنه شبيهه بالملك الكريم، والملك إنّما يكون كريماً بسيرته المرضية التي هي نفي دواعي البشرية من الشهوة والغضب والحرص على طلب المشتهى واثبات اضدادها من العصمة وغيض البصر وقمع موادّ الشهوات والميل إلى المحرّمات، قدلّ على أنّ جنس الملك أفضل من جنس البشر حتّى بالنسبة إلى نوع الانبياء كما هو قضية المورد.

والجواب أنّ هؤلاء النسوة أول ما رأين من يوسف إنّما هو حسن الصورة وكمال الجمال بحيث لم يرين مثله أحداً من الرجال ولذا نفين عنه البشرية وظهر لهن عذر امرأة العزيز في شدة عشقها له وعند ذلك قالت ﴿فَدَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾^(٢) ولذا قيل إنه كالصريح في أنّ المراد إنّما هو حسن الصورة لا كمال السيرة، سلّمنا أنّ المراد هو التشبيه في الاعراض عن المشتهيات إلاّ أنّه قد ظهر ممّا مرّ أنّ قليل الاعراض من البشر يوجب كثير الثواب وكثير الاعراض من الملك يوجب قليل الثواب لمعارضة القوى المتضادة في البشر دون الملك.

(١) يوسف: ٣١.

(٢) يوسف: ٣٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾^(١)، الشامل بعمومه لجميع المكلفين حتى الانبياء والمرسلين فيدلّ على أفضلية الملائكة لحفظهم وكتابتهم المقصودة للشهادة لهم وعليهم بأعمالهم.

وضعه واضح فإن شيئاً من الحفظ والشهادة غير مستلزم للافضلية او المفضولية، ولذا يصحّ استنادهما إلى الله وإلى رسوله وإلى مَنْ دون المكلف من الجمادات والنباتات وسائر اجزاء العالم، ولذا ورد أنه خير حافظاً وأنه تعالى يستشهد على الأمم برسولها وعلى الرسل بنبيها وآله صلى الله عليهم وأنه يستشهد على ابن آدم بالساعات والشهور والبقاع والأرضين وغيرها.

ومنها قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٣)، فإن أولى العلم في الاولى يشمل الرسل والتقدم الذكري فيهما سيّما بملاحظة الاستداء به سبحانه ووقوعه في كلام الحكيم على الاطلاق يدلّ على التقدم بحسب الرتبة والشرف.

ويضعف بان الواو لمطلق الجمع واستفادة الاشرفية من مجرد الترتيب ضعيفة جداً سيّما بعد ما سمعت من الآيات والصحاح الصراح ويؤيده تقديم الكتب على الرسل في المقام.

ومنها قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدَ الْقُوَى﴾^(٤)، فإنه يدلّ على أن جبرئيل وهو

(١) الانطار: ١١.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

(٤) النجم: ٥.

واحد من الملائكة علم محمداً ﷺ وهو خاتم النبيين وأفضل المرسلين ولا ريب أن المعلم أفضل من المتعلم وإذا ثبت فضله عليه ثبت فضله على الجميع، وإيضاً وصفه في الآية بشدة القوى وغيرها من الأوصاف المذكورة في الآيات التالية.

وقد يقرر اعلمية جبرئيل بأن العلوم قسمان: أحدهما العلم بالمبدء الحق وصفاته واسمائه وهما مشتركان في معرفته، والآخر العلم بأفعاله واحوال مخلوقاته من الذرة إلى الذرة، ولا شك أن جبرئيل ﷺ أعرف بها لأنه أطول عمراً وأكثر مشاهدة لها فكان علمه بها أكثر واتم هذا في العلوم الكونية وأما العلوم الشرعية التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي فهي لم تحصل لمحمد ﷺ ولا لاحد من الانبياء إلا بواسطة جبرئيل الذي هو أمين الوحي ولذا كان واسطة بينه تعالى وبين جميع الانبياء فكان عالماً بجميع الشرائع والأحكام مع علمه بشرايع الملائكة أيضاً ولم يحصل هذه العلوم لواحد من الانبياء، وقد قال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

والجواب أن الأعلمية ممنوعة جداً كيف وقد تواترت الأخبار بأن النبي والأنمة صلى الله عليهم كانوا معلمين لجبرئيل وغيره من الملائكة المقربين، وأن الملائكة لخدمهم وخدام محبتهم، وأن جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ كان يقعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه وأنه ما شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي ﷺ وقبولها لولايتها، وأن الملائكة إنما خلقوا بعد شيعيتهم وسبحوا بعد تسييحهم معلماً منهم والا فقد مكثوا مائة عام لا يعرفون تسييحاً ولا تهليلاً إلى غير

ذلك ممّا مرّت إليه الإشارة في الاخبار المتقدّمة.

وأما الآية فالمراد بها التعليم الظاهري في هذا العالم اقامة لرسم التبليغ ووظيفة الرسالة حسبما نشير اليه في تفسيرها، مع أنّ فيها وجهاً آخر وهو نسبة التعليم إليه سبحانه كما يظهر من تفسير القمي وغيره هذا مضافاً إلى ما دلّت عليه الآية من كون آدم معلماً لهم بامر الله تعالى ارشاده وأنه علّمهم الاسماء كلّها بعد ما لم يعلموها، وأما التقسيم المقرّر لبيان أعلميّة جبرئيل ففيه وجوه من الاختلال، وذلك للمنع عن الاشتراك في قدر المعرفة وان سلّمناه في أصلها، وذلك لأنّ المعرفة على حسب الاستعداد والرتبة والقرب والعبوديّة وقد سمعت تأخّر رتبة جبرئيل عنهم بل عن بعض شيعتهم كالعالمين والكروبيين وغيرهم، وأما العلم بالأمر الكونيّة فالاعلم بها من أشهدهم الله تعالى وجعلهم الأشهاد والأعضاء في تكوينها، وأما الاحكام الشرعيّة فقد ورد في كثير من الاخبار تفويضها إليهم كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) بحسب التأويل^(٢) وتذكر في ذلك كلّ قوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٤).

ومنها ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: قال الله ﷻ يا ابن آدم اذكرني

(١) ص: ٣٩.

(٢) راجع تفسير الصافي: ج ٤ ص ٣٠١ ط دار المرتضى بمشهد.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) القيامة: ١٧.

في ملاً اذكرك في ملاً خير من ملاك^(١).

وفيه مرفوعاً قال: قال الله ﷻ لعيسى على نبينا وآله وﷺ يا عيسى اذكرني في نفسك اذكرك في نفسي، واذكرني في ملاك اذكرك في ملاً خير من ملاً الادميين^(٢).

وفي بعض الأخبار: بملاً^(٣) من الملائكة خير من ملاً الادميين.

والجواب ان خيرية ملاً نوع من الملائكة من ملاً كثير من افراد البشر باعتبار قربهم او ملاً جنس الملائكة من جنس بني آدم باعتبار عصمتهم لا ينافي افضلية الانبياء والاصياء عليهم، سيما مع ما قيل من اشتغال ملائهم على ارواح النبين والمرسلين.

ثم انه قد يحكى اتفاق الفلاسفة على ان الارواح السماوية المسماة عندهم بالملائكة افضل من الارواح الناطقة البشرية واستدلوا عليه ببساطتها وبرائتها من شوب التركيب ولوازم الكثرة الداعية إلى الاختلال والفساد، وأما البشر فهو مركب من النفس والبدن، والنفس مركبة من القوى الكثيرة والبدن مركب من العناصر المتضادة، ومن البين أن البسيط أشرف من المركب، والملائكة وان لم نقل ببساطتها المطلقة نظراً إلى أن كل ممكن زوج تركيبى وأنها مركبة من وجود ومهية لكنّها أبسط بالاضافة إلى الانسان من وجوه كثيرة أوجبت شرافتها، ولذا كان البسيط على الاطلاق وهو مبدأ الكل اعلى من الكل.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٢.

(٣) البحار ج ٦٠ ص ٣٠٠.

وبأن الروحانيات لها كمالات فعلية حاضرة ولذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وقد سئل عن الملائكة العارية عن المواد خالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها ربّها فأشرق، وطالعها فتلاّت، وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله وخلق الانسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابته جواهر اوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد^(١).

وأما البشر فكمالاتهم واستعداداتهم بالقوة لا بالفعل، ولا يخفى أن ما بالفعل التام أشرف ممّا بالقوة مع أن في الخبر وجوهاً آخر من الدلالة أيضاً كالتجرد وقبول التجليات الاولى وتوسطها بالاشراق على ما دونها والمظهرية الكلية وكون النفوس الانسانية بعد التزكية التامة مشابهة لها، مع دلالة التشبيه على قوة المشبه به وكون تلك الجواهر هي العلل الاولى لها وغير ذلك ممّا يستفاد منه.

وبأن الروحانيات أشرف من الجسمانيات في العلم والعمل فتكون أشرف مطلقاً أمّا شرفهم في العلم فلا يحاطها على المغيّبات وعلى الأمور المستقبلية والعلوم الكلية والكمالات الفعلية، وأمّا في العمل فلأنهم مواظبون على العبودية المحضة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لا يلحقهم نوم العيون ولا يلهيهم سهو العقول، طعامهم التسبيح، وشرابهم التقديس، متجردون عن العلائق البدنية غير محجوبين بشيء من القوى الحيوانية، وأمّا الثاني فواضح ضرورة رجوع اسباب الشرف والفضل إلى أحد الأمرين.

وبأن الروحانيات نورانيات علوية لطيفة فعالة منها العقول الكلية والنفوس

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٥.

الفلكية والجسمانيات ظلمات سلفية كثيفة منفعة مشتملة على الحجب الظلمانية والغواسق الهولائية .

وبانّ التقسيم العقلي دلّ على ذلك فإنّ الموجود الحيّ أشرف من الميت ثمّ الحيّ أمّا خيرٍ محض ، او شرير محض ، او خيرٍ من وجه شرير من وجه ، فالاول هو الملك والثاني هو الشيطان والثالث هو الانسان .

وبانّ النفوس الناطقة وقواها واستعداداتها كلّها فايضة من المبادي العالية التي هي المتصرفة فيها المفضية عليها .

إلى غير ذلك من الوجوه الضعيفة المبنية على اصولهم الفاسدة المخالفة للشريعة المصطفوية على صانعها وآله آلاف الثناء والتحية من اثبات العقول المجردة والنفوس الفلكية واستناد الحوادث إلى التشكلات والانظار الفلكية وغيرها

مما تقوله الفلاسفة وارباب الهياكل وغيرهم ،

هذا مضافاً إلى انكارهم الاصول الشرعية الحقّة المستفادة من الشريعة من تقدّم خلق الارواح على الابدان وانّ ارواح النبي والائمة عليهم السلام متقدّمة في الخلقة على غيرهم ، وانّ جميع من سواهم من المجردات والماديات والعلويات والسفليات وارواح الانبياء والملائكة والسموات والارضين والكواكب والجنّة وجميع ما في العوالم الكونية كلّها مخلوقة من أشعة انوارهم كائنة من رشحات قطرات بحارهم . فاذا احرزت هذه الاصول واتقنت ما أشرنا إليه في تضاعيف المباحث السابقة ظهر لك الجواب عن هذه الوجوه وغيرها ممّا اوردوه في المقام ، فلا داعي إلى اطّاب الكلام في الجواب عنها بوجوه النقض والابرار .

❖ دلالة الآيات الى المذهب الحق ❖

اعلم أن هذه الايات تدلّ بوجوه من الاشارة على حقية مذهب الإمامية القائلين بوجوب النصّ والعصمة والأعلمية وعدم خلوّ العصر عن الحجّة وغيرها من الأصول الحقّة، وذلك من وجوه.

احدها: انّ الحكمة في الخليفة أبلغ من الحكمة في الخليفة، وذلك أنّه لما تعلّقت المشيئة الالهية والحكمة الربانية بعمارة الأرض وايجاد من يعبدّه ويوحّدّه فيها بدأ بالخليفة قبل الخليفة تقدماً للأهم على ما هو الأعم، وذلك لأنّ وجود الخليفة عندنا ليس على وجه التبعية المحضة والغيرية الصرفة كما توهمه من خالفنا في الإمامة حيث جوزوا مساواته لسائر افراد الرعيّة في قلّة العلم والفضيلة، وعدم لزوم العصمة، بل الخليفة عندنا هو المقصود بالذات ولا بدّ أن يكون وجوده أشرف من وجود رعيّته والاهتمام بخلقه أكثر من الاهتمام بخلق غيره فيكون هو الواسطة في إيصال الفيوض الالهية إلى رعيّته، لا لقصور في فيضه أو عجز منه في إيصاله إلى خلقه، أو لحاجة به إلى من ينوبه عنه فيه، بل لقصور عامّة الخلق عن قبول فيضه وتلقّي امره، فالخليفة في العالم كالقلب في البدن، وكما انّ القلب أوّل الاعضاء خلقة وهو معدن الحرارة الغريزية، فيتكوّن فيه الأرواح الحيوانية التي هي الأصل للأرواح الطبيعية والناتقة وغيرهما، ثمّ يسري منها إلى الكبد والدماغ وسائر الاعضاء والجوارح بواسطة العروق والشرايين، كذلك الخليفة أوّل الخلق خلقة في عالم الملكوت أو الناسوت، وهو الواسطة في إيصال الفيوض الالهية إلى

سائر الخليقة بتوسط نوابهم وأمنائهم وحملة علومهم واحكامهم.

ولذا قال الصادق عليه السلام: **إِنَّ الْحِجَّةَ قَبْلَ الْخَلْقِ وَمَعَ الْخَلْقِ وَبَعْدَ الْخَلْقِ** (١).

وأنه ما كانت الأرض إلا والله منها عالم وأنه لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّة (٢) ولو ذهب أحدهما بقى الحجّة، وأنه ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلا وفيها امام يهتدى به إلى الله وهو حجّة الله على عباده (٣).

وفي العلوي المستفيض: اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحججه اما ظاهراً مشهوراً، او خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيئاته وكم ذا وأين اولئك؟ اولئك والله الاقلون عدداً، والاعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيئاته، حتى يودّعوها نظرائهم، ويزرعوها في قلوب اشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وانسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحلّ الاعلى، يا كميل اولئك خلفاء الله في ارضه، والدعاة إلى دينه (٤)، آه.

والاخبار في هذا المعنى كثيرة مذكورة في كتب الفريقين، ثم أنه يستفاد منه تعظيم أمر الخلافة حيث نوّه بذكر الخليفة قبل خلقه وأرشد الملائكة إلى كسب العلوم والمعارف منه وأوجب عليهم السجود له، ثم لما امتنع ابليس عن السجود له أخرجه من فسيح ملكوت قربه، وطرده عن باب رحمته، وأوجب له الدّل والصفار

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٧ ح ٤ باب الحجّة لا تقوم إلا بالامام.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٧٩ ح ٨.

(٤) البحار: ج ٢٣ ص ٤٦.

والخلود في دار البوار، ولعنه في جميع كتبه وعلى السنة جميع انبيائه واوليائه، وذلك لمخالفته في امر الخلافة الذي هو الكاشف الاخير عن توحيده سبحانه، فان انكار خلافة الانبياء واوصيائهم بمنزلة جحود ربوبيته سبحانه في الكفر والالحاد على ما تظافت به الاخبار.

❖ الخلافة من الله سبحانه ❖

ثانيها: ان الخلافة لا بد أن تكون بتعيين الله سبحانه ونصه ونصبه، فانه منصب جليل، وله خطب عظيم، والقلوب مجبولة على حب انفسها، واختيار الخير لها، وحيث أن الخلق لا يحيطون علماً على جميع الحكم والمصالح، ولا يطلعون على جميع الاسباب والمقتضيات والموانع، فلذا جعل تعيين الخليفة إلى نفسه تعالى وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ فاحتج به على عامة خلقه انه ليس لهم سبيل إلى اختيار الخليفة، كما لم يكن للملائكة إليه سبيل مع عصمتهم وقدمتهم وصفائهم ووفائهم ودوام عبادتهم وخلو فطرتهم عن مقتضيات الدواعي الشهوية والغضبية والانحرافات البشرية، واذا كان حال الملائكة ذلك على ما يستفاد من الآية فما ظنك بعامة البشر، الذين هم معادن القصور والتقصير مع ما ترى فيهم من خفاء الحق وغلبة الباطل، واستيلاء الجهال، ودولة أهل الضلال، ثم لا يخلو امرهم اما أن يكونوا مرادين في زعمهم لاختيار الباطل ومتابعة الهوى والأيتام بأئمة الضلال، فانه سبحانه أعز واجل من أن يدعهم وأهوائهم ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وإما أن يكونوا مرادين لاختيار من يقوم بالحق فيهم

ويقيم كلمة الصدق فيما بينهم، فأني لهم السبيل إلى معرفة من هو كذلك، وكيف اطمئنوا أنه لم يقع اختيارهم على من هو الافسد في الدين والدنيا، وإليه اشير بما في «الأحتجاج» عن سعد بن عبدالله القمي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه عليه السلام فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم قال عليه السلام: مصلح او مفسد؟ قلت: مصلح قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح او فساد؟ قلت: بلى قال: فهي العلة أيدها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك، قلت: نعم قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب وايدهم بالوحي والعصمة اذ هم اعلام الأمم وأهدى إلى ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن قلت: لا قال: فهذا موسى كلیم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه إختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممن لم يشك في إيمانهم واخلاصهم فوقت خيرته على المنافقين قال الله تعالى: ﴿وَإِخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾^(١)، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعاً على الافسد دون الاصلح وهو يظن أنه الاصلح دون الافسد، علمنا أنه لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر وتنصرف عليه السرائر، وان لا خطر لاختيار المهاجرين والانصار بعد وقوع خيرة الانبياء على ذوي الفساد لما

ارادوا أهل الصّلاح^(١).

اقول ولعلّ اختيار عيسى ﷺ اشارة إلى ما اختاره من الحواريين الاثني عشر حيث ضلّ كثير منهم واضلّوا قومه حتّى أن واحداً منهم وهو يهودا الاسكر يوطى دلّ الكفّار على أخذه وصلبه لجعل يسير وعدوه به على ما وقع التلويح عليه في اخبارنا والتّصريح به في انجيلهم، ويدلّ على ذلك ايضاً من طرق العامّة والخاصة اخبار كثيرة نورد شطرا منها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

ثمّ انّ المدار في التكاليف على الامتحان والابتلاء بما لا يعرف حقيقته ويستحقر ظاهره، ولما كان ابليس في الملائكة ولم يكن منهم وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم بل من خيارهم وأراد الله تعالى أن يظهر نفاق المنافق واخلاص المخلص ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾^(٣) فامرهم بالسجود لآدم فظهرت الملائكة الاتقياد والطّاعة وظهر ابليس الاستكبار والمعصية، ولم تزل سنّة الله جارية في بني آدم بمثل هذا الامتحان في الايمان بسبعث الانبياء ونصب الاوصياء، ففيهما ضلّ من ضلّ وهلك من هلك، وأمّا الاقرار به سبحانه فلعلك ترى الامم كلّها متّفقة على ذلك، فالخلافة التي هي الولاية العامّة من قبله سبحانه لا بدّ أن تكون جارية مستمرة في بني آدم بتعيينه سبحانه إلى انقراض العالم، إقامة للنظم الاتمّ وهداية للعباد إلى ما هو احسن وأقوم.

(١) الاحتجاج: ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وعنه البحار ج ٢٣ ص ٦٨-٦٩.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الانفال: ٤٢.

ثم انك قد سمعت ان المراد بالجعل في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ هو الجعل التكويني فينزل هذا الكلام منه سبحانه منزلة قوله: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾^(١)، فمن ادعى ان له ان يختار الخليفة فكأنه قد ادعى ان له ان يخلق بشراً من طين، ولما بطل أحد المعنيين بطل الآخر، اذ هما في حيز واحد بل قد يقال إنه يستفاد من الآية ان طريق معرفة الخليفة هو السماع بالاشارة والنص، وذلك لأن الخلافة الموعودة ان كانت خصوص خلافة آدم فتحقق النص والاشارة واضح بالنسبة إليه، وان كانت هي الخلافة الثابتة لجميع الحجج من الانبياء والأوصياء، فظاهر الآية أنه عرضها عليهم، وعلمهم أسمائها، فصح ان الطريق هو الاشارة والنص من جهة السمع والتوقيف.

ثم إنه يستفاد من الآية بعد ملاحظة إعتراض الملائكة والجواب عنهم أنه لا يصح نصب الخليفة وجعلها إلا لمن كان عالماً بغيب السماوات والأرض، وبما تبديها النفوس وتكتمها، وبأسرار الخليفة واستعداداتهم وما يؤول إليه أمرهم، وبهذا تمت حجته سبحانه على الملائكة، وهي حجة على غيرهم أيضاً إن ارادوا تعيين الخليفة ونصبه من غير دليل ونص عليه بالخصوص من الله تعالى او حججه الذين هم خزنة الوحي والتنزيل.

ثالثها: أن الأعلم هو الأحق الأليق بالخلافة، وذلك لأن الملائكة قد عرضوا أنفسهم لهذا المطلب الجليل واستدعوه منه سبحانه، وظنوا أنهم أحق به من آدم فأبان الله سبحانه عن قصورهم وعدم استحقاقهم لهذه الدرجة وتفضيل آدم عليهم

بأن علم آدم الاسماء كلها ثم عرضها عليهم، فعجزوا عن آخرهم عن معرفتها، حتى أنبأهم بها آدم بأمره سبحانه فاستحق بذلك الرياسة العظمى والخلافة الكبرى، ولو ساغت الخلافة للمفضول مع وجود الأفضل لم تتم الحجة على الملائكة، ولما كان مساع لقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) فقد دلت الآية على أنه لا يجوز خلافة المفضول مع وجود الأفضل.

وهذه قضية كلية كبروية، وأما الصغرى التي يثبت معها مذهب الامامية فهي أن علياً عليه السلام كان أفضل الصحابة وأعلمهم، وقد أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٣)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٤)، ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) وغيرها من الآيات المفسرة بذلك من طرق الفريقين بل الاخبار النبوية وغيرها به متواترة فمن طريق العامة^(٦).

عن موفق بن أحمد بالاسناد عن سلمان عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب^(٧).

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) يس: ١٢.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) هو موفق بن أحمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم المتوفى (٤٦٨) هـ.

(٧) المناقب للخوارزمي: ص ٤٩ ط تبريز.

وفي خبر آخر عنه ﷺ: أقضى أمّتي عليّ بن أبي طالب (١).
وعن كتاب فضائل الصحابة للسمعاني (٢) بالاسناد عن ابن عباس قال: قال
قال رسول الله (ص) عليّ اقضى أمّتي فمن احبني فليحبّه فان العبد لا ينال ولايتي
إلا بحبّ عليّ ﷺ (٣).

وعنه بالاسناد عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: عليّ اقضانا (٤).
وروى ابن أبي الحديد في «شرح التهج» عن أبي نعيم الحافظ قال: قال
رسول الله ﷺ: أخصمك يا عليّ بالنبوة فلا نبوة بعدى وتخصم بسبع لا يجاهد فيها
أحد من قريش أنت أوّلهم ايماناً وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم
بالسوية وأعدلهم في الرعيّة وأبصرهم بالقضيّة وأعظمهم عند الله مزيّة (٥).
وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالاسناد عن ابن عباس قال:
قال رسول الله ﷺ: أتاني جبرئيل بدرانوك من الجنة فجلست عليه، فلمّا صرت بين
يدي ربّي كلمني وناجاني فما علّمت شيئاً إلا علّمته عليّاً فهو باب مدينة علمي، ثمّ
دعاه إليه فقال: يا عليّ سلمك سلمي وحربك حربي وأنت العلم فيها بيني وبين
أمّتي بعدى (٦).

(١) المناقب: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) هو ابوالمظفر منصور بن محمد السمعاني النيسابوري المتوفى (٤٨٩) هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٥) حلية الاولياء لابي نعيم: ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر.

(٦) احقاق الحق: ج ٤ ص ٢٥٨ عن المناقب لابن المغازلي.

وعن موفق بن أحمد بالإسناد عن النبي ﷺ: قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب^(١).

وعنه بالإسناد عن الحارث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب^(٢) قال: بلغنا أن النبي ﷺ كان في جمع من أصحابه فقال ﷺ: أريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وأبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع علي فقال أبو بكر يا رسول الله أقيست رجلاً بثلاثة من الرسل يخ بخ بهذا الرجل من هو يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: أو لا تعرفه؟ قال: الله ورسوله أعلم قال ﷺ: أبو الحسن علي بن أبي طالب^(٣) قال أبو بكر: يخ بخ لك يا أبا الحسن وأين مثلك يا أبا الحسن^(٤).

وعن عمر أنه قال: العلم ستة أسداس لعلي من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس ولقد شاركنا في السدس، حتى لهو أعلم به منا^(٥).

وعنه عن ابن المغازلي الشافعي عن النبي ﷺ أنه قال: قُسمت الحكمة على عشرة أجزاء فاعطي علي تسعة والناس جزءاً واحداً^(٦).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المروية من طرق العامة فضلاً عن المأثورة من طرق الخاصة وقد تواتر من طرق الفريقين عن النبي ﷺ أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي بابها^(٧).

(١) الاحقاق: ج ١٥ ص ٦٢٠ - عن المناقب للحيدر آبادي ص ٤٩.

(٢) أرجح المطالب للأمرتسري: ص ٤٥٤ ط لاهور.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٤٧ عن الاربعة للخطيب.

(٤) الاحقاق ج ٥ عن المناقب لابن المغازلي ص ٥١٧ وحليه الاولياء ج ١ ص ٦٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٦.

وفي أخبار كثيرة: انا مدينة الحكمة وعليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها^(١).

وان افضاكم عليّ^(٢).

ومن البين أنّ القضاء يحتاج إلى سائر العلوم.

ثمّ إنه قد قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، ولم يجسر أحد أن يقول ذلك غيره^(٣).

روى موفق بن احمد بالاسناد عن سعيد بن المسيّب قال ما كان في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله أحد يقول: سلوني غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٤).

وعنه عن الحمويّين العاميين بالاسناد عن ابي سعيد البخترى قال: رأيت عليّاً كرم الله وجهه وقد صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله متجلداً^(٥) بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله متعمماً بعمامة رسول الله وفي اصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله فقعد على المنبر فكشف عن بطنه وقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح منّي علم جمّ هذا سَفَط العلم، هذا لعاب رسول الله هذا ما زقني رسول

(١) امالي الطوسي: ص ٣٠٨.

(٢) بحار الانوار: ج ٤٠ ص ١٥٠.

(٣) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٤) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٥) في المصدر: منقلداً.

الله ﷺ زقاً من غير وحي أوحى إليّ، فوالله لو تبيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الانجيل بانجيلهم حتى ينطق الله التوراة والانجيل فيقولان: صدق عليّ قد افتاكم بما انزل فينا وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون^(١).

وروى الصدوق في أماليه ما يقرب منه وفيه سلوني فإنّ عندي علم الأولين والآخرين.

وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء: سلوني غير عليّ بن أبي طالب ﷺ^(٢).

ثمّ أنّه ﷺ قد ادعى على ما تواتر عنه من طرق الفريقين أنّه أعلم الأمة وأنّه عالم بجميع ما كان وما يكون إلى يوم القيمة وأنّ في صدره لعلماً جمّاً لا يصيب حمله وهو ﷺ صادق في دعواه. مكتبة جامعة طهران علوم إسلامية

بل قد تواترت الاخبار رجوع ابي بكر وعمر وعثمان فضلاً عن غيرهم إليه ﷺ في العلوم والقضايا والاحكام بعد ظهور عجزهم وانقطاعهم حتى قال عمر أزيد من سبعين مرّة لولا عليّ لهلك عمر^(٣).

وعن مسند أحمد بن حنبل بالاسناد عن يحيى بن سعيد بن المسيّب كان عمر يتعوذ بالله عن معضلة ليس لها أبو الحسن^(٤).

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٥٥ ط تبريز والحموي في فرائد السمطين.

(٢) شرح النهج: ج ٢ ص ١٧٥ ط مصر.

(٣) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٨٢ - ١٩٢.

(٤) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٩٣ - ٢٠٠.

وروى موفق بن أحمد ان عمر أمر برجم حامل فزجره علي ﷺ فقال عمر:
عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب لولا علي لهلك عمر^(١).
وروا عنه أنه قال: اللهم لا تُبني لمعضلة ليس لها أبو الحسن^(٢).
وفي خبر آخر علي بن أبي طالب ﷺ وأنه قال: اعوذ بالله من معضلة لا علي
لها^(٣).

روى الحكم بن مروان: ان عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد ارتج وتقطر فقال
لمن عنده معاشر الحاضرين: ما تقولون في هذا الامر؟ فقالوا يا أمير المؤمنين أنت
المفزع والأمر بيدك، فغضب وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا
سَدِيدًا﴾^(٤) ثم قال: اما والله إني وإياكم لنعلم أين نجدها والخير بها قالوا: كأنك
أردت ابن أبي طالب ﷺ؟ قال: وأنى يعدل به عنه، وهل طفحت حرّة بمثله؟ قالوا:
فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال: هيهات إن هناك شمخاً من هاشم واثرة عن
علم، ولحمة من رسول الله ﷺ يُؤتى ولا يأتي فامضوا بنا إليه فاقصدوا نحوه وافضوا
إليه، فألفوه في حائط له، عليه ثُبَان^(٥) وهو يتركل على مسحاة ويقراً: ﴿أَيُّخَسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٦) إلى آخر السورة، ودموعه تهمي على خديه، فادهش

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٥٨ ط تبريز.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٧.

(٤) الاحزاب: ٧٠.

(٥) الثُبَان: سروال قصير الى ما فوق الركبة.

(٦) القيامة: ٣٦.

الناس لبكائه فبكوا ثم سكت، فسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر: أما والله لقد ارادك الحق ولكن أبي قومك، فقال: يا ابا حفص اخفض عليك من هنا ومن هنا ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾^(١) فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى وطرق إلى الأرض كأنما ينظر في رماد^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه يعني علياً عليه السلام في كثير من المسائل التي اشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر.

إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة المتواترة من طرق الفريقين التي قد أفردوها بالتصنيف، بل حكاية أفضليته عليه السلام مسلمة عند كثير من العامة أيضاً وحكاها الرازي في «أربعينه» عن أكثر متأخري المعتزلة وحكى عن الشيعة الاستدلال لها بوجوه أنهاها إلى عشرين قال في جملة ما ذكره:

الحجة الثالثة أن علياً أعلم الصحابة، والأعلم أفضل، إنما قلنا: إن علياً أعلم للاجمال والتفصيل، أما الإجمال فهو أنه لا نزاع أن علياً كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان محمد عليه السلام أفضل الفضلاء وأعلم العلماء، وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، وكان محمد عليه السلام في غاية الحرص في تربية علي عليه السلام، وارشاده إلى اكتساب الفضائل، ثم ان علياً عليه السلام كان من

(١) النبأ: ١٧.

(٢) في البحار: ج ٤٠ ص ١٢٢ - ١٤٣ مع تفاوت يسير في العبارات، وفي آخرها: فوضع عمر إحدى يديه على الآخر وخرج مربرد اللون.

أول صغره في حجر محمد صلى الله عليه وآله وفي كبره صار ختناً له، ويدخل عليه في كل الأوقات، ومن المعلوم أن التلميذ إذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم، وكان الاستاذ في غاية الفضل والحرص على التعليم ثم اتفق لمثل هذا التلميذ أن اتصل بخدمة هذا الاستاذ في زمان الصغر كان ذلك الإتصال بخدمته حاصلًا في كل الأوقات، فإنه يبلغ ذلك التلميذ في العلم مبلغاً عظيماً، وهذا بيان اجمالي في أن علياً كان أعلم الصحابة، أما أبوبكر فإنه وإن اتصل بخدمته صلى الله عليه وآله في زمان الكبر ولكن ما كان يصل إلى خدمته في اليوم والليلة إلا زماناً يسيراً، أما علي عليه السلام فإنه إتصل بخدمته صلى الله عليه وآله في زمان صغره، وقد قيل: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنقش في المدر، فثبت بما ذكرناه أن علياً كان أعلم من أبي بكر، ويكفي في ذلك قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»^(١) وقال علي عليه السلام: علمني ألف باب يفتح من كل باب ألف باب^(٢) وأما التفصيل فيدل عليه وجوه:

الأول: أكثر المفسرين سلموا أن قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أذُنٌ وَأَعْيَتْهُ﴾^(٣) نزل

في حق علي عليه السلام وتخصيصه بزيادة الفهم يدل على اختصاصه بمزيد العلم^(٤).

الثاني: قوله صلى الله عليه وآله: أقضاكم علي عليه السلام^(٥) والقضاء يحتاج إلى جميع أنواع

(١) شرح النهج: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٢٨.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٢٦.

(٥) الإستهباب ج ٣ ص ٣٨ هامش الاصابة.

العلوم، فلما رجّعه علي الكلّ في القضاء لزم أرجحيته عليهم في كلّ العلوم، وأما سائر الصحابة فقد رجّح كل واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله ﷺ: أفرضكم زيد وأقرأكم أبي^(١).

الثالث: دعوى أنّ عمر أمر برجم امرأة ولدت لستة أشهر فنبهه علي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢) مع قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٣)، على أنّ أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر^(٤).

وروى أنّ امرأة أقرت بالزنا وكانت حاملاً فأمر عمر برجمها فقال علي ﷺ إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك علي ما في بطنها فترك عمر رجمها فقال: لولا عليّ لهلك عمر^(٥).

فان قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها فظننت أنّها ليست بحامل فلما تبّهه علي ﷺ ترك رجمها.

قلت: هذا يقتضي أنّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء وهذا أشدّ من الأوّل.

وروا أيضاً أنّ عمر قال يوماً على المنبر ألا تغالوا في مهور نساءكم فمن

(١) غاية النهاية: ج ١ ص ٣١.

(٢) الاحقاف: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) الاستيعاب المطبوع بذيّل الاصابة: ج ٣ ص ٢٩ ط مصر.

(٥) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

غالى في مهر امرأته جعلته في بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر اتمنع منا ما جعل الله لنا قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِخْدَاءَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^(١)، فقال عمر كلكم افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت^(٢).

فهذه الوقايح وقعت لغير علي عليه السلام ولم يتفق مثلها لعلي عليه السلام.

الرابع: نقل عن علي عليه السلام أنه قال: والله لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لتقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بحر ولا في بر ولا في سهل ولا في جبل ولا في سماء ولا في أرض ولا في ليل ولا في نهار إلا وأنا اعلم فيمن نزلت وأي شيء نزلت^(٣).

طعن أبو هاشم^(٤) في هذا فقال: التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟ والجواب عن وجوه:

الأول: لعل المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل بالاحكام النَّاسِخَةِ لها الواردة في القرآن.

الثاني: لعل المراد لو أن قضاة اليهود والنصارى تمكنوا من الحكم والقضاء على وفق أديانهم بعد بذل الجهد أو كان المراد أنه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو

(١) النساء: ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٧٨.

(٣) احقاق الحق: ج ٧ ص ٥٨٩-٥٩١، وج ١٤ ص ٣١٢-٣١٤.

(٤) هو أبو هاشم عبدالسلام بن محمد الجبائي المعتزلي المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

قادراً عليه.

الثالث: لعل المراد أن يستخرج من التوراة والانجيل نصوصاً دالة على نبوة محمد ﷺ وكان ذلك قوياً في التمسك بها.

الرابع: من تفحص عن أحوال العلوم علم أن أعظمها علم الأصول وقد جاء في خطب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصحابة.

وأيضاً فجميع فرق المتكلمين ينتهي آخر نسبتهم في هذا العلم إليه عليه السلام، أما المعتزلة فأنهم ينسبون أنفسهم إليه، وأما الأشعرية فكأنهم ينسبون إلى الأشعري^(١)، وهو كان تلميذاً لأبي علي الجبائي^(٢) المعتزلي، وهو منتسب إلى علي عليه السلام، وأما الشيعة فانتسابهم إليه ظاهر.

وأما الخوارج فهم مع غاية بعدهم عندهم ينسبون إلى أكابرهم، وأولئك الأكابر كانوا كلهم تلامذة علي عليه السلام.

فثبت أن جمهور المتكلمين من فرق الإسلام كلهم تلامذة علي عليه السلام، وأفضل فرق الأمة الأصوليون، وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل.

ومنها علم التفسير وابن عباس رئيس المفسرين وهو كان تلميذ علي عليه السلام.

ومنها علم الفقه وكان فيه في الدرجة العالية، ولهذا قال عليه السلام: اقضاكم

علي^(٣).

(١) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى «٣٢٤» هـ.

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المتوفى «٣٠٣» هـ.

(٣) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ٢٨ وشرح النهج ج ٢ ص ٢٣٥.

وقال عليه السلام : لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ^(١) ، الخبر .

ومنها علم الفصاحة ومعلوم أن أحداً من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته ولا القليل من درجته .

ومنها علم النحو ومعلوم أنه إنما ظهر منه وهو الذي ارشد أبا الاسود ^(٢) الدؤلي إليه .

ومنها علم تصفية الباطن ومعلوم أن نسب جميع الصوفية ينتهي إليه كما ذكر أن رئيسهم ابا يزيد ^(٣) البسطامي كان سقاءً بباب جعفر الصادق عليه السلام ، وأن معروف ^(٤) الكرخي الذي هو أحد رؤسائهم كان بواب علي بن موسى عليه السلام .

ومنها علم الشجاعة وممارسة المصلحة ومعلوم أن نسبة هذا العلم ينتهي إليه ، فثبت بما ذكرناه أنه عليه السلام كان أستاذ العالمين بعد محمد عليه السلام في جميع الخصال المرضية والمقامات الشريفة ، وإذا ثبت أنه كان أعلم الخلق بعد رسول الله عليه السلام وجب أن يكون أفضل لقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ^(٦) .

(١) ينابيع المودة: ص ٧٠ و ص ٢٢٠ ط اسلامبول .

(٢) جواهر الفقه للقاضي ابن البراج ص ١١ ، شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى الصوفي البسطامي المتوفى سنة « ٢٦١ » هـ .

(٤) هو ابو محفوظ المعروف بمعروف الكرخي توفي ببغداد سنة « ٢٠٠ » هـ .

(٥) الزمر : ٩ .

(٦) المجادلة : ١١ .

وبالجملة معلوم بالعقل والنقل كتاباً وسنة واجماعاً عدم مساواة العالم وغيره، وإن العالم يُقدّم في كل شيء، ويدلّ عليه تفضيل آدم على الملائكة بعلم أسماء الأشياء، وترجيح ملكية طالوت على غيره ممن له شرف وفخر بأنه من أولاد النبي وأولاد الملوك، مع أنه كان دباغاً فإن الله تعالى أخبر بأنه الأحقّ لأنه زاده ﴿بَسْطَةَ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(١) أي القوة والشجاعة ثم ساق الكلام في الوجوه الدالة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين وانهاها إلى عشرين ثم ساق الكلام في الجواب عنها بزعمه وزعم اصحابه إلى أن قال:

وأما الحجّة الثالثة وهي أنّ عليّاً عليه السلام كان أعلم، قلنا لم لا يجوز أن حصلت هذه الكثرة بعد أبي بكر وذلك لأنه عاش بعده زمناً طويلاً فلعله حصلها في هذه المدة فلم قلتّم أنه في زمان حياة أبي بكر كان أعلم منه هذا كلامه.

وهذا الجواب كما ترى بمكان من الضعف والقصور، وذلك لأنه مقتضى ما ذكره من الأدلة فضلاً عما لم يذكره أنه عليه السلام كان أعلم الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وآله، بل وفي زمان حياته أيضاً، كما يدلّ عليه ما ذكره من الدليل الاجمالي بل وكثير من ادلته التفصيلية كنزول قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٢) في حقّه، والنبوي: أقضاكم عليّ^(٣)، والآخر: انا مدينة العلم وعليّ بابها^(٤)، وما رواه عنه عليه السلام من قوله: علّمني رسول الله ألف باب^(٥)، آه وغير ذلك ممّا ينادي بأفضليته على كلّ الأمة ولو في

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٨.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣.

زمان النبي .

ثمّ على فرض تسليم تحصيل تلك العلوم بعد أبي بكر فلا شكّ أنّه ﷺ كان في زمن عمر وعثمان أفضل منهما كما يؤمى إليه ما حكاه من وقائع عمر وخطائه واقاراره على نفسه بالجهل وقوله: لولا عليّ لهلك عمر^(١) في مواقع كثيرة فكيف يقدّمان عليه باعتقاده، ولعمري إنّ صدور مثل هذا الجواب بعد ما مرّ عنه من بيان الأعلميّة من أطرف الغرائب، ولولا أنّه كان معلوماً منه بقاؤه على عماه وانحرافه عن الحقّ وإيمانه بالحبّ والطاغوت لكان يقوي الظنّ بأنّ مثل هذا الكلام لا يصدر إلاّ عن محقّ تلبّس بلباس أهل الباطل خوفاً وتقيّة، ثمّ قرّر الحقّ على وجهه من غير أن يأتي عنه بجواب مشبع تشبيهاً للحنّ واهله وتزييفاً للباطل وحزبه، ولكنهم ﴿جَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(٢) وهو أنّه سبحانه قد أجرى الحقّ على ألسنتهم واقلامهم حجة عليهم وردعاً لغيرهم من متابعيهم بعد أن هداهم الله سبحانه فاستحبّوا العمى على الهدى، فجرت على منهاجهم اتباعهم اولئك الذين لعنهم الله فأضلّهم وأعمى أبصارهم.

رابعها: أنّه لا بدّ من عصمة الخليفة وطهارته عن لوث المعاصي وبراءته عن إقتراف الذنوب لما قيل: من أنّه يستدلّ بالخليفة على المستخلف كما جرت به العادة في العامّة والخاصة لقضاء العرف بأنّه متى استخلف ملك خليفة فإن كان

(١) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران .

(٢) النمل: ١٤ .

الخليفة ظالماً أَسْتَدَلَّ بظلمه على ظلم مستخلفه، وإذا كان عادلاً أَسْتَدَلَّ بعدله على عدل مستخلفه، سيّما مع علم المستخلف وإطلاعه بما يصدر عن خليفته من الأفعال والآثار وعلمه بعواقب اموره وقدرته عليه في جميع الأحوال.

ومن هنا يظهر أنّ خلافة الله سبحانه توجب العصمة فلا يكون الخليفة إلا معصوماً سيّما مع جعله علماً بين الناس وأمرهم بالاعتداء والتأسي به في جميع الأفعال والأقوال، فاذا صدر عنه بعض المعاصي ولو خطأ فإمّا أن تكون الخلافة الكليّة التي جعلها الله له باقية بالنسبة إلى تلك المعصية ايضاً أو لا، فعلى الأوّل يلزم الأمر بالمنكر ونقض الغرض والإغراء على المعاصي، وغير ذلك من المفسد المخالفة للطفه سبحانه، وعلى الثاني يلزم انتفاء الخلافة له بالنسبة إلى ذلك من دون إعلام وبيان من الأمر الحكيم وفيه مع مخالفته للطف أنّه إغراء بالجهل وتأخير للبيان عن وقت الحاجة مع طريان الاحتمال في كلّ واحد من الأقوال والافعال الموجب للقدح في اطلاق وجوب الطاعة فيكون إطلاق الأمر باطاعته جارياً مجرى العمومات المخصّصة بالمجملات في عدم الحجية رأساً.

ثمّ إنّ هذا الوجه وإن لم يستفد من الآية على وجه الإلزام والحجّية إلا أنّه يستفاد منها على وجه الإشارة على بعض الوجوه المقرّرة في الآية باعتبار معنى الخلافة وغيرها لكنّه لا بأس به بعد استفادته من تسميته هدى في قوله: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتْفَ الْبَنَاتِكُمْ فِي الدِّعَانِ﴾ (١) على أحد الوجوه، ومن قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ»^(١) على ما يأتي، ومن القواطع العقلية التي ستسمع الكلام في بعضها انشاء الله.

خامسها: ما ذكره الصدوق بعد الاشارة إلى بعض ما مر من أن في قوله ﷺ: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^(٢) حجة قوية على غيبة الامام عليه السلام، وذلك أنه ﷺ لما قال: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» أوجب بهذا اللفظ معنى، وهو أن يعتقدوا طاعته، فاعتقد عدو الله ابليس بهذه الكلمة نفاقاً وأضره حتى صار به منافقاً، وذلك أنه أضر أن يخالفه متى أستعبد بالطاعة له، فكان نفاقه انكر النفاق، لأنه نفاق بظهر الغيب، ولهذا صار أخزي المنافقين كلهم، ولما عرّف الله ﷺ لملائكته ذلك أضرروا الطاعة له، واشتاقوا إليه، وأضرروا نقيض ما أضره الشيطان، فصار لهم من الرتبة عشرة اضعاف ما استحقّ عدو الله من الخزي والخسارة، والطاعة والمواالات بظهر الغيب ابلغ في الثواب والمدح لأنه أبعد من الشبهة والمغالطة.

ولذا روي عن الصادق عليه السلام: من دعا لأخيه بظهر الغيب وكل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه^(٣).

وان الله تبارك وتعالى أكد دينه بالايان بالغيب، فقال: «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ»^(٤) الآية، فالايان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه، لأنه خلو من كل

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الاختصاص: ص ٨٤.

(٤) البقرة: ٢.

عيب وريب، لأن بيعة الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهم على المبايع أنه إنما يطيع رغبة في خير أو مال أو رهبة من قتل أو غير ذلك، مما هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم، وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله، ومحروس من معاييه بأصله.

ويدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعُوا كَفْرَتَنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(١)، فلما حصل للتعبُّد ما حصل من الايمان لم يُحرم الله ﷻ ذلك لملائكته، فقد جاء في الخبر ان الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام، وكان يحصل في هذه المدة الطاعة لملائكة الله على قدرها.

ولو انكر منكر هذا الخبر والوقت والأعوام لم يجد بدءاً من القول بالغيبة ولو ساعة واحدة، والساعة الواحدة لا تتعزى من حكمة ما، وما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان، وفي الساعات حكمت وما زاد في الوقت إلا زاد في المثوبة، وما زاد في المثوبة إلا كشف الله عن الرحمة، ودل على الجلالة فصح الخبر ان فيه تايد الحكمة وتبليغ الحجّة.

ثم ان الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلها، وذلك ان الملائكة ما شهدوا قبل ذلك خليفة قط، وأما نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد، وقد نطق به القرآن، وتواترت به الأخبار حتى صارت كالمشاهدة، والملائكة لم يعهدوا واحداً منهم فكانت تلك الغيبة ابلغ، وايضاً أنها كانت غيبة من الله ﷻ لملائكته، وهذه الغيبة التي للامام عليه السلام هي من اعداء الله، فاذا كان في الغيبة التي هي من الله ﷻ عبادة

لملائكته، فما الظن بالغيبة التي هي من أعداء الله، وفي غيبة الامام صلوات الله عليه عبادة ملخصة لم تكن في تلك الغيبة، وذلك أن الامام الغايب صلوات الله عليه مقموع مقهور مزاحم في حقه قد غلب قهراً وجرى على شيعته قسراً من أعداء الله ما جرى من سفك الدماء ونهب الاموال، وإبطال الاحكام، والجور على الايتام، وتبديل الصدقات، وغير ذلك مما لا خفاء به، ومن اعتقد موالاته شاركه في اجره وجهاده، وتبرأ من أعدائه وكان له في براءة مواليه من أعدائه اجر، وفي ولاية أوليائه اجر يربو على أجر ملائكة الله عليه السلام على الايمان بالامام المغيب في العدم، وإنما قص الله نبأه قبل وجوده (توقيراً) وتعظيماً ليستعد له الملائكة ويتشمتروا لطاعته.

وإنما مثال ذلك تقديم الملك فيما بيننا بكتاب أو رسول إلى أوليائه أنه قادم عليهم حتى يتهيأوا لاستقباله وارتياح الهدايا له ما يقطع به، ومعه عذرهم في تقصير إن قصروا في خدمته، كذلك بدأ الله عليه السلام بذكر نبأه إبانة عن جلالته ورتبته، وكذلك قضيته في السلف والخلف ما قبض الله خليفة إلا عرف خلقه الخليفة الذي يتلوه، وتصديق ذلك قوله عليه السلام ﴿أَقْمَنَ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مَنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (١) الآية، فالذي على بيته من ربه محمد عليه السلام، والشاهد الذي يتلوه علي بن ابي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ويدل عليه قوله عليه السلام ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (٢)، والكلمة من كتاب موسى المحاذية لهذا المعنى حدو النعل بالنعل

(١) هود: ١٧.

(٢) هود: ١٧.

والقذة بالقذة قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)، واستعبد الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم تعظيماً له لما غيَّب عنه أبصارهم، وذلك أنه ﷻ إنما أمرهم بالسجود لآدم لما أودع صلبه من أرواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله ﷻ عبودية ولآدم طاعة، ولما في صلبه تعظيماً، فأبى إبليس أن يسجد لآدم حسداً له، إذ جعل صلبه مستودعاً لأرواح حجج الله دون صلبه، فكفر بحسده وتأبىه، وفسق عن أمر ربه، وطُرد عن جواره، ولعن وسُمي رجيماً لأجل انكاره للغيبة لأنه احتج في امتناعه من السجود لآدم بان قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٢) فجحد ما غيَّب عن بصره، ولم يوقع التصديق به، واحتج بالظاهر الذي شاهده وهو جسد آدم ﷺ، وانكر أن يكون يعلم لما في صلبه وجوداً، ولم يؤمن بان آدم ﷺ إنما جعل قبلةً للملائكة وأمر بالسجود له لتعظيم ما في صلبه.

فمثل من آمن بالقائم صلوات الله عليه في غيبته مثل الملائكة الذين اطاعوا الله ﷻ في السجود لآدم ومثل من انكر القائم صلوات الله عليه في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم كذلك.

روى عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهما.

وعنه ﷺ قال: إن الله تبارك وتعالى علم آدم ﷺ، أسماء حجج الله كلها ثم

(١) الاعراف: ١٤٢.

(٢) الاعراف: ١٢.

عرضهم - وهم ارواح - على الملائكة فقال: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بانكم أحق بالخلافة في الأرض لتسييحكم وتقديسكم من آدم عليه السلام ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريته، ثم غيَّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم وقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^(١).

وهذا استعباد الله تعالى للملائكة بالغيبة، والآية أولها في قصة الخليفة، وإذا كان آخرها مثلها كان للكلام وفي النظم حجة، ومنه يوجد وجه الاجماع لأمة محمد عليه السلام أولهم وآخرهم، وذلك أنه سبحانه إذا علم آدم الاسماء كلها على ما قاله المخالفون، فلا محالة ان اسماء الأئمة صلوات الله عليهم داخله في تلك الجملة، فصار ما قلناه في ذلك باجماع الأمة، ومن أصح الدليل عليه أنه لا محالة لما دل الملائكة على السجود لآدم فإنه حصل لهم عبادة، ولما حصل لهم عبادة أوجب باب الحكمة ان يحصل لهم ما هو في حيزه، سواء كان في وقت او في غير وقت، فان الأوقات ما تغتير الحكمة ولا تبدل الحجة، أولها كآخرها وآخرها كأولها، لا يجوز في حكمة الله ان يُحرَمهم معنى من معاني المثوبة، ولا أن يبخل بفضائل الأئمة لأنهم كلهم شرع واحد، دليل ذلك أن الرسل متى آمن مؤمن بواحد منهم او بجماعة وانكر واحداً منهم لم يقبل منه ايمانه، كذلك القضية في الأئمة صلوات الله عليهم أولهم

(١) كمال الدين: ص ٩ - ١٠.

واخرهم واحد.

قال الصادق عليه السلام: المنكر لاخرنا كالمنكر لأولنا، وقد قال صلوات الله عليه: من انكر واحداً من الاحياء فقد أنكر الاموات^(١). فصح أن قوله عليه السلام: ﴿عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ اراد به اسماء الائمة صلوات الله عليهم وللأسماء معان كثيرة ليس أحد معانيها بأولى من الآخر، والاسماء اوصاف، وليس أحد الاوصاف بأولى من الآخر، فمعنى الأسماء أنه سبحانه علم آدم عليه السلام اوصاف الائمة كلها أولها وآخرها، ومن اوصافهم العلم والحلم والتقوى والفتوة والشجاعة والعصمة والسخاء والوفاء، وقد نطق بمثله كتاب الله عليه السلام في أسماء الانبياء عليهم السلام كقوله عليه السلام: ﴿وَإِذْ نُنزِّلُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢)، و﴿إِذْ نُنزِّلُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾^(٣)، و﴿وَإِذْ نُنزِّلُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾^(٤)، و﴿وَإِذْ نُنزِّلُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥)، الآيات فوصف الرسل عليهم السلام، وحمدهم بما كان فيهم من الشيم المرضية والاخلاق الزكية، وكان ذلك اوصافهم وأسماءهم كذلك علم الله عليه السلام آدم الأسماء كلها.

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) مريم: ٤١.

(٣) مريم: ٥٤-٥٥.

(٤) مريم: ٥٦-٥٧.

(٥) مريم: ٥١.

والحكمة في ذلك أنه لا وصول إلى الأسماء ووجوه الاستعبادات إلا من طريق السماع، والعقل غير متوجه إلى ذلك، لأنه لو أبصر عاقل شخصاً من بعيد أو قريب لما توصل إلى استخراج اسمه، ولا سبيل إليه إلا من طريق السماع، فجعل الله ﷻ العمدة في باب الخليفة السماع، ولما كان كذلك أبطل به باب الاختيار، إذ الاختيار من طريق الآراء، وقضية الخليفة موضوعة على الأسماء والأسماء موضوعة على السماع، فصح به، ومعه مذهبنا من أن الامامة لا تكون إلا بالنص والاشارة، فأما باب الاشارة فمضمر في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، فباب العرض مبني على الشخص والاشارة، وباب الاسم مبني على السمع، فصح معنى الاشارة والنص جميعاً، وللعرض الذي قال الله تعالى ثم عرضهم على الملائكة معنيان: احدهما عرض اشخاصهم وهيئاتهم كما روينا في أخبار أخذ الميثاق والذر، والوجه الاخر أن يكون ﷻ عرضهم على الملائكة من طريق الصفة والنسبة، كما يقوله قوم من مخالفينا فمن كلا المعنيين يحصل استعباد الله ﷻ للملائكة بالايان بالغيبة^(١) انتهى كلامه زيد مقامه.

الثالث: أنه يستفاد من قوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ان واضع اللغات هو الله سبحانه كما استدل به عليه وذلك لأن المراد بالاسماء اما بالالفاظ الدالة على المسميات، أو الأشياء الدالة مطلقاً أو البعض من احدهما او كليهما، والاخيران مدفوعان بظهور الجمع المحلى في العموم، سيما مع تأكيده بلفظ الكل الصريح في افادة العموم، مضافاً إلى عدم القول بالفصل بين البعض والكل، وعلى

(١) كمال الدين: ج ١ ص ١١-١٦.

الأولين يثبت المطلوب، والمراد بتعليمها على ما هو ظاهر اللفظ إلقاؤها على المتعلم مبيّناً له معانيها، كما هو ظاهر تعليم الاسم على صفة الاسميّة، ولا يصدق ذلك إلا مع سبق وضعها لمعانيها، فإمّا أن يكون صادراً منه سبحانه وهو المطلوب، أو من الخلق الذين كانوا قبل آدم، وهو منفي بالاصل.

وتوهم أنّ المراد بالاسماء ما يقابل الأفعال والحروف مدفوع، مع الغرض عن عدم القول بالفصل كما صرح به جماعة، وعن توقّف الافادة والاستفادة منها على معرفة معانيها ايضاً على ما قيل: بأنّه اصطلاح خاصّ حادث لا يحمل عموم الخطابات الشرعيّة عليه، بل المراد به إمّا المعنى اللغوي، وهو مطلق العلامة الشامل للأفعال والحروف ايضاً لكونها علامات على معانيها، أو المعنى العرفي العام وهو مطلق اللفظ الموضوع على ما قيل.

فان قلت: إنّ المراد بالاسماء الصفات والعلامات، مثل كون الفرس صالحاً للركوب، والثور للحرث والجمال للحمل، اذ كلّ ما يميز الشيء فهو اسم، وحينئذ يمكن أن يكون تعريفها بخلق علم ضروري من غير توسط الالفاظ، وأمّا تخصيص الاسم بخصوص الالفاظ فإنّما هو اصطلاح طارئ، سلّمنا لكنّ المراد بالتعليم الإلهام وبعث العزم والإقدار على الوضع بخلق الأدوات والمشاعر والإرادات والعلوم المحتاج إليها، وأنما نسب التعليم إليه سبحانه لأنّه الهادي إليه، فهو تعليم تكويني الهامي كما في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾^(١) أي الهمناء.

قلت: تخصيصه بالصفات ممّا لا وجه له بعد دلالة اللفظ على العموم وفقد

المخصّص، مع أنّ الصفات متشابهة، ولا يكاد يحصل التمييز التام بمجردّها، مع أنّ التعبير عنها أيضاً لا يكون إلاّ بالاسماء اللفظيّة.

واحتمال كون تعريفها بخلق علم ضروري مع مخالفته للظاهر مدفوع بأنّ المعلوم حينئذ إمّا الذوات أو ما يدلّ عليها من صور الصفات أو الالفاظ أو كلّ منها والأوّل مدفوع بظاهر قوله: باسماء هؤلاء وقوله: باسمائهم والثاني تخصيص من غير مخصّص، والاخيران يثبت معهما المطلوب وارتسام صور الالفاظ عن الذهن وان لم يتوقّف على الالفاظ الفعلية المسموعيّة لكنّه دليل على سبق الوضع.

وأما حمل التعليم على بعث العزم والإقدار على التعليم فمخالف للظاهر الذي هو الحجّة، مضافاً إلى مخالفته للاخبار المفسّرة للآية على ما مرّ كما أنّ الظاهر أيضاً هو الدافع لاحتمال ما يقال من أنّه كشف عليه ما يحدثه ذرّيته من اللغات المختلفة والأوضاع الطارئة من دون أن يكون هناك لفظ أو صوت أو وضع سابق. وأما ما يقال من أنّ الآية لا تشمل اللّغة العربيّة لما اشتهر من انتسابها إلى يعرب بن قحطان ولذا قيل: إنّهُ أوّل من تكلم بالعربيّة^(١) أو إلى اسمعيل الذّبيح على نبينا وآله وعليه السلام^(٢) ولذا قيل: إنّ العرب من ولده.

ففيه أنّه مع فرض تحقّق الشهرة على أحد الوجهين لا عبرة بها أصلاً، بل هو من المشهور الذي لا أصل له، ولذا قيل إنّ الحميريين والعمالقة وجُرهم وقوم ثمود وعاد كلّهم كانوا من العرب، وقد كانوا قبل اسمعيل بمدة متطاولة.

(١) البحار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٢) المزهر للسيوطي: ص ٢٨ - وجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

وروى شيخنا الطبرسي في المجمع عن الصادق عليه السلام قال: كان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبينا يتكلمون بالعربية^(١).

بل قد ورد في الأخبار أيضاً أن أول من تكلم بالعربية آدم عليه السلام.

وفي العلل عن الصادق عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبينا عليه السلام بالعربية، فاذا كلم به قومه كلمهم بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد لا يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بأي لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية، كل ذلك يترجم جبرئيل عنه عليه السلام^(٢).

وفيه دلالة واضحة على سبق الوضع بل وكونه منه تعالى وفي «العيون» و«الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام في خبر عمران الصابي أنه قال: واعلم أن الابداع والمشية والارادة معناها واحد واسماؤها ثلاثة، وكان أول ابداعه وارادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلاً لكل شيء، ودليلاً على كل مدرك، وفاصلاً لكل مشكل، وبتلك الحروف تفريق كل شيء من إسم حق أو باطل، أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، وعليها اجتمعت الامور كلها، ولم يجعل للحروف في ابداعه لها معنى غير انفسها يتناها، والثور في هذا الموضع أول فعل الله تعالى الذي هو نور السموات والأرض، والحروف هو المفعول بذلك الفعل، وهو الحروف التي عليها الكلام، والعبارات كلها من الله تعالى علمها خلقه، وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٨٠ و ج ١١ ص ٣٦.

(٢) علل الشرايع: ص ٥٣ وعنه البحار ج ١٦ ص ١٣٤.

وعشرون حرفاً تدلّ على لغات العرّبيّة، ومن الثمانية وعشرين اثنان وعشرون تدلّ على لغات العبرانيّة والسّرّبانيّة^(١)، الخبر بطوله.

فصرّح أولاً بأنّ الحروف كلّها من إبداعه، بل ذكر أنّه أوّل ابداعه، ثمّ قال: إنّ العبارات كلّها من الله ﷻ علّمها خلقه، وهو ظاهر في المطلوب، بناءً على أنّ المقصود منها هي الكلمات المؤلّفة من الحروف المعبّرة بها عن المقاصد، ولذا عبّر عنها بالعبارات، هذا مضافاً إلى الأخبار الكثيرة المتقدّمة في تفسير الآية الدّالة على أنّ المراد بالأسماء أسماء الجبال والبحار والادوية والنبات والحيوان والبساط وغيرها بل في بعضها أنّه علّمه أسماء كلّ شيء.

وفي حديث الشفاعة: فياتون آدم ﷺ فيقولون انت أب الناس، خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كلّ شيء^(٢).

وفي القصص عن أبي جعفر ﷺ: إنّ آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: قال أشهد أن لا إله إلا الله إلى قوله: واسجد لي ملائكته، وعلّمني الأسماء كلّها^(٣). الخبر قيل ويشهد له ما اشتهر من أنّ الله تعالى أنزل على آدم ﷺ حروف المعجم في إحدى وعشرين صحيفة وهو أوّل كتاب انزل إلى الدّنيا وفيه ألف لغة وأنّه تعالى علّمه جميع تلك اللّغات^(٤).

وما ذكره المفسّرون من أنّه علّمه اسم كلّ شيء حتّى القصعة والقصيعة بجميع

(١) عيون الاخبار: ص ٨٧ - ١٠٠ وعنه البحار ج ١٠ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٥.

(٣) البحار: ج ١١ ص ٢٦٥.

(٤) سيأتي عن سعد السعود ص ٣٧.

اللغات التي تكلم بها ولده.

ولعل السبب في اختلاف ذريته فيها بعد علمه ﷺ باللغات كلها أنه ﷺ علم كل واحد من ولده لغة واحدة ثم بقيت تلك اللغة في اعقابه او أنه علم ولده باللغات فكانوا يتكلمون بها مدة حياته حين كانوا مجتمعين فلما قبض تفرقوا في نواحي الأرض وتكلم كل منهم بلغة اختارها من بين اللغات على حسب الطبع والميل والاقليم كما لا يخفى المناسبة بين اللغات واهلها، على أن التكلم بلغة واحدة اسهل من التكلم بلغات مختلفة، فقلبت على اولاده تلك اللغة حتى اذا انقضى القرن الأول منهم نسوا سائر اللغات، فصار كل فريق منهم يتكلم باللسان الغالب على ابيه.

وعن السيد في سعد السعود قال: وجدت في صحف ادريس النبي ﷺ عند ذكر احوال آدم ما هذا لفظه: حتى اذا كان الثلث الأخير من الليل ليلة الجمعة لسبع وعشرين خلت من شهر رمضان انزل الله عليه كتاباً بالسريانية وقطع الحروف في احدى وعشرين ورقة وهو أول كتاب انزل الله في الدنيا أنزل الله عليه الألسن كلها فكان فيه الف الف لسان لا يفهم فيه أهل لسان عن أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم فيه دلائل الله وفروضة واحكامه وشرايعه وسننه وحدوده^(١).

وفي محاضرة الأوائل عن مزهر اللغة للسيوطي: ان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربي إلى أن بَعُدَ وطال العهد حُرّف وصار سريانياً، وهو منسوب إلى أرض سوري^(٢) وهي أرض الجزيرة كان بها نوح ﷺ وقومه قبل الغرق، وكان

(١) سعد السعود للسيد ابن طاووس ص ٣٧.

(٢) سوري كطوبى: موضع بالعراق وهو من بلد السريانيين كما في القاموس.

يشاكل اللسان العربي، إلا أنه محرف، وكان لسان جميع من في سفينة نوح عليه السلام، إلا رجلاً واحداً يقال له جُرم، فكان لسانه لسان العربي الأول، فلما خرجوا من السفينة تزوج إرم بن سام بعض بناته فمنهم انتشر اللسان العربي الأول في ولده: عوص أبي عاد، وعبيل وجائر أبي ثمود وجديس وسميت عاد بإسم جرم لانه كان جدهم من الأم، وبقي اللسان السرياني في ولد ارفخشذ بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو اسماعيل فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي.

وقال ابن دحية: العرب اقسام الأول عاربة وعرباء، وهم الخالص من العرب وهم تسع قبائل، من ولد إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهي عاد وثمود وعميم وعبيل، وطسيم، وجديس، وعمليق ووبار، وجرهم التي نشأ اسمعيل فيهم وتزوج منهم حين نزلوا عليه بمكة شرفها الله تعالى طاعنين من اليمن إلى الشام.

والقسم الثاني من العرب المتعربة وهم الذين ليسوا بخالص وهم بنو قحطان. والقسم الثالث المستعربة وهم الذين ليسوا بخالص أيضاً، وهم بنو اسمعيل، وهم ولد معد بن عدنان بن أدد.

ثم حكى عن ابن دريد^(١) في «الجمهرة»: أن العرب العاربة سبع قبائل: عاد، وثمود، وعمليق، وطسيم، وجديس، وأميم وجاسم، وقد انقرض أكثرهم إلا بقايا متفرقين في القبائل^(٢).

(١) ابن دريد: محمد بن الحسن البصري الاديب اللغوي المتوفى (٣٢١) هـ.

(٢) المزهر: ج ١ ص ٣٠-٣١.

وعن السيوطي: أنه لا خلاف بين الأمة أن لسان عاد وئمود ونوح وصالح وشعيب ومدين عربي.

ثم أنه قد يستدل على ذلك ايضاً بقوله تعالى: ﴿وَاخْتِلافُ اللِّسَنَاتِ﴾^(١)، ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢)، و﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٣)، و﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾^(٤)، و﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥)، ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦).

وبعدم امكان ذلك للقوى البشرية فإن هذا الإبداع البديع الغير المسبوق إلى مثال مع غاية الاتقان والإحكام، وعدم اشتماله على تناقض ونقصان، واحاطته على جميع المعاني والبيانات على أحسن وجه وابلغ نظام وعلى فنون لا تحصى عجائبها ولا يحيطها علم أحد ولو بمرور الدهور والأعوام، خارج عن طور أفعال البشر بحيث يقطع المتأمل فيها وفي وضعها بحيث تصلح لبيانات المقاصد الغير المتناهية والعلوم التي لم يحط الأفكار، ولم يصل إليها الأنظار، إن الله سبحانه هو الذي وضعها ورتبها وبيتها، وعلمها خلقه، ومن بها عليهم كما يستفاد من الأخبار

(١) الروم: ٢٢.

(٢) العلق: ٥.

(٣) الرحمن: ٤.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) الانعام: ٣٨.

(٦) النحل: ٨٩.

المقسرة للآيات المتقدمة بل ومنها أيضاً .

وبأنها لو لم تكن توقيفية لكانت إصطلاحياً والتالي باطل لافتقار تعريف الاصطلاح إلى مثله فإما أن يرجع في تعريف كل منها إلى الآخر لزم الدور اولا فالتسلسل .

وبأنها لو كانت اصطلاحية لجاز تغيير ذلك الاصطلاح الاوّل وتبديله ، فيجوز أن يراد بالصلاة وغيرها من الموضوعات المستنبطة في هذا الزمان غير ما يراد منها في الزمن الشارع فيرتفع الوثوق عن الاخبار الشرعية ويسقط الاستدلال بها رأساً . ويقول سبحانه : ﴿ قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾^(١) ، وغيرها من الآيات المتناولة بعمومها ما نحن فيه ، خرج منه ما علم بالدليل إستناده إلى العباد من افعالهم وصناعاتهم واعمالهم بحمل الخلق فيها على خلق الأسباب والالات الظاهرة والقوى الباطنة والالهامات والارشادات وامثال ذلك مما قام الدليل الشرعي والعقلي والوجداني على اخراجه من ظاهر ذلك العموم ، وبقي الباقي مقهوراً تحت سلطنة الواحد القهار .

وفي الكلّ نظر لضعف الاستدلال بالآيات بما ستسمعها عند التّعرض لتفسيرها تقريباً وردّاً ، وضعف الثاني بأنه يمكن أن يكون البشر قد وضعوها وعينوها بقوة إلهية والهوامات ربّانية بعد تعليمه سبحانه أصول الكلمات ، وهي الحروف التي عليها المدار في جميع اللّغات .

كما روى أبوذر عن النبي ﷺ إن الكتاب الذي انزل الله على آدم هو كتاب

(١) الرعد : ١٦ .

المعجم وهو ا ب ث ، الخبر على مامرّ في تفسير ألم .

وليس ذلك ببدع منهم بعد تلقين العلوم وإفاضة القوى كما أنّهم قد استنبطوا فنون العلوم وخواص الأجسام والصنایع الغريبة والآثار العجيبة بأفكارهم وقواهم المفاضة لهم من الله سبحانه بعد إعطاء الاصول وافاضة القوى والتمكين من الأسباب .

والثالث : بجواز أن يكون الإفهام في بدو الاصطلاح بالاشارة والترديد بالقرائن وغيرهما كما يتعلّم الاطفال اللغات في مبادي شعورهم وادراكاتهم بالنظر إلى استعمال المستعملين .

وتوهم الفرق بأنّ الاطفال إنّما يتعلّمون اللغات لكون التخاطب بلغة مستقرّة معروفة بينهم فيتجاوبون فيما بينهم بما يعرفون والاستعمالات المتكررة موجبة لحصول العلم للاطفال ، واما صاحب الاصطلاح فلا يعرف غيره خطابه ولا جوابه ولا مراده وليس معه إلا الاشارة وهي لا تنهض بأسرار العبادة اللهم إلا أن يكون ذلك من القادر على خلق علم ضروري فيمن يخاطبه بحيث يعرف به معنى خطابه من عبادته وهو المطلوب .

مدفوع بأن إمكان التفهيم ولو بالاشارة في المدد الطويلة حاصل بعد اعطاء الأصول وافاضة الفهم والشعور فكيف يحصل القطع بالعدم ومجرّد الاستبعاد غير مثبت للمراد .

والرابع : بأنّ الجواز ليس دليلاً على الوقوع ومع الشك يحكم باتّحاد العرف عرفاً وشرعاً ولو لاعتبار الاصول العلمية مضافاً إلى مسيس الحاجة وتوفّر

الدواعي إلى حفظ اللغات والمعاني العرفية سيما ما له ارتباط باستنباط الاحكام الشرعية.

واما ما يقال من أن المراد الجواز العقلي ثم بعد وقوع اصطلاح اخر إما ان يراعى الشرع الاول خاصة وهو مع كونه ترجيح من غير مرجح تضييع للاخرين او الثاني فيلزم تضييع الأولين مع عدم كونه مرسلأ بلسان قومه او كليهما ويرتفع الامان ويختل الاحكام، فضعيف جداً.

والخامس: بأن المراد بالخلق هو التقدير أو جعل الامكان فالعموم بحاله ولو في افعال العباد لأنها مخلوقة له خلق تقدير لا تكوين كما في الخبر، وكذا لو أريد به خلق الاسباب والآلات والمقتضيات ولعل هو الاظهر من ملاحظة مساق الآية سيما مع سلامتها عن التخصيص واما ارادة الخلق التكويني الفعلي فبعيدة عن السياق والاصل عدم التخصيص ودعوى كونه حقيقة في هذا خاصة دون ما مر غير مسموعة وعموم الاشتراك اولي من المجا سلمنا الحمل على الاخير لكن القطع حاصل بخروج افعال العباد التي يمكن كون الوضع منها فيكون كالمخصص بالمجمل للشك في مصاديقها والتمسك بالاصل في مثله لا يخلو من تأمل فتأمل جيداً. فإنه يمكن دعوى صحة الدلالة بظهور المعنى الاخير الموجب للحمل عليه ولو للانصراف او لكونه من جملة المدلول ثم البناء في تخصيص مثله بالحكم على خروج ما يقطع بخروجه، واما المشكوك فالبناء على دخوله تحت حكم العام للقطع بالشمول والشك في الاخراج وليس هناك لفظ مجمل كي يلحق بالمخصص بالمجمل ودعوى انصراف مثل هذا العموم الشمولي من الاوضاع الشخصية غير

مسموعة فيتم الاستدلال بها كآية المتقدمة التي قد سمعت التقريب فيها ولو بمعونة الاخبار المتقدمة الظاهرة في استناد الوضع إليه سبحانه فلا يرد ان غاية ما تدل عليه بعد تسليم دلالتها انّ الوضع غير ناش من ذرية ابينا آدم.

واما استناده اليه سبحانه او الى خلق آخر كبني الجان وغيرهم فغير واضح سيما بعد ما ورد في الاخبار من أنّه كان في الأرض خلق اخر قبل ابينا آدم. بل في الخبر: انّ الله تعالى خلق الف الف عالم والـف الف آدم وانتم في آخر تلك العوالم واولئك الآدميين^(١).

اذ فيه ان الظاهر منها ولو بمعونة الاخبار المتقدمة وملاحظة شرافة علم الأسماء حتى فضّل الله به آدم على غيره من الملائكة إنّما هو استنادة إليه سبحانه مضافاً إلى أنّه لو كان متداولاً بين خلق سابق على آدم في الأرض أو في السماء لتسامع بها بعض الملائكة ان لم يعرفها كلهم مع أنّ قضية الاصل هو تأخر الحادث الذي هو الوضع من زمن وجود الخلق السابق إلا أنّه حينئذ بالنسبة إلى تعيين الواضع مثبت فلا تغفل.

نعم يمكن أن يقال إنّ الفريقين مجتمعون على عدم استناده إلى خلق آخر بل هم بين من يقول باستناده إلى الله تعالى ومن يقول باستناده إلى أبي البشر وذريته فالقول باستناده إلى خلق آخر من بني الجان او غيرهم خرق لهذا الاجماع. ولا بأس به على فرض تحقّقه.

ثمّ انّ في المسألة اقوالاً أخر كالقول باصطلاحية جميع اللغات وانّ الواضع

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٢١.

فيها هو البشر كما عن جماعة من المتكلمين والتفصيل بان ما يحتاج إليه في التفهيم والتفهيم بان هذا موضوع لذلك يكون بتوقيف الله سبحانه والباقي من البشر باصطلاح منهم وتوقف العلامة وبعض الأصوليين وتام الكلام في ادلة الاقوال موكول إلى الأصول، وكذا الكلام في أنه ليس للنزاع ثمرة علمية وان محله هو الحقيقة اللغوية الاصلية لا مطلق الحقيقة ضرورة ان الواضع في الاعلام الشخصية والحقائق العرفية العامة والخاصة منقولة كانت او مرتجلة هو البشر، ولذا قيل إنه يلزم من ذلك تخصيص العموم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، بالحقائق اللغوية او بالحقائق المبتدئة فان تعليم الأسماء لا يستلزم تعليم جميع معانيها بل يصدق بتعليم البعض ايضاً.

بقي الكلام في أن الاختلاف في المقام مبني على ما هو المشهور بين العلماء الاعلام من أن دلالة اللفظ على المعنى بواسطة الوضع له، واما على القول الاخر المحكى عن عباد^(١) بن سليمان الصيمري وجمع من المعتزلة واهل التكسير من أن دلالة طبيعية ناشية عن ذات اللفظ من دون توسط الوضع والنزاع ساقط من اصله، إلا أن هذا القول في أصله بمحل من السقوط ضرورة أنه لو كانت الدلالة ذاتية لامتنع اختلافها باختلاف الامم والاصقاع والازمان، مع اننا نرى اللفظ الواحد حقيقة في معنى عند قوم او في زمان وفي معنى آخر عند غيرهم، او في زمان اخر بسبب طرؤ الوضع وغلبة الاستعمال وايضاً كان يلزم ان يحصل العلم بالمعاني بملاحظة الالفاظ في جميع اللغات ولم يعهد حصوله لاحد ولو ممن يدعي ذلك

(١) هو ابو سهل عباد بن سلمان البصري المعتزلي، سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٥٢.

فضلاً عن العامة وايضاً نرى الاعلام الشخصيّة والحقائق العرفيّة التي نعلم بالضرورة استناد الدلالة فيها إلى الوضع غير دالّة على تلك المعاني قبل حدوث الوضع ولو كانت ذاتيّة لم يؤثر الوضع فيها شيئاً ولم ينفك عنها الاثر الطبيعي هذا مضافاً إلى دوران الدلالة مع الاعتقاد بالوضع عدماً ووجوداً علماً وظناً ووهماً وشكاً وضرورة الوضع للنقيضين والضدين وغير ذلك ممّا لا داعي للتعرض له بعد ظهور التوقيف في جميع الاعصار والامصار بالنسبة إلى جميع اللغات على طرق اثبات الوضع سيّما مع ضعف تمسك المدّعين للدلالة الذاتيّة من أنّها لو انتفت لزم الترجيح او التّرجّح من غير مرجّح وفيه ما لا يخفى.

❖ التناسب بين اللفظ والمعنى ❖

ولذا قيل: إنّ مراد القائلين بها دعوى التناسب الذاتي بين اللفظ والمعنى، وإنّ ذلك التناسب هو علة الوضع، أو المرجّح لخصوص الطرفين باعتبار ملاحظة الصفات التي للحروف من الهمس والجهر والشدة والرخاوة وغيرها من الصفات التي عنت بضبطها أئمة الاشتقاق والتصريف، مضافاً إلى ما لها من المنسوبات والطبائع التي ذكرها علماء الجفر والأعداد والحروف والأوفاق من إثبات الطبائع والخواص الغريبة للحروف باعتبار تمزيجاتها وتركيباتها ونسبتها إلى خصوص الكواكب والأزمنة والعناصر والمواليد والجهات والأفعال والاخلاق وغيرها، ولذا قالوا: إنّ قضيّة تلك الخواصّ أن العالم بها إذا اراد تعيين شيء مركّب منها لمعنى أن لا يهمل التناسب بينهما قضاءً لحق الحكمة فوضع الفصم بالفاء للكسر بسهولة لما

بين الفاء التي هي حرف مهموس رخوٌ وبينه من المناسبة، والقضم بالقاف للكسر بشدة لمناسبة للقاف التي هي حرف جهر وشدة وقلقلة، ووضع الفعلان بالتحريك لما يقتضي التقلب والحركة كالطيران والجولان والغليان، وهو أيضاً كما ترى لانتفاء المناسبة الجزئية في كثير من المقامات، ولذا وضعوا للضدين والمتخالفين ونحوهما.

نعم ذكر الشيخ أحمد الأحسائي: أن هذا الحمل صلح منهم بغير رضى الخصمين، ثم ذكر أن الأصح ما ذهب إليه أهل المناسبة لما قرره هو في معنى دلالة اللفظ حيث قال: كل اسم فله مادة مخصوصة بينها وبين ما تراد له مناسبة نوعية بينه وبين ما يراد له مناسبة شخصية، فإذا أراد وضع لفظ بأزاء معنى اخذ له من الحروف ما يناسبه وجعلها مادة لاسم ذلك المعنى وركب تلك الحروف على هيئة من التركيب في الحركات والسكنيات والتقديم والتأخير تناسب ذلك المعنى كذلك، وتلك الهيئة هي صورة ذلك الاسم فوضعه بأزاء ذلك المعنى فكان الاسم بتلك المادة المخصوصة والهيئة المخصوصة دالاً للسامع العالم بالوضع على مسماه كما أنك إذا أومأت إلى زيد بأن يأتي إليك أومأت إليه بهيئة الإقبال بأن تقبض أصابعك في الجملة مشيراً بها إليك فيضمّ بالمادة وهي حركة اليد والصورة وهي الإشارة له بيدك إليك كالجاذب له إرادة الإقبال، ولو أردت إنصرافه أومأت بيدك إليه بهيئة الدفع فيفهم بالحركة والهيئة إرادة الإنصراف، لأن هذه الهيئة في المادة المخصوصة تدلّ المشار إليه على ما يراد منه، فكذلك الاسم بالمادة والهيئة المخصوصتين يدلّ السامع على معناه، فحقيقة الدلالة إرشاد اللفظ بمناسبة مادته وصورته لفهم

المخاطب إلى المعنى الموضوع له كما مثلنا في الإشارة.

ثم قال: فان قلت: لو كان ذلك كذلك لم يجهل أحد شيئاً من المعاني والواقع خلافه.

قلت: أئما احتيج للعلم بالوضع هنا لشدة خفاء المناسبة لأنها مناسبات حرفية من عالم الغيب على ما حقق في محله.

فان قلت: اذا كانت مناسبات حرفية من عالم الغيب فما الفائدة في ملاحظتها واعتبارها اذا لم يطلع عليها جميع المخاطبين؟

قلت: الفائدة شيان: أحدهما إقتضاء حكمة الحكيم ان لا يخصص شيئاً بشيء بغير مناسبة يقتضي التخصيص مع قدرته على ذلك، وثانيهما: أن ذلك أسكن لقلب المخاطب لو تنبه في بعض الأحوال لبعض المناسبات، كما ذكر في الفرق بين القضم والقضم، وفي زنة فعلاً متحركاً وفي دلالة الوضع للأصوات بما يناسبها كما قيل في صوت الغراب غاق، وفي صوت شفتي الناقة عند شربها شبيب، إذ لو وُضع غاق لصوت شفتي الناقة عند الشرب وشبيب لصوت الغراب ثم تنبه المخاطب للمناسبة لنفرت نفسه من ذلك لما بين اللفظ وبين معناه من المنافرة.

وذكر في موضع آخر: أن المناسبة لا يزيد منها خصوص المناسبة الشخصية، بل قد تكون مناسبة نوعية كمناسبة الإنسان لزيد وعمرو، أو جنسية كمناسبة الحيوان لزيد والفرس، بل لا نريد منها إلا مطلق الصلوح الذاتي للمسمى في المادة والهيئة، إلا أنه يعبر في صلوح هيئة اللفظ لهيئة المعنى مشخصة الارتباط بينهما. ثم أطنب الكلام في بيان المناسبة بين مواد الحروف وهيئات الترتيب

والإعراب وبين الأجسام والأشكال الخارجة، وفي دعوى المناسبة حتى في الاعلام الشخصية وفي الالفاظ المشتركة حتى الموضوع للضدين والنقيضين كالقراء والجون، وعسوس، وفي دعوى المناسبة بين الالفاظ والأزمنة وبين الاعلام المشتركة ومعانيها إلى غير ذلك مما لا يعود إلى حاصل ولعلك، لو تدبرت كلامه بتمامه عرفت أنه كان قد دعاه إلى ذلك ملاحظة بعض المناسبات الجزئية التي هي كالنكات الاتفاقية بعد الوقوع بالنسبة إلى بعض الالفاظ، مع التخلف في الاكثر.

ومن الغريب استدلاله في مواضع من كلامه بأسماء الأصوات التي ذكروا أنها حكاية صوت مسموع من الحيوان وغيره كغاق، فأنه حكاية صوت الغراب، وطق حكاية صوت وقع الحجارة بعضها على بعض، أو أنها مما يخاطب به ما لا يعقل كقولهم في دعاء الضأن: حاحا وفي دعاء المعز: عاعا غير مهموزين، فإن القسم الاول من هذه الأسماء مجرد حكاية صوت شبيه بالواقع والثاني بمنزلة النعيق، ولذا إستشكلوا صدق حدّ الكلمة عليها، وإن لم يكن الاشكال في محلّه.

وبالجملة إبداء أمثال تلك المناسبات الجزئية بين بعض الالفاظ ومعانيها لا موقع لها بالنسبة إلى تلك اللغات المتسعة الكثيرة في الألسنة المختلفة المنتشرة بين أهل العالم لإفهام المعاني الدقيقة والنكات الخفية، مع أنه يُستفاد من تضاعف كلامه الطويل الذي لم تتعرض لحكايته أن مراده مجرد إعمال المناسبات في الوضع لا

انكار أصله، ويؤيده تصريحه في موضع آخر بأن الواضع هو الله سبحانه وإن كان ينافيه ما ذكره أولاً من ردّ كلام المؤولين، وتصحيح مقال اصحاب المناسبة، وما ذكره من تعريف الدلالة لكثته رحمه الله أدرى بفحوى ما أفاد وإني مقرّ على نفسي بالقصور عن نيل المراد والله يهدي من يشاء إلى سبيل الرشاد.

تفسير الآية ﴿٢١﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾

تذكير لنعمة رابعة عامّة عليهم لما فيها من تشريف أبيهم وتكريمه بجعله مسجوداً للملائكة النورانيين الذين هم عباد مكرّمون كما أن قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾، تذكيره لنعمة ثالثة حسب مامرّ، وإن توهم بعضهم أنّ هذه رابعة للثلاثة التي تضمّنتها هي من تخصيص آدم بالخلافة ثمّ بالعلم ثمّ بلوغه فيه إلى أن عجزت الملائكة عن نيّله، فأنه لا يخلو عن تكلف، ولكن الخطب سهل.

والوجوه المتقدّمة في متعلّق الظرف جارية في المقام، ولكن في «تفسير الامام عليه السلام»: قال الله تعالى: «كَأَنَّ خَلْقَ اللَّهِ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ أَيُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ خَلَقَ لَكُمْ»^(١).

وقد بيّنا سابقاً أنّ الظرف هو الزمان الممتدّ قبل خلق آدم وإن كان كلّ من

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٤٩ عن التفسير المنسوب إلى الامام عليه السلام.

خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْقَوْلُ فِي طَرَفٍ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالسُّجُودِ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيقِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١).

وقوله : لهم إماماً بالإلهام إلى كلّ منهم ، أو بالخطاب العامّ الشامل لجميعهم ولو بخلق الأصوات ، أو بالتبليغ إليهم بتوسط بعضهم ، أو بواسطة أنوار محمّد وآله الطيّبين صلّى الله عليهم أجمعين كما وقع التلوّيح إليه في بعض الأخبار.

❏ وقت الامر بالسجود ❏

والاية وان كانت ظاهرة في كون الأمر بالسجود بعد وجود آدم ونفخ الروح فيه سيّما بملاحظة فسجدوا الظاهر في اتصال الفعل بالأمر إلا أنّ المستفاد من قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢)، وقوع الأمر مقترناً بالبشارة بالخلق وقد مرّ مرسلأ في عبارة الصدوق: إنّ الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام^(٣).

وفي تفسير القمي وغيره في تفسير قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ أنّه كان ذلك

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) كمال الدين: ج ١ ص ١١.

تقدّمه من الله في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم^(١).

لكنه لا منافاة بينهما لاحتمال التعدّد تنبيها على مزيد الاهتمام والتأكيد، بل كأنه المتعيّن وبه يجمع بين ما مرّ وبين ما في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾^(٢)، نعم سيأتي في تفسير قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(٣)، عن النبي ﷺ من طرق العامة: أنه لما اقرّفت الخطيئة ونظر الى اشباح النبي والأئمة حول العرش وأخبره الله تعالى أنهم من ذريته، قال ﷺ: فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذريته، فعوضه الله عن ذلك السجود أن أسجد له ملائكته.

وظاهره كما ترى كون الإسجد بعد الإقرار، ولعله مخالف لظاهر الكتاب وصریح الاخبار.

مركز تحقیق کتاب پوز علوم اسلامی

❖ في معنى السجود ❖

والسجود في اللغة هو الخضوع والتذلل، وكلّ شيء ذلّ فقد سجد، وسجد البعير خفض رأسه عند ركوبه، ومنه قوله: «وقلن له أسجد لليلی فأسجداً»، يعني البعير أي طأطأ لها لتركيبه من قولهم: أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى، قال حميد بن ثور يصف نساء.

فضول أزمتهأ أسجدت سجود النصارى لأخبارها

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٠٤ عن تفسير علي بن ابراهيم.

(٢) الاعراف: ١١.

(٣) البقرة: ٣٧.

يقول: لما إرتحلن ولَوَيْنَ فضول أجمالهنّ على معاصمهنّ أسجدت لهنّ.

وبالجملة فالظاهر إطلاقه لغةً على كلّ من الخضوع والانحناء وتطأطأ الرأس، وأصل الاصل في معناه هو الأوّل، وإطلاقه على الأخيرين باعتبار تحقّقه فيهما كما يطلق على غيرهما من الأفعال الصّادرة عن خضوع، او الموضوعه لها بحسب العادة، ومنها وضع الجبهة على الأرض أو ما أنبت ممّا لا يؤكل ولا يلبس، فإنّ الظاهر عدم ثبوت الحقيقة الشرعيّة أو المتشرّعة فيه بل هو باق على معناه اللغوي وإن اعتبر للشارع في صحّته جزءاً للصلوة أموراً خارجة عن مسماها لغةً كما اشار إليه بعض مشايخنا معترضاً به على من قبله، لكنّه لا يخلو عن تأمل نظراً إلى تبادل الهيئة الخاصّة منه عرفاً بحيث لا ينبغي معه التأمّل في صيرورته حقيقة فيها عند الشارع او المتشرّعة، وتيامم الكلام في مقام آخر.

وممّا مرّ يظهر النظر فيما قاله الرازي: من أنّ السجود في عرف المتشرّعة عبارة عن وضع الجبهة على الأرض، فوجب أن يكون في اصل اللغة كذلك لأنّ الاصل عدم التغيير^(١).

اذ فيه انّ اللغة ثابتة لتنصيب وغيره، وأمّا ما يأتي في خبر «القصص» فعلى فرض صحّته محمول على بيان النوع والكيفيّة فتأمل.

واللام في قوله: «لآدم» متعلّق بأسجدوا أي إخضعوا له طاعة لله سبحانه، أو أنّه بمعنى «إلى» والمتعلّق محذوف اي أسجدوا مقبلين إلى آدم على حدّ قول

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢١٣.

حسان^(١):

ما كنت احسب هذا الأمر منصرفاً من هاشم ثم منها عن أبي الحسن
أليس أول من صلى لقبلكم وأعرف الناس بالقرآن والسنن
لكنه بعيد لتظافر الأخبار على كون السجود لآدم تكريماً له وان كان ربما
يتحقق معه ايضاً، وأبعد منه ما قيل من احتمال كونه للتوقيت أو بمعنى بعد كما
احتمل الوجهان في قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٢)، بل
ينبغي القطع بعدمه، فإن تعلق السجود بآدم ليس على وجه مجرد التوقيت بخلقه
والتوجه إليه، بل كان تكريماً له وتعظيماً للأوار المستودعة في صلبه المخصوصة
بمقام الخلافة الكلية والفيوض الربانية، ولذا كان تعظيمهم تعظيم الله تعالى شأنه كما
قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٣).

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم رسولي

❖ فلسفة سجود الملائكة لآدم ❖

وروى الصدوق وغيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول
الله ﷺ: إن الله فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع
النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك، وساق الخبر على ما
مر إلى أن قال: ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة

(١) حسان بن ثابت الانصاري الشاعر توفي سنة (٥٤) هـ عن مائة وعشرين سنة مناصفة في

الجاهلية والإسلام - شذرات الذهب ج ١ ص ٦٠.

(٢) الاسراء: ٧٨.

(٣) الفتح: ١٠.

بالسجود له تعظيماً لنا واکراماً وكان السجود لله ﷻ عبوديةً ولآدم اكراماً وطاعة لكوننا في صلبه^(١).

وفي «القصص» بالاسناد عن أبي بصير قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام سجدت الملائكة لآدم ووضعوا جباههم على الارض؟ قال: نعم تكرامة من الله سبحانه^(٢). وفي «الاحتجاج» في جواب مسائل الزنديق عن الصادق عليه السلام انه سئل: أيلح السجود لغير الله تعالى؟ قال: لا، قال: فكيف أمر الله بالسجود لآدم؟ فقال: إن من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله اذ كان عن أمر الله^(٣).

وعن «الاحتجاج» والتفسير في خبر مرَّ صدره إلى أن قال عليه السلام: فلذلك قال الله: فاسجدوا لآدم لما كان مشتملاً على أنوار هذه الخلايق الأفضلين ولم يكن سجودهم لآدم إنما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله ﷻ وكان بذلك معظماً له مبعجلاً^(٤).

وفي «تحف العقول» عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم^(٥).

وفي «الاحتجاج» عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: ان يهودياً سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزة النبي ﷺ في مقابلة معجزات الأنبياء عليهم السلام فقال: هذا

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٣٩ - ١٤٠ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٣٩.

(٣) الاحتجاج: ص ٣١.

(٤) البحار: ج ١١ ص ١٣٨ عن تفسير الإمام عليه السلام.

(٥) تحف العقول: ص ٤٧٨.

آدم ﷺ أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئاً من هذا؟ فقال عليّ ﷺ: لقد كان ذلك، ولكن اسجد الله لآدم ملائكته، وسجودهم لم يكن سجود طاعة وأنهم عبدوا آدم من دون الله، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة ورحمة من الله له، ومحمد ﷺ أُعطي ما هو أفضل من هذا إن الله جلّ وعلا صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها^(١).
الخبر.

وفي تفسير الامام ﷺ قال: ولما أمتحن الحسين ﷺ ومن معه بالعسكر الذي قتلوه وحملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي فانكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم فإن الله ﷻ يُعيني ولا يُخليني من حُسن نظره كعادته في أسلافنا الطيبين، فإما عسكره ففارقوه، وإما أهله الأذنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وإنّ الله وإن كان خصني مع من مضى من اهلي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات بما يسهل عليّ معها احتمال المكروهات، فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلّم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها، أولاً أحدثكم بأول أمرنا وأمركم معاشر أوليائنا ومحبيّنا والمتعصّبين لنا ليسهل عليكم احتمال ما أنتم له

مَقْرُونٍ مَعْرُضُونَ؟ قَالُوا: بَلَى يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ وَسَوَّاهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ جَعَلَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ أَشْبَاحًا خَمْسَةً فِي ظَهْرِ آدَمَ، وَكَانَتْ أَنْوَارُهُمْ تَضِيءُ فِي الْآفَاقِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْحُجُبِ وَالْجَنَانِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ تَعْظِيمًا لَهُ، إِنَّهُ قَدْ فَضَّلَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ وَعَاءً لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي قَدْ عَمَّ أَنْوَارُهَا فِي الْآفَاقِ، فَسَجَدُوا إِلَّا ابْلِيسَ أَبِي أَنْ يَتَوَاضَعَ لِجَلَالِ عِظَمَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يَتَوَاضَعَ لِأَنْوَارِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ وَقَدْ تَوَاضَعَتْ لَهَا الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا، فَاسْتَكْبَرَ وَتَرَفَّعَ وَكَانَ بِإِبَائِهِ ذَلِكَ وَتَكْبِيرِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ.

ثُمَّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ آدَمَ لَمَّا رَأَى النُّورَ سَاطِعًا مِنْ صُلْبِهِ إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ نَقَلَ أَشْبَاحَنَا مِنْ ذُرْوَةِ الْعَرْشِ إِلَى ظَهْرِهِ، رَأَى النُّورَ وَلَمْ يَتَبَيَّنِ الْأَشْبَاحَ، فَقَالَ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْأَنْوَارُ؟ قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنْوَارُ أَشْبَاحِ نَقَلْتَهُمْ مِنْ أَشْرَفِ بَقَاعِ عَرْشِي إِلَى ظَهْرِكَ، وَلِذَا أَمَرْتُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَكَ إِذْ كُنْتَ وَعَاءً لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ فَقَالَ يَا رَبِّ لَوْ بَيَّنَّتْهَا لِي؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْظِرْ يَا آدَمَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَرْشِ، فَنَظَرَ آدَمَ ﷺ وَوَقَعَ نُورُ أَشْبَاحِنَا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَى ذُرْوَةِ الْعَرْشِ، فَانطَبَعَ فِيهِ صُورُ أَنْوَارِ أَشْبَاحِنَا كَمَا يَنْطَبِعُ وَجْهُ الْإِنْسَانِ فِي الْمِرْآةِ الصَّافِيَةِ، فَرَأَى أَشْبَاحَنَا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَشْبَاحُ يَا رَبِّ؟ فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمَ هَذِهِ الْأَشْبَاحُ أَفْضَلُ خِلَاتِقِي وَبَرِيَّاتِي: هَذَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ فِي أَعْمَالِي، شَقَقْتُ لَهُ إِسْمًا مِنْ اسْمِي، وَهَذَا عَلِيُّ وَأَنَا الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ شَقَقْتُ لَهُ إِسْمًا مِنْ إِسْمِي، وَهَذِهِ فَاطِمَةُ وَأَنَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، فَاطِمَةُ أَعْدَائِي عَنِ

رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعتر بهم وبشيتهم، فشقت لها إسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل شقت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي، بهم آخذ، وبهم أعطي، وبهم أعاقب وبهم أتيب فتوسّل إليّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاك، فاني آليت على نفسي قسماً حتماً^(١) لا أخيب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلت منه الخطيئة ودعا الله ﷻ بهم فتاب عليه وغفر له^(٢).

وقد ظهر من جميع ما مرّ ان سجود آدم كان تكريماً له وتعظيماً للأنوار المستودعة في صلبه، وعبودية له سبحانه حيث كان ذلك امتثالاً لأمره، ولو لم يكن هناك أمر لم يكن لاحد من الملائكة ولا غيرهم احياء وامواتاً إلا بصدور الأمر الخاص بالنسبة إليه.

ويدلّ عليه مضافاً إلى ما مرّ ما رواه الصفار في البصائر بالاسناد عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يوماً قاعداً في اصحابه اذ مرّ به بعير فجاء حتى ضرب بجرائه^(٣) الأرض ورغاً^(٤) فقال رجل: يا رسول الله أشجّد لك هذا البعير فنحن احقّ أن نفعل، فقال رسول الله ﷺ: لا بل أسجدوا لله ثم قال: لو أمرت احداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(٥).

(١) في البحار: حقاً.

(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ١٤٩ - ١٥١ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٣) الجران بكسر الجيم وتخفيف الزاء: مقدّم عنق البعير أو الفرس.

(٤) رغا: أي صوت.

(٥) البحار: ج ٢٧ ص ٢٦٥ عن البصائر ص ١٠٢.

وفي خبر آخر بعد قوله: بل اسجدوا لله قال ﷺ ان هذا الجمل يشكو أربابه ثم ذكر قصة الجمل الخبر.

وفي الخرائج: إن اعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال هل من آية فيما تدعوا إليه؟ فقال: نعم إيت هذه الشجرة فقل لها: يدعوك رسول الله ﷺ قال: فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها فقطعت عروقها، ثم جاءت تخذ الأرض حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ قال: فمرها فلترجع إلى منبتها، فقال الأعرابي: إئذن لي أن أسجد لك، فقال ﷺ: لو أمرت أحداً أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال: فائذن لي أن أقبل بين يديك فأذن له (١).

وفيه وفي «المناقب» عن انس أن النبي ﷺ دخل حائطاً للانصار وفيه غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: نحن أحق لك بالسجود من هذا الغنم، فقال ﷺ: أنه لا ينبغي أن يسجد أحد لاحد، ولو جاز ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها (٢).

وقد مرّ في خبر العسكري أنه لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله يخضع له كخضوعه لله ويعظمه بالسجود كتعظيمه لله تعالى ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلفين من متبعينا أن يسجدوا لمن توسط في علوم عليّ وصيّ رسول الله ومحض وداد خير خلق الله عليّ بعد محمد رسول الله ﷺ (٣).

وفي «الاحتجاج» عن تفسير الامام ﷺ في خبر احتجاج النبي ﷺ على أهل

(١) الخرائج: ص ١٨٥ وعنه البحار ج ١٧ ص ٣٧٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٨٦.

(٣) تفسير البرهان: ج ١ ص ٨١ عن تفسير الامام ﷺ.

الأديان قال: ثم أقبل يعني رسول الله ﷺ على مشركي العرب وقال: وأنتم فلم
عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال لهم: أهي
سامعة مطيعة لربها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله تعالى؟ قالوا: لا قال:
فأنتم الذي نحتّموها بأيديكم؟ قالوا: نعم، قال: فلأنّ تعبدكم هي لو كان يجوز منها
العبادة أحرى من أن تعبدوها، اذا لم يكن امركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم
وعواقبكم والحكيم فيها يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله ﷺ هذا اختلفوا، فقال
بعضهم: انّ الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور
نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حلّ فيها ربنا.

وقال آخرون منهم: إنّ هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثلنا
صورهم وعبدناهم تعظيماً لله.

وقال آخرون: إنّ الله لما خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود لله كنا نحن أحقّ
بالسجود لآدم من الملائكة ففاتنا ذلك، فصورنا صورته فسجدنا لها تقرباً إلى الله
كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله، وكما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة
مكة ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها وقصدتم
الكعبة لا محاريبكم، وقصدكم في الكعبة إلى الله تعالى لا إليها.

فقال رسول الله ﷺ: أخطاتم الطريق وضللتم أمّا انتم - وهو ﷺ يخاطب
الذين قالوا: إنّ الله يحلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي حلّ فيها ربنا -
فقد وصفتم ربكم بصفة المخلوقات! أو يحلّ ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك
الشيء؟ فإي فرق بينه وبين سائر ما يحلّ فيه من لونه وطعمه ورائحته وليسنه

وخشونته وثقله وخفته، ولم صار هذا المحلول فيه مُحدثاً وذلك قديماً دون أن يكون ذلك مُحدثاً وهذا قديماً؟!

وكيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال، وهو ﷻ كان لم يزل، وإذا وصفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال.

إلى أن قال: ثم أقبل ﷺ على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صُورَ من كان يعبد الله فسجدتم لها وصلّيتم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما الذي ابقيتم لربّ العالمين؟!

أما علمتم أنّ من حقّ مَنْ يجب تعظيمه وعبادته أن لا يساوي به عبده؟ أرايتم ملكاً عظيماً إذا سَوَّيْتُمُوهُ بعبده في التعظيم والخشوع والخضوع أفيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم.

قال: أفلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المصطفيين تزرّون على ربّ العالمين؟! قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمرنا.

ثمّ قال رسول الله للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلاً وشبهتمونا بانفسكم ولا سواء، ذلك أنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمرُ له فيما أمرنا، وننجز فيما زجرنا، ونعبده من حيث يريد منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، ولم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا ولم ياذن لنا، لأننا لا ندري لعلّه أراد منا الأوّل فهو يكره الثاني، وقد نهانا أن نتقدّم بين يديه فلما أمرنا بالتوجه إلى الكعبة أطعناه ثمّ أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعناه، فلم نخرج في شيء من ذلك من إتباع أمره، والله ﷻ حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي

هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لانكم لا تدرّون لعلّه يكره ما تفعلون اذ لم يأمركم به .

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ أرايتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوماً بعينه الكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير امره، او لكم أن تدخلوا داراً أخرى مثلها بغير امره؟ أو وهب لكم رجل ثوباً من ثيابه او عبداً من عبده او دابةً من دوابه الكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإن لم تأخذوه ألكم أخذ آخر مثله؟ قالوا لا لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما اذن في الأوّل، قال ﷺ: فاخبروني الله تعالى اولى بان لا يتقدّم على ملكه بغير امره أو بعض المملوكين؟ قالوا بل الله اولى بان لا يتصرّف في ملكه بغير اذنه، قال: فلم فعلتم ومتى امركم أن تسجدوا لهذه الصّور؟ قال: فقال القوم سننظر في امرنا ثمّ سكتوا^(١)، الخبر.

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

❖ الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته» ❖

اقول: ولعلّ من مثل هذه الأوهام التي سمعتها من المشركين سرى الوهم والزيغ إلى قلوب المشبهين فأولوا النبوي المشهور بين الفريقين «أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته»^(٢).

على ما يوافق مرامهم ويطابق كلامهم، بل قد تمسك بظاهره فرّق من أصحاب الاخذود كالحلوليّة والاتحادية والقائلين بوحدة الوجود مع انّ المروي من

(١) الاحتجاج: ص ٢٦-٢٨.

(٢) عوالي اللالي: ج ١ ص ٥٣ رقم الحديث ٧٨.

طرق الفريقين في تنمّة الخبر ما يسقط معه الاستدلال على مثل هذه الاوهام.

ففي «التوحيد» و«الاحتجاج» و«العيون» عن الحسين بن خالد قال: قلت: للرّضا عليه السلام: يا بن رسول الله انّ الناس يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابقان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من شبهك فقال صلى الله عليه وآله: يا عبدالله لا تقل هذا لآخيك، فإنّ الله عزّ وجل خلق آدم على صورته ^(١).

وروته العامّة عن الزهري عن الحسن ^(٢)، مع أنّه قد يقال إنّ في الخبر وجوهاً آخر أيضاً مثل ما قيل: من انّ الضمير راجع إلى آدم صلى الله عليه وآله دون الله تعالى فيكون المعنى أنّه خلقه على الصورة التي قبض عليها، فإنّ حاله لم يتغيّر في الصورة بلا زيادة ولا نقصان، او إلى الله سبحانه ويكون المعنى أنّه خلقه على الصورة التي اختارها وأجتهاها، لأنّ الشيء قد يضاف على هذا الوجه إلى مختاره ومصطفاه أو انّ المراد بالصورة الصفة من كونه سمياً بصيراً متكلماً قابلاً للاتّصاف بصفاته الجماليّة والجلاليّة، او انّ المعنى أنّه سبحانه أنشأ على هذه الصورة التي شوهد عليها على سبيل الابتداء والاختراع وأنّه لم ينقل إليها من صورة اخرى كما جرت العادة في البشر من كونه نطفة وعلقة ومضغة وغيرها من الاطوار الطارئة عليه خلقاً من بعد خلق، او أنّه خلق آدم وخلق صورته لينتفي بذلك الشك في أنّ تأليفه من فعل غيره لأنّ التأليف من جنس مقدور البشر وانّ خلق الجواهر هو الذي يستفرد

(١) الاحتجاج ص ٤١٠.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٤ عن تنزيه الانبياء للسيد المرتضى.

القديم تعالى بالقدرة عليه فكأنه ﷺ أخبر عن هذه الفائدة الجليلة وهو ان جوه آدم وتأليفه كلها من فعله سبحانه، إلى غير ذلك من الوجوه التي لا ينبغي حمل الخبر عليها بعد استفاضة الاخبار من طرق الفريقين على خروجه على سبب خاص مذكور كما سمعت.

نعم قد روى الصدوق رحمه الله بالاسناد إلى محمد بن مسلم قال سألت ابا جعفر ﷺ عما يروون ان الله تعالى خلق آدم على صورته فقال ﷺ: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سائر الصفة المختلفة فاضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه وقال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١)، وفيه دلالة على تشريف هذه الصورة^(٢).

وربما يقال: إنه قد روى إن ملائكة التصوير اذا أرادوا تصوير النطفة ذكراً او انثى فيقولون: يا رب على أي صورة تصوره، فان كان ذكراً قال سبحانه: أحضروا صور آباءه إلى آدم وصوروه مثل واحدة منها، وإن كان انثى قال أحضروا صور أمهاتها إلى حواء وصوروها على مثل صورة واحدة منها، ومن ثم قال ﷺ: لا ينبغي لاحد أن يطعن في نسب ولده لأجل أنه لا يشبهه في الصورة فلعله إنما صور مثل واحد من آباءه وهذا في غير أبينا آدم، وأما هو فليس فيه آباء ولا أمهات حتى يصور مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة التي خلق عليها، فقد تحصل من جميع ما مرّ وجوه ثمانية في الخبر.

(١) الحجر: ٢٩ وص: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣ ح ١٥ عن التوحيد للصدوق.

واعلم أنه قد استفيد من تضاعيف الأخبار المتقدمة وغيرها أن السجود من العبادات المختصة به سبحانه لا ينبغي إشراك غيره معه فيه، فما يفعله بعض الزائرين للنبي ﷺ أو الائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ينبغي منعهم والانكار عليهم، لأن الله تعالى يحب أن يُعبد من حيث شاء وأراد وأمر، ولم يرد الأمر بهذا النحو من التعظيم لغيره سبحانه ولو للأنبياء والأولياء.

وأما ما يتخيل من أن السجود لهم ﷺ على أبوابهم وأعقابهم زيادة في تعظيم الله وعبادته، باعتبار أن وقوعه منه إليه إنما هو لقدره وشرفه ورتبته عند الله تعالى، فالسجود له حينئذ زيادة في تعظيم الله وتعظيم شعائره فقيه أنه استحسان وهمي لا ينبغي الإعتماد عليه في الأمور التوقيفية الشرعية، وقد استدلّ بمثله المشركون وأجاب عنهم النبي ﷺ بما لا مزيد عليه في خبر الاحتجاج والتفسير مضافاً إلى ورود النهي عنه في غير واحد من الأخبار التي مرّ شطر منها بل وعليه يحمل النهي في الصحيح المروي في العلل عن أبي جعفر عليه السلام قال صلّ بين خلال القبور، ولا تتخذ شيئاً منها قبلةً فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فإن الله ﷻ لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد^(١).

ثم إن ظاهر الجمع المحلي في المقام كون المأمورين جميع الملائكة العلوية والسفلية حتى جبرئيل وميكائيل وغيرهما من المقربين، ويؤيده قوله في موضع آخر ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٢) بل في فضائل الشيعة للصدوق عن

(١) الفقيه: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) سورة ص: ٧٣.

النبي ﷺ في قوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١) انا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم بالفري عام، فلما خلق الله ﷻ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ اي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش^(٢).

فان فيه زيادة تأكيد في ارادة جميع الافراد وفي خبر المعراج المروي في التفسير والاحتجاج: ان النبي ﷺ قال لجبرئيل: تقدم يا جبرئيل فقال له: إنا لا نتقدم على الأدميين منذ أمرنا بالسجود لادم ﷻ^(٣).
إلى غير ذلك من ظواهر الاخبار الكثيرة التي هي الحجّة، ومع ذلك كله فلا ينبغي الإصغاء إلى ما ينسب إلى الحكماء من حمل الملائكة في الآية على القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة نظراً إلى أنه يستحيل أن تكون الأرواح السماوية منقادة للنفوس الناطقة، إذ هو كما ترى مبني على ما إشتخسنوه بالأوهام الضعيفة والخيالات الواهية.

ثم ان المشهور كسر التاء في قوله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾، وعن أبي جعفر^(٤)

(١) ص: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٢ ح ٩ عن فضائل الشيعة.

(٣) علل الشرايع: ص ١٤ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٨ ح ٣.

(٤) المراد به ابو جعفر القاري يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة كان من التابعين وإمام اهل

المدينة في القراءة توفي سنة (١٣٢) هـ.

وحده ضمها حيث وقع، إمّا لاتباع ضمة الجيم، أو لنقل ضمة الهمزة إليها كأنها لم تسقط، وهما ضعيفان كأصل القراءة ﴿فَسَجَدُوا﴾ جميعاً لآدم اتقياداً لامره سبحانه بمطلق الخضوع والتذلل، أو بالإنحاء ووضع الجبهة كما ربما يظهر من بعض الأخبار المتقدمة، سيما خبر «القصص» أو على اختلاف أنحاء تذللاتهم التي لا يمثل واحد منها بالآخر لاختلاف درجاتهم وطبقاتهم ولذا قالوا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١)، وكان سجودهم في الأرض على ظهر الكوفة كما في تفسير العياشي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوّل بقعة عبّد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجداً على ظهر الكوفة^(٢).

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ المِيس اي الآيس من رحمته سبحانه، ولذا سمي به، والآ فكان مسمّى بالحارث ويكنى أبا مرة كما في المعبرة ففي «المعاني» عن الرضا عليه السلام: كان اسمه الحارث سمي إبليس لأنه ابلس من رحمة الله^(٣).

وفي «البحار» عن كتاب «غور الأمور» عن النبي صلى الله عليه وآله أن اسمه الحارث وكنيته أبو مرة، وأما سماه الله إبليس لأنه ابلس من الخير كله يوم آدم عليه السلام^(٤).

وفي «العيون» و«العلل» بالإسناد أنه سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس ما كان في السماء؟ فقال: كان اسمه الحارث^(٥).

(١) الصافات: ١٦٤.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٤ وعنه البحار ج ٥ ص ٤٠.

(٣) معاني الأخبار: ص ١٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٢٦.

(٥) العيون: ص ١٣٤ والعلل ج ٢ ص ٢٨١.

وعن ابن عباس كان اسم إبليس حين كان مع الملائكة عزازيل ثم صار إبليس^(١)، ويقال: إن اسمه كان نابل فلما سخط الله عليه سمي شيطانا، وعن بعضهم أنه كان كنيته إبليس اباكدوس.

ثم أنه قد ظهر مما مر أن إبليس عربي مشتق من الإيلاس، قال في الصحاح: أبلَسَ من رحمة الله أي يئس، ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل، والإيلاس أيضاً الانكسار والحزن يقال: أبلَس فلان إذا سكت غمًّا.

قال الراجز^(٢):

يا صاح هل تعرف رَسماً مَكْرَساً قال نعم أعرفه وأبلسا
وجعله الفيروزآبادي والراغب وغيرهما أحد الوجهين، والوجه الآخر الذي
قد يقال بتعيينه كونه أعجمياً سبيله سبيل إنجيل في كونه مُعَرَّباً غير مشتق، واستدلوا
بأنه لا ينصرف في المعرفة للتعريف والعجمة.

وأجيب بأنه إنما لم يُصرف استثقلاً له من حيث أنه اسم لا نظير له في أسماء
العرب فشبهته العرب بأسماء العجم التي لا تنصرف كإسحق وأيوب وادريس،
ونحوها مما لا تنصرف مع اشتقاقها من أسحقه الله اسحاقاً وآب ويؤوب، ومن
الدرس.

قال شيخنا الطبرسي وغلطوا في جميع ذلك لأن هذه الالفاظ معربة وافقت
الالفاظ العربية، وكان أبوبكر السراج^(٣) يمثل ذلك على وجه التباعد بمن زعم أن

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

(٢) هو العجاج عبدالله بن رؤبة الشاعر المتوفى سنة (٩٠).

(٣) هو محمد بن جعفر بن احمد بن الحسين ابوبكر السراج المتوفى سنة (٥٠٠).

الطير ولد الحوت.

قال رحمه الله: وغلطوا أيضاً في أنه لا نظير له في أسماء العرب لأنهم يقولون: إزميل للشفرة، وإعريض للطلع، وإحريض لصبغ احمر، ويقال هو العصفر، وسيف إصليت ما من كثير الماء، وثوب إضريح مُشْبَع الصبغ، وقالوا: هو من الصفرة خاصة، ومثل هذا كثير^(١).

وفي المصباح: أنه لو كان عربياً لانصرف كما تنصرف نظائره نحو: إجفيل وإخريط.

أقول: ولو تم ما ذكره لتعين حمل الأخبار على الإشتقاق المعنوي، والخطب سهل بعد القطع بعدم انصرافه، واستفادة الإبلاس من لفظه. ثم إن الاستثناء منقطع لما ستعرف من عدم كونه من الملائكة، أو متصل باعتبار كونه جنياً واحداً في ألوف من الملائكة مغموراً بهم معدوداً في عدادهم، حتى ظن بعض الملائكة أنه منهم فغلبوا عليه في الخطاب حين خوطبوا وفي حكاية القصة لنا أو في الثاني خاصة، وأما الخطاب التكليفي فلعله قد وقع على نحو آخر من دون لفظ وأصوات ولا عبارات وكلمات وإنما ألهمهم ذلك بإلهامات غيبية وطرق قطعية.

ثم إن ظاهر الآية بل الآيات والأخبار المشتملة لذكر القصة كون المتمرد العاصي هو إبليس خاصة لكن في النهج في خطبة يذكر فيها خلق آدم ﷺ إلى أن قال: فسجدوا إلا إبليس وقبيله اعترتهم الحمية، وغلبت عليهم الشقوة، وتعززوا

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨١.

بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية وانجازاً للعدة فقال: انك من المنظرين^(١) الخطبة.

حيث ان الظاهر منها تعدد المتمردين فان القبيل في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى، فان كانوا من اب واحد فقبيله، ولعل المراد بقبيله وذريته الذين رضوا بفعله، ولذا قال ﷺ: إنما يجمع الناس السخط والرضا^(٢).

ويؤيده قوله بعد صيغ الجمع فاعطاه الله النظرة؛ وربما يحتمل ايضاً أن يكون المراد به أشباهه من الجن في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسجود ايضاً وعدم ذكرهم في الآية والاختبار للإكتفاء بذكر رئيسهم، أو المراد به طائفة خلقها الله في السماء غير الملائكة، وفيهما تكلف، والأول أولى وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾^(٣) فتأمل.

﴿أبَى﴾: امتنع أن يتواضع لجلال عظمة الله وأن يتواضع لانوار أهل البيت وقد تواضعت له الملائكة كلها.

﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ وترفع استنكافاً عن عبوديته سبحانه واستصغاراً لمن رفعه الله وشرقه وخصه دونهم بالعلم والخلافة، فلم يخضع له ولم يتخذه وسيلة إلى التقرب إليه سبحانه، والإباء ترك الطاعة باختيار، قيل: وليس الإباء بمعنى الكراهة لأن العرب تتمدح بأنها تآبى الضيم ولا مدح في كراهة الضيم وإنما المدح في الامتناع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١ ص ٩٧ ط مصر.

(٢) بحار الانوار: ج ١١ ص ٣٧٩ وفيه: إنما يجمع الناس الرضى والسخط.

(٣) الاعراف: ٢٧.

عنه كقوله: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾^(١).

والاستكبار طلب الكبر كالتكبر، وهو أن يرى نفسه اكبر من غيره، ويترفع إلى منزلة لا يستحقها.

القمي عن الصادق عليه السلام: الإستكبار هو أوّل معصية عَصِيَ اللهُ بها قال عليه السلام فقال ابليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وانا اعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل فقال جلّ جلاله لا حاجة لي إلى عبادتك إنما عبادتي من حيث اريد لا من حيث تريد^(٢).

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ اي صار منهم كما في «القاموس» وغيره، وصرح به بعض المفسرين كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ﴾^(٣) ويؤيده ما في تفسير الإمام عليه السلام وكان يابائه ذلك وتكبره من الكافرين، ولعله المستفاد من بعض ظواهر الاخبار ايضاً.

وروى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام: قال: إن أوّل كفر كفر بالله حيث خلق الله آدم كفر ابليس حيث ردّ على الله أمره^(٤).

ويظهر منه ومن غيره من الأخبار بل ومن الآيات أنه لم يكن سبب كفره مجرد المخالفة بل الرد عليه سبحانه في أمره وتجهيل الحكيم في حكمته على ما يستفاد من قياسه الفاسد والاستخفاف بنبي الله آدم عليه السلام، على أن مرجع استكباره

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤١ عن تفسير القمي ص ٣٤-٣٥.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) تفسير العياشي عنه البحار: ج ١١ ص ١٤٩.

إنما هو الإستكبار من عبوديته سبحانه، وكفى به كفراً والحاداً.

او كان كافراً في علمه سبحانه قبل ذلك حيث أضر في قلبه ترك السجود لادم والرّد عليه سبحانه لو أمره بذلك، او كان كذلك في أصل الكينونة وبدو الخلق، وإن اظهر العبادة مدّة مديدة.

ففي «الخصال» و«تفسير الفرات» بالإسناد عن الحسن عليه السلام فيما سأله كعب الأحبار عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فاخذ من أديم الأرض قبضةً فعجنه بالماء العذب والمالح، وركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض، فطرحه كالجبل العظيم، وكان إبليس يومئذ خازناً على السماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول: لأيّ امر خلقت؟ لأن جعلت فوقي لا أطعتك، ولئن جعلت أسفل مني لا أعينك، فمكث في الجنة الف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح^(١).

وفي «تفسير القمي»: خلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصوراً وكان يمرّ به ابليس اللعين فيقول لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام فقال ابليس لئن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته^(٢).

وفي «الاحتجاج» في أسئلة الزنديق المدعي للتناقض عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الايمان بالقلب هو التسليم للرب، ومن سلّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن امره، كما استكبر ابليس عن السجود لادم، واستكبر اكثر الأمم عن طاعة انبيائهم،

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٩٤ عن تفسير الفرات ص ٦٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٢٤ وعنه البحار ج ١١ ص ١٤١.

فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع ابليس ذلك السجود الطويل فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يُرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة^(١). الخبر.

وفي الخطبة القاصعة العلوية المذكورة في النهج: الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمى وحرما على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكة المقرئين، ليميز المتواضعين منهم عن المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ﴾، اعترضته، الحمية، فافتخر على آدم بخلقته، وتعصب عليه لأصله، فعدو الله امام المتعصبين، وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصية، ونازع الله رداء الجبرية، وأدرع لباس التعزز، وخلع قناع التذلل، إلى قوله ﷻ: فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يُدرى أمن سني الدِّينا أم من سني الاخرة، عن كبر ساعة واحدة فمن ذا يُعد ابليس يسلم على الله تعالى بمثل معصية؟ كلاً ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بامر أخرج به منها ملكاً إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحدٍ من خلقه هوادةٌ في اباحة حمى حرّمه على العالمين^(٢).

الخطبة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٧٥ عن الاحتجاج ص ١٣٠.

(٢) الخطبة: ١٩٢ من نهج البلاغة.

❖ ابليس كان من الجن ❖

ثم ان ظاهر قوله: أخرج به منها ملكاً بل لعل صريحه كون إبليس ملكاً من الملائكة بل ظاهر قوله في صدر الخطبة: ثم إختبر بذلك الملائكة المقرّبين كونه من مقرّبينهم، سيّما مع ظهور تقسيمهم إلى المتواضعين والمستكبرين في ذلك، وهذا المذهب هو المحكي عن بعض المتكلمين واكثر فقهاء العامة، وحكاه في «المجمع» عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة، واختره من أصحابنا شيخ الطائفة في «التبيان» قال: وهو المروي عن أبي عبدالله والظاهر في تفاسيرنا، ثم حكى عن القائلين بأنه كان منهم فقيل: إنه كان خازناً على الجنان، وقيل كان له سلطان سماء الدنيا ولسطان الأرض، وقيل: إنه كان يسوس ما بين السماء والأرض^(١).

وغاية ما يستدلّ لهم على ذلك وجوه من سردى

أحدها: أنه لو لم يكن منهم لما تناوله الخطاب المتوجّه إلى الملائكة في صريح الآية، وحيثذ فلم يكن مأموراً بالسجود فلا تكليف فلا مخالفة، فيجب أن لا ينسب إليه الإباء والاستكبار ولا يستحقّ الذم والعقاب.

ثانيها: ان الاستثناء ظاهر او حقيقة في المتصل، وقضية دخول المستثنى في المستثنى منه لأنه إخراج ما لولاه لدخل في الحكم لدخوله في الموضوع، فيجب أن يكون داخلاً في عداد الملائكة لأن الله تعالى قد استثناءهم في آيات كثيرة. ثالثها: الخطبة المتقدمة حسبما سمعت من التقريب مضافاً إلى ما أرسله في

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

«التبيان» من أنه المروي عن الصادق عليه السلام معتضداً بما ادّعاه الشيخ من استظهاره في تفاسيرنا.

والجواب عن هذه الوجوه أنها مع تسليم دلالتها والفضّ عمّا فيها على ما تسمع كلّها ظواهر يجب الخروج عنها بمقتضى ما دلّ على عدم كونه من الملائكة من الأدلة القطعية التي منها الإجماع القطعي الدال على عصمتهم عن الصفات والكبائر، مضافاً إلى الآيات والخبار الدالة عليها حسبما مرّت إليه الإشارة، ومنها الإجماع المنعقد في خصوص المقام أيضاً، فانا لا نعرف أحداً من الامامية ذهب إلى كونه من الملائكة عدى الشيخ الذي لا يقدر خروجُه في انعقاده لكونه معلوم النسب، ولكون قوله هذا مخالفاً لما هو المقطوع من مذهب الامامية من ذهابهم إلى عصمة جميع الملائكة فكان قوله هذا مع شذوذه وانفراده به ومخالفته لما استقرّ عليه مذهب الامامية وتواترت به اخبارهم على ما تسمع مسبقاً بالاجماع على خلافه ملحوقاً به واحتمال نسبه إلى مفسرينا كما استظهره منهم في تبيانه موهون جداً سيّما مع عدم الحكاية من غيره رأساً في كتب التفسير وغيرها، بل المحكي عن شيخه وهو المفيد رحمه الله في كتاب «المقالات» أنه قال: إن ابليس من الجن خاصة، وأنه ليس من الملائكة ولا كان منها قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ابْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(١)، وجاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى من آل محمد عليهم السلام بذلك وهو مذهب الامامية^(٢) كلّها وكثير من المعتزلة واصحاب الحديث، ومنها الاخبار الكثيرة

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

التي لا يبعد دعوى تواترها بل هي متواترة معنى كما صرح به المفيد وغيره فلا علينا أن نتعرض لشطر منها في المقام وان طال بها زمام الكلام.

ففي «تفسير القمي» في الصحيح عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال قال: نعم والكافرون دخلوا فيه، لأن الله تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وابليس، وإن ابليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، وكانت الملائكة تظن أنه منهم ولم يكن منهم، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب ابليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أن ابليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السلام: فكيف وقع الامر على ابليس وإنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فقال: فكان ابليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك ان الله تعالى خلق خلقاً قبل آدم، وكان ابليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم واسروا ابليس ورفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم ^(١) آه.

اقول: قوله في صدر الخبر: أنه كان مع الملائكة اي بالولاء كما بينه في ذيله، وفيه وجوه من الدلالة على أنه لم يكن من جنسهم، بل ويدل أيضاً على عصمة الملائكة ولو من الحسد.

في تفسير العياشي عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن ابليس أكان من الملائكة أو هل كان يلي شيئاً من امر السماء وكان من الجن؟

(١) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٧٣، رقم ١٦٠ عن تفسير القمي ص ٣٢.

فقال ﷺ: كان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها وكان الله يعلم أنّه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان (١).

ورواه شيخنا الصدوق في كتاب النبوة بالاسناد عنه ﷺ وفيه عنه قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن ابليس أكان من الملائكة او كان يلي شيئاً من امر السماء؟ فقال ﷺ: لم يكن من الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها وكان الله يعلم أنّه ليس منها ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء ولا كرامة قال جميل: فاتيت الطيار فاخبرته بما سمعت فانكر وقال: كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: فدخل عليه الطيار (٢) فسأله وانا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذه المنافقون والضلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة (٣).

وفي تفسير الامام ﷺ أنّه قيل له ﷺ فعلى هذا لم يكن ابليس ايضاً ملكاً فقال لا بل كان من الجنّ أما تسمعون الله ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ (٤) وهو الذي قال الله ﷻ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٥)، إلى آخر ما يأتي في قصة هاروت وماروت ممّا يدلّ على

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٤ ح ١٦.

(٢) المشهور بهذا اللقب محمد بن عبدالله الكوفي من اصحاب الصادق ﷺ.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٨ عن العياشي.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) الحجر: ٢٧.

عصمة الملائكة وعظم شأنهم.

وروى الصدوق في «العلل» و«المجالس» عن سلمان الفارسي قال: مر ابليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرة؟ فقال: يا أبا مرة أما تسمع كلامنا؟ فقال سوئاً لكم تسبون مولاكم علي بن ابي طالب؟ قالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟ قال: من قول: نبيكم عليه السلام: من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته، ولكني أحبه وما يبغضه أحد إلا شاركته في المال والولد، فقالوا له: يا أبا مرة فتقول في علي شيئاً؟ فقال لهم: إسمعوا مني معاشر الناكثين والقاسطين والمارقين عبدت الله تعالى في الجان اثني عشر ألف سنة، فلما أهلك الله الجان شكوت إلى الله تعالى الوحيدة فخرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت الله تعالى في السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة أخرى في جملة الملائكة فبينما نحن كذلك نسبح الله تعالى ونقدسه إذ مر بنا نور شعشعاني، فخرت الملائكة لذلك النور سجداً فقالوا: سبوح قدوس هذا نور ملك مقرب أو نبي مرسل، فاذا بالنداء من قبل الله تعالى ما هذا نور ملك مقرب ولا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن ابي طالب^(١). إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة التي يظهر منها إستقرار مذهب الأئمة عليهم السلام على عدم كونه من الملائكة، وان كان قد سرى الوهم إلى الطيار وغيره من ظاهر الخطاب، ولذا أجاب الإمام عليه السلام بما حاصله أن الخطاب يتعلق بمن أقر بالدعوة الظاهرة وإن لم

(١) علل الشرايع: ص ١٤٣ - ١٤٤ ح ٩.

يشاركهم في الحقيقة وفي الايمان الحقيقي .

وبالتأمل في فحاويها يظهر الجواب عن الأدلة المتقدمة لضعف الأول بأنه لما نشأ معهم وطالت خلطته بهم تناوله الخطاب المتوجه اليهم مضافاً إلى ما مرّت الإشارة إليه من كون التغليب في الحكاية لا الخطاب ، وإنما كان الافهام بالالهام او بخصوص خلق الكلام ويؤيده قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (١) .

والقائي : بكون الاستثناء منقطعاً او مبنياً على التغليب في المستثنى منه ولو بمعونة الأخبار المتقدمة وغيرها مما يفيد القطع بالمطلوب فلا يقدح مخالفتها للظاهر سيما مع اقترانه بقوله ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الذي هو كالقرنية المتصلة على ما ستسمع .

الثالث : بان اطلاق الملك عليه في الخطبة مبنياً على كونه معهم في العبادة ومنهم بحسب الولاء وفي زعمهم على ما أشير إليه في الاخبار المتقدمة ، وأما ما أرسله في «التبيان» فلم نجد منه اثرأ في الأخبار ، وعلى فرضه يجب تأويله كما يؤول الضعيف العامي المروي في البحار عن كتاب «غور الامور» للترمذي عن النبي ﷺ في خبر ظهور ابليس ليحيى النبي على نبيتنا وآله وعلينا وفيه أنه قال له يحيى ما بال خلقك وصورتك على ما ارى من القبح والتقليب والانكار؟ قال : يا نبي الله هذا بسبب ابيك آدم إني كنت من الملائكة المكرمين واني لم ارفع رأسي من سجدة واحدة اربعمائة الف سنة وعصيت ربي في امر سجودي لآدم ابيك فغضب الله علي ولعني ، فحوّلت من صورة الملائكة إلى صورة الشياطين ولم يكن في

الملائكة أحسن صورة مني فصرت ممسوخاً منكوساً مقبوحاً هائلاً كريهاً كما ترى^(١). الخبر

بكونه في جعلتهم بحسب الظاهر في اجمل زي وأحسن صورة حتى ظهرت منه المخالفة الكامنة ما تقلبت صورته إلى ما اقتضته سيرته، مع أنه لا عبرة بقوله المحكي عنه، وعلى كل حال فيتعين تأويل أمثال هذه الاخبار أو طرحها بعد استقرار المذهب على عدم كونه منهم، بل ودلالة قواطع الأدلة عليه حسبما سمعت، بل قد يستدل عليه أيضاً بقوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٢)، فإن المراد به حيث يطلق الجنس المعروف الذي يقابل بالإنس.

وتوهم أن «كان» بمعنى صار كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ سيما مع نص الأخفش وغيره عليه، مدفوع بأنه خلاف الظاهر فلا يصار عليه إلا بدليل فضلاً عن قيامه، على خلافه. مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

وأما ما يقال من أن الجن مشتق من الإجتنان وهو السر ومنه الجنين والجنّة والجنون، والملائكة لما كانوا مستترين عن العيون صح إطلاق الجن^(٣) سلماً لكن المراد به طائفة من الملائكة معروفون بهذا الاسم كما روتها العامة عن بعض اصحاب رسول الله ﷺ ورواه بعضهم عن ابن عباس قال: كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازناً من خزّان الجنّة، قال: وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي قال وولدت

(١) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٢٢٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢١٣.

الجنّ الذي ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها اذا لهبت^(١) وخلق الانسان من طين فأول من سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتلوا بعضهم بعضاً فبعث الله ابليس في جند من الملائكة وهم هذا الحيّ الذي يقال لهم الجنّ فقتلهم ابليس ومن معه حتّى الحقوهم بجزائر البحور واطراف الجبال فلما فعل ابليس ذلك اغترّ في نفسه وقال قد صنعت شيئاً لم يصنع احد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

وفي رواية اخرى عنه: انّ من الملائكة قبيلة يسمّون الجنّ وكان ابليس منها

وكان يسوس ما بين السماء والأرض^(٢)

بل قد يؤيد ايضاً بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَباً﴾^(٣) حيث أن قريشاً قالت الملائكة بنات الله .

ففيه انّ هذا كلّه مخالف للظاهر الذي هو الحجّة بل كأنه ردّ على النصوص المتقدّمة المصرّحة بأنّه كان من الجنّ لا من الملائكة وأنّه كان معهم والملائكة كانوا يحسبون أنّه منهم ولم يكن منهم إلى أن كان منه الذي كان وأنّه كان من بني الجان، وقد سمعت أنّه قد وقع السؤال في كثير منها من اشتغال الخطاب له مع عدم كونه منهم، واحتمال معارضة مثل هذه النصوص المأثورة عن أئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالمرويّ عن ابن عباس وغيره من طرق العامة ممّا لا ينبغي الاصغاء اليه على أنّ ظاهر الآية تعليل تركه السجود بأنّه كان من الجنّ، ولذا فرع

(١) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) جامع البيان للطبري: ج ١ ص ١٧٨ .

(٣) الصافات: ١٥٨ .

عليه بالفاء قوله: ﴿فَقَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١) ومن البين أنه لا يصحّ تعليل ترك السجود باختفائه عن العيون ولا بكونه خازناً عن الجنة ولا تفرّيع التمرد والعصيان على شيء منهما، ولفظ الجنّ وإن جاز إطلاقه على الملك بحسب اللّغة على ما قيل، إلا أنه صار بحسب العرف مختصاً بالجنس المقابل للإنس والملك، فلا يحمل على المعنى اللّغوي الذي هو مجاز عرفي إلا لدليل، ولذا قوبل به في قوله ﴿وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

نعم روي في «تفسير الفرات» عن محمد بن علي عن آبائه عليهم السلام قال: هبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وهو في منزل أم سلمة، فقال يا محمد إن ملائكة السماء الرابعة يجادلون في شيء، حتى كثر بينهم الجدل فيهم، وهم من الجنّ من قوم ابليس الذين قال الله في كتابه: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(٣) فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قد كثر جدالكم فنراضوا بحكم من الآدميين يحكم بينكم، قالوا: قد تراضينا بحكم من أمة محمد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله إليهم بمن ترضون من أمة محمد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: رضينا بعلي بن أبي طالب عليه السلام فأهبط الله ملكاً من ملائكة السماء الدنيا ببساط وأريكتين فهبط إلى النبي صلى الله عليه وآله فاخبره بالذي جاء فيه، فدعا النبي صلى الله عليه وآله بعلي بن أبي طالب عليه السلام وأقعدته على البساط ووسّده بالأريكتين، ثم تفل في فيه، ثم قال يا علي ثبت الله قلبك ونور حجّتك بين عينيك، ثم عرج به

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) الكهف: ٥٠.

إلى السماء فلما نزل قال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: نرفع درجات من نشاء، وفوق كل ذي علم عليم^(١).

لكنه قاصر عن معارضة ما سمعت بعد ظهور ضعف سنده ودلالته.

وأما الاستدلال للمختار بأن ابليس له نسل وذرية لقوله: ﴿أَفَسَخِّذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾^(٢).

والملائكة لا ذرية لهم، لأنه ليس فيهم أنثى لقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً﴾^(٣) والذرية إنما تحصل بالذكر والانثى، وإن الملائكة رسل الله لقوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا﴾^(٤)، ورسل الله معصومون لقوله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٥)، وأن الملائكة روحانيون مخلوقون من الأنوار، والجان مخلوق من مارج من نار، وأن الملائكة لا يطعمون ولا يشربون، بل طعامهم التسبيح وشرابهم التهليل، وأما الجن فقد ورد في الأخبار: النهي عن التمسح بالعظم والأروث معللاً بكونهما طعاماً لهم^(٦) فلا بأس بها تأييداً لما سمعت، وإن كان بعضها لا يخلو عن قصور، ولعل من أمعن النظر في أخبار الباب والأصول المقررة بين الأصحاب يقطع بأن مذهب أهل البيت عليهم السلام هو ما سمعت من غير ارتياب.

(١) تفسير فرات: ص ٧٠-٧١ وعنه البحار ج ٢٩ ص ١٦١.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) الزخرف: ١٩.

(٤) فاطر: ١.

(٥) الأنعام: ١٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٨٢.

ثم إن من جميع ما مرّ يظهر النظر فيما قد يقال دلالة الآية على كون إبليس من الملائكة، وإن من الملائكة من ليس بمعصوم، كما لا يخفى ضعف دلالتها على حصول الكفر بأفعال الجوارح مجردة عن الأمور القلبية على ما قيل، لما ستعرف من أن سبب كفره هو الإستخفاف بأمر الله والرد عليه.

❖ ما يستفاد من الآية الكريمة ❖

نعم تدلّ على تفضيل آدم على كل الملائكة، لتعلق الخطاب عليهم جميعاً على ما مرّ، وعلى حرمة الإستكبار، وأنه قد يفضي بصاحبه إلى أن يُعدّ من الكفار ويستحقّ النار، وعلى الحثّ على الإيتمار لأمر الله تعالى وترك الخوض في سرّه، وعلى بطلان القول بالجبر لنسبة السجود إلى الملائكة، والإيذاء والإستكبار والكفر إلى إبليس، ولولم يكن لهم قدرة واختيار لما صحّ شيء من ذلك وعلى كون صفة إفعال للوجوب، وإن كان ذلك لا يخلو عن خفاء، لا لإحتمال القرينة في الخطابات الشفاهية، والأصل وإن كان دافعاً للمقالية إلا أنه لا يدفع الحالية إذ الشك في الحادث لا الحدوث، ولا لوروده عقيب الحظر أو توهمه لحرمة السجود لغيره سبحانه فأفاد الإباحة وفهم الوجوب لقرينة فلا دلالة، ولا لإحتمال الاختلاف بين عرفنا وعرف الملائكة والتزام اتّحاد الوضع واللغة منظور فيه وظهور الحكاية في الموافقة ممنوع بعد إفهام المرام، وذلك لأنه يمكن دفع ذلك كله بالأصل، والظهور الذي هو الحجّة مضافاً إلى تطرّق وجوه المناقشة إليها كما يمكن دفع كثير من الإعتراضات التي ربما يورد عليها، بل لأنّ الدّم والتكفير على الإستكبار الذي

لا ريب في حرمة سواء كان إستكباره على آدم أو على الله سبحانه في إمتثال أوامره الواجبة أو المندوبة، فإن ترك المندوب عتواً وعلواً واستكباراً عليه سبحانه حرام قطعاً، بل هو من أسباب الإرتداد والكفر، والآ فالذم والانكار في هذه الآية وغيرها من الآيات المشتملة على هذه القصة غير مترتب على مجرد ترك الامتثال الذي لم يعلم كونه سبباً للكفر، ولو في حق إبليس أو جنود الملائكة المقربين.

ومن هنا يتجه أن يقال إن هيهنا اموراً ثلاثة: إباء للسجود، واستكبار على آدم، وإنكار لرجحان السجود المأمور به من الله تعالى، بل دعوى قبحة لإشتماله على تفضيل المفضول، ولا ريب في سببته للكفر لكونه تسفيهاً للحكيم وتجهيلاً للمخالف العليم، وإلى هذه الأمور الثلاثة المترتبة أشير بقوله ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني باعتراضه عليه سبحانه بقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(١) وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

ثم أنه ربما يستدل بالآية أيضاً على صحة القول بالموافاة، والمراد به أن الذي علم الله من حاله أنه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخوايتم، وإن كان بحكم الحال مؤمناً كما يحكى عن أبي الأشعري، وبناءه في «المجمع» على أحد الوجوه «لِكان» قال: وأما قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل: معناه كان كافراً في الاصل، وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة، وقيل: أراد كان في علم الله من الكافرين^(٣) إلى آخر ما ذكره.

(١) الاسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

والمحكّي عن «الملل والنحل» تفسير الموافاة بأنّ الايمان هو الذي يوافي الموت فمن أطاع الله جميع عمره، وقد علم الله أنّه يأتي بما يحبط عمله، ولو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد، ولا مؤمناً وكذلك على العكس، وقد يقرّر بأنّ الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، والكفر يوجب إستحقاق العقاب الدائم، والجمع بين الاستحقاقين محال، فاذا صدر الايمان من المكلف ثم صدر عنه والعياذ بالله بعد ذلك كفر، فإمّا أن يبقى له الإستحقاقان معاً وهو محال، او يكون الطّاري مزبلاً للسابق وهو ايضاً محال، لأنّ القول بالإحباط باطل فلم يبق إلا أن يقال إنّ هذا الفرض محال، وشرط حصول الايمان في وقت أن لا يصدر الكفر عنه قطعاً، فاذا كان الخاتمة على الكفر علمنا أنّ الذي صدر عنه أولاً ما كان ايماناً، وحيث أنّه كان ختم ابليس على الكفر علمنا أنّه ما كان مؤمناً قطعاً.

أقول: أمّا ابليس فالظاهر من كثير من الأخبار أنّه لم يُردّ بعبادته التقرب إلى الله سبحانه ونيل مآلديه من المثوبة الاخروية والزلفى والكرامة وإنما كان مقصوده نيل الحفظ العاجلة والرياسة الباطلة، وأمّا الآية فقد سمعت أنّ فيها وجوهاً كثيرة، ومن البيّن أنّه يضعف دلالتها على المذهب المتقدّم، بناءً على أكثر الوجوه فيها بل جميعها بعد ملاحظة أنّ ايمان ابليس كان من أوّل الامر كلاً ايمان، حسبما سمعت على أنّ القول بالموافاة بمعنى المتقدّم مخالف لما دلّت عليه ظواهر الأدلة من الكتاب والسنة، فان صحّة الايمان في زمان غير مشروطة بعدم طرؤ الكفر عليه، ولو بعد سنين من الأزمنة بعد كونه عند تحقّقه مستجمعاً للتصديق بالجنان والعمل بالأركان والاقرار باللسان، فإنّ هذه الثلاثة وهي أركان الايمان بحيث إذا تحققت

تحقق قطعاً، وان كان ربما يصدق بتحقق البعض ايضاً، نعم لو كان التصديق اللساني مقترناً بالعزم القلبي على انشاء الكفر واظهاره فيما بعد لم يبعد القول بعدم تحقق الإيمان رأساً، ولعل الأولى تنزيل القول بالموافاة على ذلك، سيما ما نسبه في «المجمع» إلى مذهبنا الظاهر في نسبه إلى الامامية المشعرة بدعوى الاجماع عليه، إلا أن مساق كلماتهم يأبى عن ذلك، بل الظاهر منها أنه مع خلوص ايمانه واقترائه بكل ما يعتبر اقترائه به لو اتفق منه الكفر في آخر عمره بحيث قد مات عليه فلا يعد ايمانه ايماناً اصلاً، لظهور الكاشف عن عدم كونه إيماناً في الحقيقة، وهو كما ترى مخالف لظواهر الأدلة، بل ربما يمكن تحصيل القطع على خلافه وأين هذا مما ادعى الاجماع على صحته ويمكن أن يكون المراد أن من ختم له بالكفر فحكمه في الخلود وسائر الأحكام حكم الكفار، وإن كان في اكثر عمره مقيماً على وظائف الإيمان، كما أن من ختم له بالإيمان فهو محشور في زمرة المؤمنين مبشر بخلود الجنان، وان انقضى عمره في الكفر والطغيان، وهذا ايضاً لا بأس به، بل هو المستفاد من ظاهر الآيات والاحبار، كما أن المستفاد منها كونه في حال الايمان مؤمناً على الحقيقة، وفي حال الكفر كافراً على الحقيقة، نعم الختم بالكفر يوجب حبط الأعمال الصالحة وبطلانها، أو كون المجازات بها في هذه الدار الفانية، ولذا يخاطبون في الآخرة بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^(١)، كما أن الختم بالإيمان يوجب تكفير السيئات، فإن الاسلام يجب ما

قبله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والحبط والتكفير بهذا المعنى مما يدل عليه المنقول ، ولم يقم على فساده شيء من أدلة العقول ، بل هو المختار عند الإمامية على ما صرح به بعض الفحول ، وأما الحبط والتكفير بالمعنى الذي قال به بعض المعتزلة ، وقام النص والاجماع على بطلانه عند الامامية فهو إذهاب كل من الحسنة والسيئة على قدر ما لها من المرتبة ضعفاً وقوة للاخرى مع ذهابها على قدر إذهابها ، واين هذا مما اشرنا اليه من المعنى المتقدم ، ومن هنا يظهر ضعف ما ربما يستدل به للقول بالموافاة بالمعنى المتقدم من ان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم إلى آخر ما مرّ تقريره .



تفسير الآية (٣٥)

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾

لما أنعم الله تعالى على آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام بصنوف الأنعام واختصّه من العلوم والمعارف وتعليم الملائكة بما أوجب له به مزيد الإعظام ، وأسجد له الملائكة الكرام خاطبه خاطباً فهواتياً بلاوسط على وجه الالهام ، او خلق الكلام ، أو معه على وجه الإيصال والإعلام بالسنّة تراجمه الوحي عليهم الصلاة والسلام ، كما يؤمى إليه بعض الأخبار .

فالنون في قوله : «وقلنا» نون الكبرياء والعظمة ، او نون الوساطة والكرامة ، وناداه باسمه تكريماً وتقريباً وإن آثر كلمة «يا» من بين حروف النداء تنبيهاً على صدور الخطاب عن سرادق العظمة والجلال .

وقوله: «اسكن» أمر من السكنى بمعنى إتخاذ المسكن، لا من السكون بمعنى ترك الحركة، ومنه السكن بالفتح للمنزل، وبالسكون لأهله، وأصل السكنى أن يعذى بفي كما يقال: قرّ فيه، ولبث فيه، إلا أنهم لما نقلوه إلى سكون خاصٍ تصرّفوا فيه، فقالوا: سكن الدار.

و«انت» تأكيد للمُسْتَكِنِ في أسكن ليصحّ العطف عليه، ولم يقدرُوا ولتسكن زوجك للتببيه على أنه هو المقصود بالحكم، والمعطوف عليه تبع له، ولولاه لم تكن مأمورة به، بل لم تكن أصلاً بخلاف ما لو قيل: اسكنا، والرجل زوج المرأة، وهي زوجته، وزوجته، والجمع فيهما أزواج، وحكى في «المصباح المنير» أن أهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء، وأهل الحرم يتكلمون بها مسجّزاً، وعكس ابن السكيت فقال: وأهل الحجاز يقولون للمرأة زوج هاء وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها زوجات، قال: والفقهاء يقتضرون في الاستعمال عليها للايضاح وخوف لبس الذكر بالانثى، إذ لو قيل: تركة فيها زوج وابن لم يعلم ذكر او انثى.

اقول والاشهر الأوفق للعرف واللغة ما ذكرناه أولاً، والمراد بها حواء خلقها الله تعالى من فاضل طينة آدم ليسكن اليها حين إستوحش من الانفراد كما قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (١).

قيل إنه لما أخرج ابليس من الجنة ولعن، وبقي آدم وحده إستوحش إذ ليس معه من يسكن إليه، فخلقت حوا ليسكن اليها.

وفي المجمع مرسلًا أنّ الله تعالى ألقى على آدم النوم، وأخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فاذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت؟ قالت امرأة، قال لم خلقت؟ قالت لتسكن إليّ، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالت ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حيّ، فعندها قال الله تعالى: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(١).

وستسمع انشاء الله تعالى الكلام في وجه تسميتها ومعنى كونها مخلوقة من ضلع آدم الأيسر في أول سورة النساء.

وحيث إنّ نعمة السكنى لا تتم بدون التسكن لأنه مسكن القلب، وهي مسكن البدن قدّمه عليها في هذه الآية بتقديم الرفيق على الطريق والجار على الدار. والأقوال كظواهر الأخبار مختلفة في كون حواء مخلوقة في الجنة أو قبل دخولها، فربما يستفاد منها الأول وقيل: إنها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة، ثم ادخلا معاً الجنة، وهو الظاهر من تفسير الامام عليه السلام على ما يأتي^(٢).

والأمر بسكنى الجنة للإباحة لا التّعبّد، إذ لا تكليف في السكنى في المواضع النزهة الطيبة، كما أنّ الأمر في «كلا» للإباحة، وإحتمال أن يكون مأموراً بالكون فيها باعتبار ترك اكل الشجرة مبنيّ على كون النهي للتحريم، وضرورة المذهب تنفيه، على ما تسمع، وقد مرّ الكلام في اشتقاق الجنة.

نعم قد اختلفوا في أنّ الجنة التي اسكنها الله تعالى آدم هل هي من جنان

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥ رواها مرسلًا عن ابن عباس وابن مسعود.

(٢) تفسير الامام العسكري (ع): ص ٢٢١.

الآخرة أو من جنان الدنيا؟

وعلى الأول هل هي جنة الخلد أو جنة المأوى أو شيء من الجنان الثمانية
المعدة لثواب الآخرة؟

وعلى الثاني هل هي في السماء أو في الأرض عند صخرة بيت المقدس، أو
بارض فلسطين، أو على ظهر الكوفة أو بين فارس وكرمان؟ على أقوال،
واحتج الأولون بأن ظاهر الالف واللام للعهد والمعهود المعلوم بين المسلمين
هي جنات الآخرة المعدة للثواب وبأنها هي المتبادر منها حتى صار الإسم كالعلم
لها فوجب الحمل عليها.

والآخرون بأن دار الخلد لا يفنى نعيمها ولا يدخلها الشيطان بعد طرده
ولعنه، وبأنها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها كما يقتضيه التسمية ولقوله:
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(١)، وبأن الشيطان وسوس لإدم عليه السلام بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ
عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى﴾^(٢)، ومعلوم أنها لو كانت جنة الخلد لما تمكن
من وسوسة بذلك.

ثم منهم من حمل الإهباط على كونه من السماء إلى الأرض كانه الظاهر،
ولقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾^(٣)، الظاهر في كون الهبوط من غيرها، ولما
روي عن أمير المؤمنين حيث سئل عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال عليه السلام: واد

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) طه: ١٢٠.

(٣) البقرة: ٣٦.

يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء^(١).

ومنهم من حمّله على مجرد الانتقال من أرض إلى أرض سيّما مع انحطاط الرتبة كما في قوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾^(٢).

على أنّ ذكر الهبوط لا يدلّ على كون النزول من السماء قال الله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾^(٣) وإنما كان في السفينة حين إستقرت على الجودي وقال: ﴿إِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْهَيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٤)، قالوا ولا مانع بل هو الواقع إنّ الجنّة التي اسكنها آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾^(٥) أي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٦) أي لا يمس باطنك حرّ الظمأ ولا ظاهرك حرّ الشمس، هذا مع أنّ آدم خلق من الأرض، ولم ينقل أنّه رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ، بل خلق ليكون في الأرض، وبهذا أعلم الله سبحانه الملائكة حيث قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٧).

والذي يستفاد من اخبار أهل البيت عليهم السلام أنّها لم تكن جنّة الخلد ولا من جنان

الآخرة ولا كانت في السماء بل كانت من جنان الدنيا.

(١) عيون الاخبار: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) البقرة: ٧٤.

(٥) طه: ١١٨.

(٦) طه: ١١٩.

(٧) البقرة: ٣٠.

ففي العلل في الموثق عن الحسن بن بشار عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن جنة آدم؟ فقال: جنة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابداً^(١)، وفي بعض النسخ: يطلع فيها الشمس والقمر ورواه في «الكافي» بالاستناد عنه عليه السلام.

وفي «تفسير القمي» مرفوعاً قال سئل الصادق عليه السلام عن جنة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الاخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر ولو كانت من جنان الاخرة ما خرج منها ابداً^(٢). الخبر.

نعم ربما يستظهر من بعض الأخبار ما يخالف ذلك كما رواه العياشي عن عبدالله بن سنان قال: سئل ابو عبدالله عليه السلام وأنا حاضركم لبث آدم وزوجه في الجنة حتى اخرجهما منها خطيئتهما؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل اضلاعه، ثم أسجد له ملائكة واسكنه جنته من يومه ذلك فوالله ما استقرّ فيها إلا ستّ ساعات في يومه ذلك حتى عصى الله فاخرجهما الله منها بعد غروب الشمس، وما باتا فيها وصيراً بفناء الجنة حتى أصبحتا فبدت لهما سؤاتهما وناداهما ربّهما ألم انهكما عن تملكما الشجرة فاستحيا آدم من ربّه وخضع وقال ربّنا ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنه لا يجاورني في جنتي عاصٍ ولا في سماواتي^(٣).

(١) علل الشرايع: ص ٦٠٠ ح ٥٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٣٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦١ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ - ١٨٩ عن تفسير العياشي.

وفي «العلل» عن النبي ﷺ أن آدم لما عصى ربه ﷻ ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جوارى فإنه لا يجاورني احد عصاني فبكى وبكت الملائكة فبعث الله ﷻ اليه جبرئيل فاهبطه إلى الأرض مسوداً^(١) آه.

وفي «المعاني» و«العيون» و«القصص» عن الرضا ﷺ في الخبر الآتي في شجر الجنة أنها تحمل انواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب، وليست كشجر الدنيا، وإن آدم لما اكرمه الله تعالى باسجاد ملائكة له وبادخاله الجنة... إلى أن قال: فأخرجهما الله تعالى عن جنته واهبطهما عن جواره إلى الأرض^(٢).

وفي النهج عن بعض خطب امير المؤمنين ﷺ ثم اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها عيشته، وآمنَ فيها محلته، وحذره ابليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار، فباع اليقين بشكّه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل، وجلا، وبالاغترار ندما، ثم بسط الله سبحانه له في توبته، ولقاه كلمة رحمته، ووعدته المرءة إلى جنته، فاهبطه إلى دار البليّة وتنازل الذرية، الخطبة^(٣).

فإن الظاهر من دار المقام أنها دار الخلد، سيّما مع ما سبقه من الأوصاف وما لحقه من قوله: ووعدته المرءة إلى جنته.

ومثله ما في «المعاني» عن الصادق ﷺ في خبر قال: ولقد قام آدم على باب الكعبة ثيابه جلود الابل والبقر فقال: اللهم أقلني عثرتي واغفر لي ذنبي وأعدني إلى الدار التي اخرجتني منها فقال الله ﷻ: قد أقلتك عثرتك، وغفرت لك ذنبك،

(١) علل الشرايع: ص ١٣٣ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧١.

(٢) معاني الأخبار: ص ٤٢ والعيون ص ١٧٠ وعنها البحار ج ١١ ص ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

وساعيدك إلى الدار التي اخرجتك منها^(١).

وما في القصص من ان آدم لما كثر ولده وولد ولده كانوا يتحدثون عنده وهو ساكت فقالوا يا ابيه مالك لا تتكلم فقال يا بني ان الله جل جلاله لما اخرجني من جواره عهد إلي وقال اقل كلامك ترجع إلى جواري^(٢).

بل وهو الظاهر ايضاً مما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان موسى سأل ربه أن يجمع بينه وبين أبيه آدم حيث عرج إلى السماء في امر الصلاة، ففعل فقال له موسى : يا آدم انت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، واسجد لك ملائكته، وأباح لك جنّته، واسكنك جواره، وكلمك قبلاً، ثم نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها، حتى أهبطت إلى الارض بسببها، فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتى أغراك ابليس فأطعته، فانت الذي اخرجتنا من الجنة بمعصيتك.

فقال له آدم: ارفق بابيك أي بُني فيما لقي من امر هذه الشجرة، يا بني ان عدوي أتاني من وجه المكر والخديعة فحلف بالله أنه في مشورته علي لمن الناصحين، وذلك أنه قال لي منتصحاً: إنني لشأنك يا آدم لمغموم، قلت: وكيف؟ قال: قد كنت انستُ بك وبقربك مني وانت تخرج مما أنت فيه إلى ما ستكرهه، فقلت له: وما الحيلة؟ فقال: إن الحيلة هو ذا هو معك، أفلا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ فكلّا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنة ابداً من الخالدين.

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) البحار: ج ١١ ص ٢٨٠ عن القصص.

وحلف لي بالله كاذباً إنه لمن الناصحين^(١) الخبر.

ومما رواه في «المعاني» في خبر المفضل عن الصادق^(ع): أنه لما أسكن الله آدم وزوجته الجنة، نظرا إلى منزلة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم، فوجدها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ قال الله جلّ جلاله: إرفعا رؤسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤسهما فوجدا أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك! وما أحبهم اليك! وما أشرفهم لديك؟! فقال الله جلّ جلاله: لولا هم ما خلقتكما^(٢). الخبر بطوله على ما يأتي في سورة الاعراف انشاء الله.

وهو الظاهر أيضاً مما ذكره الامام^(ع) في تفسيره^(٣)، وبالجملة فالأخبار لا تخلو عن إختلاف ما في بادىء الأمر ولعله لذا قال المجلسي رحمه الله في البحار: إنّ الهزم بأحد المذاهب لا يخلو من اشكال كما إنّ شيخنا الطبرسي وغيره لم يرجحوا شيئاً من الأقوال والذي يخطر بالبال وفاقاً لبعض المحققين ونبه عليه المجلسي أيضاً في موضعين من البحار وبه يجمع بين ما سمعت من الأخبار أنّ الجنة كانت من جنان الدنيا التي تاوي إليها أرواح المؤمنين في عالم البرزخ بعد خروجها عن أبدانهم كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ عن تفسير العياشي.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٣.

(٣) تفسير المنسوب الى الامام العسكري^(ع) ص ٩٠-٩١.

وَعَشِيًّا﴾^(١)، انّ البكرة والعشيّ لا تكونان في الآخرة في جنان الخلد، وإنّما يكون الغدوّ والعشيّ في جنان الدّنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين وتطلع فيها الشمس والقمر.

وفي «الكافي» في الصحيح عن ضريس الكناسي قال سألت أبا جعفر عليه السلام: انّ الناس يذكرون انّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو وهو يقبل من المغرب، وتصبّ فيه العيون والأودية؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الله جنّته خلقها في المغرب، وماء فراتكم هذه يخرج منها، واليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساءٍ، فتسقط على ثمارها وتاكل منها، وتتنعم فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة، فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض... ثمّ ذكر انّ الله تعالى ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار، إلى أن قال في المسلمين الذين ليسوا من أهل المعرفة ولا من أهل العناد: إنّهم من كان منهم له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فأنّه يُخذّ له خدّاً إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة.^(٢) الخبر.

والاخبار في هذا المعنى كثيرة جداً وبالتأمل فيها يمكن التوفيق بين الأخبار المتقدّمة لكونها حينئذٍ من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، وأمّا اطلاق الهبوط أو الهبوط من السموات أو عن جواره سبحانه أو غير ذلك مما ذكر في الأخبار المتقدّمة وغيرها، فلانّ هذه الجنان وإن كانت في المغرب إلا أنّ أسفلها

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٨ وعنه البحار ج ٦ ص ٢٩٠.

بحسب المرتبة فوق محدّب محدّد الجهات، وقد يعبر عنها بعالم المثال والخيال المنفصل، والهورقليا والإقليم الثامن، وقد قيل: إنّ الانهار الأربعة وهي الفرات والنيل وسيحان وجيحان تنزل من ذلك العالم إلى فلك المحدّد الجهات، ثمّ إلى الملائكة، ثمّ إلى السحاب، ثمّ إلى الأنهار الأربعة ماء كلّ نهر من نظيرة هناك، وفي بعض الأخبار تلويح إليه.

وأما اشتغالها على وعد عوده إليها مطلقاً أو بالشرط ممّا يؤكّد ما سمعت لتحقق ذلك في عالم البرزخ قبل يوم القيمة وكان ما ذكرناه هو الذي أشار إليه الملا صدرا في رسالته «العرشيّة» بقوله: يجب أن نعلم أنّ الجنة التي خرج عنها أبونا آدم وزوجته عليهما السلام لأجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتّقون لأنّ هذه لا تكون إلا بعد خراب الدّنيا وبوار السموات والأرض وانتهاء مدّة عالم الحركات وان كانتا متّفقتين في الحقيقة والرتبة والشرف لكونهما جميعاً دار الحياة الدّاتية، ودار البقاء غير متجدّدة ولا متبدّلة، ولا دائرة ولا فانية ولا زائلة، وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة، وإنّ الموت الطبيعي إبتداء حركة الرجوع إلى الله كما أنّ الحياة الطبيعيّة إبتداء حركة النزول من عنده فكلّ درجة من درجات القوس الصعوديّة بإزاء مقابلتها من درجات القوس النزوليّة، وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدّائرتين إشعاراً بأنّ الحركة الثانية الرجوعيّة إنعطافيّة لا إستقاميّة.

اقول: ولعلّ قوله: لأنّ هذه لا تكون، معناه لا يكون ظهورها ودخول المؤمنين فيها، وإلا فقد سمعت أنّ ضرورة المذهب قاضية بوجودها الآن وهو قد

صرح بذلك في مواضع من كتبه، ومن هنا يسقط ما اعترضه به الشيخ الاجل الامجد في شرحه. نعم ذكر بعد ذلك أن الذي ثبت عندي ما فهمته من الكتاب والسنة على سبيل القطع بحيث لا أرتاب فيه ولا مرية عندي تعتريه ان الجنة الاخرة خلقت قبل سائر الخلق وأن المؤمنين خلقوا منها وإليها يعودون وان الجنة الدنيا خلقت بعد خلق الاجسام خلقت من تنزل الجنة الاخرة كما خلقت الاجسام من تنزل النفوس والارواح والعقول، وان الجنة الدنيا هي بعينها بعد التصفية جنة الآخرة كما أن اجسام الناس الان هي بعينها اجسام الدنيا وهي بعينها بعد تصفيتها اجسام الاخرة، والقرآن ناطق بذلك لمن كان له قلب قال سبحانه في حق الجنة: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ﴾ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ فقوله: ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا يعني جنة الدنيا لأن الاخرة ليس فيها بكرة وعشيًا وقوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(١) يعني جنة الاخرة، وهذا صريح في أن جنة الدنيا هي بعينها جنة الاخرة وقال سبحانه، في شأن النار: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾^(٢) فقوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ يعني نار الدنيا لأن الاخرة ليس فيها غدو وعشي، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يعني بالنار

(١) مريم: ٦٠ - ٦٣.

(٢) غافر: ٤٥ - ٤٦.

المعروض عليها يوم تقوم الساعة نار الآخرة، وقد اتفق القراء على الوقف على تقوم الساعة، ويلزم منه اتحاد النار المعروض عليها، وهذا ظاهر فإن جنة الدنيا تنزل جنة الآخرة، ونار الدنيا تنزل نار الآخرة كما أن أجسام الدنيا تنزل اجسام الآخرة فتصفي أجسام الدنيا وتكون بعينها اجسام الآخرة كذلك تصفي جنة الدنيا وتكون بعينها جنة الآخرة وتصفى نار الدنيا التي عند مطلع الشمس وتكون بعينها نار الآخرة لأن الله سبحانه قد تبين لنا آية ذلك، بل آية كل شيء في انفسنا فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١) وايضاً قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٢)، إلى قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٣)، والمعنى ومن دون جنتي الآخرة أي من قبلهما ومن دونهما أي من أنزل منهما جنتان في الدنيا إذا ماتوا تأوي إليهما أرواحهم وهما الآن في المغرب في الاقليم الثامن، والفرات والنيل وسيحان وحيحان تجري من الجنتين اللتين في المغرب وهما المدهامتان.

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام ما يدل على أنهما في الدنيا وهو قوله عليه السلام في الرجعة: وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله تعالى (٤).

والرجعة من الدنيا وظهورهما في الدنيا دليل على أنهما أي المدهامتان من

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) الرحمن: ٤٦.

(٣) الرحمن: ٦٢-٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

جنان الدنيا وجنة آدم ﷺ هي من جنان الدنيا فيها البكرة والعشبي، وهي المدهامتان، فقد ظهر لمن نظر أن جنة آدم التي أخرج منها هو وزوجته حواء هي من جنان الدنيا وهي الجنتان المدهامتان، وأنها موجودة الآن، وأنها هي بعينها جنة الآخرة إلا أنها تصفى بمعنى أنها تطهر من أعراض البرزخية سبعين مرة فتكون هي بعد التطهير جنة الخلد، كما أن اجساد المؤمنين تطهر في الدنيا للبرزخ، وفي البرزخ للآخرة، لأنها تطهر من أعراض الدنيا سبعين مرة فتكون آخرة، فما بين الدنيا والآخرة في كل ما في الدنيا من الأحوال والنعيم والعذاب أربعة آلاف رتبة وتسعمائة رتبة إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

وهو وإن اجاد فيما أفاد إلا أنه يتوجه على كلامه وجوه من الأيراد: مثل ما ذكره من أن جنة الدنيا خلقت بعد خلق الأجسام فإن مقتضى قواعدهم بل فحاوي بعض الأخبار أيضاً كونها مخلوقة قبل خلق الأجسام، وأن جنة الدنيا هي بعينها جنة الآخرة بل صرح فيما بعد بأن جنة الدنيا أعني جنة آدم ﷺ لا يبقى إلى يوم القيمة بل تفتى عند نفخة الصور، وفيه أن الدليل عليه غير واضح، بل قضية ترتب العوالم وكون النقلة منها وإليها بقاؤها على ما عليها سيما بعد ملاحظة ما ورد من أنه تعالى ينشيء خلقاً آخر بعد فناء هذا الخلق، وأنه تعالى قد خلق ألف ألف آدم ونحن في أواخرهم، والاستدلال بالآية الأولى لا بأس به على بعض الوجوه، وأما الاستدلال بالثانية فغريب جداً، وأغرب منه دعوى الاتفاق على الوقف على «تقوم الساعة»، فإن ظاهر المفسرين بل صريح بعضهم أن قوله: «يوم تقوم» ظرف للفعل المتأخر، وهو «ادخلوا» ولذا فسره في «الكشاف» بقوله: فإذا قامت الساعة قيل

لهم: أدخلوا آل فرعون أشدّ عذاب جهنّم، أو يقال لخزنة جهنّم أدخلوهم، بناءً على الإختلاف في كون الهمزة للوصل أو للقطع، بل ذلك هو المستفاد ايضاً من الأخبار الكثيرة المفسّرة للآية مثل قول الصادق عليه السلام على ما رواه القمي وغيره أنّما هذا يعني عرض النار غدوّاً وعشيّاً في الدّنيا، فإنّ ما في نار الخلد فهو قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (١). (٢)

وظاهره كما ترى كونه ظرفاً للفعل المتأخّر، لا عطفاً على الظرف المتقدّم، وأمّا الجنّتان المدهامتان فالأخبار فيهما مختلفة ففي العلوي المتقدّم ما سمعت (٣) وفي «الاختصاص» عن الباقر عليه السلام أنّهما لأصحاب اليمين كما أنّ المذكورتين في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤) للسابقين المقربين (٥).

وظاهر الخبر بل صريحه على ما يأتي كون الأربع دار الجزاء للفريقين، وفي كتاب الحسين بن سعيد ما يدلّ على كونهما من الخطاء ويمكن الجمع باعتبار الاتحاد والاضافة وان لا يخلو عن بعد وبالحمل على البطون، ولعله الاقرب، وتمام الكلام عند تفسير الآية انشاء الله وما رواه عن امير المؤمنين الظاهر أنّه هو المرويّ في الاختصاص عن الصادق عليه السلام في ذكر رجعة امير المؤمنين قال: ويملك امير المؤمنين عليه السلام اربعا واربعين ألف سنة حتّى يلد الرجل من شيعة عليّ عليه السلام الف ولد

(١) غافر: ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) البحار: ج ٥٣ ص ٤٣.

(٤) الرحمن: ٤٦.

(٥) الاختصاص: ص ٣٥٦.

من صلبه ذكراً في كل سنة ذكراً وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله تعالى^(١).

﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا﴾ منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، أي اكلًا رغداً يعني واسعاً رافهاً، أي مصدر وضع موضع الحال، أي متنعمين متوسعين في العيش من قولهم: عيشة رغد ورغد بالسكون والفتح أي واسعة طيبة ليس فيها عناء ولا تعب ولا نصب، ومنه قوله^(٢):

بينما المرء تراه ناعماً يأمن الأحداث في عيش رَغَدٍ
ربما يقال تضعيفاً للأول بأن مذهب سيبويه والمحققين خلاف ذلك وإن
المنصوب في المقام وفي قوله: ﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ كَثِيرًا﴾^(٣)، حال من ضمير مصدر
الفعل، والاصل فكلًا الأكل واذكر الذكر، قالوا: ودليل ذلك قولهم: سير عليه طويلاً،
ولا يقولون طويل، ولو كان نعتاً للمصدر جاز، ولأنه لا يحذف الموصوف إلا
والصفة خاصة بجنسه، تقول رأيت كاتباً ولا تقول رأيت طويلاً لأن الكتابة خاصة
لجنس الانسان بخلاف الطول.

وأجيب عن الأول بجواز أن يكون المانع كراهة اجتماع مجازين: حذف
الموصوف، وتصيير الصفة مفعولاً على الصفة، ولذا يقولون: دخلت الدار بحذف في
توسعاً، ومنعوا دخلت الأمر، لأن تعليق الدخول بالمعاني مجاز واسقاط الخافض

(١) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

(٢) الفائل: امرئ القيس.

(٣) آل عمران: ٤١.

مجاز، ويوضحه أنهم يفعلون ذلك في صفة الأحيان فيقولون سير عليه زمن طويل،
فاذا حذفوا الزمان قالوا طويلاً لما مرّ.

وعن الثاني بأن حذف الموصوف إنما يتوقف على وجدان الدليل لا على
الإختصاص لقوله: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِقَاتٍ﴾^(١) أي دروعاً سابغات، ثم إن العاطف
للفعلية على الفعلية في المقام هو الواو، وفي الاعراف هو الفاء.

قال الرازي: والحكمة فيه أن كل فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة
الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزء، عطف الثاني على الأول بالفاء كقوله: ﴿وَإِذْ
قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾^(٢)، حيث إنه كان وجود
الأكل متعلقاً بدخولها فكأنه قال: إن دخلتموها اكلتم منها.

ثم إن ﴿أَسْكُنْ﴾ يقال لمن دخل مكاناً فيقال إزم المكان الذي دخلته ولا
تنتقل منه، ويقال أيضاً لمن لم يدخله اسكن هذا البيت يعني ادخله واسكنه، ففي
هذه السورة إنما ورد الأمر بعد أن كان آدم في الجنة، فكان المراد منه اللبث
والاستقرار، والأكل لا يختص بوجوده بوجوده، لأن من يدخل بستاناً قد يأكل منه
وان كان مجتازاً، ولذا ورد بلفظ الواو وفي الاعراف ورد هذا الأمر إنما ورد قبل أن
يدخل الجنة، فكان المراد منه دخول الجنة فالدخول موصل إلى الأكل والأكل
متعلق بوجوده بوجوده.

أقول: وهو بطوله لا يرجع إلى طائل، وليس في الآيتين دلالة على تعدد
الخطابين فضلاً عن تأخر الأول وتقدم الثاني، بل التأمل في مساق الآيتين في

(١) سبأ: ١١.

(٢) البقرة: ٥٨.

السورتين لعله يقضي بالعكس، فلا تغفل ويؤيده ما يأتي عن الامام العسكري عليه السلام في تفسيره فلاحظ.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ متعلق بكلاً، لا بأسكن، لأنه أقرب لفظاً وأنسب معنى من حيث تعلق السعة بشمارها والوان نعمها، توطئة للنهي الذي هو في معنى الاستثناء تنبيهاً على ازاحة العلة وقطع المعذرة في تناول عن الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها التي لا تكاد تحصى فضلاً عن غيرها من النعم، ويحتمل الثاني نظراً إلى وضع الكلمة الدالة على المكان سيما مع تعلق النهي بالقرب من الشجرة ولو على وجه المبالغة إلا أنه يتم ذلك على الاول أيضاً.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نهي للإرشاد، أو التنزيه لا التحريم على ما يأتي، والمعنى لا تقرباها بالأكل او لا تاكلا كما أرسله في المجمع عن الباقر عليه السلام قال ويدل عليه أن المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولذا قال فاكلا منها فبدت لهما سؤاتهما^(١).

وضمير التثنية لآدم وحواء ولم يخص آدم بالخطاب كما خصه في قوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ للتنبيه على مزيد الإعتناء والإهتمام في امتثال النهي واستقلال الطلب من كل منهما.

وإنما علق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات الغير السببية للتناول مبالغة في النهي عن الاكل، وتنبيهاً على أن القرب من الشيء ربما يورث داعية وميلاً يأخذ بمجامع القلب، ويوقعه فيما وطن نفسه على اجتنابه.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

وفيه إشارة إلى أن المطيع ينبغي أن لا يحوم حول ما حُرِّم عليه، ولذا قيل من
 حام حول الحمى اوشك أن يقع فيه.
 وفيه مع مامرٍ من تعميم الخطاب وتخصيص النهي عنه بالإشارة الحاسمة
 لاحتمال التشكيك والاجمال وتعقيب النهي بالفاء المفيدة لسببته مخالفته
 لانخراطهما في سلك الظالمين وجوه من المبالغة.
 ومدخول الفاء إما مجزوم عطفا على النهي، فيكون من عطف الجملة على
 الجملة، أو منصوب جواباً للنهي باضمار أن المؤول مع فعله بالمصدر عطفا على
 مصدر الفعل المتقدم، وعلى الوجهين يستفاد منه سببته الثاني للأول كما مر.

❖ في معنى الشجر لغة ❖

والشجرة في الأصل ما قام على ساق، ولذا قوبل بها النجم في قوله:
 ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(١)، مأخوذ من تشاجر القوم إذا اختلفوا، وذلك
 لاشتباك أغصانه وتداخلها، ويطلق على غير ذلك أيضاً كقوله: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
 مِّنْ يَّقْطِينٍ﴾.

وعن المبرِّد أنه قال: احسب ان كلِّما تفرَّعت له اغصان وميدان فالعرب
 تسميه شجرة في وقت تشعبه، ولعلَّ معناه الحقيقي هو الأول ولذا قال في
 «المصباح» وغيره: الشجر ما له ساق صلب، بل في قول المبرِّد دلالة عليه أيضاً،
 وأما الثانية فلعلَّ إطلاقها للتنبيه على إرتفاع أوراقها عن وجه الأرض كي يسهل

(١) الرحمن: ٦.

الاستغلال بظلمها على ما يأتي انشاء الله .

❖ القراءة ❖

وقرأ الشجرة بكسر الشين والشيرة بتبديل الجيم ياءً، وعن أبي عمرو أنه كرهها وقال: يقرأ بها برأبر مكة وسودانها، ولعلهما لغتان فيها، ولذا قال في القاموس: الشجر والشجر والشجراء كجبل وعنب وصحراء وشير بالياء كعنب من النبات: ما قام على ساق أو ما سما بنفسه، دق أو جلّ قاوم الشتاء أو عجز عنه، الواحدة بهاء وبالجملة فالقراءتان شاذتان كقراءة تقرباً بكسر التاء وهذي بالياء.

❖ المراد بالشجرة المنهية ❖

وهل المراد بها شجرة الحنطة، أو خصوص السنبلة، أو الكرمة، أو التينة، أو شجرة الكافور، أو شجرة الحسد، أو العلم علم الخير والشر، أو شجرة الخلد التي كانت الملائكة تاكل منها، أو شجرة من اكل منها أحدث، أو شجرة علم محمد وآل محمد، أو غير ذلك فيه أقوال معروفة والاختبار ايضاً مختلفة ففي «المجمع» رسالاً عن امير المؤمنين عليه السلام: أنها شجرة الكافور^(١)، وفي كثير من الاخبار أنها السنبلة، بل في أسئلة ابن سلام عن النبي صلى الله عليه وآله كم اكل آدم من حبات الشجرة؟ قال صلى الله عليه وآله: حبّين، قال: وكم اكلت حواء؟ قال: حبّين، قال: كم للشجرة من غصن وكم طول السنبلة؟ قال: يابن سلام كان لها ثلاثة أغصان، وكان طول كلّ سنبلة ثلاثة أشبار، قال فكم

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

سنبله فرك منها آدم؟ قال: سنبله واحدة، قال: فكم كان في السنبله من حبة؟ قال: كان فيها خمس حبات، وكانت الحبة بمنزلة البيض الكبار، فاكلا أربع حبات، وبقيت حبة واحدة أنزلت معه من الجنة، فزرع آدم تلك الحبة فتناسل منها الحب في الأرض وبورك فيها^(١).

وفي «العلل» بالاسناد عن الصادق عليه السلام: إن الحبات التي أكلها آدم وحواء في الجنة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني عشر حبة، واكلت حواء ستاً، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين^(٢).

وفيه وفي «العيون» سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال عليه السلام: من قبل السنبله، كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة، واطعمت آدم حبتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين^(٣).

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

اقول وربما يدفع المنافاة بين الخبرين الاخيرين بحمل الاول على اول سنبله اخذاه، ثم اخذا كذلك حتى صارت ثمانية عشر، او انها كانت على كل شعبة منها ثلاث حبات، وكانت الشعب ستة ولعل جوابه عن ابن سلام مبني على ما هو المشهور بين اهل الكتاب كما يظهر ذلك من التأمل في خبره الطويل المشتمل على السؤال عن امور كثيرة.

وفي تفسير العياشي عن الهادي عليه السلام: ان الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم

(١) بحار الانوار ج ٦٠ ص ٢٤٥.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٩، علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

وزوجته ان ياكلا منها شجرة الحسد وعهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضله الله تعالى على خلقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزما .

والمراد بالحسد هو الغبطة وتمني المنزلة ، كما أنه هو المراد ايضاً منه في الخبر المروي في «المعاني» و«العيون» بالاسناد عن الهروي قال : قلت للرّضا عليه السلام يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحواء ما كانت ؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي أنها الحنطة ، ومنهم من يروي أنها العنب ، ومنهم من يروي أنها شجرة الحسد ، فقال عليه السلام : كل ذلك حق ، قلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ؟ فقال عليه السلام : يا ابا الصلت إن شجر الجنة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا ، وإن آدم عليه السلام لما اكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له ، وبادخال الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشراً أفضل مني فعلم الله ﷻ ما وقع في نفسه ، فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا اله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، فقال آدم عليه السلام : يا رب من هؤلاء ؟ فقال ﷻ : من ذريتك ، وهم خير منك ومن جميع خلقي ، ولولا هم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والارض ، فإياك أن تنظر اليهم بعين الحسد فاخرجك عن جوارحي ، فنظر اليهم بعين الحسد وتمني منزلتهم ، فتسلط الشيطان عليه حتى اكل من الشجرة التي نُهي عنها وتسلط على حواء فنظرت إلى فاطمة عليه السلام بعين الحسد حتى اكلت من الشجرة كما

أكل آدم فاخرجهما الله ﷻ عن جنته واهبطهما عن جواره إلى الأرض^(١).
وفي تفسير الامام عليه السلام ان الله ﷻ لما لعن ابليس بإبائه، وأكرم الملائكة
بسجودها لآدم وطاعتهم لله ﷻ أمر بآدم وحواء إلى الجنة، وقال يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا من الجنة رغدا واسعاً بلا تعب حيث شئتما، ولا تقربا هذه
الشجرة شجرة العلم شجرة علم محمد وآل محمد الذين اثرهم الله تعالى به دون
سائر خلقه، فقال الله: ولا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم فانها لمحمد وآله خاصة
دون غيرهم، لا يتناول منها بامر الله إلا هم، ومنها ما كان يتناوله النبي ﷺ وعلي
وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين بعد اطعامهم المسكين واليتيم
والاسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب، وهي شجرة
تميزت من بين اشجار الجنة، إن سائر اشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعاً
من الثمار والماكول وكانت هذه الشجرة وجسها تحمل البرّ والعنب والتين والعناب
وسائر انواع الثمار والفواكه والاطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة: فقال
بعضهم: هي برة، وقال آخرون: هي عنبه، وقال آخرون: هي تينه، وقال آخرون:
هي عنابة وقال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ تلتمسان بذلك درجة محمد وآل
محمد في فضلهم فان الله ﷻ خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم، وهي الشجرة التي
من تناول منها باذن الله ألهم علم الاولين والاخرين من غير تعلم، ومن تناول منها
بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه فتكونا من الظالمين بمعصيتكما او

(١) معاني الاخبار: ص ١٢٤ وعيون الاخبار ج ١ ص ٣٠٦ ح ٦٧ وعنها البحار ج ١١

التماسكما درجة قد اوثر بها غيركما اذا رمتما تغيّر حُكْمُ الله إلى آخر ما يأتي^(١).
وفي الأنوار النعمانية أنه قد ورد في حديث معتبر: ان هذه الشجرة شجرة
غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنة وجعلها لعليّ بن أبي طالب وشيعته بأن
لا يأكل احد قبله منها^(٢).

تفسير الآية ﴿٥﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾

حملهما على الزلّة بسبب وسوسته في الأكل من الشجرة بناءً على كون
الضمير لهما و«عن» للسببية نظير قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ ويحتمل أن يكون
الضمير للجنة، بل لعلة المتعنين، حذرا من صرف الظرف عن ظاهره.
وتوهم أنه يكون الاخراج حينئذ قبل الإزلال أو معه فلا يصحّ العطف بالفاء،
مدفوع بأن المراد التنبيه على جملة ما فات عنهما من النعمة والكرامة المقصودة
بالموصولة بسبب زلّتهما بالخطيئة من الجنة على وجه الترتيب، وان لم يلحظ فيه
الترتيب، مع أنه هو المصرّح به في تفسير الامام عليه السلام حيث قال: فازلّهما الشيطان
عنها عن الجنة بوسوسته وخديعته وايهامه وغروره بأن بدء بآدم فقال: ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين، إن تناولتما منها تعلمان الغيب،
وتقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله تعالى بالقدره، او تكونا من الخالدين لا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٢.

تموتان ابداً ، و﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾^(١) حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) وكان ابليس بين لحيي الحيّة ، أَدْخَلْتَهُ الْجَنَّةَ وكان آدم يظنّ أنّ الحيّة هي التي تخاطبه ، ولم يعلم أنّ إبليس قد أختبىء بين لحييها ، فردّ آدم على الحيّة ، ايّتها الحيّة : هذا من غرور ابليس كيف يخوننا ربّنا ام كيف تعظمين الله بالقسم به وانت تنسيبينه إلى الخيانة وسوء النظر وهو اكرم الاكرمين ؟ ام كيف اروم التوصل إلى ما منعني منه ربّي واتعاطاه بغير حكمه ؟ فلما أيس ابليس من قبول آدم منه عاد ثانية بين لحيي الحيّة ، فخاطب حواء من حيث يوهمها أنّ الحيّة هي التي تخاطبها ، وقال : يا حواء ارايت هذه الشجرة التي كان الله ﷻ حرّمها عليكما ، قد احلّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقيركما ايّاه ، وذلك أنّ الملائكة الموكّلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا يدفعوك عنها ان رُمّتها فاعلمي بذلك أنّه قد احلّ لك ، وابشري بانك ان تناولتها قبل آدم كنت انت المسلّطة عليه الآمرة النّاهية فوقه ، فقالت حواء سوف أجرب هذا ، فرامت الشجرة فارادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها ، فأوحى الله اليها أنّها تدفعون بحرابكم من لا عقل له بزجره ، واما من جعلته ممكناً مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجّة عليه ، فإن أطاع استحقّ ثوابي وان عصى وخالف أمرى استحقّ عقابي وجزائي ، فتركوها ولم يتعرّضوا لها بعدما همّوا بمنعها بحرابهم ، فظنّ أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد احلّها بعدما حرّمها ، فقالت صدقت الحيّة ، وظنّ أنّ المخاطب لها

(١) الكهف : ٨٢ .

(٢) الاعراف : ٢١ .

هي الحيّة فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً ، فقالت لآدم : ألم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد ابيحت لنا ؟ تناولت منها فلم تمنعني أملاكها ولم انكر شيئاً من حالي ، فلذلك اغتّر آدم وغلط فتناول ، فاصابهما ما قال الله تعالى في كتابه : «فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما بوسوسته وغروره»^(١) .

وفيه دلالة على ترجيح قراءة المشهور وردّ قراءة حمزة حيث قرأ فأزلهما نظراً إلى أنّ قوله : اسكن انت وزوجك الجنة معناه اثبتا فثبتا فأزلهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه .

وفيه ان البناء في مثله ليس على التعليل بل على الترخيص الذي ورد معه الإذن بالقراءة كما يقرؤون .

❖ كيفية دخول إبليس الجنة ❖

وأما كيفية دخول إبليس الجنة بعد لعنه وطرده وخروجه منها فاختلّفوا فيها وفي كيفية وصوله إليهما ووسوسته لهما ، فقيل إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو وكان يكلمه ، وكان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض وبعد أن اخرج من الجنة ، وقيل : إنّ كان يحرم عليه دخول الجنة بارزاً وأما مختفياً ولو في فم الحيّة فلا كما يؤمى كلام الامام عليه السلام ، وقيل : إنّ منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان يدخل قبل ذلك مع الملائكة ، وأما الدخول للوسوسة وابتلاء آدم وحواء فلم يمنع منه ، وأما الدخول في فم الحيّة فأنما كان لاشتداد البليّة والتمكّن

(١) تفسير الامام العسكري: ج ٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

من الوسوسة لا للتوصل إلى الدخول، وقيل: تمثل بصورة دابة أخرى غير الحيّة ولم تعرفه الخزنة، وقيل: إنه وسوسهما لا على وجه المشافهة بل في صدورهما، وقيل: إنه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه، وقيل: إنه راسلها بالخطاب. وظاهر الخبر المتقدم أنّ وسوسته كانت على وجه المشافهة كما هو المستفاد من ظواهر الآيات أيضاً، وإنّ دخوله كان بواسطة الحيّة.

وفي «الانوار النعمانية» أنّ ذلك كان بأسباب إلهية كما في بعض الروايات قال وذلك أنّ الشيطان لما أخرج من الجنّة لم يقدر على الدخول إليها فأتى إلى جدار الجنّة، ورأى الحيّة على أعلى الجدار، فقال لها: أدخلني الجنّة وأعلمك الاسم الأعظم فقالت له: إنّ الملائكة تحرس الجنّة فيرونك، فقال لها أدخل في فمك واطبقي عليّ حتى أدخل ففعلت، ومن ثمّ صار السمّ في أنيابها وفمها لما كان جلوس الشيطان فيه، فلما أدخلته قالت له أين الاسم الأعظم؟ فقال لها لو كنت أعلمه لما احتجت اليك في دخولي فأتى إلى آدم عليه السلام فوسوس له فاقسم له بالنصيحة فلم يطعه، فأتى إلى حواء فقال هذه شجرة الخلد واقسم لها ولم يعهد قبل أن أحدا يقدر على أن يقسم بالله كاذباً فأتت حواء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم معها إلى الأكل من الشجرة فكانت أوّل قدم مشت إلى الخطيئة فلما مدا يديهما إليها تطاير ما عليهما من الحلّي والحلل وبقيا عريانين فاخذا من ورق التين فوضعا على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم عليه السلام يده على عورته والآخر على رأسه كما هو شأن العراة ومن ثمّ امر بالوضوء على هذه الهيئة^(١).

(١) الانوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٥.

وروى الصدوق طاب ثراه: أنه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل فكان فيما سأله أخبرنا يا محمد لايّ علّة توضىء هذه الجوارح الاربع وهي أنظف الجوارح في الجسد فقال النبي ﷺ: لما أن وسوس الشيطان إلى آدم ﷺ ودنى آدم من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثم قام ومشى إليها، وهي أوّل قدم مشت إلى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ما عليها فاكل، فطار الحلي والحلل عن جسده، فوضع آدم يده على أمّ رأسه، وبكى فلما تاب الله ﷻ عليه فرض عليه وعلى ذرّيته تطهير هذه الجوارح الاربع، فامر الله ﷻ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، وأمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، وأمره بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه، وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة (١) آه.

اقول: وفي تفسير العياشي عن الصادق ﷺ: إنّ آدم لما اكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فاخذت الشجرة برأسه فجرتة إليها وقالت له افلا كان فرارك من قبل أن تأكل منّي (٢).

وفي تفسير القمي عن الصادق ﷺ قال لما اخرج آدم نزل جبرئيل عليه، فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وزوجك حواء أمته، وأسكنك الجنة وابعها لك، ونهاك مشافهة ان لا تأكل من هذه الشجرة، فاكلت منها، وعصيت الله؟ فقال آدم ﷺ: يا جبرئيل إنّ ابليس حلف لي بالله أنه لي ناصح فما ظننت أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً (٣).

(١) علل الشرايع: ص ٢٨٠ ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٠ ح ١١.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤.

اقول: وسيأتي تفسير قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(١).
 عن «مصباح الشريعة»، وغيرها ما يدل عليه، وبيان السر في ذلك.
 وروت العامة أن إبليس أراد أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الحزنة فأتى
 الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدواب فكلمها أن يدخل
 في فيها حتى يدخل الى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت
 وهم لا يعلمون لما أراد الله من الأمر: فكلمه من فمها.
 وفي خبر آخر: أن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها
 تحمله وتدخل به الجنة حتى يكلم آدم وزوجته، فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى
 كلم الحية، فقال لها: انا امنعك من بني آدم فانت في ذمتي إذا ادخلتني الجنة،
 فجعلته بين نايتين من أنيابها ثم دخلت به، فكلمها من فيها، وكانت كاسية تمشي
 على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها^(٢).
 وروي أن أول ما ابتدأهما به من كيدته أيهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما
 حين سمعاها، فقالا له ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفترقان، أو قال:
 فتفارق ما انتما عليه من النعمة والكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس
 اليهما فقال: يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد^(٣) ﴿فَأَخْرَجَهُمَا﴾ بوسوسته وغروره
 مما ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعمة والدعة ومما كانا قد خوطبا قبل ذلك بقوله: ﴿فَلَا
 يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ

(١) الأعراف: ٢١.

(٢) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٣) جامع البيان ج ١ ص ١٨٨.

فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿^(١)﴾ او من الجنة حتى أهبطا، او من عظم القرب والمنزلة والطاعة إلى ما قد سماه الله سبحانه معصيته.

وإضافة الإخراج إليه على حدّ إضافة الإذلال باعتبار السببية.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ خطاب لآدم وحواء لقوله: ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً﴾^(٢) اطلاقاً للجمع على الاثنين حقيقة او مجازاً كقوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(٣)، ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾^(٤)، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾^(٥) أو لهما ولذريتهما ولو على التغليب ليصحّ تعلّقه بالمعدوم، أو توجيه الخطاب إلى الارواح التي دلّت القواطع على تقدّم خلقها على الأبدان، أو لهما ولأبليس، وإن كان قد أخرج قبل ذلك، بدليل قوله في الحجر ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾^(٦) إلى قوله: ويا آدم اسكن إلا أنه جمعه معهما لدخوله ثانيا على وجه الاختفاء والمسارعة للوسوسة، أو لقربه من باب الجنة، أو لاجتماعهم حينئذ في الهبوط، وإن كانت أوقاتهم متفرقة فيه، أو لهما وللحيّة وإستبعده في «المجمع»^(٧) بأنّ خطاب مَنْ لا يفهم الخطاب لا يحسن، وبأنّه لم يتقدم للحيّة ذكر، والكناية عن غير مذكور لا تحسن، إلا مع الأمن من اللبس.

ويضعف الاوّل بالمنع عن عدم فهمه الخطاب سيّما مع ما قرّر في محلّه من

(١) طه: ١١٧-١١٨-١١٩.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) الانبياء: ٧٨.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الشعراء: ١٥.

(٦) الحجر: ٣٤ وص: ٧٧.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٧٨.

مساوقة الشعور للوجود، وإن الجماد فضلاً عن الحيوان يشارك الانسان في الادراك والشعور والعبودية، وصحة تعلق الخطاب وان اختلفت في مراتب الجمود والسيلان، سيما بعد ما سمعت عن الانوار النعمانية من مكالمتها مع الشيطان، والثاني بان الخطب في مثله سهل بعد ملاحظة وجوه دلالات القرآن ومحامله، وأولى من الجميع ما في «تفسير الامام» من الجمع بين الأربعة حيث قال: وقلنا يا آدم ويا حواء ويا ايها الحيّة ويا ابليس اهبطوا.

﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وحواء وولدهما عدو للحيّة، وابليس والحيّة واولادهما اعداؤكم^(١).

وعلى الأولين فالمعاداة بين الذرية ولو باعتبار التجوز، أو تقدير المضاف في الأول، والجملة حالية استغنى فيها عن الواو بالضمير، والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض باضلاله وتغريزه، وليس من متعلق الأمر، ويحتمل أن يكون استينافاً لله سبحانه فائدته التحذير عن الإغترار بوساوس هذا العدو كما في قوله: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣).

وعداوة ابليس لآدم وحواء ظاهرة حتى قد روي أنه أغرى عليهما السباع بعد هبوطهما كما في «العلل» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنه سئل النبي ﷺ ممّا خلق الله ﷻ الكلب؟ قال: خلقه من بزاق ابليس، قال: وكيف ذلك يا رسول الله قال: لما

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام: ص ٢٢٤ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩٠.

(٢) الاعراف: ٢٧.

(٣) فاطر: ٦.

أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس الملعون إلى السباع، وكانوا قبل آدم في الأرض، فقال لهم: إِنَّ طيرين قد وقعا من السماء لم يَرَ الرَّأوونَ أعظمَ منهما تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه وجعل إبليس يحثهم ويصيح ويعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق فخلق الله ﷻ من ذلك البزاق كلبين أحدهما ذكر والآخر اثنى، فقاما حول آدم وحواء، الكلبة بجدة، والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما، ومن ذلك اليوم الكلب عدو السبع، والسبع عدو الكلب^(١).

وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ الله ﷻ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجة له، وهبطت الحية ولا زوج لها فكان أول من يلوط بنفسه إبليس، فكانت ذريته من نفسه، وكذلك الحية وكانت ذرية آدم من زوجته فأخبرهما أنهما عدوان لهما^(٢).

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزل ومقر للمعاش بأن جعلها قراراً ومعاشاً لكم، ويحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، وأن يكون اسم مفعول وهو ما استقر منكم عليه، وجاز تصرفكم فيه.

﴿وَمَتَاعٌ﴾ استمتاع وانتفاع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ حين الموت كما في «تفسير الامام ﷺ» أو إلى يوم القيمة كما في رواية «القمي» وجمع بينهما بأن الموت هو القيمة الصغرى للأكثرين والكبرى للآخرين ولذا ورد «من مات فقد قامت قيامته».

(١) علل الشرايع: ص ٤٩٦ ح ١ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧ ح ١٠.

(٢) علل الشرايع: ص ٥٤٧ ح ٢ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٣٧ ح ١٩.

اقول: وهو مبني على كون الغاية هو الموت بناءً على انتقال الروح بعدها إلى جنان الدنيا أو نيرانها، فإن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وقد سمعت كون الهبوط من جنان الدنيا لا من جنة الخلد، ومن هنا يبعد الحمل على القيامة الكبرى وإن كان في القبر أيضاً تمتع واستقرار.

ولا ينافي شيئاً من الوجهين قوله في سورة الاعراف بعد مثل هذه الآية قال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾^(١) إذ يمكن أن يكون تفصيلاً لوجوه الاستقرار، وأن يكون زيادة عليه، والظرف غاية للأمرين، وتتكبير الثلاثة للتحقير، فإن الآخرة هي دار القرار، وإن طلب الناس القرار في الدنيا، ولذا أثر المستقر على المقر، وليس في الدنيا إلا عيش يسير ومتاع قليل، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾^(٢) و﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٣).

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم إسلامي

❖ مدة مكث آدم في الجنة ❖

ثم أنهم قد اختلفوا في مدة مكثه ﷺ في الجنة وزمان هبوطه ومكانه على أقوال لا طائل تحت التعرض لها، لاستناد جملة منها إلى بعض الاعتبارات وإلى أقوال أهل الكتاب.

نعم روى الصدوق في «العلل» و«الأمالي» عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل، فكان

(١) الاعراف: ٢٥.

(٢) الرعد: ٢٦.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

فيما سأله أخبرني عن الله لأي شيء وقت هذه الصلوات الخمس في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار؟ فاجاب ﷺ إلى أن قال: وأما صلاة العصر فهي الساعة التي اكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله عن الجنة، فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة، واختارها لأمتي فهي من أحب الصلاة إلى الله تعالى ﷻ، وأوصاني ان احفظها من بين الصلوات، وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء: فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حواء، وركعة لتوبته، فافترض الله ﷻ هذه الركعات الثلاث على أمتي^(١).

وفي «الخصال» بالاسناد عن النبي ﷺ، قال: إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى أخرجوا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك^(٢).

اقول: ولعلّ المعنى من أيام جنان الدنيا، على تقدير المضاف، فينطبق على الخبر الأول.

❖ تعدد الأيام وتغايرها ❖

روى السيّد في «الدروع الواقية» عن الصادق عليه السلام: أن اليوم الأول من الشهر

(١) علل الشرايع: ص ٣٣٧ والامالي ص ١٥٩ وعنهما البحار ج ١١ ص ١٦٠.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ١٠٣.

خلق فيه آدم وهو يوم مبارك لطلب الحوائج، وفي اليوم الثاني خلقت حواء من آدم، يصلح للتزويج وبناء المنازل، واليوم الثالث يوم نحس مستمر، نزع عن آدم وحواء لباسهما وأخرجهما من الجنة^(١).

وهي تدلّ على تعدّد الأيام وتغايرها، وقضيّة بعض الأخبار المتقدمة وقوع تلك الشؤون جميعاً في ساعات من يوم واحد، ويمكن الجمع بحمل تلك الأخبار على الأيام الدهرية الملكوتية، وهذه على الزمانية الناسوتية، ويدلّ عليه ما مرّ عن «العلل» و«الامالي» عن النبي ﷺ حيث قال: «وَأَمَّا صَلَاةُ الْمَغْرِبِ^(٢)، آه.

❖ مكان هبوط آدم وحواء ❖

وأما مهبطهما فظاهر كثير من الأخبار أنه الصفا والمروة ففي «تفسير القمي» وغيره عن الصادق عليه السلام قال: «فهبط آدم على الصفا، وإنما سميت الصفا لأن صفوة الله نزل عليها ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة لأن المرأة نزلت عليها فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال: وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح وما ظننت أن خلقاً يحلف بالله كاذباً^(٣).

وفي «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أما كان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ عن الدرور الواقية.

(٢) علل الشرايع: ص ٣٣٧.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦٣ ح ٧.

لبث آدم وحواء في الجنة حتى خرجا عنها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى اكلا من الشجرة فاهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال فحاج آدم ربه فقال يا رب أرايتك قبل أن تخلقني كنت قدرت علي هذا الذنب وكل ما صرت وانا صائر إليه، أو هذا شيء فعلته انا من قبل نفسي لم تقدره علي غلبت علي شقوتي، فكان ذلك مني وفعلي لا منك ولا من فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك وعلمتك أنني أسكنك وزوجتك الجنة، وبنعمتي، وما جعلت فيك من قوتي قويت بجوارحك على معصيتي، ولم تغب عن عيني، ولم يخل علمي من فعلك، ولا مما أنت فاعله.

قال آدم: يا رب الحجة لك علي يا رب، فحين خلقتني وصورتني ونفخت في من رُوحك، قال: يا آدم اسجدت لك ملائكتي ونوّهتُ باسمك في سماواتي، وابتدأتك بكرامتي، وأسكنتك جنتي، ولم أفعل ذلك إلا بنعمة مني عليك، أبلوك بذلك من غير أن تكون عملت لي عملاً تستوجب به عندي ما فعلت بك.

قال آدم: يا رب الخير منك والشر مني، قال الله: يا آدم انا الله الكريم، خلقت الخير قبل الشر، وخلقت رحمتي قبل غضبي، وقدمت بكرامتي قبل هواني، وقدمت باحتجاجي قبل عذابي.

يا آدم ألم أنك عن الشجرة وأخبرت أنك ان الشيطان عدو لك ولزوجك؟ وأحذركما قبل أن تصيرا إلى الجنة؟ وأعلمكما أنكما إن اكلتما من الشجرة كنتما ظالمين لانفسكما عاصين لي؟ يا آدم لا يجاورني في جنتي ظالم عاصي بي قال: فقال: بلى يا رب الحجة لك علينا؟ ظلمنا أنفسنا وعصينا وإلا تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين.

قال فلما أقرّا لربّهما بذنبيهما وأنّ الحجّة من الله لهما تداركهما رحمة الرحمن الرحيم، فتاب عليهما ربّهما إنّه هو التّواب الرحيم، قال الله: يا آدم إهبط أنت وزوجك إلى الأرض، فاذا اصلحتما أصلحتكما وإن عملتما لي قويّتكما، وإن تعرّضتما لرضاي تسارعت إلى رضاكما، وإن خفّتما مني آمنتكما من سخطي.

قال: فبكيا عند ذلك وقالا: ربّنا فأعنا على صلاح أنفسنا وعلى العمل لما يُرضيك عنا، قال الله لهما: إذا عملتما سوءاً فتوبا إلى الله أتّب عليكما، وأنا الله التّواب الرحيم.

قالا: فأهبطنا برحمتك إلى أحبّ البقاع إليك، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل ان أهبطهما إلى البلدة المباركة مكّة، قال: فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على الصّفا، وألقى حواء على المروة، قال: فلما ألقيا قاما على أرجلهما ورفعوا رؤسهما إلى السّماء وضجّاً بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى وخضعا بأعناقهما، قال: فهتف الله تعالى بهما ما يبكيكما بعد رضاي عنكما؟ قال: فقالا: ربّنا أبكّتنا خطيئتنا وهي أخرجتنا من جوار ربّنا، وقد خفي عنا تقدّيس ملائكتك لك ربّنا وبدت لنا عوراتنا، واضطّرنا ذنّبنا إلى حرث الدنيا ومطعمها ومشربها، ودخلتنا وحشة شديدة لتفريقك بيننا قال: فرحمهما الرحمن الرحيم عند ذلك، وأوحى إلى جبرئيل: أنا الله الرحمن الرحيم، وأني قد رحمت آدم وحواء لما شكيا إليّ، فأهبط إليهما بخيمة من خيام الجنّة، وعزّهما عني بفراق الجنّة، واجمع بينهما في الخيمة فإني قد رحمتهما لبكائهما ووحشتهما ووحدهما، وانصب لهما الخيمة على التّرعّة التي بين جبال مكّة.

وقال: والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة قبل ذلك فنصبها.
قال: وانزل جبرئيل آدم من الصفا، وانزل حواء من المروة، وجمع بينهما في
الخيمة.

قال: وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر، فأضاء نوره وضوئه جبال
مكة وما حولها.

قال: وامتد ضوء العمود فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنهما من
الجنة، قال: ولذلك جعل الله الحسنات في الحرم مضاعفة والسّيئات فيه مضاعفة.

قال: ومُدّت أطناب الخيمة حولها لمتنها أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: وكانت أوتادها من غصون الجنة وأطنابها من ظفائر الارجوان^(١).

قال: فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: أهبط على الخيمة سبعين ألف ملك

يحرسونها من مرّة الجنّ ويونسون آدم وحواء، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً

للبيت والخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مرّة

الشياطين والعنّاة، ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلّ يوم وليلة، كما كانوا

يطوفون في السماء حول البيت المعمور.

قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حَيال البيت المعمور الذي في السماء.

قال: ثمّ إنّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك: أن أهبط إلى آدم وحواء

فنحهما عن مواضع قواعد بيتي فأني أريد أن أهبط^(٢) في ظلال من ملائكتي إلى

(١) الارجوان: شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة، حسن المنظر، وليست له رائحة.

(٢) قال المجلسي قدس سرّه في بيانه: هبوطه تعالى كناية عن توجه أمره بصدور ذلك الأمر كما

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة: ٢١٠).

ارضي، فارفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم.

قال: فهبط جبرئيل على آدم وحواء فأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن
تُرعة البيت الحرام، ونحى الخيمة عن موضع التُرعة.

قال: ووضع آدم على الصفاء ووضع حواء على المروة، ورفع الخيمة إلى
السَّماء، فقال آدم وحواء: أبسخط من الله حوَلتنا وفرقت بيننا أم برضا تقديراً من
الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سخطاً من الله عليكما، ولكن الله لا يُسأل عما
يفعل، يا آدم إنَّ سبعين ألف ملك الذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفون
حول أركان البيت والخيمة سألوا الله أن يبنى لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع
التُرعة المباركة حيال البيت المعمور، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء
حول البيت المعمور، فأوحى الله إليَّ أن انحيك وحواء، وارفع الخيمة إلى السَّماء،
فقال آدم ﷺ: رضينا بتقدير الله وناقذ أمره قينا، فكان آدم على الصفا وحواء على
المروة.

قال: فدخل آدم لفراق حواء وحشة شديدة وحزن، قال: فهبط من الصفا
يريد المروة شوقاً إلى حواء، وليسلم عليها وكان فيما بين الصفا والمروة وادٍ، وكان
آدم يرى المروة من فوق الصفا فلما إنتهى إلى موضع الوادي، غابت عنه المروة
فسعى في الوادي حذراً لما لم ير المروة مخافة أن يكون قد ضلَّ عن طريقه فلما أن
جاز الوادي وارتفع عنه نظر إلى المروة، فمشى حتى إنتهى إلى المروة فصعد عليها
فسلم على حواء، ثم أقبلا بوجههما نحو موضع التُرعة ينظران هل رفع قواعد البيت
ويسألان الله أن يردهما إلى مكانهما حتى هبط من المروة فرجع إلى الصفا فقام

عليه، وأقبل بوجهه نحو موضع التُّرعة؛ فدعا الله ثم إنه إشتاق إلى حواء فهبط من الصفا يريد المروة، ففعل مثل ما فعله في المرّة الاولى، ثم إنه رجع إلى الصفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرّة الاولى، ثم إنه هبط من الصفاء إلى المروة ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأوليين، ثم رجع إلى الصفا فقام عليه ودعا الله أن يجمع بينه وبين زوجته حواء.

قال: فكان ذهب آدم من الصفاء إلى المروة ثلاث مرّات ورجوعه ثلث مرّات فذلك سنّة أشواط فلما أن دعيا الله وبكيا إليه وسألاه أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتها من يومها ذلك مع زوال الشمس، فأتاه جبرئيل وهو على الصفا واقف يدعوا الله مقبلاً بوجهه نحو التُّرعة فقال له جبرئيل: انزل يا آدم من الصفا فالحق بحواء، فنزل آدم من الصفاء إلى المروة ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرّات حتى انتهى إلى المروة، فصعد عليها وأخبر حواء بما أخبره جبرئيل، ففرحا بذلك فرحاً شديداً، وحمد الله وشكراه، فلذلك جرت السنّة بالسعي بين الصفا والمروة ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(١).

قال: ثم إن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة، وأخبرهما أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلم وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه قال: فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله من

مواضعهن بجناحيه فوضعها حيث أمره الله في أركان البيت على قواعد التي قدرها الجبار، ونصب أعلامها، ثم أوحى الله إلى جبرئيل ان ابنه وأتممه بحجارة من أبي قبيس، واجعل له بايين باب شرقي وباب غربي قال: فأتته جبرئيل فلما أن فرغ منه طافت الملائكة حوله.

فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت إنطلقا فطافا بالبيت سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما ياكلان وذلك من يومها الذي هبط بهما فيه (١). أقول وهذا الخبر كما ترى سقط شيء من اوائله، وكأنه سقط ذلك من اوائل لاتفاق النسخ الموجودة، بل قد نبه المجلسي على ذلك أيضاً.

وفي بعض الأخبار أن مهبطه كان بالهند، ففي «القصص» بالاسناد عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى الله تعالى له البيت، وأمره أن ياتيه فيطوف به أسبوعاً، فيأتي منى وعرفات ويقضي مناسكه، كما أمر الله، ثم خطا (٢) من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، وما بين القدم والقدم صحارى ليس فيها شيء، ثم جاء إلى البيت فطاف به اسبوعاً وقضى مناسكه فقضاها كما أمره الله، فقبل الله منه توبته وغفر له، فقال آدم صلوات الله يا رب ولذريتي من بعدي، فقال نعم من آمن بي وبرسلي (٣).

وعن السيد في كتاب «سعد السعود»: أنه رأى في صحف إدريس عليه السلام أمر الله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٢١ - ١٢٧ ط قم مؤسسة الاسلامية وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٢ - ١٨٩.

(٢) خطا يخطو خطأ: فتح ما بين قدميه ومشى.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٠ عن القصص.

الملائكة فحملت آدم وزوجته حواء على كرسي من نور، وادخلوهما الجنة فوضعا في وسط الفردوس من ناحية المشرق ثم ذكر حديث إقامة آدم ﷺ خمس ساعات من نهار ذلك اليوم في الجنة واكله من الشجرة وذكر حديث اخراجه من الجنة وهبوطه بأرض الهند على جبل اسمه باسم، على واد اسمه نهيل بين الدهنج والمندل بلدي الهند، وهبطت حواء بجدة إلى آخر ما ذكره^(١).

وفيه أنه كان شهر نيسان المبارك فأمره الله تعالى بصوم ثلاثة أيام منه^(٢).

وسياتي عن «تفسير القمي»: أنه كان أول يوم من ذي القعدة^(٣).

وفي «الخصال» أنه: اهبط الله تعالى آدم يوم الجمعة^(٤).

وفيه وفي «العيون»: سأل الشامي أمير المؤمنين ﷺ عن اكرم واد على وجه

الأرض؟ فقال له: واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء^(٥).

وفي «القصص» بالاسناد إلى وهب قال: كان مهبط آدم ﷺ على جبل في

شرقي أرض الهند يقال له باسم: ثم أمره أن يسير إلى مكة، فطوى له الأرض فصار

على كل مفازة يمر به خطوة، ولم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمرانا،

وبكى على الجنة مأتي سنة، فعزاه الله بخيمة من خيام الجنة، فوضعها له بمكة في

موضع الكعبة^(٦).

(١) البحار: ج ١١ ص ١٩٦ عن سعد السعود.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٩٦.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤.

(٤) الخصال: ص ٣١٦ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٤.

(٥) العلل: ص ٥٩٥ والعيون ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) قصص الانبياء: ص ٧٠ وعنه البحار ج ١١ ص ٢١١.

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: إنَّ آدم لما هبط هبط بالهند، ثمَّ رُمي إليه بالحجر الأسود، وكان ياقوتة حمراء بفناء العرش، فلما رأى عرفه فاكبَّ عليه وقبَّله، ثمَّ أقبل به فحمّله إلى مكّة، فربما أعيبى عن ثقله فحمّله جبرئيل عنه، وكان إذا لم يأتَه جبرئيل عليه السلام إغتمَّ وحزن، فشكى ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل لا حول ولا قوّة إلا بالله ^(١).

وهذه الأخبار وإن كانت ظاهرة في كون أوّل هبوطه بالهند أو في خصوص سرانديب أو جبل باسم، لكنّها محمولة على التقيّة لمخالفتها للأخبار الكثيرة الذّالة على كون مهبطهما مكّة.

بل في «العلل» و«العيون» عن البرنطي عن الرضا عليه السلام قال: قلت: كيف كان أوّل الطيب؟ فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟ قلت: يقولون إنَّ آدم لما هبط بارض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروقاً في الأرض، فصارت طيباً، فقال عليه السلام: ليس كما يقولون، آه ^(٢).

وفيهما بالاسناد عن صفوان قال: سُئل ابوالحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه؟ فقال إنَّ آدم لما هبط من الجنّة هبط على أبي قبيس والناس يقولون بالهند فشكى إلى ربّه ﷻ الوحشة وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنّة، فاهبط الله ﷻ عليه ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم وكان يبلغ ضوؤها

(١) قصص الانبياء: ص ٤٩ ح ١٨ وعنه البحار ج ١١ ص ٢١٠.

(٢) علل الشرايع: ص ٤٩٢ ح ٢، والعيون ج ١ ص ٢٨٧ ح ٣٤.

الاعلام فعلت الاعلام على ضوئها فجعله الله ﷻ حراماً^(١).

ويمكن ايضاً أن يكون أول هبوطه بمكة ثم بالهند أو بالعكس كقوله: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾^(٢)، لكن ما ذكرناه أظهر، ويؤيده ما ذكره الرازي من أنه روى في الأخبار أن آدم ﷻ أهبط بالهند، وحواء بجدة وابليس بموضع من البصرة على أميال، والحية بإصفهان^(٣).

حيث إن ظاهر إقتصاره عليه أن أخبارهم تدل على هبوطه بالهند، وهذا مما يؤيد الحمل على التقيّة، ولا ينافيه ما ورد من أن رائحة ما كان معها من الورقة أو المشط عبقت بالهند، إذ قد يكون ذلك بواسطة عصف الرياح.

ولعله يؤمى إليه ما ورد في «الكافي» عن الصادق ﷻ قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم ﷻ طفق يخيصف من ورق الجنة، وطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة، فالتقط ورقة فستر بها عورته، فلما هبط عبقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة التي عبقت بها رائحة الجنة، فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنها احتملت رائحة الورقة في الجو، فلما ركبت الريح بالهند علق.

وفي بعض النسخ: عقب بأشجارهم ونبتهم، فكان أول بهيمة إرتعت من تلك

(١) علل الشرايع ص ٤٢٢ ح ٤ والعيون ج ١ ص ٨٥.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣ ص ٢٧.

الورقة ظبي المسك، فمن هناك صار المسك في سُرة الظبي، لأنه جرى رائحة النبات في جسده وفي دمه حتى اجتمعت في سُرة الظبي^(١).

بل في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: أهبط آدم من الجنة عن الصفا، وحواء على المروة، وقد كانت إمتشطت في الجنة، فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ فحلّت مشطها، فانتشر عن مشطها العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة، فطارت به الريح، فألقت اثره في الهند فلذلك صار العطر بالهند.

قال: وفي حديث آخر انها حلّت عقيصتها فارسل الله تعالى على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبت به في المشرق والمغرب^(٢).

ومما ذكرناه يظهر الوجه أيضاً فيما رواه في كتاب أخبار الملاحم والفتن عن الصادق عليه السلام قال: لما خلق الله آدم وأخرجه من الفردوس كتب له عنده في العلم السابق ألف سنة فلما هبط من السماء وأخرج من الفردوس، هبط على جبل بأرض الهند كان أعلاه قريباً من السماء، وكان آدم عليه السلام يسمع كلام ملائكة سماء الدنيا، ويجد ريح الفردوس فلبث بذلك حيناً، فاشتدّ جوعه فشكى إلى الأرض، فقال يا أرض اطعميني فانا آدم صفيّ الله، فاوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض: اجيبي عبي.

فقالت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصي الله، فبكى آدم عليه السلام أربعين صباحاً على ساحل البحر، تقطر دموعه في البحر، فيزعمون أنّ الصدفة كانت ترتفع فوق

(١) فروع الكافي: ج ٦ ص ٥١٤ ح ٣.

(٢) علل الشرايع: ص ٤٩١ و ٤٩٢ ح ١ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧.

الماء، فاذا قطرت دموع آدم في الصدفة إغتمس في الماء فيقولون: انّ الدّر من دموع آدم، ونبت الزعفران من دموع آدم، ونبت اللّبان من دموع داود عليه السلام.

فلما اشتدّ جوعه رفع رأسه إلى السّماء، فقال يا سماء أطعمني فأنا آدم صفيّ الله، فأوحى الله تعالى إلى السماء: أن اجيبي عبي، فقالت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصى الله تبارك وتعالى، فبكى آدم أربعين صباحاً، فلما اشتدّ جوعه رفع رأسه إلى السّماء فقال أسألك يا ربّ بحقّ النّبي الأميّ الذي تريد أن تخرجه من صليبي الّا تبت عليّ واطعمتني، فأوحى الله إليه: يا آدم ومن أين عرفت النّبي الأميّ ولم أخلقه بعد؟

فقال آدم: إنني رأيت على الفردوس مكتوب: لا اله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فعلمت أنّ ذلك من صليبي، فبحقّ ذلك النّبي إلاّ اطعمتني، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل: إهبط إلى عبي، فهبط عليه جبرئيل، ومعه تسع حبّات من حنطة، فوضعها على يدي آدم.

قال: فكان وزن الحبة منها الفأ وثمان مائة درهم.

قال آدم: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال جبرئيل: يا آدم هذا أخرجك من الجنّة.

قال: فما أصنع به؟ قال إيذره في الأرض، ففعل، فأنبته الله من ساعته،

فحدثت سنّة في ولده البذر في الأرض.

ثمّ أمره بحصاده، فجعل يأخذ القبضة بعد القبضة.

ثمّ أمره بجمعه وفركه بيده، فلذلك ولده يفركون بأيديهم.

ثمّ أمره بتذريته في الريح، فلذلك صارت الحنطة تذري في الريح.

ثم أمره بحجرين فوضع احدهما على الآخر فدقّه، فلذلك وضعت الرحا اليوم.

ثم أمره بعجنه فلذلك صار ولده يعجنون الدقيق اليوم.

ثم أمره أن يختبزه ملّة^(١).

فجمع له جبرئيل الحجر والحديد، فقدحه فخرجت النار، فلذلك ولده يقدحون النار اليوم، فهم أول من اختبز الملّة.

ثم أمره أن يأكله، فعند ذلك قال لجبرئيل: لا أريد! فقال له جبرئيل ﷺ: شكوت إلى ربك الجوع، فلما أطعمك قلت: لا أريد؟ قال: لأنني قد أعيتت ممّا عالجت.

فقال له جبرئيل: هذا عملك وعمل ذريتك إلى أن تقوم الساعة.

فبكى آدم أربعين صباحاً حتى ثبثت لحيته من الغم والحزن على الجنة.

فلما أكل وجد في بطنه ثقلاً ووجعاً، ولم يكن قبل ذلك له مخاط ولا بزاق،

فشكى إلى جبرئيل.

فقال جبرئيل: تنحّ فتنحى، فبغر مثل بعر الشاة، وجَد له ريحاً شديداً،

فشكى ذلك إلى جبرئيل.

فقال له جبرئيل: أتدري ما ذلك؟ قال: لا فقال له جبرئيل ﷺ: إن الله تبارك

وتعالى حين خلقك من طين أجوف، فجاء إبليس فضرب على بطنك، فسُمع له

(١) الملّة: الرماد والجمر، يقال: مللت الخبزة في الملّة واملاتها إذا عملتها في الملّة - لسان العرب

دويًا كدويّ الخايبة، فقال للملائكة لا يهمنكم إن كان ملكاً فهو منكم، وإن يكن من غيركم فأنا أكفيكموه، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) فكان ممن اتبعه هاروت وماروت.

ثم دخل في جوفك فخرج من دبرك، فكلما أصاب الطعام من نتن فهو من ذلك، لأن ممر إبليس لعنه الله كان بطنك فيعز من ذلك، ولم يكن آدم يعرف قبل ذلك بزاقاً، ولا مخاطاً، ولا شيئاً من الأذى حتى اكل الطعام.

فلما لبث آدم ﷺ في الأرض مأتي سنة ولد عوج بن عنق من بنت آدم، وهو الذي كان ولد في دار آدم، وقتله موسى من بعد آدم، فعاش في الأرض ثلاثة آلاف سنة.

فلما استكمل أيامه أوحى الله إليه أن يا آدم قد استكملت أيامك، فانظر الاسم الأكبر وميراث علم النبوة فادفعه إلى ابنك شيث، فإني لم أكن أترك الأرض إلا وفيها عالم يدل على طاعتي وينهى عن معصيتي.

فدفع آدم الوصية إلى ابنه شيث (٢).

أقول: وهذا الخبر وإن كان من طرق المخالفين إلا أنه لما كان مروياً عنه ﷺ مشتملاً على كثير مما في أخبارنا وعلى اتصال الوصية وعدم خلوة الأرض عن الحجة أوردناه في المقام، وأما ما فيه من الإشتكاء إلى الأرض والسماء فلعله كناية عن جوعه وحاجته وانسداد أبواب الرزق عليه من السماء والأرض، وأما ما فيه من

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) الملاحم: ص ٣٤ إلى ص ٣٨ وهو تأليف المحافظ أحمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادي المتوفى (٣٣٦).

متابعة هاروت وماروت فمن مزخرفات العامة .

وفي كتاب محاضرة الأوائل^(١) : إن أول موضع أهبط الله فيه آدم جبل يسمى الراهون في جزيرة من جزائر الهند في مملكة سرانديب بمكان يقال الدهنا وعليه اثر قدمه ﷺ وعلى القدم نور لماع يخطف البصر لا يمكن لأحد أن ينظر إليه طول قدمه في الصخر سبعون شبراً وعلى الجبل ضوء كالبرق ولا بد لكل يوم فيه من المطر فيغسل أثر قدمه وان آدم خطأ من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة وهو مسيرة يومين فلما أهبط خرّ ساجداً على صخرة بيت المقدس وكان يمسح رأسه الشريف السماء وكان يشرب من السحاب وكان طوله خمسمائة ذراع والله أعلم بأي ذراع ثم تضلع ستين ذراعاً .

اقول : وستسمع الكلام في الاخبار الدالة على طول قامته ﷺ فيما يأتي .
وفي «العلل» و«العيون» و«الخصال» : أنه سأل الشامي أمير المؤمنين ﷺ عن أول من قال الشعر فقال : آدم ﷺ قال : وما كان شعره ؟ قال لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هاويل فقال آدم :

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرّ قبيح
تغيّر كل ذي لون وطعم . وقلّ بشاشة الوجه المليح
وزاد في «مروج الذهب»^(٢) وغيره :

وبدّل أهلها أثلاً وخطأً بجنّات من الفردوس فيح

(١) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ج ٢ ص ١٦١٠ : محاضرة الاوائل : مختصر للشيخ علي دده ... فرغ منه في شهر رجب سنة (٩٩٨) هـ .

(٢) مروج الذهب : ج ١ ص ٤٦ .

وجاورنا عمدواً ليس يُنسى لعين ما يموت فنستريح
ويقتل قايين هايبيل ظلماً فوا أسفا على الوجه المليح
فمالي لا أجود بسكب دمعي وهابيل تَضَمَّنَه الضريح
ارى طول الحياة عليّ غمّاً وما انا من حياتي مستريح
فاجابه ابليس لعنه الله

تنحّ عن البلاد وساكنيها ففي الفردوس ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري إلى أن فاتك الثمن الربيع
فلولا رحمة الجبار أضحت بكفك من جنان الخلد ريح^(١)
قال شيخنا المجلسي رحمه الله قوله: فيح إمّا بالقاف جمع القاحة بمعنى
الساحة أو بالفاء من الفيح بمعنى السعة، وقايين بالياء: أحد ما قيل في اسم الولد
القاتل، قال: وفي أكثر نسخ التفاسير والتواريخ بالباء الموحدة^(٢).
وفي مروج الذهب بالمشناة من تحت وقيل قايين بالموحدة ثم المشناة
والمشهور قاييل باللام.

وفي «الفقيه» و«العلل» و«المحاسن» عن الصادق عليه السلام قال لما هبط آدم من
الجنة ظهرت به شامة^(٣) سوداء من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر

(١) البحار ج ١١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ عن العلل ص ٥٩٤ وعن العيون ج ١ ص ٢٤٢ والخصال ص ٢٠٩.

(٢) البحار: ج ١١ ص ٢٣٤.

(٣) الشامة: الخال أي بثرة سوداء وفي البدن حولها شعر.

به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم؟ فقال: من هذه الشامة التي ظهرت بي، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الاولى فقام وصلى، فانحطت الشامة إلى عنقه، فجاءه في الصلاة الثانية، فقال: قم فصلّ يا آدم فهذا وقت الصلاة الثانية، فقام وصلى فانحطت الشامة إلى سرّته، فجاءه في الصلاة الثالثة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلى فانحطت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه في الصلاة الرابعة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الرابعة، فقام فصلى فانحطت الشامة إلى قدميه فجاءه في الصلاة الخامسة، فقال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام صلى فخرج منها، فحمد الله واثنى عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوة كمثلك في هذه الشامة، من صلى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة^(١).

وفي تفسير القمي قال: **﴿فَلَمَّا اسْكَنَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَاتَى جَهَالَةً إِلَى الشَّجَرَةِ لِأَنَّهُ خَلَقَ خَلْقَةً لَا تَبْقَى إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالغِذَاءِ وَاللِّبَاسِ وَالْإِكْنَانِ وَالنِّكَاحِ وَلَا تَدْرِكُ مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا يَضُرُّهُ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّوْفِيقِ﴾**، فجاءه ابليس وقال إنكما إن اكلتما من هذه الشجرة التي نهكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنة أبداً وان لم تأكلا منها اخرجكما الله من الجنة، وحلف لهما أنه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: **﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾**^(٢) **﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾**^(٣) فقبل آدم قوله، فأكلا من

(١) علل الشرايع: ص ٣٣٨ ح ٢ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦٦.

(٢) الاعراف: ٢٠.

(٣) الاعراف: ٢١.

الشجرة فكان كما حكى الله ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾^(١) وسقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنة، واقبلا يستتران بورق الجنة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢) فقالا كما حكى الله عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) فقال الله لهما ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(٤)، قال: إلى يوم القيمة قال: فأهبط آدم على الصفا، وإنما سميت الصفا لأن صفوة الله نزل عليها، ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة لأن المرأة نزلت عليها، فبقي آدم اربعين صباحاً يبكي على الجنة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال: وامرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إن ابليس حلف لي بالله أنه لي ناصح وما ظننت أن يخلقاً يخلق الله أن يحلف بالله كاذباً^(٥).

تفسير الآية ﴿٣٧﴾

﴿ توبة آدم بواسطة الكلمات ﴾

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ إستقبلها بالتوصل والإستشفاع وقبول الولاية

(١) الاعراف: ٢٢.

(٢) الاعراف: ٢٢.

(٣) الاعراف: ٢٣.

(٤) الاعراف: ٢٤.

(٥) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٣ وعنه البحار ج ١١ ص ١٦٢.

وبالأخذ والقبول والعمل بناءً على ما هو الأظهر من شمول الكلمات للكوتبة الحقيقية واللفظية، وهو مأخوذ من قولهم: تلقيت منه أي أخذت وقبلت، ويقال: تلقيت الرجل وتلقاني أي إستقبلته واستقبلني، ومنه تلقى الركبان، وهو في الأصل التعرض للقاء، أطلق على القبول والالتقبال، لأنه من التعرض، وربما يحتمل أن يكون أصله التلقن كالتظني في التظن وهو ضعيف.

❖ القراءة ❖

واكثر القراء على رفع آدم ونصب كلمات، وعن ابن كثير العكس، واستدل له بأنه في المعنى كالقراءة الأخرى، فإن الأفعال المتعدية على ثلاثة أضرب: ما يجوز أن يكون الفاعل له مفعولاً به والعكس، نحو: ضرب زيد عمرواً وما لا يجوز ذلك فيه نحو: أكلت الخبز، وما يكون إسناده إلى الفاعل في معنى إسناده إلى المفعول به، نحو: نلت وأصبت وتلقيت تقول: نالني خير، ونلت خيراً، وأصابني شيء، وأصبت شيئاً، وتلقاني زيدٌ وتلقيته، ومثله في جواز الوجهين بل وقراءة قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١) على ما يأتي إن شاء الله تعالى، وهو كما ترى توجيه للمعنى لا تصحيح للقراءة، بل هو من وجه آخر على ما مرّ على أن المعنى على الأول ما سمعت، وعلى الثاني إن الكلمات تداركته بالنجاة وستسمع في الأخبار المروية عن «الخصال» و«المعاني» و«الفضائل» وغيرها ما يدلّ على الأول.

و«من» للابتداء، وإضافة الكلمات إلى اسم الربّ مضافاً إلى ضميره، مع أنه

(١) البقرة: ١٢٤.

ربّ كلّ شيء، للإشعار على كون التلقّي والتوسل من وظائف عبوديّة آدم، وقبوله من شؤون ربوبيّته المطلقة، مضافاً إلى كونه من متمّمات تربيته ومكملات وجوده.

❖ الكلمات واطلاقاتها ❖

و«كلمات» جمع كلمة، وفيها لغات، والحقّ أنّها اسم جنس يطلق على القليل والكثير فيقال للكلام والبيت والخطبة والقصيدة كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾^(١)، وقوله ﷺ: «أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد»^(٢):

الا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل^(٣)
وقولهم: قال قُتس في كلمته، يعنون في خطبته، وقال امرؤ القيس في كلمته، يعنون في قصيدته.

ثمّ إنّ هذه الإطلاقات كلّها إنّما هي باعتبار الكلمة التدوينيّة، وأمّا الكلمة التكوينيّة فالمراد بها الوجودات الجامعة المشتملة على الحروف الكونيّة ولذا يطلق على الانبياء والحجج ﷺ وكذا اطلقت على عيسى على نبينا وآله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(٤) واطلقت الكلمات او الموصوفة بالتامات على النبي والائمة ﷺ كما في هذه الآية

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) لبيد بن ربيعة العامري كان من أشرف شعراء الخضرمين والفرسان المعمرين عمر (١٤٠) سنة او ازيد وادرك الاسلام وأسلم مات في أواخر خلافة معاوية.

(٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ٥٠٣.

(٤) النساء: ١٧١.

وفي قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾^(٢)، وقوله: ﴿مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٣)، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾^(٤)، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾^(٥)، ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾^(٦)، ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾^(٧) وغيرها من الآيات الكثيرة على ما تسمع انشاء الله تعالى.

والمراد بها في المقام ما يشمل الامرين أعني التوسل بذواتهم الشريفة الذين هم الأسماء الحسنی، والامثال العليا، وأسماءهم التي هي أسماء الأسماء إما باعتبار عموم الاشتراك، أو المجاز، أو على ما قرّر في محله من جواز استعمال اللفظ المشترك في المعنيين والمتحد المعنى في المعنى الحقيقي والمجازي، مع أن التلقي هو التوسل التام الذي لا يتم إلا بالامرین معاً ولذا ترى أخبار الباب المروية من طرق الفريقين مشتملة على الأمرين.

ففي «تفسير العياشي» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال: يا رب أسألك بحق محمد لما تبت عليّ، قال: وما علمك بمحمد؟ قال: رأيت في سرادقك الأعظم مكتوباً وأنا في الجنة^(٨).

(١) البقرة: ١٣٤.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

(٤) الانعام: ١١٥.

(٥) الزخرف: ٢٨.

(٦) يونس: ٩٦.

(٧) الفتح: ٢٦.

(٨) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٦ ح ٤٠.

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذريته، فمرّ به النبي صلى الله عليه وآله وهو متكئ على عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما تتلوهما، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم اياك أن تنظر إليهم بحسد أهبطك من جوارى، فلما أسكنه الله الجنة مثل له النبي وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية: فانكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا الله بحق الخمسة محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلى الله عليهم غفر الله له وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ (١).

وفي «تفسير القمي» عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم بقى على الصفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة وعلى خروجه من جوار الله تعالى، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ قال: يا جبرئيل مالي لا ابكي وقد أخرجني الله من جواره، وأهبطني إلى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فانزل الله عليه قبةً من نور في موضع البيت، فسطع نورها في جبال مكة فهو الحرم، فامر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم وأخرج من الجنة أول يوم من ذي القعدة، فلما كان يوم الثامن من ذي الحجة أخرج جبرئيل إلى منى، فبات فيها فلما أصبح أخرجته إلى عرفات، وقد كان علمه حين أخرجته من مكة الاحرام وأمره بالتلبية، فلما زالت الشمس يوم عرفه قطع التلبية، وأمره أن يغتسل، فلما صلى العصر وقّفه. بعرفات، وعلمه

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٧ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٧.

الكلمات التي تلقى بها ربّه، وهو «سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت عملت سوءً وظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي إنك الغفور الرحيم» هكذا ثلاث مرّات إلا أنّه في الثانية أنّك أنت خير الغافرين وفي الثالثة: انك أنت التّواب الرحيم، فبقى إلى أن غابت الشمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرّع ويبكي إلى الله، فلما غابت الشمس ردّه إلى المشعر، فبات بها فلما أصبح قام على المشعر الحرام، فدعا الله تعالى بكلمات وتاب عليه^(١). الخبر

اقول: ولعلّ المراد بهذه الكلمات الأخيرة ما مرّت الإشارة إليها في مامرّ من الأخبار من التوسل بالنبي والائمة عليهم السلام، وأمّا مع الحمل على الدّعاء المذكور في هذا الخبر فلا ينافي ذلك لأنّه من مقتضيات ولايتهم ومن آثارها. وعليه يحمل أيضاً ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكلمات التي تلقاهنّ آدم من ربّه فتاب عليه وهدى قال: سبحانك اللهم وبحمدك، إلى آخر مامرّ^(٢).

قال وقال الحسن بن راشد: إذا استيقظت من منامك فقل الكلمات التي تلقى بها آدم من ربّه: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، سبقت رحمتك غضبك، لا اله إلا أنت أني ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني، انك أنت التّواب الرحيم^(٣). وفي «كشف اليقين» عن مجاهد عن ابن عباس قال: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله ربّ العالمين، فقال له ربّه: يرحمك ربّك،

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤-٤٥ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٥.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٦.

فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب، فقال: يا رب خلقت خلقاً أحب إليك مني؟ فلم يجب ثم قال الثانية فلم يجب، ثم قال الثالثة فلم يجب، ثم قال الله ﷻ له: نعم ولولاهم ما خلقتك، فقال يا رب فأرنيهم، فأوحى الله ﷻ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش، فقال: يا رب من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمد نبيي، وهذا علي أمير المؤمنين ابن عم نبيي ووصيه، وهذه فاطمة ابنة نبيي، وهذان الحسن والحسين ابنا علي وولدا نبيي، ثم قال: يا آدم هم ولدك ففرح بذلك، فلما إقترف الخطيئة قال: يا رب أسألك بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا فهذا الذي قال الله ﷻ: ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(١)، فلما هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه: «محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين» ويكنى آدم بابي محمد ﷺ^(٢). وفي «المعاني» فيما رواه المفضل عن الصادق عليه السلام بطوله إلى أن قال ﷺ: فلما أراد الله ﷻ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ إلى أرضه، فاسألا ربكما بحق الاسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما، فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الاكرمين عليك: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام إلا ثبت علينا ورحمتنا، فتاب الله عليهما أنه هو التواب الرحيم، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويخبرون

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) اليقين في إمره أمير المؤمنين عليه السلام ص ٣٠ - ٣١.

بها أوصيائهم والمخلصين من اممهم، فيابون حملها ويشفقون من إدعائها وحملها
الانسان الذي قد عُرف، فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله
عزّوجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، الآية^(٢).

❖ الكلمات التي تلقّيناها آدم (ع) ❖

وفي «الأمالي» و«الاحتجاج» و«جامع الاخبار» عن الصادق عليه السلام قال: أتى
يهوديّ النبي ﷺ فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال عليه السلام: يا يهودي ما حاجتك؟
قال: انت أفضل أم موسى ابن عمران الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا،
وفلق له البحر واطلّه بالغمام؟ فقال له النبي ﷺ: إنه يكره للعبد أن يزكّي نفسه
ولكنّي أقول: إنّ آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال اللهم إني أسألك بحقّ
محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له، وإن توحاً لما ركب السفينة وخاف
الغرق قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما نجيتني وأهلي من الغرق،
فنجّاه الله تعالى ومن معه في السفينة من الغرق، وإن إبراهيم لما ألقى في النار قال:
اللهم إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما أنجيتني منها، فجعلها الله عليه برداً
وسلاماً، وإن موسى لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: اللهم
إني أسألك بحقّ محمد وآل محمد لما آمنتني، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنك أنت
الأعلى، يا يهودي إنّ موسى لو أدركني ثمّ لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً

(١) الاحزاب: ٧٢.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٤ ح ١٩.

ولا نفعته النبوة^(١).

وفي «المعاني» عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(٢)، ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه أنه هو التواب الرحيم.^(٣) الخبر

وفي «الكافي» عن أحدهما عليه السلام: إِنَّ الْكَلِمَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتَبَّ عَلَيَّ وَاعْفُرْ لِي وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاعْفُرْ لِي وَارْحَمْنِي أَنْتَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتَبَّ عَلَيَّ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وفي رواية: بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

وفي رواية أخرى: بحق محمد وآل محمد عليهم السلام صلى الله عليهم أجمعين^(٤).

«الخصال» و«المعاني» و«الفضائل» عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال صلى الله عليه وآله: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه.

وفي «فضائل الأئمة» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ

(١) جامع الاخبار: ص ٨ - ٩ والامالي ص ١٣١ - ١٣٢، وعنهما البحار ج ١٦ ص ٣٦٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) معاني الاخبار ص ٤٢ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٧ ح ٢٤.

(٤) معاني الاخبار ص ٤٢ والخصال ج ١ ص ١٤٦ وعنهما البحار ج ١١ ص ١٧٦.

آدم فسأل ربه أن يريه ذريته من الانبياء والأوصياء المقربين إلى الله ﷻ فأُنزل الله عليه صحيفة فقرأها كما علمه الله تعالى إلى أن انتهى إلى محمد النبي العربي عليه أفضل الصلاة والسلام فوجد عند اسمه اسم علي بن أبي طالب ﷺ فقال آدم هذا نبي بعد محمد ﷺ فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول هذا وارث علمه وزوج ابنته وابو ذريته ﷺ فلما وقع آدم في الخطيئة جعل يتوسل إلى الله تعالى بهم ﷺ فتاب الله عليهم (١).

وفي تفسير فرات بن ابراهيم بالاسناد عن النبي ﷺ: لما نزلت الخطيئة بآدم واخرج من الجنة اتاه جبرئيل ﷺ فقال يا آدم ادع ربك قال يا حبيبي جبرئيل ما ادعو؟ قال: قل: يا رب اسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صليبي آخر الزمان ألا تبت عليّ ورحمتني فقال له آدم يا جبرئيل سمهم لي قال: اللهم بحق محمد نبيك، وبحق عليّ وصي نبيك، وبحق فاطمة بنت نبيك، وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت عليّ ورحمتني، فدعا بهنّ آدم فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهنّ إلا استجاب الله له (٢).

وفي «الفضائل» بالاسناد عن النبي ﷺ: إن أبي آدم لما رأى اسمي واسم عليّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين واسماء اولادهم مكتوبة على ساق العرش بالثور، قال: الهي وسيدي هل خلقت خلقاً هو اكرم عليك مني؟ فقال الله: يا آدم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٣١ ح ١٣ عن الفضائل.

(٢) تفسير فرات: ص ١٣ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٢٣ ح ١٥.

لولا هذه الاسماء لما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً، ولا خلقتك يا آدم قال: فلما عصى آدم ربه سأل بحقنا أن يقبل توبته ويغفر خطيئته فأجاب، وكنا الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ﷻ فتاب عليه وغفر له، فقال له: يا آدم ابشر فإن هذه الأسماء من ذريتك وولدك، فحمد آدم ربه ﷻ وافتخر على الملائكة بنا وإن هذا من فضلنا وفضل الله علينا^(١).

وفي كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عن العباد عملاً إلا بمعرفتنا ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه^(٢).

وفي تفسير الامام عليه السلام قال: فلما زلت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربه ﷻ قال: يا رب تب عليّ، واقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي، فلقد تبين نقص الخطيئة وذللها بأعضائي وسائر بدني، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمري إياك بأن تدعوني بمحمد وآله الطيبين عند شدائدك ودواهيك وفي النوازل التي تبهظك^(٣) قال آدم: يا رب بلى قال الله ﷻ له: فتوسل بمحمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً فادعني أجيبك إلى ملتمسك وأزدك فوق مرادك، فقال آدم: يا رب وقد بلغ عندك من محلهم إنك بالتوسل بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي، وأنا الذي اسجدت له ملائكتك والجنة جنتك وزوجته حواء أمتك، واخدمته كرام ملائكتك؟

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٣ ح ١٥ عن الفضائل.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٥ ح ٧.

(٣) تبهظك: تثقلك وتعجزك، مشتق من بهظ بمعنى أثقل وأعجز.

قال الله تبارك وتعالى: يا آدم إنما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود إذ كنت وعاءاً لهذه الانوار، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن اعصمك منها، وإن أفضتك لدواعي عدوك ابليس حتى تحتزز منه لكنت قد جعلت ذلك، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي، فالآن فإني فادعني لأجيبك.

فعند ذلك قال آدم: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين، بجاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم لما تفضلت بقبول توبتي، وغفران زلتي، وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي.

فقال الله ﷻ قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك، وصرفت الآتي ونعمائي إليك، واعدتكم إلى مرتبتكم من كراماتي، ووفرت نصيبك من رحماتي، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١). ثم قال ﷻ للذين أهدبهم من آدم وحواء وابليس والحية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فيها تعيشون، وتحثكم لياليها وأيامها إلى السعي للآخرة، فطوبى لمن تزود منها لدار البقاء ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ لكم في الأرض منفعة إلى حين موتكم، لأن الله يخرج زروعكم وثماركم، وبها ينزلكم^(٢)، وينعمكم، وفيها أيضاً بالبلاء يمتحنكم، ويلذذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا نعيم الآخرة الخالص مما ينقص نعيم الدنيا ويبطله، ويزهد فيه ويصغره ويحقره، ويمتحنكم تارة ببلايا الدنيا التي تكون في خلالها الزحومات وفي تضاعيفها النقمات

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) في البحار: ينزلهكم.

المجحفة، يدفع عن المبتلى بها مكاره ليحذركم بذلك عذاب الأبد الذي لا تشوبه عافية، ولا تقع في تضاعيفها راحة ولا رحمة^(١).

وفي موضع آخر من التفسير قال: قال رسول الله ﷺ لليهود معاشر اليهود تعاندون رسول الله ﷺ وتأبون الاعتراف بأنكم كنتم بذنوبكم من الجاهلين بأن الله لا يعذب بها أي بالتوبة والاعتراف احداً، ولا يزيل عن فاعل العناد عذابه ابداً إن آدم ﷺ لم يقترح على ربه المغفرة لذنبه إلا بالتوبة، فكيف تقترحونها انتم مع عنادكم؟ قيل: وكيف كان ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لما وقعت الخطيئة من آدم ﷺ وخرج من الجنة وعوتب ووئع قال: يا رب إن تبت واصلحت أتردني إلى الجنة؟ قال: بلى قال آدم: فكيف اصنع يا رب حتى اكون تائباً تقبل توبتي؟ فقال الله تعالى: تسبحني بما أنا أهله، وتعترف بخطيئتك كما أنت أهله، وتتوسل إلي بالفاضلين الذين علمتكم أسماءهم، وفضلتكم بهم على ملائكتي، وهم محمد وآله الطيبون واصحابه الخيرون.

فوفقه الله تعالى، فقال: يا رب لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءً، وظلمت نفسي، فارحمني إنك أنت أرحم الراحمين بحق محمد وآله الطيبين، وخيار أصحابه المنتجبين، سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءً وظلمت نفسي، فتب عليّ انك أنت التواب الرحيم، بحق محمد وآله الطيبين وخيار أصحابه المنتجبين.

فقال الله تعالى: لقد قبلت توبتك وآية ذلك أن أنقي بشرتك فقد تغيرت، وكان

(١) تفسير المنسوب إلى الامام ﷺ: ص ٩٠ - ٩١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩٢ - ١٩٣.

ذلك لثلاث عشر من شهر رمضان فصم هذه الثلاثة الأيام التي تستقبلك، فهي أيام البيض ينقي الله في كل يوم بعض بشرتك، فصامها فنقي في كل يوم منها ثلث بشرته، فعند ذلك قال آدم: يا رب ما أعظم شأن محمد وآله وخيار أصحابه؟ فأوحى الله إليه: يا آدم أنك لو عرفت كنه جلال محمد عبدي وآله وخيار أصحابه لأحببته حباً يكون أفضل أعمالك، قال: يا رب عرّفني لأعرف، قال الله تعالى: يا آدم إن محمدًا لو وُزنَ به جميعُ الخلق من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين، وسائر عبادي الصالحين، من أول الدهر إلى آخره، ومن الثرى إلى العرش لرجح بهم، وإن رجلاً من خيار آل محمد لو وزن به جميع آل النبيين لرجح بهم، وإن رجلاً من خيار أصحاب محمد لو وزن به جميع أصحاب المرسلين لرجح بهم، يا آدم لو أحبّ رجلٌ من الكفار أو جميعهم رجلاً من آل محمد وأصحابه الخيّرين لكافاه الله عن ذلك بأن يختم له بالتوبة والايمان، ثم يدخله الله الجنة إن الله ليفيض على كل واحد من محبي محمد وآل محمد وأصحابه من الرحمة ما لو قُسمت على عدد كعدد ما خلق الله تعالى من أول الدهر إلى آخره، وكانوا كقاراً لكفاهم، ولأذاهم إلى عاقبة محمودة وهو الايمان بالله حتى يستحقوا به الجنة، ولو أن رجلاً كان ممن يُبغض آل محمد وأصحابه الخيّرين أو واحداً منهم لعذبه الله عذاباً لو قُسم على عدد ما خلق الله لأهلكهم الله أجمعين^(١).

وفي كتاب المُحتضر للحسن بن سليمان ممّا رواه من كتاب منهج التحقيق

(١) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ١٥٧ وعنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٠ - ٣٣١

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي ارواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عدّهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟ فقال: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين، وتاسعهم قائمهم ثمّ عدّهم بأسمائهم ثمّ قال: والله نحن الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن المثاني الذي اعطاها الله نبينا، ونحن شجرة الثبوة، ومنبت الرحمة، ومعدن الحكمة، ومصايح العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سرّ الله، ووديعه الله جلّ اسمه في عباده، وحرّم الله الأكبر وعهده المسؤول عنه، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله ومن خفّره ^(١) فقد خفر ذمّة الله وعهده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، وصوّرنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه على عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدلّ عليه، وخرّان علمه، وتراجمة وحيه، وأعلام دينه، والعروة الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى، وبنا أثمرت الأشجار، واينعت الثمار، وجرت الأنهار، ونزلت الغيث من السماء، ونبت عُشب الأرض، وبعبادتنا عبداً لله، ولولانا ما عرف الله، وأيم الله لولا وصيّة سبقت وعهد أخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه أو يذهل عنه الأولون والآخرون ^(٢).

(١) اي ومن تقض عهدنا فقد تقض عهد الله.

(٢) المحتضر: ص ١٢٩ وعنه البحار ج ٢٥ ص ٤-٥ ح ٧.

وعن كتاب الآل لابن خالويه عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله آدم وحواء ﷺ تبخترا في الجنة فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل أن ائتني بعبدتي التي في جنة الفردوس الأعلى فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على دُرْنوك^(١) من درانيك الجنة على رأسها تاج من نور، وفي أذنيها قرطان من نور، قد اشرفت الجنان من حسن وجهها، قال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد اشرفت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد ﷺ نبي من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلمها علي بن ابي طالب قال: فما القرطان اللذان في اذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين، قال: حبيبي جبرئيل أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة^(٢).

وفي تفسير القمي عن الصادق ﷺ قال: إن آدم ﷺ بقي على الصفاء أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنة وعلى خروجه من الجنة من جوار الله ﷻ، فنزل عليه جبرئيل ﷺ فقال: يا آدم مالك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل ما لي لا ابكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني إلى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف اتوب؟ فانزل الله عليه قبة من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكة، فهو الحرم وأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، ثم قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية وأمره أن يغتسل ويحرم، وأخرج من الجنة أول يوم من ذي القعدة فلما كان

(١) الدرْنوك بضم الدال نوع من البسطة له خمل.

(٢) المحاضر: ١٣١-١٣٢ وعنه البحار ج ٢٥ ص ٥-٦.

يوم الثامن من ذي الحجّة أخرجته جبرئيل الى منى فبات بها فلما أصبح اخرجته إلى عرفات، وقد كان علمه حين أخرجته من مكّة الإحرام، وعلمه التلبية، فلما زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية، وأمره أن يغتسل، فلما صلى العصر أوقفه بعرفات، وعلمه الكلمات التي تلقى بها ربّه، وهي سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا انت عملت سوء وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك انت خير الغافرين، سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا انت عملت سوء وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك انت التّواب الرحيم، فبقي إلى غروب الشمس رافعاً يديه إلى السّماء يتضرّع ويبكي فلما غربت الشمس رده إلى المشعر، فبات بها فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعى الله تعالى بكلمات وتاب عليه، ثم أفاض إلى منى وأمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذي عليه، فحلقه، ثم رده إلى مكّة فاتى به عند الجمرّة الأولى، فعرض ابليس عندها فقال: يا آدم اين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصاة، وأن يكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة ففعل، ثم ذهب فعرض له ابليس عند الجمرّة الثانية، فأمره أن يرميه سبع حصاة فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ثم ذهب فعرض له ابليس عند الجمرّة الثالثة فأمره أن يرميه بسبع حصاة ويكبّر عند كلّ حصاة ففعل، فذهب ابليس لعنه الله وقال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم ابداً فانطلق به إلى البيت الحرام وأمره أن يطوف به سبع مرّات، ففعل، فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك وحلّت لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم حجّه لقبيته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك أما إنّنا قد حججنا قبلك هذا البيت بالفى عام^(١).

(١) تفسير القمي ص ٣٧ - ٣٨ وعنه البحار ج ١١ ص ١٧٨ - ١٧٩.

وفي البحار عن بعض كتب المناقب: ان آدم لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها، فمر بكربلا فاغتم وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: الهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به، فإني طفت جميع الأرض وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟

فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا رب أيكون الحسين نبياً؟ قال: لا ولكنه سبط النبي محمد ﷺ فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات والأرض فقال آدم: فأي شيء أصنع يا جبرئيل قال: إلعن قاتله يا آدم، فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك^(١).

مركز تحقيق كتاب تراث علوم اسلامی

وفي تفسير العياشي عن ابي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره ان يحرث بيده فيأكل من كده بعد الجنة ونعيمها، فلبث يجأر ويبيكي على الجنة مائتي سنة، ثم أنه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة أيام ولياليها، ثم قال: اي رب الم تخلقني؟ فقال الله: قد فعلت، فقال: الم تنفخ في من روحك؟ قال: قد فعلت، قال: الم تسكنني جنتك؟ قال: قد فعلت، قال: الم تسبق لي رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت او شكرت؟ قال: آدم: لا اله إلا انت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم، فرحمه الله

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٢-٢٤٣ ح ٣٧.

بذلك وتاب عليه إنّه هو التّواب الرحيم^(١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة من طرق الامامية، بل قد روي مثل ذلك أيضاً من طرق المخالفين.

فمن ابن المغازلي الشافعي في كتاب «المناقب» عن النبي ﷺ أنّه سئل عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه فقال ﷺ: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ ألاّ تبت عليّ فتاب عليه^(٢).

وعن النطنزي في «الخصائص» أنّه قال ابن عباس: لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس، فقال: الحمد لله، فقال له ربّه: يرحمك ربّك، فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقاً هو أحبّ إليك منّي؟ قال: نعم ولولاهم ما خلقتك، قال: يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله ﷻ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة اشباح قدام العرش، قال: يا ربّ من هؤلاء، قال: يا آدم هذا محمّد نبيي، وهذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيي ووصيّه، وهذه فاطمة بنت نبيي، وهذان الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيي، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك، وفرح بذلك، فلما إقترف الخطيئة، قال: يا رب اسألك بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له فهذا الذي قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، إنّ الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه، اللهم بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت علي فتاب الله عليه^(٣).

(١) بحار الانوار عن تفسير العياشي ج ١١ ص ٢١٢ ح ١٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ ح ٨٩.

(٣) تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن النطنزي ج ١ ص ٨٩.

اقول: وهذا الخبر قريب مما حكيناه عن: «كشف اليقين» إلا أن فيه بعض الاختلاف ولذا حكيناه بلفظه.

وروى القاضي أبو عمرو عثمان بن أحمد أحد شيوخ السنة يرفعه إلى ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لما شملت آدم الخطيئة نظر إلى اشباح تضيء حول العرش فقال: يا رب إني أرى اشباحاً تشبه خلقي فما هي؟ قال: هذه الأنوار أشباح اثنين من ولدك اسم احدهما محمد، أبدأ النبوة بك وأختمها به، والآخر أخوه وابن أخي أبيه اسمه عليّ أيدت محمداً به، وانصره على يده، والانوار التي حولهما أنوار ذرية هذا النبي من أخيه هذا يزوجه ابنته تكون له زوجة يتصل بها أول الخلق إيماناً به وتصديقاً له، أجعلها سيّدة النسوان وأفظمها وذريتها من النيران، تنقطع الأسباب والأنساب يوم القيمة إلا سببه ونسبه، فسجد آدم شكراً لله أن جعل ذلك في ذريته فعوضه الله عن ذلك السجود أن أسجد له ملائكته^(١) يرى

ثم إن آدم ﷺ لما تاب بالتوسل بمحمد وآله الطيبين وتجديد العهد بولايتهم والاستشفاع بأنوارهم ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْهِ﴾ بقبول توبته والرجوع عليه بالاشفاق والرّحمة والنّعمة، ويمكن أن يكون المراد الرجوع عليه بتوفيقه للتوبة، وإلهامه لها أولاً قبل توبته كما في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(٢) ومنه قوله في الدعاء: «اللهم تب عليّ حتى لا أعصيك»، فإن التوبة يتّصف بها العبد والرّب، وللعبد توبة، وللرّب توبتان: يوفق العبد ويلهمه التوبة أولاً، ثم يتوب العبد ويرجع من البعد إلى

(١) البرهان: ج ١ ص ٨٩ ح ١٦.

(٢) التوبة: ١١٨.

القرب ومن المعصية إلي الانقياد والطاعة، ثم يقبل الله توبته، فتوبة العبد تتعدى بيالي
 وإذا نسبت إليه سبحانه تعدت بعلى لتضمينه معنى الإشفاق والعطف.
 وإنما رتبته بالفاء لأنه كالتفصيل لما أجمله أولاً، لتضمن التلقي لتوبته لما مرّ.
 واكتفى بذكر آدم في كل من التلقي والثوبة مع سبق التشريك في الزلة
 للإيجاز والتغليب له في الأفعال كالأحكام وللتنبية بالتشريك والتفكيك على كون
 ابتداء الزلة منهما والتلقي منه.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الرجاء على عباده بالتوفيق والدعاء إلى التوبة وقبول
 الرحمة، أو بالصّفح والمغفرة مرّة بعد أخرى، أو بقبولها في الذنوب العظام، فيحتمل
 كل من المادة والهيئة وجهين والحاصل أربعة والأولى الحمل على الجميع.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾ المبالغ في إفاضة الرحمة المكنوية الايمانية التي خص بها
 المؤمنين، وفي الجمع بين الوصفين وعدّ للتائب بالاحسان مع الغفران.

تفسير الآية ﴿٢٨﴾

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾

كرّره للتأكيد، أو لاختلاف ما هو المقصود بالخطاب، فإنّ مساق الأوّل كون
 هبوطهم للزلة والثاني أنّ المقصود الابتلاء بالتكليف، أو لأنّ المقصود بالخطاب
 الأوّل هو آدم وحواء وذريتهما تابعة، وفي الثاني بالعكس، ولذا فرّع على الأوّل
 حديث التلقي وقبول التوبة، وعلى الثاني تقسيم الناس إلى صنفين: ناج متبع لهداه
 وكافر تابع لهواه، وليس من خطاب المعدوم من شيء على فرض إستحالة، ولو

باعتبار التغليب لسبق خلق الارواح التي ركّبت فيها العقل والادراك او غير ذلك ممّا مرّ في المقدمات، ويؤيده قول الإمام عليه السلام في تفسير قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾، يأتيتكم واولادكم من بعدكم مني هدى يا آدم ويا ابليس ^(١).

أو لأنهما لما أتيا بالزّلة أمرا بالهبوط فتابا بعد الأمر بالهبوط، ووقع في قلبهما أنّ الأمر بالهبوط لمّا كان بسبب الزّلة فبعد التوبة ينبغي أن لا يبقى الأمر بالهبوط فأعاده الله ليعلمنا أنّه ما كان جزاء على ارتكاب الزّلة يزول بزوالها بل أنّما هو تحقيق بالوعد المتقدّم من جعله خليفة في الأرض ^(٢).

وهذا الوجه ضعيف، وإن قوّاه الرازي، أو لأنّ الهبوط الاول من الجنّة إلى السماء وهذا الهبوط من السماء إلى الأرض ^(٣). وردّ بانه قد جعل الاستقرار في الأرض والتمتع فيها حالاً من الأوّل وان كانت حالاً مقدّرة.

وفيه نظر لجواز كونه حالاً باعتبار ما يؤول إليه حالهم بعد الهبوط، وإلا فلا استقرار ولا تمتّع حال الهبوط بل بعده، أو لاختلاف الحالين فقد بين في الأوّل أنّ الإهباط كان في حال عداوة بعضهم لبعض، وفي الثاني أنّه كان للإبتلاء والتكليف كما يقال: إذهب سالماً معافى إذهب مُصاحباً، وان كان الذهاب واحداً لاختلاف الحالين، وهو قريب من الثاني، أو لأنّه من تعقيب المطلق بالمقيّد حيث قيّد الثاني بالاجتماع، واليه الاشارة بما في تفسير الامام عليه السلام حيث قال: كان أمر في الاول أن

(١) تفسير الامام عليه السلام: ص ٩٠ وعنه البحار ج ١١ ص ١٩١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٣ ص ٢٦.

(٣) نقله الرازي عن الجباعي.

يهبطاً^(١) وفي الثاني أمرهم أن يهبطوا جميعاً لا يتقدّم احدهم الاخر، والهبوط إنما كان هبوط آدم وحواء من الجنة، وهبوط الحيّة ايضاً منها، فأنها كانت من أحسن دوابها، وهبوط ابليس من حوالها فإنه كان محرماً عليه دخول الجنة^(٢).

وامّا ما يقال: من أنّ جميعاً حال في اللفظ تأكيد في المعنى فكأنه قيل: إهبطوا أنتم أجمعون، ولذلك لا يستدعي إجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك: جاؤا جميعاً.

ففيه أنه كما يتعدّر كونه تأكيداً في اللفظ فكذلك لا يتعيّن ذلك معنى، بل قضية الحالّيّة بظاهاها اجتماعهم على الهبوط سلّماً، لكنّه لا اقلّ من استفادة اجتماعهم بعده وهذا مع سبق العداوة الظاهرة ممّا يصلح لتمهيد الابتلاء والامتحان ولذا عدل عن التأكيد إلى الحالّيّة أي اهبطوا مجتمعين.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ «إمّا» أصله إن الشرطيّة زيدت عليها «ما» ليصحّ دخول نون التأكيد في الفعل، إيماءً إلى رجحان جانب الوقوع بعد دلالة حرف الشرط على الشك، فأكّدوا الفعل بالنون والأداة بما، وقد يقال: إنّ الأداة إذا أكّدت بما وجب تأكيد شرطها فلا ينحطّ المقصود عن رتبة الاداة، وبالجملة الأمر والنهي والاستفهام تدخل فيها النون وان لم يكن معها ما، لاشتداد الحاجة إلى التوكيد في الأولين، والثالث في معنى أخبروني، واما الخبر فلا يدخله إلا في القسم وما أشبه القسم في التوكيد لقولك زيد ليأتينك وبجهد ما تبلغن، وقد يقال في المقام: إنّ ما

(١) في نسخة: أن يهبطوا.

(٢) تفسير المنسوب إلى الامام عليه السلام ص ٩٠-٩١.

لتأكيد الفعل أوّله كما أنّ النون تأكيد له آخره كتنظيره في لام القسم والنون في نحو: والله لأقومنّ، وأما فتح ما قبل النون فقد يقال: إنه لالتقاء سكون الياء والنون الأولى، والصحيح أنه للبناء والّا لما حرّك على الفتح في الصحيح.

والمراد بالهدى البيان والدلالة بالعقل والشرع، ولذا ورد أنّ الله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة وهم الانبياء والرسول وحجّة باطنة وهي العقول^(١).

وعن الكاظم عليه السلام في خبر هشام أنّ الله ﷻ أكمل للناس الحجج بالعقول وأفضى إليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلة فقال: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاجِدٌ﴾^(٢).^(٣) الآيتين.

وفي تفسير فرات عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: إنّ الهدى هو عليّ بن ابي

طالب عليه السلام^(٤).

مركز تحقيق كتاب توحيد علوم رسولي

والمراد كونه عليه السلام حجّة في عصره بعد النبي ﷺ.

وفيه وجه آخر إنّما أتى فيه بالحرف الدال في أصله على الشك، لأنّ اقترانه بما الزائدة والتأكيد بالنون الثقيلة قد أخرجه عن معنى الشك رأساً فدلّ على تيقن الوقوع وتحققه من دون تقيّد بزمان للشرط ولا للجزاء المترتب عليه، بل قضية اطلاق الفعل من حيث الأزمان عدم خلوّ الزمان عن الحجّة الذي هو الهدى

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) البحار: ج ١ ص ١٣٢ ح ٣٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي ص ٥٨ ح ١٧.

المنصوب منه لا منّا، ولذا أضافه إلى نفسه في موضعين من هذه الآية .
وامّا ما يقال : من أنّ الوجه في ذلك أنّ الإتيان محتمل في نفسه غير واجب عقلاً، فهو مردود بما هو المقرّر في محلّه من عدم خلوّ العصر عن الحجّة، بل لا ريب في شمول الهدى للحجّة الباطنة التي هي العقول، بل ما ذكره مبنيّ على قواعد الاشاعرة المنكرين للتحسين والتقيح العقليين النافين لعدله سبحانه عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً .

ومثله في الضّعف ايضاً ما قيل : من أنّ ذلك للإيدان بأنّ الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب، وأنه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً كان الإيمان به وتوحيده واجباً لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكّنهم من النظر والاستدلال .

بل وما قيل أيضاً : من أنّ فيه إشارة إلى وجه آخر غير ما ذكرناه وهو أنّ إتيان الهدى بطريق الرسول والكتاب ليس بواجب فالإيمان به ويتوحيده وصفاته وافعاله واجب عليهم على كلّ حال سواء يأتيهم الكتاب والرسول أو لم يأتيهم، وذلك لإفاضة نور العقل ونصب الأدلة ولو لم يكن طريق العقل كافياً لوجب عليه إرسال الرسل فلم يصحّ الإتيان بكلمة الشك، فلما أتى بها آذن أنّه ليس بواجب فتعيّن الوجوب بطريق العقل .

فإنّ الكلّ ضعيف لمخالفته للأصل المقرّر عندنا من وجوب الحجّة في كلّ عصر، ولظاهر الآية من حيث اقتران الشرط بحرفي التأكيد المخرجين . له عن الشك إلى رجحان الوقوع الموجب لتعيّنه في حقّه سبحانه على ما قضت به

حكيمته . وجرت عليه افعاله من إرادة الاصلح وترجيح الراجح على المرجوح ومن هنا مع كون الخطاب شاملاً لذريته عليه السلام ولو باعتبار التغليب او غيره وظهور الآيتين في تصنيف الناس إلى صنفين مع التعريض بهما على هذه الأمة التي هي في آخر الامم إشارة إلى ما استقرّ عليه المذهب من عدم خلوّ الزمان عن الحجّة بل قد ورد في اخبار كثيرة: «أن علم آدم لم يرفع بل قد ورثه حجّة بعد حجّة .

ففي «البصائر» عن الفضيل قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع وإنّ العلم ليتوارث وما يموت منا عالم حتّى يخلفه من اهله من يعلم علمه او ما شاء الله ^(١) .

وعن الحارث بن المغيرة عنه عليه السلام: إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم إلا وقد ورث عالم علمه، إنّ الأرض لا تبقى بغير عالم ^(٢) .
وعن فضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت في علي عليه السلام سنّة ألف نبويّ، وقال: إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، وما مات عالم فذهب علمه، وإنّ العلم ليتوارث وإنّ الأرض لا تبقى بغير عالم ^(٣) .

وفي «العلل» عنه عليه السلام قال: والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلا وفيها امام يهتدى به الى الله وهو حجّة الله على عباده ^(٤) .

وفيه وفي الاكمال عن الصادق عليه السلام قال: والله ما ترك الله الأرض منذ قبض

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩ .

(٢) البصائر: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٨ .

(٣) البصائر: ص ٣٢ وعنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩ ح ٣١ .

(٤) عدل الشرايع: ٧٦ وعنه البحار ج ٢٣ ص ٧٦ .

آدم إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله ﷻ، وهو حجّة الله ﷻ على العباد، من تركه هلك، ومن لزمه نجى حقاً على الله ﷻ (١).

ثم إنّ العقول وان استقلت بإدراك بعض الحقائق كالتوحيد وغيره بل بإدراك بعض الاحكام او المصالح المقتضية لها كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار، إلا أنها قاصرة عن الإحاطة بتفاصيل الأحكام فمتابعتها بهذا الاعتبار لا توجب الهدى التام الذي يوجب متابعتة نفي الخوف والحزن رأساً، ومخالفتة الكفر الموجب للخلود في النار، وأما الكتب السماوية فإنها وان وجد فيها ما هو مشتمل على جميع الحقائق والاحكام كالقرآن إلا أنه باعتبار بطونه التي لا يعلمها إلا الله سبحانه أو من علمه الله ولو بوسط.

بل نحن نرى الناس مختلفين في فهم ظواهرها، ولذا ترى كل ذي شرعة أو بدعة يتشبّه بشيء من ظواهرها في أصولهم وفروعهم، وكل فرقة من فرق أمة النبي ﷺ قد استدلوا لمذاهبهم المختلفة المنحرفة عن طريق الحق بظواهر القرآن، فليس فيه ايضاً بنفسه البيان الواضح والهدى التام بل إنما يتحقق ذلك في الانبياء والأوصياء المعصومين صلى الله عليهم اجمعين الذين عندهم علم الكتاب، وهم فصل الخطاب، والعقل من حيث دلالة على الحجّة، وكشفه عن صحّة دعواه فيه الهدى التام، وكذلك الكتاب من حيث اقترانه ببيان الحجّة وتفسيره وتأويله فيه الهدى التام، والحجّة هو الكتاب الناطق الذي ينطق بالحق ويقضي بالقسط ويبطل تأويل المؤولين ويدحض انتحال المبطلين وهو الهدى التام الذي علّق عليه الوعد

(١) العلل: ص ٧٦ وإكمال الدين ص ١٣٣.

والوعيد في الآيتين.

وإنما اضافته إلى نفسه للتبهيه على وجوب كونه منصوباً من قبله سبحانه لاشرطه بالعصمة التي ليس للناس سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الاعجاز أو النص ولغير ذلك على ما قرّر في محله.

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «مَنْ» شرطية عند الاكثر، ويحتمل أن تكون موصولة، بل وجهه أبو حيان وغيره لقوله في قسيمه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا﴾ حيث أتى به موصولاً مع عدم دخول الفاء في خبره، ويؤيده ضمائر الجمع الغائب، والجملة شرطية كانت او خبرية جواب للشرط المتقدم.

والإتباع هو الإقتداء والإحتذاء، وأصله من تبعت القوم إذا مشيت خلفهم، والمراد به في المقام الموافقة في الأفعال والأقوال والأحوال والعقائد والنيات، فإنه هو الإتباع التام، وان كان له عرض عريض كما وكيفاً، وهو المعبر عنه بالإيمان والتصديق، ولذا قابله بالكفر والتكذيب.

وإنما كرّر لفظ الهدى لإظهار شأنه وفخامته سيما مع إضافته إليه، تنبيهاً على قطع طمع الخائنين عن أن يكون لهم سبيل إلى نصب الحجّة، وتوهم كون الثاني أعم من الأول بناءً على شموله لما اقتضاه العقل، مضافاً إلى ما أتى به الرسل، واختصاص الأول بالثاني غير واضح بعد ظهور شمول الأول للأول أيضاً، سيما مع كونه نكرة في سياق الشرط او ما بمعناه.

والمراد بالخوف هو التألم الحاصل من توقع الوعيد، ونقيضه الأمن، كما أن

نقيض الحزن السرور، واصله غلظ الهمّ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض، والخوف إنما يحصل من حلول المكروه المتوقع، والحزن عن فوات المحبوب الواقع، وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّئْبُ﴾ (١)، فقد أجاب عنه شيخنا البهائي عليه السلام في كشكوله بأن المراد أنه يحزنني قصد ذهابكم به، قال: وبهذا يندفع احتراز ابن مالك على النّحاة بالاية الكريمة في قولهم: إنّ لام الابتداء تخلص المضارع للحال.

أقول والأولى أن يقال: إنه أيضاً بالنسبة إلى الواقع بعد تحقق الذهاب لاستناد الفعل إليه، فلا عبرة بحال التكلم، وأما اندفاع الاحتراز به بالنسبة إلى اللام فقد سبقه فيه غيره كابن هشام، وستسمع في موضعه تمام الكلام، وإن كنا قد لوّحنا إليه في المقام أيضاً، فإنّ تقدير الآية بعد التأويل بالمصدر أنه ليحزنني إذهابكم إياه، ومن البين أنّ الإذهاب موجب للحزن في حاله، وإن كنا مستقبلين بالنسبة إلى حال التكلم، وبالجملة ففي المقام نفي عنهم خوف وقوع المكروه فضلاً عن الخوف الواقع، وهو ابلغ بيان في نفي العذاب الروحاني والجسماني واثبات الثواب على الوجهين.

وقرىء (هُدَيٌّ) كقَصِي على لغة هذيل، حيث أنهم يقلبون ألف المقصورة إذا اضيف إلى ياء المتكلم، ياء لمناسبتها كسرة المضاف ويدغمونها، وذلك لأنّ شأن ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها، فجعل قلب الالف ياء بدل كسرها، إذ الالف لا تتحرّك، فهو مثل عليّ ولديّ، وقرأ يعقوب فلا خوف بفتح الفاء، على أنّ لا لنفي

الجنس، وهذه قراءته في جميع القرآن، والباقون بالرفع والتنوين على إعمال لا عمل ليس.

وأما ما يستدل به للأول من أن «لا» التبرئة اشدّ نفيًا من «ليس» وإن قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾^(١) لا خلاف في نصبه، وإن كان ما بعده معطوفاً عليه موضعه رفع، فتما لا ينبغي الإصغاء إليه، سيما فيما هو مبني على التوقيف.

وأما ما يحكى عن الأعرج^(٢) من قراءة هداي بالالف وسكون الياء، فكأنه نوى الوقف وإلا فهو غلط.



﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.
 قسيم للجملة المتقدمة، صلة كانت أو شرطاً، وبها ينقسم كل من بلغته الدعوة، وقامت عليه الحجة إلى صنفين: متبع مهتدٍ آمنٌ مستنعم بالنعيم الأبدي، وكافر مكذب مخلد في العذاب السرمدى.

وتقديم الكفر على التكذيب من باب تقديم المسبب على السبب، أو من تقديم الملزوم على اللازم، والمراد من السبب سببية في الحكم، ولو من جهة الكشف عن الموضوع، كما في دلالة بعض أعمال الجوارح كسجود الشمس وغيره

(١) يس: ٤٣.

(٢) هو عبدالرحمن بن هرمز ابوداود الأعرج المدني التابعي المقرئ مات بالاسكندرية سنة

(١١٧) - غاية النهاية ج ١ ص ٢٨١.

على الكفر.

والظرف إما متعلق بالثاني، والمراد كفرهم بالله وتكذيبهم بآياته وأنّ الفعلين متوجّهان إليه على جهة التنازع فيعمل أحدهما فيه والآخر في ضميره، وموضع اسم الإشارة الرفع إما على أنّه مبتدأ خبره أصحاب النار وهم فيها خبر بعد خبر على جهة الاستقلال، أو أنّهما بمنزلة خبر واحد، وعلى الوجهين فهو بخبره خبر للموصولة، وإما على أنّه بدل من الموصولة أو عطف بيان لها وأصحاب النار بيان له جرى مجرى الوصف، وجملة «هم فيها» هي الخبر، ولم تدخل الفاء هنا مع دخولها في مثل قوله: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١) لما قيل: من أنّ ما دخل فيه الفاء من خبر الذي واخواته مشبّه بالجزاء، وما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر.

وقد مرّ اشتقاق (الآية) في المقدمات، وإنّ المراد بها العلامة الظاهرة وأنها تطلق إطلاقاً شائعاً على الأنبياء والحجج، وعلى طائفة من كلمات القرآن، وعلى المصنوعات من حيث دلالتها على الصانع وصفاته الكمالية ونعوته الجلالية، وعلى ما يدلّ على صدق الأنبياء من المعجزات الباهرات الصادرة منهم ومن أوصيائهم، بل الأوصياء أنفسهم من آيات الله سبحانه على صدق انبيائه، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما لله آية اعظم منّي^(٢).

وفي تفسير القمي في غير هذا الموضع الآيات أمير المؤمنين والائمة عليهم السلام، بل قد يستفاد ذلك أيضاً من وضع الآيات موضع الهدى المفسر به عليه السلام، ولا تظننّ

(١) الحج: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٤ ح ٣١ عن تفسير القمي.

أنهم ﷺ حججه سبحانه بعد نبينا ﷺ، مع أن الآية عامة حاكمة على جميع ذرية آدم، فإن الإقرار بولايتهم ماخوذة على جميع الأمم في جميع الأعصار، بل متابعة حججه سبحانه في كل عصر وزمان إنما هي من مقتضيات ولايتهم، حسبما قرر في موضع آخر.

ولذا قال الامام ﷺ في تفسيره للآية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الذالات على صدق محمد على ما جاء به من اخبار القرون السالفة، وعلى ما اذاه إلى عباد الله من ذكر تفضيله لعلي وآله الطيبين خير الفاضلين والفاضلات بعد محمد سيد البريات، اولئك الدافعون لصدق محمد في انبائه، والمكذبون له في نصب اوليائه علياً سيد الأوصياء والمنتجبين من ذريته الطيبين الطاهرين^(١).

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ والآية ناعية على أهل السنة وغيرهم ممن انكر الحجج المعصومين صلّى الله عليهم أجمعين قاضية عليهم بالكفر الصريح، ولذا قرنه بالتكذيب بهم بل قدّمه عليه لما مرّت الإشارة إليه.

بسط في المقام للتنبيه على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

اعلم: أن هذه القصة وهي قصة أينما آدم ﷺ وما ضاهاها من قصص الانبياء والأوصياء عليهم الصلوة والسلام، ممّا قد استدلت بها الحشوية^(٢) وغيرهم ممن لا

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٨٩-٩٠ عن تفسير الامام ﷺ.

(٢) الحشوية: طائفة تمسكوا بالظواهر وذهبوا الى التجسم، وغيره سموا بالحشوية لانهم كانوا في حلقة الحسن البصري المتوفى (١١٠)، فوجدهم يتكلمون كلاماً فقال: ردّوا هؤلاء الى حشاء الحلقة، وقيل غير هذا الوجه أيضاً.

خلاق لهم في الدين ولا ينبغي لهم عدّهم في زمرة المسلمين على تخطئة الانبياء وتفسيرهم وتجهيلهم وتضليلهم، بل يعزى إلى بعضهم جواز الكفر عليهم.

وجملة الكلام أنّ الاختلاف الواقع في باب العصمة يرجع إلى أربعة اقسام: احدها: ما يقع في باب العقائد، ثانيها: ما يقع في التبليغ، ثالثها: ما يقع في الفتيا والاحكام، رابعها: ما يقع في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام أما الكفر والضلال في الاعتقاد فقد أجمع المسلمون على عصمتهم عنهما قبل النبوة وبعدها، وقد ادعى الاجماع عليه غير واحد من الفريقين، نعم قد حكى في الملل والنحل وغيره من الأزارقة وهم أصحاب أبي راشد نافع^(١) بن الأزرق من الخوارج أنهم جوّزوا عليهم الذنب، وكلّ ذنب عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل قد يحكى عنهم: أنهم قالوا: يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته، إلا أنه لا ينبغي عدّ قول الخوارج في عداد أقوال المسلمين ولا عدّهم في زمرة أهل الاسلام، بل وكذا من قال بمقالهم كابن^(٢) فورك من الأشاعرة حيث جوّز بعثة من كان كافراً، وأما ما حكاه شارح التجريد والفضل بن روزبهان عن الشيعة الإمامية عن أنهم جوّزوا للأنبياء اظهار الكفر تقية واحترافاً عن إلقاء النفس في التهلكة فهو ناش عن الجهل بمذهبهم، او

(١) نافع بن الأزرق الحنفي من بني حنيف رئيس الفرقة الازارقة، ادعى الخلافة في البصرة والأهواز ولقب نفسه بامير المؤمنين، وهجم على المدينة وأغار أموال الناس وقتل كثيراً حتى قتل قرب الاهواز في سنة (٦٥) هـ بواسطة جيش ابن الزبير.

(٢) ابن فورك: ابوبكر محمد بن الحسن بن فورك الأشعري الاصبهاني له مصنفات كثيرة، مات مسموماً بأمر السلطان محمود سنة (٤٠٤) هـ.

العناد لهم والإفتراء عليهم كيف ومن المعلوم المشتهر بين الفريقين أنّ مذهب الإماميّة هو العصمة المطلقة من الكبائر عمداً وسهواً قبل النبوة وبعدها وأنه لا يجوز على الانبياء شيء من التقيّة، وإن جاز لغيرهم في محلّها، وهذا المذهب ممّا يعرفه منهم الموافق والمخالف، أمّا جواز التقيّة عليهم ولو في اظهار الكفر فلم يقل به أحد منهم، ولم ينقل عن واحد منهم، وهذه أصولهم ومصنّفاتهم يدعون فيها العصمة المطلقة مطلقاً، وليس فيها أثر ممّا افتراء عليهم قوم آخرون حكاية بل صريح كلام مخالفين نسبة القول بثبوت العصمة المطلقة اليهم.

قال العضدي في «شرح المختصر»: الأكثر من المحقّقين على أنّه لا يمتنع عقلاً على الأنبياء قبل الرسالة ذنب من كبيرة أو صغيرة، وخالفت الروافض في ذلك فمنعوا جواز الذنب مطلقاً. وعن البدخشي في «شرح منهاج الأصول»: الأكثر من المحقّقين على أنّه لا يمتنع عقلاً قبل النبوة ذنب من كبيرة أو صغيرة خلافاً للروافض مطلقاً، وللمعتزلة في الكبائر ولا خلاف لاحد في امتناع الكفر عليهم إلا الفضلية من الخوارج بناء على أصلهم من أنّ كلّ معصية كفر وقد قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ﴾^(١)، وجوز البعض عليهم عند خوف تلف المهجة إظهار الكفر إلى آخر ما ذكره.

وظاهره أنّ من جوز على الأنبياء الكفر خوفاً جماعة غير الشيعة لأنّه ذكر أنّ الشيعة مانعون مطلقاً، وبالجملة الإماميّة معروفون بإثبات العصمة المطلقة، كما يظهر من كتب الفريقين المصنّفة في اصول الكلام واصول الفقه، وقد تضافرت في

كلامهم حكاية الإجماع على ذلك، وهذا المذهب مأخوذ من ائمتهم عليهم السلام، ومن نقل منهم خلافه فهو مفتر مباحث، مع أن ذلك القول فاسد في نفسه، فإنه لو جاز إظهار الكفر تقيّة لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدّعوة لأنّ الناس في ذلك الوقت متفقون على التكذيب والانكار، فكان لا يجوز اظهار الدّعوة لأحد من الأنبياء فيؤدّي إلى اخفاء الدين بالكلية، ولعلّه من حكى ذلك عنهم رأى في كلامهم ما يدلّ على جواز التّقيّة للأمة وللأوصياء في أيام خلافتهم مع اشتراكهم للأنبياء في العصمة والقدوة، فظنّوا أنهم يجوزونها للأنبياء ايضاً، وهو كما ترى.

هذا كلّه في اعتقاد الكفر والشرك وما بمنزلتها، وأما الاعتقاد الخطأ الذي لا يبلغ الكفر كاعتقاد عدم بقاء الأعراض فمذهب الإمامية عدم جوازه ايضاً عليهم لتنزّههم وبراءتهم عن الخطأ في الاعتقاد ولو فيما لا يتعلّق بالأمور الشرعيّة ولا يدخل تحت التبليغ لما سيأتي، وأما الجمهور فقد حكى العلامة اعلى الله مقامه في «نهاية الأصول» عنهم فيه قولين: أحدهما المنع لكونه منقراً والآخر الجواز هذا هو الكلام في القسم الأوّل.

وأما القسم الثاني: وهو ما يتعلّق بالتبليغ فقد اتّفقت الأمة بل جميع أرباب الشرائع والملل على وجوب عصمتهم عن الكذب والافتراء والتحرّيف فيما يتعلّق بالتبليغ عمداً وسهواً، نعم قد يحكى عن القاضي ^(١) أبي بكر أنّه جّوز من ذلك ما كان على سبيل النسيان وقلّات اللسان.

(١) هو القاضي ابوبكر الباقلاني محمد بن الطيّب البصري البغدادي الاشعري كان مشهوراً بالمناظرة وسرعة الجواب، توفي ببغداد سنة (٤٠٣) هـ الكنى واللقاب ج ٢ ص ٦٣.

وأما القسم الثالث: وهو ما يتعلّق بالفتيا فاجمعوا على إمتناع الخطأ فيه عمداً وسهواً وآلاً لأرتفع الوثوق عن أقوالهم، وربما يحكى عن بعض العامة جوازه على جهة السهو لا العمد.

وأما القسم الرابع: وهو ما يتعلّق بأفعالهم فاختلّفوا فيه على ثمانية أقوال: أحدها مذهب اصحابنا الإمامية وهو أنّه لا يصدر عنهم الذنب لا صغيرة ولا كبيرة ولا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه ولا لغير ذلك من الأسباب ولم يخالف فيه إلا الصدوق، وشيخه محمّد^(١) بن الحسن بن الوليد رحمهما الله فأنهما جوّزا الإسهاء لا السهو الذي يكون من الشيطان، وكذا القول في الائمة الطاهرين، بل قال الصدوق في «الفتية»: إنّ الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي عليه وآله في الصلوة ويقولون: لو جاز أن يسهو في الصلوة جاز أن يسهو في التبليغ لأنّ الصلوة عليه فريضة، كما أن التبليغ عليه فريضة^(٢).

ثمّ فرّق بينهما بما لا يخفى ضعفه إلى أن قال: وكان شيخنا محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول أوّل درجة الغلوّ نفي السهو عن النبي ﷺ^(٣). أقول وسيمرّ عليك في تفسير بعض الآيات المتعلقة بذلك حكاية تمام ما ذكره في المقام مع ايراد ما يرد عليه وعلى شيخه من وجوه النقض والابرام.

ثانيها: ما ذهب إليه أكثر المعتزلة وهو أنّه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز

(١) ابن الوليد: محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد شيخ القميين ووجههم ثقة ثقة عين مسكون إليه، كتب في التفسير وغيره توفي سنة (٣٤٣) هـ - الكنى واللقاب ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ص ٢٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ص ٩٨.

عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيصة المنقّرة كسرقة حبة او لقمة وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعفة كالكذب والتطفييف ونحوهما ممّا ينقّر، وأمّا غيره من الصغائر فقد وقعت منهم عمداً وخطأً وسهواً.

ثالثها: أنه يجوز وقوع الكبائر منهم عقلاً وان لم تقع منهم سمعاً وهو المحكي عن القاضي^(١).

رابعها: تجوز الكفر عليهم فضلا عن الكبائر عقلاً وان لم تقع وهو المحكي عن الغزالي^(٢) في كتابه «المنحول» في الأصول حيث قال: والمختار ما ذكره القاضي وهو أنه لا يجب عقلاً عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظره وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة، فإن مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى لا عمداً ولا سهواً، ومعنى التنفير باطل فانا نجوز ان ينبيء الله تعالى كافراً يؤيده بالمعجزة انتهى قوله لا عمداً ولا سهواً أي أن ما سوى الاخبار عن الله تعالى يجوز منه كل شيء من الذنوب والمعاصي عهداً وسهواً.

خامسها: أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على وجه العمد لكن يجوز على جهة التأويل أو السهو، وهو المحكي عن أبي علي الجبائي^(٣) ومراده بالتأويل

(١) هو القاضي ابوبكر الباقلافي المتقدم ذكره.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الملقب بحجة الاسلام الطوسي الفقيه الشافعي وله مصنفات كثيرة في التصوف والاخلاق وغيرهما، توفي في ١٤ ج ٢ سنة (٥٠٥) هـ - الكنى واللقاب ج ٢ ص ٤٩٤.

(٣) ابو علي محمد بن عبدالوهاب بن سلام المعتزلي، كان من رؤوس المعتزلة توفي سنة (٣٠٣) هـ - الكنى واللقاب ج ٢ ص ١٤٢.

ما لم يرجع إلى الغلط والاشتباه مثل ما يعزى إليه من ان آدم كان منهياً عن جنس الشجرة فتأول وظن ان النهي متعلق بشجرة بعينها، ولذا إعترض عليه علم الهدى (١) بأنه نزّه عن معصية، واطاف إليه معصيتين لأنه مخطيء على مذهبه في ترك النظر في متعلق النهي وفي تناول من الشجرة.

سادسها: أنه لا يقع ذلك منهم عمداً ولا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، وهم ماخوذون بما يقع منهم على وجه السهو، وان كان ذلك موضوعاً عن امّتهم لقوة معرفتهم وعلو رتبتهم وكثرة دلائلهم وانهم يقدرّون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم وهو قول النظام وجعفر بن ميشر ومن تبعهما.

سابعها: أنه لم يقع منهم ذنب كبير ولا صغير عمداً واما سهوا فقد يقع لكن بشرط أن يتذكروه في الحال ويعرفوا غيرهم أنه سهو.

ثامنها: أنهم كغيرهم من الناس يجوز عليهم الكبائر والصغائر عمداً وسهواً وخطأً وهو قول الحشوية وكثير من أصحاب الحديث من اهل السنة.

ثم أنهم قد اختلفوا في وقت العصمة على أقوال ثلاثة: الأول: أنه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه وهو مذهب أصحابنا الامامية.

الثاني: أنه من حين بلوغهم ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: أنه وقت النبوة واما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول اكثر

(١) هو سيّد علماء الأمة، ومحيي آثار الائمة ذوالمجددين ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام وله سنة (٣٥٥) هـ، وتوفي لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة (٤٣٦) - الكنى والابن ج ٢ ص ٤٨٣.

الأشاعرة ومنهم الرازي، وبه قال أبو هذيل وأبو علي الجبائي من المعتزلة.
هذا مجمل الكلام في الأقوال وقد سمعت أن مذهب الامامية كافة هو القول
بعصمة النبي والامام تمام العمر فلنشر إلى معنى العصمة والدليل على اثباتها ودفع
حجج منكريها في مباحث:

الأول: في معنى العصمة وهي في اللغة المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ
يَعِصُّكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) أي يمنعك وقوله: ﴿سَأُوبِي إِلَىٰ جَنبِ يَعْصِيَنِي مِنَ
الْمَاءِ﴾^(٢) ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣)، و﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(٤) أي
امتنعوا به، والمراد بها عند العدلية هو اللطف المانع للمكلف من ترك الواجبات
وفعل المحرمات يفعلها الله تعالى به غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى اللطف،
والأفمق انتفاء القدرة ينتفي التكليف، فلا يستحق مدحاً ولا ثواباً، وهذا هو الذي
يقتضيه الأصول المقررة عند العدلية على ما هو المذكور في الكتب الكلامية.
وإليه يرجع ما قيل ايضاً: من أنها ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية والميل
إليها مع القدرة عليها.

وما استقر به العلامة أعلى الله مقامه في «أنوار الملكوت» حاكياً له عن بعض
العامّة: من أنها عبارة عن لطف يفعلها الله بالمكلف لا يكون معه داع إلى المعصية
وإلى ترك الطاعة مع قدرته عليهما.

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

ولعله إليه يرجع ايضاً ما هو المحكي عن الحكماء في تعريفها من أنها ملكة تمنع الفجور ناشئة من العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات وتؤكد في الأنبياء بتتابع الوحي اليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغي والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي. وربما يزداد فيه بعد قوله: تمنع الفجور منعاً غير سالب للقدره، بل قد يورد عليه بان قولهم ناشئة من العلم ليس بشيء لأن العلم لا يثمر تلك الملكة إلا أن يراد به العلم الحقيقي وهو المقترن بالعمل بحيث لا يتخلف عنه في حال، فحينئذ يكون صورة للعصمة، ومادتها طلب الله سبحانه من المكلف وهدايته، وروحها ذلك اللطف.

وعلى هذا يكون هذا التعريف مع إعتبار القيد أقرب لاشتماله على جنس القريب، إلا أنه لا يخفى أن امثال هذه التعاريف إنما هو الكشف عن نوع المعنى، والإشارة إلى ما ينتقل منه إليه، وأن لم يشتمل على الأجزاء الحقيقية من الجنس والفصول المميزة، بل ولم يسلم طرداً وعكساً على حد سائر التعاريف العرفية والبيانات اللغوية، بل وكثير من البيانات الشرعية أيضاً.

مثل ما رواه في «المعاني» بالاسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الامام منّا لا يكون إلا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلا منصوحاً فليل له يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال عليه السلام: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفرقان إلى يوم القيامة، والامام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله

عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (١). (٢)

وفيه بالاسناد عن الحسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم: إن الامام لا يكون إلا معصوماً؟ قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣). (٤)

وفي «العلل» و«المعاني» و«الامالي» بالاسناد عن ابن أبي عمير قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي اياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في عصمة الامام عليه السلام فأتي سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء تعرف؟ قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

ولا يجوز أن يكون حسوداً لأن الإنسان إنما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه.

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله ﷻ فإن الله ﷻ قد فرض عليه إقامة الحدود، وان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رافة في دينه

(١) الاسراء: ٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤ عن المعاني ص ٤٤

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ١٩٤ ص ٤٤.

حتى يقيم حدود الله عزوجل .

ولا يجوز أن يتبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة لأن الله عزوجل حبب إليه الآخرة كما حبب إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح وطعاماً طيباً لطعام مرّ وثوباً لطيفاً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟^(١)

ففي هذه الاخبار الإشارات إلى ما مرّ من معنى العصمة أمّا الخبر الأول فلاشماله على الإعتصام بحبل الله الذي هو القرآن، وقضية الإعتصام به موافقة أفعاله واقواله واحواله وخيالاته وإرادته لحكم القرآن المشتمل بظهوره وبطونه لكل شيء، اذ فيه تفصيل كل شيء .

وأما الثاني: فلأن الإمتناع بالله هو الإلتجاء إليه بجميع مراتب الوجود، وفي كل حال من الأحوال، وقضية ذلك أن لا يكون للشيطان عليه سلطان، فلا يفوته شيء من الخيرات، ولا ترهقه قتره السيئات .

وأما الثالث: فلاشماله على أصول المعاصي وشعبها، ولمية تُنزهة عن إقتراف شيء منها، لأنه ببصيرته النافذة يرى الدنيا والآخرة بحقيقتهما، ويرى كلاً من الطاعات والمعاصي على ما هي عليه في ذاتها، ولذا لا يختار المعصية على الطاعة، ولا البعد على القرب ولا يستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير، كما أشير إليه في ذيل الخبر، مع ما فيه من الإشارة إلى بقاء القدرة ولمية حسن الاختيار من دون إلتجاء وإضطرار .

(١) الخصال ص ١٠١ و ١٠٢ وعنه البحار ج ٢٥ ص ١٩٢ .

وفيه ابطال لمذهب الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أن المعصوم هو الذي لا يمكنه الاتيان بالمعاصي بان يكون مختصاً بكيفية بدنية او قائمة ببدنه او نفسانيه او قائمة بنفسه يقتضي امتناع الاقدام على المعصية، أو انه الذي يكون قادراً على الطاعة لا غير، أو يكون غير قادر على المعصية.

وهذه الأقوال الثلاثة على اختلافها في الجملة مشتركة في نفي القدرة حكاها عنهم في «انوار الملكوت» والكل مخالف لأصول المذهب كما لا يخفى، بل قد سمعت أن الامامية قد اعتبروا في تحقق العصمة مضافاً إلى ترك المعاصي مطلقاً عن اختيار وقدرة نفي السهو والغفلة ايضاً.

ولذا كان الأولى في تعريفها أن يقال: إنها ملكة ربانية تنبعث على ترك المعاصي مع بقاء القدرة وعلى نفي الخطأ والزلة حتى السهو والغفلة، ولذا ورد في أخبار كثيرة أن الإمام لا يشهو^(١) ولا يقفل معللاً بكونه معصوماً على ما يأتي تمام الكلام فيه في تفسير قوله: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»^(٢)، وقوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٣).

وفي الزيارة الجامعة: عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس^(٤).

وفي الزيارة المروية في مزار البحار عن الشيخ المفيد، وابن طاووس،

(١) البحار ج ٩٣ ص ٦٤ وج ٢٥ ص ١٦٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣.

(٤) بحار الانوار ج ١٠١ ص ٣٧١.

والشيخ محمد بن المشهدي في الثناء على أهل البيت وفيها: «إنَّ لكم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف والرجاء، وجعلها أوعيةً للشكر والثناء وآمنها من عوارض الغفلة، وصفأها من شواغل الفترة، الزيارة^(١)».

ثم إنَّ السبب في تحقق العصمة لاهلها ما قيل من أن الله تعالى خلق الأشياء، بفعله على حسب قوابلها لفعله، بمعنى أنه أحدث موادها لا من شيء، وصورها كما قبلت، فمن لطف مادته ورقّت لشدة نوريتها وقربها من المبدأ الفيض الذي هو مشيئة الله وفعله، تلاشت أنيتها وضعفت بحيث لا تكاد تنافي هيئة فعله، فلا تبدو عنها هيئة تخالف هيئة فعله، فلا يقع لها متعلق اقتضاء غير ما اقتضته هيئة مشيئة، فلا يريد ذلك المخلوق غير ما يريد خالقه كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢)، وهو معنى قول علي عليه السلام: «فجعلهم ألسن إرادته»^(٣) يعني أن إرادته تعالى تنطق بهم، فقولهم قوله تعالى، وفعلهم فعله عليه السلام، وهو معنى قولهم عليه السلام: نحن محال مشيئة الله^(٤).

وفي زيارة الحجّة عجل الله فرجه التي رواها أبو جعفر محمد بن عثمان العمري: مجاهدتك في الله ذات مشيئة الله، ومقارعتك في الله ذات انتقام الله، وصبرك في الله ذوأناة الله، وشكرك لله ذو مزيد الله ورحمته، إلى أن قال: والقضاء المميت ما

(١) بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ١٦٤.

(٢) سورة الانسان: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٤.

(٤) لم اظفر على مصدره ولكن بمضمونه رواية اخرى في البحار ج ٢٥ ص ٣٣٧ وهي: «قلوبنا

أوعية لمشيئة الله...»

استأثرت به مشيئكم، والممحو ما لا استأثرت به سُنَّتكم به^(١).

فكان بعناية الله تعالى ولطفه عن قابليته سابقاً لكل من لم يكن كذلك، وكانت فطرته على هيئة فعله تعالى ومحبهه، فحين توجه إليه أمر ربه كان ميل فطرته ودواعي صورته الغيبية مطابقاً لمحبة الله واراادته وامره، مع دوام الرياضة والتربية حقيقة ما هو اهله بالتوفيق والتسديد وعدم التخلية مع مطابقة تلك الفطرة لفعل الله ومحبهه واراادته.

وأما عدم غفلته وسهوه ونسيانه فلدوام تيقظه وتنبيهه وتوقد نورية قلبه ودوام توجهه إلى ربه، وسلامة قلبه عن إستيلاء حزب الشياطين ووساوسهم ونزعاتهم، وذلك لما قرّر في محلّه من أنّ سبب الغفلة والنسيان هو البعد عن ساحة القرب الموجب لاستيلاء الشيطان، ولذا قال مولانا الحسن المجتبي عليه السلام في جواب من سأله عن جملة من المسائل على ما رواه في «العلل» و«العيون» إلى أن قال: وأما ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان فإن قلب الرجل في حَقِّ وعلى الحق طبق فإن صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلوة تامّة إنكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق فأضاء القلب، وذكر الرجل ما كان نسي، وإن هو لم يصل على محمد وآل محمد، أو نقص من الصلوة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره.^(٢) الخبر.

فإن الصلوة مشتقة من الصلة والوصل والاتصال، فإذا اتصل العبد بالأنوار

(١) بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٤٢٥ - عن كمال الدين والعيون.

القادسيّة الالهية، وارتفع عن وجه قلبه التحجب الظلمانية أشرقت تلك الأنوار على مرآة قلبه الصّقيلة وانتقش فيها صور الأشياء على ما هي عليها من دون أن يقربه سهوٌ أو نسيان أو غفلة، وهذا هو المقصود بالصلوة التامة عليه وآله عليه السلام والآمن البين أنّ مجرد اجراء تلك اللفظة على اللسان مع غفلة القلوب واحتجابها بالحبج الظلمانيّة عن الاستضاءة بالأنوار القدسيّة ليست صلوة تامة.

الثاني: في إقامة الحجّة على عصمة الأنبياء وأوصيائهم عليهم الصلوة والسلام، والعمدة في ذلك إجماع أصحابنا الإماميّة المعلوم لنا تحقيقاً ونقلًا مستفيضاً بل الحقّ على ما صرح به غير واحد من الأصحاب أنّه صار من ضروريّات مذهب الاماميّة، بحيث يعرفه منهم كلّ من دخل في هذا المذهب، بل يعرفه منهم المخالفون لهم أيضاً حيث نسبوا في كتبهم الكلاميّة وغيرها إلى الاماميّة القول بلزوم العصمة من جميع الذنوب صغائرهما وكبائرهما ومن السهو والنسيان والخطأ من أول العمر إلى آخره، قبل التوبة وبعدها، ولذا رمت الاماميّة قول الصدوق وشيخه ابن الوليد في جواز السهو أو الإسهاء عليهم بقوس واحدة بل تبرّأوا من هذا القول وهجروه ونسبوه إلى الشذوذ والوهن الناشي عن الإختلاط بالقميين الذين يبالغون في نفي الغلو والارتفاع في حقّ الحجج عليهم السلام، حتّى أنّهم إذا رأوا واحداً من الرواة يروون بعض مناقب الأئمة وفضائلهم وغرائب معجزاتهم هجروه وتركوا حديثه ونسبوه إلى الغلو والارتفاع، وهذا هو السبب الأقوى في تضعيف ابن الغضائري كثيراً من الثقات بل ربما يسري الوهم إلى غيره، ولذا ضعفوا مجمّد بن سنان، والمعلّى بن خنيس، والمفضّل بن عمر الجعفي، ونصر بن الصباح،

وغيرهم من المشايخ الثقات الذين كانوا من أبواب الائمة عليهم السلام.

وبالجملة لا ريب في قيام الضرورة من المذهب في هذه الأعصار على عصمة الحجج كلها من الأنبياء والأوصياء وهي الحجّة القطعية، مضافاً إلى الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة على ذلك حسبما تسمع شطراً منها في تفسير الآيات الآتية المتعلقة بعصمة الأنبياء والحجج.

نعم قد تصدى جملة من أصحابنا شكر الله مساعيهم لإثبات ذلك باقامة الحجّة عليه من طريق العقل، فلا بأس بالتعرض لجملة من حججهم، وإن كان في بعضها بعضُ القصور عن إفادة تمام المطلوب، إلا أنه لا بأس به بعد ما سمعت أن عمدة الدليل هو الضرورة والإجماع، فمنها دليل التنفير على ما أشار إليه غير واحد من الأصحاب.

قال السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب «تنزيه الأنبياء»: اعلم أن جميع ما ننزه الأنبياء عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العلم المعجز إما بنفسه أو بواسطة، وذلك أن العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعي النبوة والرسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له صدقت في انك رسولي ومؤدّ عني، فلا بد أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب، لأنّ تصديق الكذاب قبيح كما أن الكذب قبيح، وأما الكذب في غير ما يؤدّيه وسائر الكبائر فأنما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالاً على وجوب إتباع الرسول وتصديقه فيما يؤدّيه وقبوله منه، لأن الغرض في بعثة الأنبياء وتصديقهم بالأعلام المعجزة هو أن يمثل ما يأتون به، فما قدح في الإمتثال

والقبول وأثر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: أنه يدل على نفي الكذب والكبائر عنهم في غير ما يؤدونه بواسطة، وفي الأول يدل بنفسه، وأما إن تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال فلأنه لا شبهة في أن من نجوز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذنوب لا تكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله واستماع وعظه سكونها إلى من لا نجوز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا: أن وقوع الكبائر يُنفّر عن القبول، والمرجع فيما ينفّر وما لا ينفّر إلى العادة واعتبار ما يقتضيه، وليس ذلك مما يستخرج بالأدلة والمقاييس، ومن رجع إلى العادة علم ما ذكرناه، وأنه من أقوى ما ينفّر عن قبول القول وإن حظّ الكبائر في هذا الباب ان لم يزد عن حظّ السخف^(١) والمجون^(٢) والخلاعة^(٣) لم ينقص منه.

فان قيل: أليس قد جوّز كثير من الناس على الأنبياء الكبائر، مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرّعوه من الشرائع، وهذا ينقض قولكم: إن الكبائر منفرة.

قلنا هذا سؤال من لم يفهم ما أوردناه، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وأن لا يقع إمتثال الأمر جملةً، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يُجوّز ذلك عليه لا يكون على حدّ سكونها إلى من لا نجوّز ذلك عليه، وأنا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أنا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، وقد يقرب من الشيء ما لا يحصل الشيء عنده، كما يبعد عنه ما

(١) السخف: رقة العقل وتقصانه.

(٢) المجون: المزاح وقلة الحياء وصلابة الوجه.

(٣) الخلاعة: الانقياد للهوى والتهتك والاستخفاف.

لا يرتفع عنده، ألا ترى أن عبوس الداعي للناس إلى طعامه وتضجره وتبرمه منفر في العادة عن حضور دعوته وتناول طعامه، وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور والتناول ولا يخرج من أن يكون منقراً، وكذلك طلاقة وجهه واستبشاره وتبسمه يقرب من حضور دعوته وتناول طعامه، وقد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه ولا يخرج من أن يكون مقرباً، فدل على أن المعتبر في باب المنفر والمقرب ما ذكرناه دون وقوع الفعل المنفر عنه أو ارتفاعه.

فان قيل: فهذا يقتضي أن الكبائر لا تقع منهم في حال النبوة فمن أين أنها لا تقع منهم قبل النبوة وقد زال حكمها بالنبوة المسقطه للعقاب والذم ولم يبق وجه يقتضي التنفير؟

قلنا الطريقة في الأمرين واحدة لأننا نعلم أن من يجوز عليه الكفر والكبائر في حال من الأحوال وان تاب منه وخرج من استحقاق العقاب به لا نسكس إلى قبول قوله مثل سكوتنا إلى من لا نجوز ذلك عليه في حال من الأحوال وعلى وجه من الوجوه، ولهذا لا يكون حال الواعظ لنا الداعي إلى الله تعالى ونحن نعرفه مقارفاً للكبائر مرتكباً لعظيم الذنوب وان كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من لم يُعهد منه إلا النزاهة والطهارة، ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضي السكون والتفور، ولهذا كثيراً ما يُعير الناس من يعهدون منه القبائح المتقدمة بها وان وقعت التوبة منها، ويجعلون ذلك عيباً ونقصاً وقادحاً ومؤثراً، وليس اذا كان تجويز الكبائر قبل النبوة منخفضاً عن تجويزها في حال النبوة وناقصاً عن رتبته في باب التنفير وجب أن لا يكون فيه شيء من التنفير، لأن

الشيئين قد يشتركان في التنفير وان كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألا ترى أنّ كثيراً من السخف والمجون والاستمرار عليه والأنهماك فيه منفر لا محالة، وأنّ القليل من السخف الذي لا يقع إلا في الأحيان والأوقات المتباعدة منفر أيضاً، وان فارق الأوّل في قوّة التّنفير ولم يخرج منه نقصانه في هذا الباب عن الأوّل عن أن يكون منفرًا في نفسه.

فان قيل: فمن أين ان الصغائر لا تجوز على الأنبياء في حال النبوة وقبلها؟ قلنا: الطريقة في نفي الصغائر في الحاليين: هي الطريقة في نفي الكبائر في الحاليين عند التأمل لأننا كما نعلم أنّ من نُجوزُ كونه فاعلاً لكبيرة متقدمة قد تاب منها واقلع عنها ولم يبق معه شيء من استحقاق عقابها وذمها لا يكون سكوتنا إليه كسكوتنا إلى من لا نُجوزُ ذلك عليه فكذلك نعلم أنّ من نُجوزُ عليه من الأنبياء عليهم السلام أن يكون مُقدماً على القبائح مرتكباً للمعاصي في حال نبوته أو قبلها وان وقعت مكفرة لا يكون سكوتنا إليه كسكوتنا إلى من نأمن منه كلّ القبائح ولا نجوزُ عليه فعل شيء منها ^(١) انتهى كلامه زيد مقامه ^(٢).

ومرجع هذا الدليل إلى ما قرّر في أصول الإمامية من وجوب اللطف عليه سبحانه، فاللطف الذي حسن التكليف وأوجب البعثة هو الذي أوجب العصمة فيمن هو الحجّة ليتوقّر معها دواعي المكلفين على الإقبال عليه والتوجه إليه، وحسن الظنّ به، ضرورة أنّه يرتسم في قلب كلّ عارف بأنّصافه بصفة العصمة اشتماله على

(١) تنزيه الانبياء ص ٤ - ٦.

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ٩١ - ٩٤.

غاية الكمال ونهاية الجمال الموجب لتعظيمهم واعتقاد نورانيتهم التي من شأنها ان تجذب النفوس اليها جذب لطف وتسخير وتربية وتجذب النفوس إليها انجذاب استكمال ومحبة وعشق ونسبة طبيعية فطرية جبليّة كانجذاب الحديد إلى المغناطيس، وذلك لأنه قد تقرّر في الحكمة أنّ النفوس بطباعها منجذبة إلى الأنوار فكلّما كانت النورانيّة أتمّ واكمل كان انجذابها إليها أشدّ وأقوى، هذا مضافاً إلى إتمام الحجّة عليهم وقطع المعذرة عنهم بحسب الظاهر لئلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً هادياً معصوماً عن الخطايا والمعاصي وسائر الأمور المنفرة فتتبع من آياتك من قبل أن نذلّ ونخزي، وأنت ترى أنّ واحداً من رؤساء الدّين في بلد او قرية لو اقترف شيئاً من المعاصي والدّنوب الصغيرة أو الكبيرة سقطت هيئته من عيون الناس، ولم ينجع موعظته فيهم بالنسبة إلى هذه المعصية التي إقترفها وغيرها وان داوم على الموعظة والنصيحة في كلّ صباح ومساءً.

ومن هنا يظهر أنّه لا فرق في باب التنفير بين الكبائر والصغائر. سيّما مع ما قيل من أنّ الكبائر عندهم على ما رووه عن النبي ﷺ سبع، ورووا عن ابن عمر أنّه زاد فيهما اثنتين، وعن ابن مسعود أنّه زاد على قول ابن عمر ثلاثة، ولا شكّ أنّ كثيراً من عظام الدّنوب التي عدّوها من الصّغائر ليست من الأمور الخسيّة التي استثنوها كاللّطيف بحبّة وسرقة درهم، فيلزمهم تجويز ما لم يكن من الصّنفين المذكورين كالأشتغال بانواع المعازف والملاهي، وترك الصلوة، واصناف المعاصي التي تقارفها ملوك الجور في الخلوات بل على رؤوس الأشهاد.

ولذا قيل: إنّ هؤلاء ايضاً مخطئون للأنبياء، ولكن في لباس التنزيه، ولا

يرتاب عاقل في انّ من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين والدّنيا وانّ النفوس تنفّر عنه، بل لا يجوز أحد أن يكون مثله صالحاً لأن يكون واعظاً وهادياً للخلق في أدنى قرية، فكيف، يجوز أن يكون ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (١). (٢)

وأما تنزيههم عن المعاصي قبل النبوة وعن السّهو والخطأ مطلقاً فيمكن الاستدلال له بما تقدّم من التنفير والتّقريب على ما مرّ، مضافاً إلى الاجماع فيهما ايضاً بسيطاً ومركباً تحقيقاً ونقلاً حسبما سمعت.

ومنها جملة من الآيات الدّالة عليها كقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٣)، بناءً على أنّ المراد بهذا العهد إمّا عهد النبوة أو عهد الامامة التي هي وجوب الاقتداء وهو على المعنيين ثابت للنبي ﷺ فلو كان عاصياً لكان من الظالمين (هف) ومن (لهذا خلف).

وقوله حكاية عن ابليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤).

فلو عصى نبيّ لكان قد أغواه الشيطان ولم يكن من المخلصين، وهما فاسدان بالاجماع.

ولقوله تعالى: في ابراهيم واسحق ويعقوب ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى

(١) الحج: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) ص: ٨٢-٨٣.

الدَّارِ ﴿١﴾، وفي يوسف: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢)، وبضميمة عدم القول بالفرق يتم المطلوب.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، والأنبياء من ذلك الفريق بالاتفاق، وغير ذلك من الايات التي ستسمع تقريب الاستدلال بها عند التعرض لها.

ومنها: انه لو صدر عنه الذنب للزم اجتماع الضدين وهما وجوب متابعتة ومخالفتة.

أما الأول: فللاجماع على وجوب متابعة النبي ﷺ، ولقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤)، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٥)، وغيره مما يدل على وجوب التأسى والمتابعة، بل وما دل على حجية قوله وفعله وتقريره.

وأما الثاني: فلضرورة حرمة متابعة المذنب، واعتبار قيد الحيثية ينفيه إطلاق ما تقدّم من الأدلة حيث يستفاد منها نصب الحجّة بحيث لا يحتاج مع متابعتة إلى الفحص والتبين أصلاً.

ومنها: انه لو صدر عنه الذنب لوجب منعه وزجره والانكار عليه، لعموم أدلّة

(١) ص: ٤٥.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) الاحزاب: ٢١.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنّه حرام لاستلزامه ايذائه المحرّم بالاجماع وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١). ومنها: أنّه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة اذ لا شهادة للفاسق بالاجماع، ولقوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢)، مع أنّ من لا يقبل شهادته في الشيء اليسير من متاع الدنيا فكيف تسمع شهادته في الأمور الدنيوية والابرار السماوية، مع أنّه تعالى جعل الأنبياء شهداء على الأمم كما أشير اليه في قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٣). ومنها: أنّه يلزم أن يكونوا من حزب الشيطان وقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٤) فإنّ اللازم قطعيّ البطلان وان لا يكونوا مسارعين إلى الخيرات مع أنّه قال في حقهم ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾^(٥)، وان يستحقوا العذاب واللّعن لقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٦)، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾^(٧)، وان يستحقوا الدّم والعقاب الذي تضمّنه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨)، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

(١) الاحزاب: ٥٧.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المجادلة: ١٩.

(٥) المؤمنون: ٦١.

(٦) هود: ١٨.

(٧) المجن: ٢٣.

(٨) الصف: ٢.

أَنْفُسَكُمْ ﴿١﴾.

ثمّ أنّه لا يخفى أنّ هذه الوجوه وإن تطرّق إليها بعض المناقشات، إلا أنّ العمدة ما سمعت من قيام الإجماع بل الضرورة من مذهب الامامية على إشتراط العصمة في الأنبياء والأوصياء وحجّيتهما على غيرهما موقوفة على ثبوت العصمة كما قرّر في محله فلا دور.

الثالث: في دفع شبه المخطئة الذين اجترؤا على أنبياء الله وأوليائهم فنسبوهم إلى الخطأ والجهالة والضلالة ووجوه من الفسق والمخالفة قبل النبوة وبعدها ولهم في تخطئة الأنبياء والأوصياء وتفسيقهم شبهات وأوهام لم نقصد التّعرض لها في هذا المقام، بل فرقناها على الآيات المتعلقة بها.

فان منها ما تمسكوا بها في باب الاعتقاد كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(٢)، الآية وقوله: حكاية عن ابراهيم: ﴿هَذَا رَبِّي﴾^(٣)، و﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّسُ الْمَوْتَى﴾^(٤) وقوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٥)، الآية.

ومنها: ما تمسكوا به في باب التبليغ كقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾^(٦)، الآية ﴿سَنْقُرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٧)، ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾^(٨).

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الاعراف: ١٨٩.

(٣) الانعام: ٧٧.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) يونس: ٩٤.

(٦) الحج: ٥٢.

(٧) الاعلى: ٦.

(٨) الجن: ٢٨.

الآية.

ومنها: ما تمسكوا بها في باب الفتيا كقوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾^(١) وقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾^(٢)، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾^(٣) وغيرها متى يأتي.

ومنها: ما تمسكوا به في باب الافعال وهي وان كانت كثيرة جداً إلا أن المقصود في المقام دفع ما قيل من أنه اعظم شبهاتهم وهو التمسك بقصة آدم على نبينا وآله ﷺ فاستدلوا بما ورد فيها من وجوه:

الأول: أنه ﷺ كان عاصياً لقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٤)، والعاصي مذنب بل هو اسم ذم لا يتناول إلا صاحب الكبيرة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنْ لَهُ نَارٌ جَهَنَّمَ﴾^(٥)، *بسم الله الرحمن الرحيم*

الثاني: أنه ساء غاوباً في قوله: ﴿فَغَوَى﴾^(٦)، والغى خلاف الرشد للآية ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٧).

(١) الانبياء: ٧٨.

(٢) الانفال: ٦٧.

(٣) التوبة: ٤٣.

(٤) طه: ١٤١.

(٥) المجن: ٢٣.

(٦) طه: ١٢١.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

وللخبر: أمر بين رشده فيتبع وأمر بين غيئه فيجتنب، والفواية إنما تكون بارتكاب الذنب بل خصوص الكبيرة سيما اذا ترتبت على العصيان بل في الخبر اشارة إلى ذلك لقوله ﷺ بعد ما مرّ وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات^(١).

الثالث: أنه تعالى ستمه ظالماً في قوله: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وهو ايضاً قد أقرّ على نفسه ذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾^(٣)، والظالم ملعون لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، ومن استحق اللعن هو صاحب الكبيرة.

الرابع: أنه ارتكب المنهي عنه في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(٥)، ولذا قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ﴾^(٦)، وارتكاب المنهي عنه معصية بل كبيرة، ولذا عوتب على المخالفة.

الخامس: أنه تائب والتائب مذنّب أما أنه تائب فلقوله: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾^(٧)، وأما أنّ التائب مذنّب فلأنّ التائب هو النادم على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلاً للذنب فان صدق فهو المطلوب

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) البقرة: ٣٥، والاعراف: ١٩.

(٣) الاعراف: ٢٣.

(٤) هود: ١٨.

(٥) البقرة: ٣٥، والاعراف: ١٩.

(٦) الاعراف: ٢٢.

(٧) البقرة: ٣٧.

والآ فهو مذنب بالكذب.

السادس: أنه اخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان وإضلاله جزاءً وعقوبة على ما أقدم عليه من المخالفة، وذلك يدل على كونه فاعلاً للكبيرة ولذا قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾^(١).

السابع: اعترافه بأنه خاسر لولا مغفرة الله له بقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) وذلك يقتضي كونه ذا كبيرة.

الثامن: أنه نسب إليه الهداية بعد التوبة في قوله: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(٣) وظاهره أنه كان قبل التوبة على الضلالة.

التاسع: أنه عرضه النسيان لقوله: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾^(٤)، وهو ينافي العصمة على مذهب الإمامية كما مر.

العاشر: ما يدل عليه الأخبار المأثورة من طرق الفريقين من أنه ارتكب الخطيئة واقترب الذنب وطلب التوبة وأنه بكى على ذنبه كذا وكذا سنة وأنه تعالى قد حرم عليهما أكل الشجرة وأنهما ظننا أنه قد أحلها لهما بعد تحريمها وأنه تعالى قال لهما اهبطا من سمواتي إلى الأرض فإنه لا يجاورني في جنتي ولا في سمواتي عاص ظالم وأنهما نظرا إلى منازل محمد وآل محمد عليهم السلام بعين الحسد إلى غير ذلك مما أشير إليه في الأخبار المتقدمة وغيرها.

(١) الاعراف: ٢٧.

(٢) الاعراف: ٢٤.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) طه: ١١٥.

والجواب عن هذه الوجوه من وجهين: الاجمال والتفصيل، أما الاجمال: فهو أن هذه الوجوه ظواهر مستفادة من الأدلة اللفظية بعد فرض دلالتها وسلامتها عن المناقشات وما ذكرناه من الاجماع والضرورة دليل العقل على لزوم العصمة ادلة قطعية لا تحتل الرد والتخصيص فيجب التصرف في الظواهر بصرفها عن ظاهرها وحملها على ما لا ينافي تلك الادلة كما هو القانون في تعارض الظني والقطعي، وهذا الجواب الاجمالي جار في غير المقام ايضاً من الموارد التي استدلوا فيها ببعض الظواهر على نفي عصمتهم.

وأما التفصيل: فقد أجيب عن الأول بوجوه: أحدها: ما يظهر من فحواي بعض الأخبار من أن الأمر لم يكن على وجه الوجوب ولا التدب بل كان امراً ارشادياً وذلك أنه سبحانه كان خلقه لعمارة الأرض وخلافتها كما أخبر به ملائكته قبل خلقه بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) فلما خلقه الله سبحانه بيده وفسح له في جنته ونعمته أعلمه أنه ان كان يريد البقاء في الجنة ودوام الراحة فلا بد أن لا يقرب الشجرة ولذا خاطبه بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٢) ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٣) وبين له أنه مع اكله من الشجرة لا بد أن يخرج منها إلى الدنيا ويجعل له ولذريته الأرض بساطاً ومعاشاً مع ابتلائهم فيها بأنواع المحن والمشاق والبليات وشرط لهم العدو إلى تلك الجنة ثم إلى الجنة الخلد مع الاتقياد والطاعة وامتنال التكاليف في الدنيا ولذاتها والنهي عن

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طه: ١١٧-١١٨-١١٩.

قرب الشجرة على وجه الارشاد إلى ما فيه الراحة العاجلة وان كان في خروجه منها والابتلاء بمحن هذه الدار الفوز بالكرامة العظيمة الاجلة التي اوجبت خلقه أولاً لذلك لا للكون في الجنة التي كان فيها أولاً فاتها نازلة الرتبة يسيرة الخطب بالنسبة إلى جنة الخلد فاطلق العصيان باعتبار مخالفة ما أرشده إليه مما فيه الخلاص عن المشاق الدنيوية .

وعندي أن هذا الوجه أظهر الوجوه وان لم يحضرنى من صرح به من الأصحاب وغيرهم، نعم قد يستفاد من فحوى بعض الأخبار الدالة على أن المقصود من خلقه تعمير الأرض وإسكانه فيها كما هو الظاهر من الآية ايضاً، ففي «تفسير العياشي» و«القصص» عن أبي جعفر عليه السلام أن آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنني عبد الله وخليفته في أرضه ابتداني باحسانه وأسجد لي ملائكته وعلمني الأسماء كلها ثم أسكنني الجنة ولم يكن جعلها دار قرار ولا منزل استيطان، وإنما خلقتني لاسكن^(١) الأرض للذي أراد من التقدير والتدبير.

وزاد في تفسير العياشي: وقدّر ذلك كله قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته وقضائه ونافذ أمره، ثم نهاني أن آكل من الشجرة، فعصيته واكلت منها فأقالني عثرتي وصفح لي عن جرمي، فله الحمد على جميع نعمه عندي حمداً يكمل به رضاه عني^(٢).

(١) في البحار: ليسكنني.

(٢) البحار ج ٢٣ ص ٦١.

وفي «العلل» بالاسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما يستطيع اهل القدر أن يقولوا: والله لقد خلق الله آدم للذنيا وأسكنه الجنة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له فقله ليعصيه أي عالماً بأنه يخلّيه مع اختياره بعد ما أرشده إلى ما فيه النفع العاجل، من دون أن يكون هناك طلب على وجه الايجاب او الاستحباب، فاختار آدم ما فيه الخير الكثير الآجل كما خلقه الله تعالى لذلك.

ولعله ينزل عليه ما أجاب به آدم موسى عليه السلام على ما هو المروي في تفسير القمي وغيره عن الصادق عليه السلام قال: ان موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع الله بينهما فقال له موسى: يا أبا ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة قال: فهو ذلك، قال: فحج ^(١) آدم موسى عليه السلام.

بناءً على أن المراد أنه سبحانه كتب في التوراة أنه تعالى قدّر على آدم عمارة الأرض وقدّر عليه أنه وكلّه إلى اختياره، حتى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الأرض، وإنّ ذلك التقدير كان قبل خلق آدم بثلاثين سنة فالمعنى بكم وجدت تقدير خطيئتي قبل خلقي؟

ومن هنا يظهر أنه لا داعي إلى التكلف لكونه قبل خلقه بأن التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك الوقت وان وجده موسى عليه السلام بعد بعثته، أو أن المراد اطلاق روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم، كما لا وجه لحمله على التقيّة لمجرد

(١) حج آدم موسى: أي غلب آدم موسى بالحجّة.

وروده في كتبهم بطرق كثيرة وعن السيد في «الطرائف» رده، لكنه ليس في محله بعد موافقة مضمونه لما يستفاد من غيره.

بل لعله هو المراد ايضاً بما في التوحيد للصدوق (رحمه الله) في خبر الفتح ابن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام: إن الله تعالى ارادتين ومشيتين: ارادة حتم و ارادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، او ما رايت ان الله تعالى نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك؟ ولو لم يشاء لم يأكلا، ولو اكلا لغلبت مشيتهما مشئة الله تعالى، وأمر ابراهيم بذبح ابنه عليه السلام وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشاء أن لا يذبحه لغلبت مشئة ابراهيم مشئة الله عليه السلام (١).

بناءً على أن المراد أنه نهى إرشاداً، وشاء أن يأكل من الشجرة لما فيه من المصلحة الكلية، فالنهى فيه ليس على حقيقته، كما ان أمر ابراهيم بذبح ابنه ليس على حقيقته بل لمجرد التوطين والإمتحان، إلا أن الظاهر من مساق الخبر حملهما على الإرادة التكوينية والتشريعية على ما فصلناه في موضع آخر، ويؤيده أنه عليه السلام إنما ذكر ذلك جواباً عن الراوي، حيث سأله ان عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته، والسامري خلق عجباً جسداً لنقض نبوة موسى عليه السلام، وشاء الله أن يكون ذلك كذلك إن هذا لهو العجب! فقال عليه السلام: ويحك يا فتاح ان الله ارادتين، آه.

وإلى هذا يرجع ما ذكره الصدوق (رحمه الله) بعد إيراد الخبر ان الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة، وقد علم أنهما يأكلان منها لكنه شاء أن لا يحوم بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة كما منعهما من الأكل منها بالنهى

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٠١.

والزجر، فهذا معنى مشتته فيهما، ولو شاء عزوجل منعهما من الاكل بالجبر ثم اكلها منها لكان مشتتتهما قد غلبت مشتته الله تعالى كما قال العالم عليه السلام: تعالى الله تعالى عن المعجز علواً كبيراً.

ثم أنه قد ظهر ممّا ذكرناه في معنى ترك الأولى الفرق بينه وبين ترك المندوب فضلاً عن ارتكاب المكروه، فإنّ الأمر والنهي في الأخيرين طلبى ومخالفة الطلب لازم فيهما على كلّ حال بخلاف الأوّل الذي لم يقصد فيه إلاّ مجرد الإرشاد إلى ما فيه المصلحة العاجلة في المقام حسبما سمعت.

وأما ما ذكره صاحب «الفصول» حيث قال في جملة كلام له: إنّ المعتر في الكراهة ليس مجرد المرجوحية، وإلاّ لكان تارك كلّ مندوب فاعلاً لمكروه وهو تركه، ولا خفاء في فساده بل المرجوحية الموجبة لمنقصة دينية في فاعلها غير محرّمة، ولا ريب أنّ مجرد تقويت الثواب أو ترك الرّاجح لا يوجب ذلك، وبهذا يظهر الفرق بين الترك المكروه وخلاف الأولى انتهى.

فهو وإن كان لا بأس به فيما ذكره من الفرق بين ترك المندوب وفعل المكروه، وكذا بين الترك المكروه وخلاف الأولى إلاّ أنّ ظاهره كون خلاف الأولى شاملاً لكلّ من تقويت الثواب وترك الرّاجح وهو في الأخير ليس على ما ينبغي، وأما الأوّل فلا بأس به مع فرض المقام مجرداً عن الطلب رأساً وتفسير الثواب بما يعمّ كلّ شيء من المصالح والمقاصد الدنيوية والأخروية وإلاّ فللنظر فيه ايضاً مجال.

ثانيها: ما ذكره السيّد المرتضى رضي الله عنه وهو أنّ المعصية مخالفة الامر

والأمر من الله سبحانه يكون مرّةً على وجه الوجوب، واخرى على التّذب، قال: فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك التّناول من الشجرة، ويكون بموافقته تاركاً نفلًا وفضلاً، وغير فاعل لقبّيح، وليس يمتنع أن يسمّى تارك النفل عاصياً، كما سمي بذلك تارك الواجب، فإنّ تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلًا بأنّه عاص ظاهراً، ولهذا يقولون: أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني، وإن لم يكن ما أمر به واجباً.

ثمّ اورد على نفسه بأنّه كيف يجوز أن يكون ترك التّذب معصية أو ليس هذا يوجب أن يوصف الأنبياء عليهم السلام بأنهم عصاة في كلّ حال، وأنهم لا ينفكّون عن المعصية لأنهم لا يكادون ينفكّون من ترك التّذب، واجاب عنه: بأنّ وصف تارك الثواب التّذب بالعصيان توسّع وتجاوز، والمجاز لا يقاس عليه ولا يُعدّى به موضعه، ولو قيل: أنّه حقيقة في فاعل القبيح وتارك الأولى والأفضل لم يجز اطلاقه ايضاً في الأنبياء عليهم السلام إلا مع التقييد، لأنّ استعماله قد كثر في القبائح فإطلاقه بغير تقييد مؤمّم لكننا نقول: ان اردت بوصفهم بأنهم عصاة أنهم فعلوا القبائح فلايجوز ذلك، وان اردت بأنهم عصاة أنهم تركوا ما لو فعلوه لاستحقّوا الثواب وكان أولى فهم كذلك.

أقول: قد صرح بعض المحققين بأنّ استعمال العصيان في ترك المندوب حقيقة ويؤيده ما في «الصّحاح» و«القاموس» من أنّه خلاف الطّاعة اذ من البيّن أنّ الطّاعة تطلق على فعل كلّ من الواجب والتّذب على احتمال أن يكون تفسيراً بالاعمّ كما هو الشائع في كلامهم، نعم قد شاع إطلاقه في ترك الواجب ولذا صحّ

الاطلاق في قوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾^(١)، الآية وقد استدلل الأصوليون على كون الأمر للوجوب بقوله: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(٢) حيث عبر عن مخالفة الأمر بالعصيان. وعلى كل حال فلا بد من حمله في المقام على ترك الأولى، لأنه اللائق بعصمة الأنبياء ﷺ المعلومة من العقل والاجماع بل ضرورة المذهب.

ومن هنا يظهر ضعف ما قد يقال في المعارضة: من أنه الأليق برحمة أكرم الأكرمين وكرم أرحم الراحمين أن لا يؤخذ على تركه الأولى نسياناً بمعاتبته بقوله: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ و﴿وَأَقُل لَّكُمَا﴾^(٣). الآية، وبالفضيحة حيث بدت سؤاتهما، وباخراجه من جواره، وبالتفريق بينه وبين حواء مائة سنة أو مأتين، وباللقاء العداوة والبغضاء بينهم، وبالتداء عليهم باسم العصيان والغواية، وبتسليط العدو على أولاده، بقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَبْلِكَ وَرَجِّلِكَ﴾^(٤) وبجعل الدنيا سجناً له ولأولاده وبالتعب والشقاء في قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾^(٥). إلى غير ذلك مما يختص بالنساء من الحيض، وتقل الحمل والطلق ونحوها كما ورد في الأخبار.

إذ فيه مع ان كثيراً مما عدّه في المقام من لوازم هذه الدار ومقتضيات الكون بها والإبتلاء فيها أنّ جلالة قدر الأنبياء وعظم قدرهم وكبر شأنهم يقتضي تعظيم ما

(١) الجن: ٢٣.

(٢) طه: ٩٣.

(٣) الاعراف: ٢٢.

(٤) الاسراء: ٦٤.

(٥) طه: ١١٧.

يصدر عنهم احياناً من ترك الأولى لعلو قدرهم وكثرة معرفتهم ولذا ورد: «انّ حسنات الابرار سيئات المقرّبين»^(١) بل ربما يستقلّون ما يصدر عنهم من الطاعات ويستحقرونه في جنب عظمة الله سبحانه، ولذا كان يصدر عنهم من التضرّع والبكاء والأنين ما لم يلحقهم فيها أحد من العالمين، فإنّ أعلم الخلق بالله اخشاهم منه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن، وهو هو ونحن نحن^(٣).

وهذا هو الذي اشار إليه الحجة عجل الله فرجه في دعاء شهر رجب: فجعلتهم معادن لكلماتك واركائاً لتوحيدك واياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك وخلقك^(٤) آه.

وهذه مقامهم في قربهم ومثالهم في هذه الحال بالنسبة إلى فعل الله ومشيبته مثل الحديد المحماة بالنار، فأنه يصدر عنها ما يصدر عن النار من الاضاءة والاحراق لا فرق بينها وبينها إلا أنّ الحديد حينئذ محل فعل النار ومظهر شؤونها كما أنّهم محال مشيئة الله سبحانه المظهرون لأمره العاملون بارادته، ولهم أيضاً مقامات اخر باعتبار كونهم التشريعي التبليغي الناسوتي من اكلهم وشربهم ونكاحهم وتبليغهم الشرائع والاحكام إلى كافة الأنام وغيرها ممّا لا ريب في أنّهم مأمورون بها إقامة لمنصب النبوة والولاية ورسم التبليغ والتجانس إلا أنّها بالنسبة إلى الحالة

(١) بحار الانوار ص ٢٠٥.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) لم اظفر على مصدره.

(٤) بحار الانوار ج ٩٨ ص ٣٩٣.

الأولى سيئات ومعاصي يستغفرون الله منها ويتوبون الله على ما يأتي، فإذا كان هذه حالهم في عباداتهم الظاهرة ومعاشراتهم مع الناس فما ظنك بما يصدر عنهم أحياناً من ترك الأولى الذي دعاهم إليه على جهة الذنب والاستحباب.

ثالثها: ما أجاب به بعض من جاوز عليه الذنب في الجملة وهو أن آدم عليه السلام لم يكن حين صدر عنه الذنب نبياً بناء على أن المعلوم من لزوم العصمة إنما هو بعد النبوة، وربما يؤيد أيضاً بما رواه في «الأمالي» و«العيون» بالاسناد عن الرضا عليه السلام حيث سأله علي بن محمد بن الجهم فقال له يابن رسول الله ﷺ: أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله ﷻ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(١)، إلى أن قال عليه السلام: ويحك يا علي أتق الله ولا تسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك فإن الله عز وجل يقول: ﴿مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢)، أما قوله ﷻ في آدم: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾، فإن الله ﷻ خلق آدم حجة في أرضه وخليفته في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله ﷻ فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣)،^(٤)

أقول: أما جواز صدور الذنب قبل البعثة فقد عرفت أنه مخالف لما هو

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٢ ح ١ عن الأمالي.

المعلوم من مذهب الإمامية من وجوب عصمتهم في جميع الأحوال، وأما الخبر فمحمول على نوع من التقية مما شاة معهم في أقوالهم، أو أن المراد بالخطيئة ارتكاب خلاف الأولى على ما عرفت، ويكونون بعد البعثة معصومين عن جميع الذنوب أيضاً، ويكون ذكر الجنة لبيان كون النهي ارشادياً لا طلبياً حيث أن الجنة ليست بدار تكليف حتى يتصور فيها النهي التحريمي والتنزيهي أيضاً، وربما يحمل على وجه التنزل والاستظهار رداً على من جوز الذنب مطلقاً عليهم صلوات الله.

رابعها: أن المعصية كانت من آدم في الجنة لا في الأرض التي هي دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنه عليه السلام قبل النبوة ولا بعدها في دار التكليف ولعل في قول الرضا عليه السلام في الخبر المتقدم إشارة إليه، لكنه كما سمعت مناف لما هو المعلوم من المذهب، بل قيل إن هذا الوجه لا ينطبق على شيء من المذاهب.

خامسها: ما أجاب به أكثر المعتزلة من أن معصيته عليه السلام كانت من الصغائر المكفرة دون الكبائر التي تنافي العصمة، وإن كان يشملها معاً إسم المعصية. وفيه: أنه مناف أيضاً لضرورة المذهب، وقد سمعت فيما مر من كلام السيد في باب التنفير أن الطريقة في نفي الصغائر قبل البعثة وبعدها هي الطريقة في نفي الكبائر في الحالين.

وأما ما رواه في «العيون» و«الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام من أنه كان ذلك يعني الأكل من الشجرة من آدم قبل النبوة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة قال الله تعالى:

﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ، ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (١) وقال ﷺ:
 ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، الخبر
 فعله محمول على التقيّة، او على التنزيل، او لجواز ارتكابه لترك الأولى قبل البعثة،
 وأما بعدها فعلوا قدرهم يمنع من إرتكابهم له أيضاً وان لم يكن ذنباً ومعصية .
 سادسها: ما قيل: من أنه ﷺ لما نهي عن الاكل من الشجرة ظن أن النهي عن
 عين الشجرة لا عن نوعها، وكان الله سبحانه أراد نهيه عن نوعها، ولكنّه لم يقل لهما:
 لا تقربا نوع هذه الشجرة ولا من جنسها.

واللفظة قد يراد بها النوع كما روي عن النبي ﷺ أنه أشار إلى حرير وذهب
 وقال: هذان حرامان على رجال من امتي وأنه ﷺ قال هذا وضوء لا يقبل الله
 الصلوة إلا به .

وكان ظنه ذلك لأن ابليس حلف لهما بالله كاذباً أنه لهما لمن الناصحين، ولم
 يكن شاهد قبل ذلك من يحلف بالله كذلك فأكل من شجرة أخرى من نوعها، وكان
 ذلك من قبيل الخطأ في الاجتهاد وليس من كبائر الذنوب التي يستحق بها دخول
 النار (٣) .

وقد يؤيد بما رواه في «العيون» و«الاحتجاج» عن عليّ بن محمّد بن الجهم،
 قال: حضرت مجلس المأمون وعنده عليّ بن موسى ﷺ فقال له المأمون يا بن
 رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله

(١) طه: ١٢١ .

(٢) آل عمران: ٣٣ .

(٣) بحار الانوار ج ١١ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

عز وجل: ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (١)، فقال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لَادَمَ ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (٢) وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، وإنما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (٣) وإنما نهيكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٤) ولم يكن آدم وحواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿ فَدَلَّيْهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ (٥) فأكلا منها ثقة بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوة (٦).

إلى آخر ما تقدم في الوجه السابق، ويؤيده أيضاً ما مر عن تفسير الامام ﷺ مفصلاً (٧).

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

وهو بظاهره لا يتم على أصولنا إذ فيه أولاً أن إسم الإشارة موضوع للإشارة إلى الأشخاص، والإشارة به إلى النوع لا تصح إلا مع القرينة الدالة عليه، فإذا حمله على حقيقته فأبى خطأ يلحقه فيه.

(١) طه: ١٢١.

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) الاعراف: ٢٠.

(٤) الاعراف: ٢١.

(٥) الاعراف: ٢٢.

(٦) عيون الاخبار ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٧) تفسير الامام ﷺ ص ٩٠ - ٩١ وعنه البحار ج ١١ ص ١٨٩ - ١٩٣.

وتوهم أنه قد قرنه بما يدل على أن المراد به النوع مدفوع بأن القرينة لا بد أن تكون مفهومة ومعها يتم المحذور، وإلا فلا إفهام فلا تكليف، ولذا قيل: إنه لو كلفه على الوجه المذكور من دون قرينة تدل على المراد لزم التكليف بما لا يطاق ومع القرينة يلزم الاخلال بالنظر والتقصير في المعرفة^(١).

وأما ما يقال من أنه تعالى عرفه القرينة وقت الخطاب ثم غفل عنها ونسيها لطول المدة أو غيره.

ففيه أنه مبني على جواز النسيان على الأنبياء وفيه ما لا يخفى.
وثانياً: إن الأنبياء لا يجوز عليهم الاجتهاد والعمل بالظن أو اعتقاد خلاف الواقع ولو على طريق غير الجزم.

وعدم كونه وقت الخطاب نبياً كما تضمنه الخبر غير حاسم لمادة الاشكال على أصولنا، كما أنه لا يحسمها القول بارتكابه على جهة التأويل كما هو المحكي عن أبي علي^(٢) وغيره، ولذا أورد عليهم المرتضى عليه السلام بأنه وإن نزهه عن تعمد معصية، إلا أن اضافة إليه معصيتين: ترك التأمل في متعلق النهي أنه هل هو الجنس أو العين، والتناول من الشجرة ولو مع اعتقاد الحلية للخطأ في الاجتهاد والاعتقاد وتوهم أن النظر فيما كلفه من الامتناع من الجنس او النوع لم يكن واجباً عليه مدفوع بأنه ان لم يكن واجباً عليه فكيف يكون مكلفاً^(٣).

نعم ربما يقال: أنه توجيه مُتَّجِه ولو بمعونة الرضوي والعسكري المتقدمين،

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ١٩٩.

(٢) هو ابو علي الجبائي محمد بن عبدالوهاب المعتزلي: المتوفى (٣٠٣) هـ.

(٣) تنزيه الانبياء ص ٧-٨.

ويرجع إلى ترك الأولى، وهو ليس بذنب في الحقيقة ولا بأس به، إلا أن مرجعه إلى أحد الأولين.

وأما ما يقال أيضاً في بيان الخطأ في الاجتهاد: من أنه قال: ولا تقربا فظن آدم أنه نهي لهما على الجمع، فيجوز لكل منهما الأكل منفرداً، إذ لا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد^(١).

فهو مما لا ينبغي الاصغاء إليه وإن ذكره الرازي وغيره.

سابعها: أن نسبة العصيان إلى آدم مبنية على تقدير مضاف والمراد وعصى أولاد آدم كما في قوله: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾^(٢)، بل قد يؤيد بقوله في قصة آدم وحواء: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾^(٣)، ومن المعلوم أنهما لم يشركا وإنما أشرك أولادهما.

وردّ بأنه وإن كان احتمالاً يصحح اللفظ، لكنه مخالف لما في الواقع، فإن أولاد آدم لم يقع منهم الأكل من الشجرة شجرة الخلد ولم يكونوا منهيين عن ذلك أيضاً، ولم يكن ذلك إلا من آدم وحواء.

نعم ربما تؤول الشجرة في الآية بحب الدنيا ورئاستها وزينتها وخصوص علم الأكسير وهو على فرضه لا يمنع من ارادة الظاهر بل لا يتم إلا معها.

ثامنها: أن النهي وإن كان ظاهراً في التحريم لكنه ليس نصاً فيه، وإنما صرفه عن الظاهر لدليل ظنه قرينة عليه.

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ١٥.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) الاعراف: ١٩٠.

وَضَعْفُهُ واضح جداً بل لم أعرف به قائلاً وان حكاه شارح الطوابع عن بعضهم .

تاسعها: انّ الذي صدر منه عليه السلام كان عن نسيان بنصّ القرآن لقوله: ﴿قَنَسَى﴾^(١) فهو ليس بذنب، والمؤاخظة إنّما كانت على ترك التحفظ والتقصير الذي نشأ منه النسيان، وهو ترك أولى، وسَمِّي ذنباً لأنهم مؤاخذون به، كما ورد أنّ الأنبياء لمؤاخذون بمناقيل الذر، وسَمِّي معصيةً وغواية تحذيراً للأنبياء، ولطفاً لأمتهم، والله تعالى من تسمية ذلك معصية وغواية ما ليس لغيره، فليس لأحد أن يتجاسر على نسبة العصيان إليه .

وفيه انّ الالتزام بعروض النسيان ممّا ينفيه المذهب، ثمّ التحفظ على عدمه إن كان واجباً فتركه التزام بالعصيان مضافاً إلى النسيان، أولى فلا جدوى للالتزام بالنسيان .

عاشرها: الحمل على النسيان بمعنى آخر لا ينفيه المذهب ويساعده بعض الاخبار على ما يأتي انشاء الله .

وأجيب عن الثاني أولاً بأنّ الغواية هي الخيبة على ما صرح به الجوهري والجزري يقال: غوى إذا خاب، وأغواه اي خيبه، فمعنى غوي أنّه خاب عن بغيته، لأننا نعلم أنّه لو فعل ما أرشده إليه من ترك تناول من الشجرة لا ستحقّ الثواب العظيم، فاذا خالف الأمر الإرشادي او التدبيري ولم يصرّ إلى ما أرشده إليه فقد خاب لا محالة من حيث إنّهُ لم يَنْلُ ما طلب ولم يَصِرْ الى الثواب الذي كان يستحقّ

بالامتناع واستعماله في هذا المعنى حقيقة على ما هو الظاهر من أئمة اللغة قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يَغْوِ لا يعدم على الغي لائماً
ولذا قيل: إن الظاهر من قوله: عصي فغوى أن الذي دخلته الفاء جزاء على
المعصية وأنه كل الجزاء المستحق بالمعصية اذ الظاهر من قول القائل: سرق فقطع
وقذف فجلد ثمانين أن ذلك جميع الجزاء لا بعضه وكذلك اذا قال القائل من دخل
داري فله درهم فإن معناه أن الدرهم جميع جزائه ولا يستحق بالدخول سواء ومن
لم يفعل الواجب استحقّ الذم والعقاب وحرمان الثواب وأما من لم يفعل ما ارشده
إليه وندبه فلا يستحقّ إلا حرمان الثواب فقط، وحيث أن مدخول الفاء تمام الجزاء
وقد سمعت أنه الخيبة وعدم نيل المطلوب فلا بد أن يكون العصيان بترك الأولى
حسبما سمعت^(١).

ثانياً: سلّمنا أن يكون المراد بالغَي هو الضلال كما صرح به الجوهرى بكونه
من معانيه إلا أن الضلال هو البعد عن المطلوب بارتكاب ما يبعده عنه كما أن
الرشاد هو التوسل بشيء إلى شيء وسلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، وحيث أنه
قد بُعد بمخالفة النهي التنزيهي أو الاشاردي عن نيل الثواب الذي هو المقصود جاز
اطلاق كونه ضالاً غاوباً عن نيل مقصوده^(٢).

وعن الثالث: بأن الظلم في أصله موضوع لوضع الشيء في غير موضعه كما

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ عن السيد المرتضى في جواب المسائل التي وردت عليه من
الري.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ مع تفاوت في العبارات.

نصّ عليه الجوهري والفيروزآبادي والفيومي وغيرهم ممن صنّف في اللّغة واستشهد عليه في الصّحاح وغيره بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾^(١) وقول الشّاعر: ومن يشابه أباه فما ظلم.

وبالمثل: من استرعي الذّئب فقد ظلم، ويقال: إن أصله إنتقاص الحقّ وبه فسّر الآية في «القاموس» وعن الجزري أنّه قال في حديث ابن زَمَل: لزموا الطريق فلم يظلموه، اي لم يعدلوا عنه يقال أخذ في طريق فما ظلم يميناً وشمالاً^(٢).

وبالجملّة فمرجع معنى الظلم لغة وعرفاً إلى شيء من الثلاثة، ومن البيّن أنّ الوصف به لا يستلزم ما إدّعاه المستدلّ على جميع الوجوه، وذلك لأنّ مخالفة ما هو الأولى أو المندوب إليه وضع للشيء في غير موضعه، وموجب لنقص الثواب، وعدول عن الطريق المؤدّي له إلى المراد.

وأما ما استدلّ به على أنّ الظالم ملعون، ففيه أنّ الحكم معلق على الموضوع المقيد بالصدّ عن سبيل الله والكفر بالآخرة، ولذا قال في الأعراف وفي هود ﴿أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣)، وأين هذا من دلّالته على لعن مطلق الظالمين او خصوص صاحب الكبيرة من المسلمين، بل قيل: إن اللّعن ايضاً لا يدلّ على كون المعصية كبيرة، لورود الأخبار بلعن صاحب الصغيرة، بل من ارتكب التّهيّ التنزيهي ايضاً، لأنّ معنى اللّعن هو الطرد والابعاد عن الرّحمة، ويحصل البعد عنها بفعل المكروه.

(١) الكهف: ٣٣.

(٢) النهاية لابن الاثير الجزري المتوفى (٦٠٦) هـ ج ٣ ص ١٦١ في «ظلم».

(٣) هود: ١٨ - ١٩.

وترك المندوب ايضاً.

نعم قد يقال: إنه لما غلب استعماله في المشركين والكفار لا يجوز استعماله في صلحاء المؤمنين قطعاً وفي فساقهم اشكال والأولى الترك.

وعن الرابع: واضح بعد مامر من كون النهي ارشادياً او تنزيهياً ودعوى كون مخالفة المنهي عنه مطلقاً معصية واضح الفساد فضلاً عن كونها كبيرة.

وعن الخامس: أن التوبة أعم من فعل الذنب بالمعنى الأخص، فلا توجب إسقاط العقاب المترتب على استحقاقه ويشهد له كثير من الأدعية المأثورة عن النبي والأئمة المتضمنة لاجتهادهم في التوبة والانابة والاستغفار.

وعن السادس: أن الإخراج من الجنة لعله كان على وجه المصلحة المقتضية لاجراجه منها اذا تناول من الشجرة، على ما أشرنا إليه في الجواب الثاني عن الوجه الأول.

وعن السابع: ان المراد بالخسران قلة الثواب او الخيبة عن النفع العاجل وان ترتب عليه الثواب الجزيل الآجل.

وعن الثامن: واضح مما مر.

وعن التاسع: ان المراد بالنسيان هو الترك كما يشهد به اللغة وبعضه الاخبار وصحيح الاعتبار ولو بمعونة ما دل على العصمة وفيه وجه آخر سنشير إليه في تفسير الآية المتضمنة للنسيان انشاء الله كما أنه قد ظهر من جمع ذلك الجواب عن العاشر أيضاً.

مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)

روى العياشي في تفسيره عن جابر عن النبي ﷺ قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنى، وأوّل من حدا قال ﷺ: لما اكل آدم من الشجرة تغنى فلما أهبط حدابه، فلما استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنة، فقال آدم: ربّ هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وأنا في الجنة وإن لم تُعني عليه لم أقو عليه، فقال الله تعالى: السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، قال: ربّ زدني، قال: لا يولد لك ولد إلا جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيها الروح، قال: زدني قال: أغفر الذنوب ولا أبالي، قال: حسبي.

قال: فقال إبليس: ربّ هذا الذي كرمت عليّ وفضلتني وان لم تفضل عليّ لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولد إلا ولدك ولدان، قال: ربّ زدني قال: تجري منه مجرى الدّم في العروق، قال: ربّ زدني قال: تتخذ أنت وذريتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني قال تعدهم وتمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً^(١).

وفيه عن الصادق ﷺ قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، ويوسف، وداود فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم ﷺ فبكى حين أخرج من الجنة، وكان رأسه في باب من أبواب السماء، فبكى حتى تأذى به اهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته. الخبر^(٢).

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢١٢ ح ٢٠ عن العياشي.

(٢) البحار ج ١١ ص ٢١٣ ح ٢١ عن العياشي.

وفي «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: البكائون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه امثال الاودية ^(١).

وفي «البصائر» عن الصادق عليه السلام قال: كان مع عيسى بن مريم عليه السلام حرفان يعمل بهما. وكان مع موسى عليه السلام أربعة احرف، وكان مع ابراهيم ستة احرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية وجميع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً ^(٢).

وفي معناه أخبار آخر، وروى الصدوق في خبر طويل يتضمن سؤال ملك الروم عن الحسن بن علي عليه السلام وفيه أنه دعى الملك بالاصنام فأول صنم عرض عليه في صفة القمر فقال الحسن عليه السلام فهذه صفة آدم عليه السلام أبو البشر ثم عرض عليه اخر في صفة الشمس فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة حواء أم البشر ثم عرض عليه اخر في صفة حسنة فقال: هذه صفة شيث بن آدم وكان أول من بعث وبلغ عمره في الدنيا الف سنة واربعين يوماً ^(٣). الخبر.

قوله: وكان أول من بعث اي من اولاد آدم، او بعد تناسل الذرية، او مقيداً ببلوغ عمره الف سنة، وان كان والأول اظهر.

وفي «العلل» عن زر بن حبيش، قال: سألت ابن مسعود، عن أيام البيض ما سببها، وكيف سمعت؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن آدم لما عصى ربه

(١) البحار ج ١١ ص ٢٠٤ عن العلل.

(٢) بصائر الدرجات ص ٦٥ وعنه البحار ج ١١ ص ٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦١ عن تفسير القمي ص ٥٩٧.

عزّوجلّ ناداه منادٍ من لدن العرش: يا آدم أخرج من جوارِي فإنه لا يجاورني أحد عصاني، فبكى وبكت الملائكة، فبعث الله عزّوجلّ إليه جبرئيل فأهبطه إلى الأرض مسوداً، فلما رآته الملائكة ضجّت وبكت وإنتحبت وقالت: يا ربّ خلقاً خلقتة، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك بذنب واحد حوّلت بياضه سواداً؟! فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد، ثمّ نودي في يوم الرابع عشر بالصّيام، فصام فذهب ثلثا السواد ثمّ نودي في يوم خمسة عشر بالصّيام فصام وقد ذهب السواد كلّهُ، فسُمّيت أيام البيض الذي ردّ الله عزّوجلّ فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى مناد من السماء يا آدم هذه الثلاثة الأيام جعلتها لك ولولدك من صامها في كلّ شهر فإنما صام الدهر. وزاد الحميدي في الحديث: فجلس آدم ﷺ جلسة القرفصاء^(١)، ورأسه بين ركبته كثيراً حزينا، فبعث الله تبارك وتعالى إليه جبرئيل فقال: يا آدم مالي اراك كثيراً حزينا؟ فقال: لا أزال كثيراً حزينا حتى يأتي أمر الله، قال: فإني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول: يا آدم حيّاك الله وبيّاك، قال أما حيّاك الله فأعرفه، فما بيّاك؟ قال: أضحكك، قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا ربّ زدني جمالا فأصبح وله لحية سوداء كالحمم، فضرب بيده إليها فقال يا ربّ ما هذه؟ فقال: هذه اللحية زيتتك بها أنت وذكر ولدك إلى يوم القيمة^(٢).

(١) قال الجوهري: القرفصاء: ضرب من القعود، يمدّ ويقصر وهو أن يجلس على ركبته منكبا ويلصق بطنه فخذه ويتأبط كفيه.

في «المنجد»: تزفصه: جمعه وشدّ يديه تحت رجليه.

(٢) بحار الانوار ج ١١ ص ١٧١-١٧٢ عن العلل ص ١٢٣.

وفي «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله عزوجل إلى آدم عليه السلام إني سأجمع لك الخير كله في أربع كلمات: واحدة منهن لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس، فإما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وإما التي لك فاجازيك بعملك أحوج، ما تكون إليه، وإما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليّ الإجابة، وإما التي فيما بينك وبين الناس فترضي للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك ^(١).

وفي «المحاسن» عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم عليه السلام شكى إلى جبرئيل عليه السلام حديث النفس فقال: أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
وفي «المجالس» و«الامالي» و«الاکمال» عن الصادق عليه السلام قال: أنا سيّد النبيّن ووصي سيّد الوصيّن وأوصيائي سادات الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عزوجل أن يجعل له وصياً صالحاً فأوحى الله عزوجل إليه إني أكرمت الأنبياء بالنبوة ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء ثم أوحى الله عزوجل إليه يا آدم أوص إلى شيث فاوصى آدم إلى شيث وهو هبة بن آدم ثم ذكر اتصال الوصية منه عليه السلام إلى نبيّنا والأئمة المعصومين صلى الله عليهم أجمعين ^(٢).

وفي «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام بعد ذكر قصة قابيل قال: فلما علم آدم بقتل هابيل جزع عليه جزعاً شديداً، ودخله حزن شديد، قال فشكى إلى الله ذلك، فأوحى الله إليه إني واهب لك ذكراً يكون خلفاً لك من هابيل، قال: فولدت

(١) الخصال ج ١ ص ١١٦ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٥٧.

(٢) البحار ج ١٧ ص ١٤٨ وج ٢٣ ص ٥٧.

حواء غلاماً زكياً مباركاً، فلما كان اليوم السابع سمّاه آدم شيث فأوحى الله إلى آدم إنما هذا الغلام هبة مني لك فسّمه هبة الله، قال فسّماه هبة الله، قال فلما دنى أجل آدم أوحى الله إليه، أن يا آدم أتني متوفيتك ورافع روحك إليّ يوم كذا وكذا، فأوصني إلى خير ولدك وهو هبتي الذي وهبته لك فأوصني إليه وسلّم إليه ما علّمناك من الأسماء والأسم الأعظم، فاجعل ذلك في تابوت فأتني أحبّ أن لا يخلو أرضي من عالم يعلم علمي ويقضي بحكمي، اجعله حجّة على خلقي.

قال: فجمع آدم عليه السلام جميع ولده من الرجال والنساء، فقال لهم: يا ولدي إنّ الله أوحى إليّ أنّه رافع إليه روحي، وأمرني أن أوصي إلى خير ولدي، وأنّه هبة الله وأنّه اختاره لي ولكم من بعدي، أسمعوا له واطيعوا أمره، فأنّه وصّي وخليفتي عليكم فقالوا جميعاً: نسمع له ونطيع أمره ولا نخالفه، قال: فامر بالتابوت فعمل ثمّ جعل فيه علمه والأسماء والوصيّة، ثمّ دفعه إلى هبة الله، وتقدّم إليه في ذلك وقال له: انظر يا هبة الله إذا أنا متّ فاغسلني وكفني وصلّ عليّ وأدخلني في حفرتي فاذا مضى بعد وفاتي اربعون يوماً فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعاً، ثمّ اجعلها في التابوت واحتفظ به ولا تأمنّ عليه أحداً غيرك فإذا حضرت وفاتك وأحسست بذلك من نفسك فالتمس خيراً ولدك وألزمهم لك صحبتته وأفضلهم عندك قبل ذلك فأوص اليه بمثل ما أوصيت به اليك، ولا تدعنّ الأرض بغير عالم منّا أهل البيت، يا بني إنّ الله تبارك وتعالى أهبطني إلى الأرض وجعلني خليفته فيها حجّة له على خلقه، فقد أوصيت لك بأمر الله وجعلتك حجّة الله على خلقه في أرضه بعدي فلا تخرج من الدنيا حتّى تدعّ الله حجّةً ووصياً وتسلمّ إليه التابوت وما فيه، كما سلّمته

إليك وأعلمه أنه سيكون من ذريتي رجل اسمه نوح يكون في نبوته الطوفان والغرق، فمن ركب في فلكه نجى، ومن تخلف عن فلكه غرق، وأوص وصيك أن يحفظ بالتأبوت وبما فيه فاذا حضرت وفاته أن يوصي إلى خير ولده، وألزمهم له وأفضلهم عنده ويسلم إليه التأبوت وما فيه، وليضع كل وصي وصيته في التأبوت وليوص بذلك بعضهم إلى بعض فمن أدرك نبوة نوح فليركب معه، وليحمل التأبوت وجميع ما فيه في فلكه، ولا يتخلف عنه أحد، واحذر يا هبة الله وانتم يا ولدي الملعون قابيل وولده، فقد رأيتم ما فعل بأخيك هايبيل، فاحذروه وولده ولا تناكحوهم ولا تخالطوهم، وكن أنت يا هبة الله وإخوتك وأخواتك في أعلا الجبل واعزله وولده ودع الملعون قابيل وولده في أسفل الجبل.

قال: فلما كان اليوم الذي أخبر الله تعالى أنه متوفيه فيه تهيأ آدم للموت وأذعن به، قال: وهبط عليه ملك الموت فقال آدم: دعني يا ملك الموت حتى أتشهد وأثني على ربي بما صنع عندي من قبل أن تقبض روحي، فقال آدم: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنني عبد الله وخليفته في أرضه، ابتداني بإحسانه وخلقني بيده، لم يخلق خلقا بيده سواي، ونفخ في من روجه، ثم أجعل صورتي ولم يخلق على خلقي أحدا قبلي ثم أسجد لي ملائكته، وعلمني الأسماء كلها، ولم يعلمها ملائكته، ثم أسكنني جنته، ولم يكن جعلها دار قرار، ولا منزل استيطان، وإنما خلقني ليُسكِنني الأرض للذي أراد من التقدير والتدبير، وقدّر ذلك كله قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته وقضائه ونافذ أمره، ثم نهاني أن آكل من الشجرة فعصيته واكلت منها، فاقالني عثرتي وصفح لي عن جرمي، فله الحمد على

جميع نعمه عندي حمداً يكمل به رضاه عني.

قال: فقبض ملك الموت روحه صلوات الله عليه فقال أبو جعفر ﷺ: إن جبرئيل نزل بكفن آدم وبحنوطه وبالمسحاة معه، قال: ونزل مع جبرئيل سبعون ألف ملك ليحضروا جنازة آدم ﷺ قال: فغسله هبة الله وجبرئيل وكفنه وحنطه ثم قال: يا هبة الله تقدّم فصلّ على أبيك وكبرّ عليه خمساً وعشرين تكبيرة، فوضع سرير آدم، ثمّ قدم هبة الله وقام جبرئيل ﷺ عن يمينه والملائكة خلفهما، فصلّى عليه وكبرّ عليه خمساً وعشرين تكبيرة، وانصرف جبرئيل والملائكة فحفروا له بالمسحاة ثمّ أدخلوه في حفرته، ثمّ قال جبرئيل يا هبة الله هكذا فافعلوا بموتاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت.

فقال أبو جعفر ﷺ: فقام هبة الله في ولد أبيه بطاعة الله وبما أوصى أبوه فاعتزل ولد الملعون قابيل، فلما حضرت وفاة هبة الله أوصى إلى ابنة قينان، وسلّم إليه التابوت وما فيه وعظام آدم، وقال له: ان أنت ادركت نبوة نوح فاتبعه واحمل التابوت معك في فلكه، ولا تخلفنّ عنه فإنّ في نبوته يكون الطوفان والغرق، فمن ركب في فلكه نجى، ومن تخلف عنه غرق.

قال: فقام قينان بوصية هبة الله في اخوته وولد ابيه وأمرهم بطاعة الله قال: فلما حضرت قينان الوفاة أوصى إلى مهلائيل وسلّم إليه التابوت وما فيه، والوصية، فقام مهلائيل بوصية قينان وسار بسيرته فلما حضرت مهلائيل الوفاة أوصى إلى

إبنه^(١) برد، فسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، فتقدم إليه في نبوة نوح فلما حضرت وفاة برد اوصى به إلى ابنه اخنوخ وهو إدريس، فسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، فقام اخنوخ بوصية برد، فلما قرب أجله أوحى الله تعالى إليه إني رافعك إلى السماء وقابض روحك في السماء فأوص إلى ابنك حرقاسيل بوصية اخنوخ، فلما حضرته الوفاة اوصى إلى ابنه نوح وسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية، قال: فلم يزل التابوت عند نوح حتى حمله معه في فلكه فلما حضرت نوح الوفاة اوصى إلى ابنه سام وسلم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصية.

قال حبيب السجستاني: ثم انقطع حديث أبي جعفر^(٢) عندها.

وفي «القصص» عن الصادق^(ع) في خبر طويل إلى أن قال: فلم يلبث آدم^(ع) بعد ذلك إلا يسيراً حتى مرض ودعا شيئاً وقال: يا بني إن اجلي قد حضر وأنا مريض وإن ربي قد انزل من سلطانه ما قد ترى، وقد عهد إلي فيما قد عهد أن أجعلك وصيي، وخازن ما استودعني، وهذا كتاب الوصية تحت رأسي، وفيه أثر العلم واسم الله الاكبر، فإذا انامت فخذ الصحيفة وإياك أن يطلع عليها احد، وأن تنظر فيها إلى قابل في مثل هذا اليوم الذي يصير إليك فيه وفيها جميع ما تحتاج إليه في امور دينك ودنياك وكان آدم صلوات الله عليه نزل بالصحيفة التي فيها الوصية من الجنة.

ثم قال آدم لشيث صلوات الله عليهما: يا بُنيّ أني قد إشتهيت ثمرة من ثمار

(١) في المصدر وقصص الانبياء: يرد بالياء.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٩.

الجنة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقرأه مني السلام وقل له: إن أبي مريض وهو يستهديكم من ثمار الجنة، قال: فمضى حتى صعد إلى الجبل فاذا هو بجبرئيل في قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل السلام ثم قال: إلى أين يا شيث فقال له شيث: ومن أنت يا عبدالله؟ قال: أنا الزوج الأمين جبرئيل فقال إن أبي مريض وقد أرسلني إليكم وهو يقرئكم السلام ويستهديكم من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل ﷺ: وعلى إبيك السلام يا شيث، أما أنه قد قبض، وإنما نزلت لسانه فعظم الله على مصيبتك فيه اجرک، وأحسن على العزاء منه صبرك، وأنس منك عظيم وحشتك، ارجع فرجع معهم، ومعهم كل ما يصلح به آدم صلوات الله عليه، قد جاؤا به من الجنة فلما صاروا إلى آدم كان أول ما صنع شيث أن أخذ صحيفة الوصية من تحت رأس آدم صلوات الله عليه فشدّها على بطنه، فقال جبرئيل ﷺ: من مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته وأبسك لباس عافيته فلعمري لقد خصك الله منه بأمر جليل، ثم إن جبرئيل ﷺ وشيئا أخذاً في غسله، وأراه جبرئيل كيف يغسله حتى فرغ، ثم أراه كيف يكفنه ويحنّطه حتى فرغ ثم أراه كيف يحفر له، ثم إن جبرئيل ﷺ أخذ بيد شيث فأقامه للصلوة عليه كما تقوم اليوم نحن، ثم قال كبر على إبيك سبعين تكبيرة وعلمه كيف يصنع ثم إن جبرئيل ﷺ أمر الملائكة أن يصطفوا قياماً خلف شيث كما يصطف اليوم خلف المصلي على الميت، فقال شيث: يا جبرئيل ويستقيم هذا لي وأنت بالمكان من الله الذي أنت ومعك عظماء الملائكة؟ فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أن الله تعالى لما خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة وأمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنة في ذريته، وقد

قبضه اليوم وأنت وصيُّه ووارثُ علمه، وأنت تقوم مقامه، فكيف نتقدمك وأنت إمامنا؟ فصلِّي بهم عليه كما أمره، ثم أراه كيف يدفنه، فلما فرغ من دفنه وذهب جبرئيل ومَنْ معه ليصعدوا من حيث جاؤا بكى شيث ونادى: يا وحشتاه فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربك وهو يونسك فلا تحزن وأحسن ظنَّك بربك فإنه بك لطيف وعليك شفيق، ثم صعد جبرئيل ومَنْ معه، وهبط قابيل من الجبل، وكان على الجبل هارباً من أبيه آدم ﷺ أيام حياته لا يقدر أن ينظر إليه فلقى شيثاً فقال: يا شيث إني إنما قتلت هايل أخي لأن قربانه قد تقبل وقد خفت أن يصير بالمكان الذي قد صرت أنت اليوم فيه، وقد صرت بحيث أكره، وإن تكلمت بشيء مما عهد إليك أبي لأقتلنك كما قتلت هايل. قال زرارة: ثم قال أبو عبدالله ﷺ بيده إلى فمه فامسكه يعلمنا أي هكذا انا ساكت «فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» معشر شيعتنا فتمكنوا عدوكم من رقابكم فتكونوا عبيداً لهم بعد إذ اتمم أربابهم وساداتهم . الخبر^(١).

وفي خبر آخر عن أبي جعفر ﷺ قال: أرسل آدم ابنه إلى جبرئيل فقال: قل له: يقول لك أبي: أطمعني من زيت الزيتون التي في موضع كذا وكذا من الجنة، فلقيه جبرئيل فقال له إرجع إلى أبيك فقد قبضه الله وأمرنا بأجهازه والصلوة عليه، قال: فلما جهزوه قال جبرئيل: تقدّم يا هبة الله فصلّ على أبيك فتقدم وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيرة سبعين تفضيلاً لآدم وخمساً للسنة قال: وآدم ﷺ لم يزل

(١) بحار الانوار ج ١١ ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

يعبد الله بمكة حتى إذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير وحنوط وكفن من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل بينه وبينهم، فقال لها آدم: خلّي بيني وبين رسل ربّي، فقُبِضَ فغسّلوهُ بالسّدر والماء ثمّ لحدوا قبره، وقال: هذا سنّة ولده من بعده فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وستاً وثلاثين سنة ودفن بمكة وكان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما ألف وخمسمائة سنة^(١).

وفي «كمال الدين» عن الصادق ﷺ عن آبائه عن النبي ﷺ قال: عاش آدم ابو البشر تسعمائة وثلاثين سنة^(٢).

وعن المسعودي في المروج توفّي يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه وكان عمره تسعمائة وثلاثين سنة^(٣).

وعن السيّد في سعد السعود نقلاً من صحف إدريس ﷺ: إنّ مرضه عشرة أيّام بالحمّى، ووفاته يوم الجمعة لأحدى عشر يوماً خلّت من المحرّم، ودفنه في غار في جبل أبي قبيس ووجهه إلى الكعبة، وإنّ عمره في وقت نفخ فيه الروح إلى وفاته ألف سنة وثلاثين وان حواء ما بقيت بعده إلا سنة ثم مرضت خمسة عشر يوماً ثم توفّيت ودفنت إلى جنب آدم ﷺ، ثمّ قال ونبأ الله شيئاً، وأنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله وفرائضة واحكامه وسننه وشرائعه وحدوده، فأقام بمكة يتلو تلك الصحف على بني آدم ويعلمها ويعبد الله، ويعمر الكعبة فيعتمر في

(١) قصص الانبياء ص ٦٤ ح ٤٤ وعنه البحار ج ١١ ص ٣٦٦ ح ١٥.

(٢) كمال الدين ص ٥٢٣ ح ٣.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٤٨.

كلّ شهر، ويحجّ في أوان الحجّ حتّى تمّ له تسعمائة سنة واثنى عشر سنة، فمرض فدعا ابنه أيوس^(١) فأوصى به إليه وأمره بتقوى الله ثمّ تُوفّي فغسله أيوس ابنه وقينان بن أيوس ومهلانيل بن قينان فتقدّم أيوس فصلّى عليه ودفنوه عن يمين آدم ﷺ في غار أبي قبيس^(٢).

ثمّ قال السيّد رضى الله عنه على ما حكى عنه المجلسي طاب ثراه: وجدت في السفر الثالث من التوراة: أنّ حياة آدم كانت تسعمائة وثلاثين سنة. وقال محمّد بن خالد البرقي (ره): إنّ عمر آدم كان تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة^(٣).

وفي تفسير القمي عن أبي جعفر ﷺ قال: وكان عمر آدم من يوم خلقه الله تعالى إلى يوم قبضه تسعمائة وثلاثين سنة ودفن بمكّة ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثمّ برأ زوجته من أسفل اضلاعه واسكنه جنّته من يومه ذلك فما استقرّ فيها إلا ستّ ساعات من يومه ذلك حتّى عصى الله تعالى واخرجهما من الجنّة بعد غروب الشمس وما بات فيها^(٤).

وعن ابن الأثير في الكامل قيل: إنّ شيث كان لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات وأنه كان قد جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف

(١) هكذا في النسخ والصحيح: انوش كما في المصدر.

(٢) سعد السعود ص ٣٧-٣٨.

(٣) سعد السعود ص ٤٠ وفيه تسعمائة وست وثلاثون.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٤٥.

وعمل بما فيها وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين.

وقيل: إنه لما مرض أوصى إلى ابنه انوش ومات ودفن مع أبويه بغار أبي قبيس وكان مولده لمضي مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وكانت وفاته وقد امت له تسعمائة سنة واثنتا عشر سنة^(١).

وفي «المعاني» و «الخصال» في خبر أبي ذر عن النبي ﷺ: إن أربعة من الأنبياء سريان يون آدم، وشيث، وادريس، ونوح وإن الله تعالى انزل على شيث خمسين صحيفة^(٢).

وروت العامة عن النبي ﷺ: إن آدم كان كُتِبَ له ألف سنة فوهب لداود ستين سنة ثم رجع^(٣).

وروا عن ابن عباس أنه وهب من الألف أربعين فجحد فأكمل الله لادم الف سنة ولداود مائة سنة وسيأتي في تفسير آية المداينة في آخر السورة عن الصادق ﷺ: أنه وهبه من عمره ستين سنة.

وعن أبي جعفر: أنه وهبه ثلاثين سنة وأنه لما هبط عليه ملك الموت لقبض روحه قال له آدم يا ملك الموت أنه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت: يا آدم الم تجعلها لابنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرضت عليك أسماء الأنبياء من ذريتك وعرضت عليك أعمارهم وانت يومئذ بوادي الدخياء؟

(١) الكامل ج ١ ص ٥٤ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٦٢.

(٢) معاني الاخبار ص ٣٣٣-والخصال ٥٢٤.

(٣) البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

قال: فقال آدم: ما اذكر هذا فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد الم تسأل الله عزوجل أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك فاثبتها لداود في الزبور ومحاهها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتى اعلم ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام وكان آدم عليه السلام صادقاً لم يذكر ولم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم اذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مستي لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه ^(١).

اقول: لکنه كما ترى بظاهره مخالف لما أجمعت عليه الطائفة المحقة على ما مرّت إليه الإشارة من نفي السهو والإسهاء عن الانبياء عليهم السلام ولو في غير ما يتعلّق بالتبليغ ولذا كان الاولي حمله على التقية، والآ فليحمل على ضرب من التأويل ولعلّ الأوّل أقرب سيمّا مع اشتهاار القصة بين العامة وروايتهم لها بطرق متعدّدة.

تبصرة: روى الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات بالاسناد عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح وهو في السفينة أن يطوف بالبيت اسبوعاً فطاف بالبيت اسبوعاً كما أوحى الله تعالى إليه ثمّ نزل في الماء والماء إلى ركبتيه، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله تعالى ﴿يَا أَرْضُ اْبْلَعِي مَاءَكِ﴾ فبلعت مائها من مسجد

(١) علل الشرايع ص ٥٥٣ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٥٩.

الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرّق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة
فاخذ نوح التابوت فدفنه في الغري^(١).

وفي القصص بالاسناد إلى الصدوق باسناده إلى وهب قال: لمّا حضر آدم
الوفاة أوصى إلى شيث وحفر لآدم في غار في أبي قبيس يقال له غار الكنز فلم يزل
آدم في ذلك الغار حتّى كان زمن الغرق إستخرجه نوح في تابوت وجعله معه في
السفينة^(٢).

وقد مرّ في خبر العياشي الطويل المتقدّم أنّ آدم ﷺ أوصى إلى هبة الله ﷺ
وقال له: أنظر يا هبة الله إذا أنامت فاغسلني وكفّني وصلّ عليّ وأدخلني في حفرتي
فاذا مضى بعد وفاتي أربعون يوماً فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعاً
ثم اجعلها في التابوت احتفظ به ولا تامننّ عليه احداً غيرك^(٣). الخبر على ما مرّ.
ثمّ أنّه قد يستشكل في هذه الأخبار فيما ورد عن الصادق ﷺ من أنّ الله
تبارك وتعالى أوصى إلى موسى بن عمران أن اخرج عظام يوسف من مصر ووعدّه
طلوع القمر إلى أن قال ﷺ: فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلمّا
أخرجه طلع القمر فحمّله إلى الشام^(٤).

من وجوه: أحدها: أنّها بظاهاها تدلّ على جواز نقل الموتى بعد الدفن إلى

(١) كامل الزيارات ص ٢٨-٢٩ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

(٢) قصص الانبياء ص ٧٢ ح ٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٩.

(٤) البحار ج ١٢ ص ١٢٧.

المواضع الشريفة أو مطلقاً وظاهر الاصحاب تحريم ذلك حتى قال ابن ادريس: أنه بدعة في شريعة الاسلام سواء كان النقل إلى مشهد او غيره مضافاً الى ظهور إتفاقهم على حرمة النيش بعد الدفن.

وثانيها: أنه قد ورد في جملة من الأخبار أن الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يرفعون بعد الدفن بأبدانهم من الأرض.

ففي «الكافي» و«الفقيه» و«التهذيب» وغيرها عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من نبي أو وصي ^(١) نبي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع بروحه ولحمه وعظامه ^(٢) إلى السماء وإنما يؤتى موضع آثارهم ويبلغونهم عن بعيد السلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم عن قريب ^(٣).

وفي «التهذيب» عن عطية قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا تمكث جثة نبي ولا وصي نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً ^(٤).

الى غير ذلك مما يدل على أنهم يرفعون بأبدانهم العنصرية من الأرض إلى السماء بعد ثلاثة أيام أو أربعين يوماً او غيرها مع أن الظاهر من الأخبار المتقدمة بقاؤهم فيها إلى أن نقلوا من مدفونهم إلى غيره بعد سنين عديدة.

ثالثها: ان ظاهر الاخبار المتقدمة أن الأرض تاكل من أبدانهم وتفرق بين

(١) في نسخة: ولا وصي نبي.

(٢) في البحار: وعظمه.

(٣) بصائر الدرجات ص ٤٤٥ ح ٩.

(٤) بحار الانوار ج ١٠٠ ص ١٣٠.

لحومهم وعظامهم حيث خصّ النقل فيها بالعظام، بل في خبر العياشي اخراج عظامه عليه السلام بعد اربعين يوماً مع أنه قد روى في أخبار كثيرة أنّ لحومهم محرّمة على الأرض وعلى الدود.

ففي «الفقيه» عن الصادق عليه السلام قال: إن الله عزّ وجل حرّم لحومنا على الأرض وحرّم لحومنا على الدود ان تطعم منها شيئاً.

وفيه عنه عليه السلام: أنّ الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئاً^(١).

والجواب عن الأوّل: أنه بعد ثبوت جواز النباش والنقل على فرضه لا بدّ من حمل هذه الأخبار على كونها قضايا في وقائع خاصّة فلا يتعدّى الحكم إلى غيرها على أنّ عدم جواز النقل ليس مقطوعاً به في كلامهم وان كان القول به مشهوراً عندهم بل هي مسألة خلافيّة، وربما استدلّ للقول بالجواز بالأخبار المتقدّمة بناءً على قضاء الاستصحاب ببقاء الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة وبالاصل السالم عن معارضة الدليل، سيّما مع انتفاع الميت بشرافة الأرض وجوار من شرفت به، ولعلّ جوازه كان معلوماً بين الشيعة في الأعصار المتقدّمة القريبة من عصر الامام عليه السلام بحيث ربما يظهر منه تقريره له ورضاه به لذا نُقِلَ عن جملة من علمائنا أنّهم دُفِنُوا ثُمَّ نَقَلُوا كالمفيد من داره بعد مدّة إلى جوار الكاظمين عليه السلام، والمرضى من داره إلى جوار الحسين عليه السلام. والشيخ البهائي من اصبهان إلى المشهد الرضوي

(١) بصائر الدرجات ص ٤٤٣ وعنه البحار ج ٢٢ ص ٥٥٠.

على مشرفه السلام، ولذا أفتى كثير من الاصحاب بجواز النيش للنقل إلى تلك المشاهد وغيرها بل عدّ في «كشف الغطاء» ممّا استثناء من حرمة النيش ان يكون ذلك لا يصله الى محل يرجى فوزه بالثواب أو نجاته من العقاب. كالنقل الى المشاهد المشرفة، بل مقابر مطلق الأولياء والشهداء والعلماء والصلحاء، ثم قال: وربما كان هذا القسم أولى من غيره فيخرجه كلاً أو بعضاً عظماً أو لهما أو مجتمعاً ولولا قيام الاجماع والسيرة على عدم وجوبه لقلنا بالوجوب في بعض المحال بل قد يُحكى عنه أنه قال: لو توقّف نقله على تقطيعه إرباً إرباً جاز ولاهتك فيه للحرمة إذا كان بعنوان النفع له ودفع الضرر عنه كما يصنع مثله في الحيّ وتام الكلام في الفقه.

وعن الثاني: أنه وان كان بين الخبرين منافاة بحسب الظاهر إلا ان لأصحابنا في الجمع بينهما طرقاً منها: أنهم يرفعون بعد الثلاثة ثم يرجعون إلى قبورهم ويؤيده ما قيل: إنه ورد في بعض الاخبار: ان كلّ وصيّ يموت يلحق بنبيّه ثم يرجع إلى مكانه.

وهذا الوجه وإن احتمله شيخنا المجلسي إلا أنه بعيد جداً من سياق الأخبار المتقدمة وغيرها ممّا يدلّ عليه بل مخالف لبعض الأخبار.

مثل ما رواه في كامل الزيارات عن عبدالله بن بكر قال: حججت مع أبي عبدالله عليه السلام إلى أن قال: يا بن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن عليّ هل كان يُصاب في قبره شيء؟ فقال: يا بن بكر ما أعظم مسائلك إن الحسين بن عليّ مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه يرزقون ويحبرون، وأنه لعن يمين العرش

متعلق به يقول: يا رب أنجز لي ما وعدتني^(١)، الخبر.

ومنها: أن أخبار الرفع صدرت لنوع مصلحة تورية لقطع طمع الخوارج والنواصب الذين كانوا يريدون نبش قبورهم واخراجهم منها وقد عزموا على ذلك مراراً فلم يتيسر لهم، وربما يؤيد ذلك بما في بعض الأخبار من أنهم نبشوا قبر الحسين ﷺ فوجدوه في قبره وأنهم حفروا في الرصافة قبراً فوجدوا فيها شعيب بن صالح، وهذا الوجه ضعيف جداً بل هو طرح للأخبار المذكورة من دون شاهد رجماً بالغيب مع أن الله سبحانه قد منع أعدائه من أن ينالوا قبور أوليائه بوجوه من المنع من دون أن يلجئهم إلى مثل هذا الكذب الذي يسرع ظهوره بالتبش فإن المعاندين قد بالغوا في إمحاء قبورهم وآثارهم وإطفاء أنوارهم فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

ومنها: ما احتمله شيخنا المجلسي أيضاً من حمل أخبار نقل العظام على أن المراد نقل الصندوق المتشرف بعظامهم وجسدهم في ثلاثة أيام أو أربعين يوماً وهو بعيد جداً.

ومنها: ما احتمله أيضاً من ردهم بعد الرفع إلى الأرض لترتب تلك المصلحة المقتضية للرفع.

ومنها ما ذكره المحدث الفيض أفاض الله عليه من رحمته بعد نقل الخبر الدال على الرفع حيث قال: حمل هذا الحديث على ظاهره غير مستبعد في عالم

(١) كامل الزيارات ص ٢٣٠.

القدرة وفي خوارق عاداتهم عليهم السلام، مع أنه يحتمل أن يكون المراد باللحم والعظم المرفوعين المثاليين منهما أعني البرزخيين، وذلك لعدم تعلقهم بهذه الأجساد العنصرية فكأنهم وهم بعد في جلايب من ابدانهم قد نفضوها وتجردوا عنها فضلاً عما بعد وفاتهم.

والدليل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَرْوَاحَ شَيْعَتِنَا مِمَّا خَلَقَ مِنْهُ أَبْدَانَنَا** (١).

فأبدانهم ليس إلا تلك الاجساد اللطيفة المثالية، وأما العنصرية فكأنها أبدان الأبدان.

ويدل على ذلك ما ورد: **إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنَ الْمَاءِ تَابُوتًا فِيهِ عِظَامُ آدَمَ ﷺ فَيَدْفِنُهُ فِي الْغُرِيِّ فَفَعَلَ** (٢).
وما ورد: **إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَوْحَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ أَنْ أَخْرِجَ عِظَامَ يُوسُفَ ابْنِ يَعْقُوبَ مِنْ مِصْرَ فَاسْتَخْرِجَهَا مِنْ شَاطِئِ الْمِثْلِ فِي صَنْدُوقٍ مَرْمَرٍ** (٣).

فلولا أن الاجساد العنصرية منهم تبقى في الأرض لما كان لإستخراج العظام ونقلها من موضع إلى موضع آخر بعد سنين عديدة معنى.

واعترضه المحدث البحراني بأنه مبني على ثبوت الأجساد المثالية في النشأة الدنيوية بحيث يكون للروح فيها جسدان مثالي وعنصري، وهذا مما لم يقد

(١) البصائر ص ٧ وفيه: وخلق أرواح شيعتنا من أبدانتنا.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

(٣) بحار الانوار ج ١٣ ص ١٢٧.

عليه دليل، وغاية ما يستفاد من الأخبار: إنَّ المؤمن إذا مات جعل الله روحه في النشأة البرزخية في قالب كقالبه في الدنيا بحيث لو رأيته لقلت: فلان ثمَّ ينقل إلى وادي السلام وأنهم يجلسون حلقاً حلقاً يتحدثون ويتنعمون، وايضاً فتصريح الخبر برفع اللحم والعظم لا ينطبق إلا على الجسد العنصري، لأنَّ إثبات ذلك للجسد الثاني لا يخلو عن تحمل وتعسف لدلالة الخبرين على الرفع بالأبدان العنصرية كما يدلُّ عليه أيضاً.

ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن سعد الاسكاف قال: حدَّثني أبو عبدالله عليه السلام قال: لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام: غسِّلاني وكفِّئاني وحنِّطاني واحمِلاني على سرير واحمِلا مؤخره تكفيان مقدمه، فانكما تنتهيان إلى قبر محفور ولحد ملحود ولبن موضوع فالحداني، واشرجا اللبن عليَّ وارفعوا لبنة ممَّا يلي رأسي فانظرا ما تسمعان، فاخذ اللبنة من عند رأسه فاذا ليس في القبر شيء، وإذا هاتف يهتف:

أمير المؤمنين كان عبداً صالحاً لله فألحقه الله بنبيِّه، وكذلك يفعل بالأوصياء بعد الانبياء حتى لو أن نبياً مات في المشرق ومات وصيُّه في المغرب لألحق الوصيَّ بالنبيِّ^(١).

أقول: وفيه إنَّ الاجسام المثالية في هذا العالم ممَّا لا مساع لأحد إلى انكارها بعد ما دلَّت الآيات الآفاقية والأنفسية على ثبوتها فإنَّ النَّائم يرى فيما يراه أنه قد

(١) فرحة الغري ص ٢ وص ٢٢.

ضرب في الأرض ودخل البلاد وتكلم مع كثير من الأشخاص وشاهدتهم وسمع منهم مع أن بدنه العنصري متدثر بدثار النوم في بيته، وربما يكون كثيراً ممّا رآه موافقاً لما في الواقع إمّا تطبيقاً أو تأويلاً وتحويلاً، بل ربما يرى الأشخاص الكثيرة من الأحياء والأموات، ويتكلم معهم ويستفيد ممّا عندهم مع أن الأبدان العنصرية لتلك الأشخاص غير مشاهد له قطعاً ولعلّها صارت عظماً ورفاتاً، وهو يراهم في صورة الأحياء الذين يشافهمهم ويناظرهم، وحمل الرؤيا على مجرد الخيال من خيالات الفلاسفة، إذ الظاهر من الشرع واهله كونها بالأبدان المثالية للرّائي والمرئي على ما تأتي إليه الإشارة.

بل ربما يدلّ عليه النبوي المستفيض من طريق الفريقين: من رأني فقد رأني فإن الشيطان لا يتشبه بي
 وفي خبر آخر: لا يتمثل بي. وفي ثالث: من رأني في النوم فقد رأني فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي.

وفي رابع: من رأني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يترائي بي.
 وفي خامس: رواه الرضا عليه السلام عنه عليه السلام: من رأني في منامه فقد رأني لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم^(١).

فإن الظاهر منه باختلاف ألفاظه أنّها إنما تكون بالتمثل والتشبه ومعناه تعلق

(١) أمالي الصدوق ص ٦٤ وعنه البحار ج ٤٩ ص ٢٨٣.

الرؤيا حال الرؤيا بالصورة والمثال من جهة المرئي.

وأما كونه من جهة الرائي من جهة المثال فواضح، هذا مضافاً إلى الشواهد الكثيرة الدالة على ثبوتها من الأخبار والاعتبار على ما نشير إليها في تفسير الآيات المتعلقة بأحوال البرزخ والمعاد ولذا يُعزى القول بها إلى كثير من المسلمين.

قال شيخنا المجلسي (رحمه الله) في جملة كلام له: إنَّ الرُّوح يتعلَّق في البرزخ بالأجساد المثاليَّة اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنِّ والملائكة المضاهية في الصُّورة للأبدان الأصليَّة ثمَّ قال: إنَّه وإن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسُّم الرُّوح ايضاً بدون الأجسام المثاليَّة، لكن مع ورود الأجساد المثاليَّة في الأخبار المعتبرة المؤيِّده بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها إلى أن قال: وقد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدس الله روحه وغيره من علمائنا المتكلمين والمحدثين، بل لا يبعد القول بتعلُّق الرُّوح بالأجساد المثاليَّة عند النُّوم ايضاً كما يشهد به ما يرى في المنام، وقد وقع في الأخبار تشبيه حالة البرزخ وما يجري فيها بحالة الرُّؤيا وما يشاهد فيها، بل يمكن أن يكون للنفوس القويَّة العاليَّة أجساد مثاليَّة كثيرة كأثمتنا صلوات الله عليهم حتَّى لا نحتاج إلى بعض التأويلات والتوجيهات في حضورهم عند كلِّ ميِّت وسائر غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السموات كلِّ ليلة جمعة وغير ذلك^(١).

ثمَّ إنَّ من جميع ذلك وغيره يظهر لك ضعف ما ذكره المحدث المذكور في

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٦٩.

جملة كلام له لم نتعرض لحكايته: من أنا لم تقف في الأخبار على ما يدل على ثبوت الأجساد المثالية للأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم بعد الموت فضلاً عما ادّعه المحدث الفيض من الوجود في الدنيا.

إذ فيه أنّ الأخبار على ذلك كثيرة جداً مثل ما ورد من أنّ الملائكة إشتاقت إلى رؤية عليّ بن ابي طالب فخلق الله تعالى صورته في السموات. وإنّ لكلّ مؤمن مثلاً في السماء يفعل كفعله في الدنيا، على ما مرّت الإشارة إليها وإلى غيرها فيما تقدم.

وأما ما ذكره الفيض من رفع المثالي وبقاء العنصري فهو بعيد جداً، بل لعله مقطوع العدم عن مساق أخبار الباب بكثرتها واشتهارها بين العصابة، مع أنّ جميع المؤمنين مشتركون معهم في نقل أبدانهم المثالية عن قبورهم إلى جنان البرزخ، فلا اختصاص لهم بذلك، مع أنّ ظاهر الأخبار هو الإختصاص، ولذا قال المفيد في شرح العقائد: إنّّه قد جاء في الحديث: إنّ الأنبياء خاصّة والأئمة عليهم السلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم وأرواحهم من الأرض إلى السماء فينعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، وهذا خاصّ بحجج الله دون من سواهم من الناس. فرفع أبدانهم العنصرية ممّا لا ريب فيه، نعم من المحتمل قريباً أن يبقى في قبورهم بعد رفعهم بدن من أبدانهم المثالية لما يقصدونهم الناس، وهو الذي يرى في قبورهم عند النّشّ أزمنة طويلة، وإنّما جعل الله هذا المثال لبركات العباد وتوجّهاتهم وضراعاتهم كما جعل في أيام حياتهم وبقائهم بأبدانهم العنصرية في الدنيا مثالهم في السموات ليكون مثابة وامنأ ومطافاً للملائكة.

ومنها: ما ذكره المحدث البحراني بعد تمهيد مقدّمة هي: أنّ الاستفادة من جملة من الأخبار أنّ دفن الميت إنّما يقع في موقع تربته التي خلق منها كما في «الكافي» في الصحيح عن محمد بن مسلم عن أحدهما ﷺ قال: من خلق من تربة دفن فيها^(١).

وفيه عن الصادق ﷺ: إنّ النطفة اذا وقعت في الرحم بعث الله ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها فمائها في النطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها.

الى غير ذلك من الأخبار الدالة عليه وحينئذ فنقول: ما ورد من الأخبار دالاً على رفعهم ﷺ من الأرض بالابدان العنصرية يجب تقييده بما دلّت عليه هذه الاخبار من الدفن في الموضع الاصلي والمقرّ الحقيقي الذي اخذت منه الطينة ويجب حمل خبري عظام آدم ويوسف ﷺ على الدفن في غير الموضع المشار اليه فكأنه إنّما وقع على وجه الإيداع في هذا المكان لمصلحة لا نعلمها والمقرّ الحقيقي إنّما هو الموضع الذي أمر الله سبحانه بالنقل اليه وبعد فيصير الدفن في ذلك الموضع من قبيل ما لو بقي على وجه الأرض من غير دفن في وجوب بقاء الجسد العنصري وإن جاز انتقال كلّ منهما ﷺ إلى بدن مثالي في ذلك العالم لعدم إمكان نقل البدن العنصري حيث إنّه مأمور بنقله إلى ذلك المكان الآخر بعد الإيداع في هذا المكان مدة، فمن أجل ذلك لم يرفعا به، وأمّا وجه الحكم في الدفن أولاً في مكان مع عدم كون المكان الاصلي والتربة الحقيقية، فلا يجب علينا أن نطلب وجهه، وإنما علينا

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٠٢ ح ١.

الإيمان به.

قال: وهذا وجه وجية تلتئم عليه الأخبار من غير تأويل ولا خروج عن ظواهر ألفاظها.

وأما الجمع بين خبري الثلاثة والأربعين فيمكن حمل الأول على أقل المدّة، والثاني على أكثرها، ولعل ذلك بتفاوت مراتبهم عنده سبحانه.

أقول: وهذا الوجه لا بأس به، وإن كان فيه خروج عن ظاهر لفظ الخبر، وغيره من الأخبار الدالة على دفن آدم، وأنه لا يمكث جثة من نبي ولا وصي نبي في الأرض أكثر من كذا وكذا.

ومنه يظهر ضعف ما إدعاه من قيام الأخبار عليه من غير تأويل ولا خروج عن ظواهرها.

وعن الثالث: أن المراد بالعظام في الخبرين تمام البدن باجزائه تسمية للكُلِّ باسم الجزء الذي به قوامه كاطلاق الرقبة على الإنسان فإن العظام دعامة البدن وأشرف ما فيه من وجه حتى أن جميعها يقوم مقام الجسد في الأحكام من وجوب الصلوة على جميع عظام الميت إذا وجدت وكون الاطلاق مجازياً لا بأس به بعد دلالة الأخبار المستفيضة على أن الأرض لا تأخذ من جسدهم بل ولا من جسد شيعتهم بل هو المشاهد أيضاً في كثير من الأزمنة حيث نبشوا قبور بعض المؤمنين فوجدوه غصاً طرياً بعد أن مضى من وفاتهم أعصار طويلة فمن ذلك ما يحكى عن روضة العارفين نقلاً عن بعض الثقات المعاصرين له أن بعض حكّام بغداد رأى بناء قبر شيخنا أبي جعفر الكليني عطر الله مرقدَه فسأل عنه فقيل: إنه قبر بعض الشيعة

فأمر يهدمه فحفر القبر فرآه بكفنه لم يتغير ومدفون معه آخر صغير بكفنه أيضاً فأمر بدفنه وبنى عليه قبة، ويقال: إن بعض حكام بغداد أراد نبش قبر سيدنا أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقال: إن الرافضة يدعون في أئمتهم أنهم لا تبلى أجسادهم بعد موتهم واريدهم أن أكذبهم فقال له وزيره: إنهم يدعون في علمائهم أيضاً ما يدعونه في أئمتهم وهنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم فأمر بحفره فإن كان على ما يدعونه عرفنا صدق مقالهم في أئمتهم وإلا تبين كذبهم، فلما حفروا قبره وجدوه بكفنه كما مر، بل قد وقع مرّة كثيرة بالنسبة إلى الشهداء والعلماء وسائر المؤمنين وقد اتفق في عصرنا أن يهدم قبر الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه بالري فرأوه بكفنه لم يتغير أصلاً، ورآه خلق كثير من أهل طهران ومن الزوار والقوافل إلى أن أمر السلطان محمد شاه غفر الله له بتعمير قبته على ما هو عليه الآن، وقد حدثني جمع كثير من الثقات أنهم رأوا بدنه الشريف.

وأما ما يقال: من أن هذا كله معارض بما روي من أنه كان رجل ذمي في زمن الامام العسكري عليه السلام وأنه كان يمدُّ يده إلى السماء فيقع المطر حتى يضطرب بعض المسلمين فأرسل المتوكل لعنه الله إلى العسكري عليه السلام أن ادرك دين جدك فلما حضر عليه السلام قال للرجل أدع فلما مَدَّ يده قبض عليها الامام عليه السلام وأخذ منها عظماً فقال له أدع ان كنت صادقاً فلما دعا لم ينزل المطر، فقال عليه السلام: إن هذا عظم نبي من انبياء الله وما كشف عظم نبي تحت السماء إلا وقع المطر^(١).

(١) منقول المعنى ومصدره مناقب أبي طالب ج ٤ ص ٤٢٥ ومختار الخرائج ص ٢١٤ وعنهما البحار ج ٥٠ ص ٢٧٠ ح ٣٧ وأخرجه في كشف الغمّة ج ٣ ص ٣١١.

ففيه أنه غير صالح لمعارضة ما سمعت من الأخبار المشتملة على الصحاح وغيرها بعد شهرتها بين الطائفة بل بين مخالفينا ايضاً كما مرّ مضافاً إلى شهادة العيان بصدقها سيّما مع ضعف الخبر المذكور سنداً.

وربما أجاب عنه الشيخ الامجد الاحساني مرّة بأنه يحتمل أن يكون ذلك الخبيث قطعه من جسد ذلك النبي ﷺ وكشط ما به من اللحم، واخرى بأن يكون معنى قوله في تلك الاخبار ان جسده لا يبلى ولا تأكله الأرض أي لا تفني منه شيئاً وان تفكك واختلت بنيته فهذه باقية اذ لا عرض فيها لأنه ﷺ صفاها في الدنيا كمال التصفية فجسده كالذهب الصافي وان تفرّق بالتقطيع والمبرد لا يفنى منه شيء بل اذا جمعته وأذبته رجع بكماله.

اقول وفيهما نظر اما الأول فلان جسد نبي من الأنبياء لم يبق في الأرض في زمان العسكري حتى يقطعه الخبيث ويكشط ما به اللحم إلا أن يبني على شيء من الوجوه المتقدمة من تأخير الرفع او تعقيبها بالنزول او غيرهما وهو غير واضح.

واما الثاني: فلأنه لا وجه لصرف تلك الأخبار عن ظاهرها وارتكاب التأويل فيها ومجرد صفاء أبدانهم من الكدورات والعوارض الدنيوية لا يقضي بارتكاب التأويل فيها بل هو مما يقتضي حملها على ظواهرها فان التفكيك واختلال البنية لا يمكن تطرفه إلى شيء من الأبدان إلا باستيلاء المؤثرات الخارجة عليها وانفعال تلك الابدان منها والمؤثر الخارجي في المقام إنما هي الارض التي تبلى الأبدان وتعيدها رُفاتاً وفتاتاً، وبالجملة فلا وجه لردّ تلك الاخبار، بل في ردّها ردّ أخبار الرفع ايضاً.

تفسير الآية ١٠

﴿ يَا بَنِي ﴾ كلمة «يا» حرف نداء للبعيد. أو كالبعيد كما قال ابن مالك^(١) في ألفيته :

وللمنادى الناء أو كالناء يا وأي وأ، كذا أي ثم هيا
وزعم بعضهم أنّ «يا» اسم فعل معناها أنادي، ولكنّ الفخر الرزاي^(٢) ردّ عليه وقال:
أما الذين فسّروا قولنا: «يا زيد» بأنادي زيدا، أو أخاطب زيدا فهو خطأ من وجوه:
أحدها: أنّ قولنا: أنادي زيدا خبر يحتمل التصديق والتكذيب، وقولنا: يا زيد
لا يحتملها .

وثانيها: أنّ قولنا: يا زيد يقتضي صيرورة زيد منادى في الحال، وقولنا: أنادي
زيداً لا يقتضي تلك .

وثالثها: أنّ قولنا: يا زيد يقتضي صيرورة زيد مخاطباً بهذا الخطاب، وقولنا:
أنادي زيدا لا يقتضي ذلك. لأنه يمتنع أن يخبر إنساناً آخر بأنّي أنادي زيدا.
ورابعها: أنّ قولنا: أنادي زيدا إخبار عن النداء، والإخبار عن النداء غير
النداء ، والنداء هو قولنا يا زيد، فإذا قولنا أنادي زيدا غير قولنا يا زيد^(٣).
وليعلم أنّ «يا» كما تقدّم حرف وضع في أصله لنداء البعيد ولكن قد يُستعمل
في مناداة من سهى وغفل وإن كان قريباً من المنادي، تنزيلاً منزلة البعيد .

(١) هو محمد بن عبد الله الاندلسي الشافعي النحوي اللغوي المقرئ، الأديب المتوفى سنة (٦٧٢) هـ.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين الطبري الأصل الرازي المولد الأشعري الأصول الشافعي
الفروع المعروف بالفخر الرزاي والملقب بابن الخطيب توفي سنة (٦٠٦) هـ.

(٣) التفسير الكبير للرزاي: ج ٢ ص ٨٣.

فإن قيل : فلماذا يقول الداعي: يارب يا الله؟ مع أنه تعالى ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ قيل في الجواب: هو إستبعاد لنفس الداعي من مظان الزلفى هضماً لنفسه، وإقراراً عليها بالتنصيص كما عن زين العابدين وسيد الساجدين عليه صلوات الله في دعائه المشهور المروية عن أبي حمزة الثمالي^(١) أنه قال مناجياً لربه سبحانه: «وأن الراحل إليك قريب المسافة وأنتك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الاعمال دونك .

وقيل بالفارسية :

دوست نزدیک تر از من به من أست

این عجب تر که من از وی دورم

چکنم با که توان گفت که دوست

در کنار من ومن مهجورم

﴿بَنِي﴾ منادى مضاف، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وقد تغير بناء مفردة، وحذفت منه النون للإضافة. وواحدہ ابن شبيه بجمع التكسير، ولذلك قالوا في جمعه: أبناء، وفي جمع سلامته قالوا: بنون، وهو جمع شاذ، وعاملت العرب في هذا الجمع معاملة جمع التكسير فألحقت التاء في فعله كما ألحقت في فعل جمع التكسير قال النابغة^(٢) :

(١) هو ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي، كان لقمان زمانه جليل القدر وكان من مشايخ أهل الكوفة وزهادهم توفي سنة (١٥٠) هـ

(٢) هو قيس بن عبد الله الجعدي العامري، صحابي من المعمرين، جاوز المائة، وكان بمن هجر الأوثان قبل ظهور الاسلام ووفد على النبي ﷺ فأسلم وأدرك صفين فشهدا مع علي عليه السلام، ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية الى أصبهان مع أجد ولاتها فمات فيها نحو سنة (٥٠) هـ الاعلام ج ٦ ص ٥٨.

قالت بنو عامر خالو بني أسد يابؤس للجهل ضراراً لأقوام قد
سُمِعَ الجمع بالواو والنون فيه مُصَغَّرًا، قال يسدد :

أبينوها الأصغر خَلْتِي... وهو شاذٌّ أيضاً.^(١)

وهو مختص بالاولاد الذكور، وإذا أُضيف عمّ في العرف الذكور والإناث
فيكون بمعنى الأولاد - وهو المراد هنا - .

وهو محذوف اللام، وفي كونها ياءً أو واواً خلاف فذهب الى الأول ابن
درستويه^(٢) وجعله مشتقاً من البناء وهو وضع الشيء على الشيء، لأنّ الابن فرع
الأب ومبني عليه، ولهذا ينسب المصنوع الى صانعه، فيقال للقصيد بنت الفكر، وقد
أطلق في الشرائع المنسوخة على بعض المخلوقين أبناء الله تعالى - بهذا المعنى،
لكن لما تصوّر من هذا الجهلة الأغبياء - معنى الولادة - حُظر ذلك حتى صار التفوه
به كفرةً .

وذهب الى الثاني الأخفش وأتدّه بأنهم قالوا: البِنُوّة، وبأنّ حذف الواو أكثر،
وقد حذفت في - أب وأخ - وبه قال الجوهري^(٣)، ولكن لا دلالة في قولهم : البِنُوّة،
لأنهم قالوا أيضاً: الفُتوة، ولا خلاف في أنها من ذوات الياء، وأمر الأكثرية سهل .

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: الابن والولد والنسل والذرية متقاربة
المعاني إلا أنّ الابن للذكر، والولد يقع على الانثى والذكر، والنسل والذرية يقع على
جميع ذلك وأصله من البناء وهو وضع الشيء على الشيء. فالابن مبنيّ على الأب
لأنّ الاب أصل والابن فرع، والبِنُوّة مصدر الابن وان كان من اياء كالفتوة مصدر

(١) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧١ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي أبو محمد توفي ببغداد سنة (٣٤٧) هـ وله

(٨٩) سنة، العبر: ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣) الجوهري: أبو نصر اسماعيل بن حماد الفارابي صاحب «صحاح اللغة» توفي سنة (٣٩٣) هـ .

الفتى، وتثنيته فتیان (١).

﴿إسرائيل﴾ مضاف إليه مجرور وعلامة جرزة الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعظمية والعجبة.

وفيه ثمان لغات: ﴿إسرائيل﴾ وهي لغة القرآن في «٤٣» آية أولها هذه الآية، وهي القراءة المشهورة مهموز ممدود مُشَبَّح، و«إسرائيل» بيثين بعد الألف، وهي قراءة أبي جعفر (٢)، والأعمش (٣)، وعيسى بن عمر (٤) و«إسرائِل» بهمزة ولام، وهو مروى عن ورش (٥) وعن الأخفش، و«إسرال» من غير همز ولا ياء حكى عن قطرب (٦) كما في «مجمع البيان» (٧).

و«إسرئِل» بهمزة مكسورة بعد الزاء، و«إسرائِل» بهمزة مفتوحة بعد الراء

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢. مركز تحقيق كتاب تراث علوم إسلامي

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع الخزومي المدني أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، مات بالمدينة سنة (١٣٠) هـ، غاية النهاية: ج ٢ ص ٢٨٢ رقم ٢٨٨٢.

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الاسدي الكوفي ولد سنة (٦٠) وأخذ القراءة عن جماعة منهم عاصم بن أبي النجود ورواها عنه جماعة منهم حمزة الزيات توفي سنة (١٤٨) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٣١٥.

(٤) هو عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني الكوفي القاريء الاعشى، مقرئ الكوفة بعد حمزة الزيات، مات سنة (١٥٦) هـ، غاية النهاية ج ١ ص ٦١٢.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر المصري الملقب بورش شيخ القراء في زمانه ولد سنة (١١٠) بمصر ورحل الى نافع وعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة (١٥٥) مات بمصر سنة (٢٩٧) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٥٠٢.

(٦) قطرب: أبو علي محمد بن المستنير البصري اللغوي النحوي الأديب البارع مات سنة (٢٠٦) هـ، هدية الاحباب: ص ٢٢٠.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

كما في تفسير القرطبي^(١)، و«إسرائيليين» بالنون حكى عن تعميم كما في جامع القرطبي قال الشاعر:

يقول أهل لسوء لئما جنيا هذا وربّ البسيت إسرائيلينا
و«إسرائيل» بألف مماله بعدها لام خفيفة أو غير مماله، قال أمية:
لا أرى من يعيشني في حياتي غير نفسي إلا بني إسرائيل^(٢)

■ اسرائيل في اللغة ■

هذه الكلمة مركبة من كلمتين: إسرا، وإيل، و«إسرا» في اللغة العبرانية بمعنى العبد كما حكى عن ابن عباس، و«إيل» في هذه اللغة هو الله سبحانه فمعنى اسرائيل: عبد الله، فيكون مثل جبرائيل، وميكائيل، واسرافيل، وعزرائيل .
وقيل: «إسرا» بمعنى الصفوة، و«إيل» هو الله تعالى. فمعناه: صفوة الله، روى ذلك أيضاً عن ابن عباس .

وقيل: «إسرا» مشتق من الأسر، وهو الشدّ فكان اسرائيل الذي شدّه الله وأتقن خلقه ذكره القرطبي وأبو حيان^(٣) .

(١) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري الحزرجي الأندلسي المفسر توفي في التاسع من شوال سنة (٦٧١) هـ.

(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي: ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الجياني النحوي الأديب توفي سنة (٧٤٥) هـ ومن مصنفاته: البحر المحيط في التفسير .

وقيل: أسرى يعقوب ذات ليلة مهاجراً الى الله تعالى فَسَمِّي اسرائيل حكاية القرطبي عن السهيلي (١).

وقيل: أسّر يعقوب جنياً كان يطفىء سُرَج بيت المقدس وكان إسم الجنّي «ايل» وكان يخدم بيت المقدس وكان أوّل من يدخل وآخر من يخرج، ذكره أبو حيان عن كعب (٢).

وقيل: أسرى بالليل هارباً من أخيه «عيمو» الى خاله في حكاية طويلة ذكروها، فأطلق ذلك عليه وهذه أقاويل ضعاف (٣). وفيها تصرفات لا يعتمد عليها. «اسرائيل» هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام.

قال القرطبي: قال ابو الفرج الجوزي (٤): ليس في الأنبياء من له إسمان غيره إلا نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فإنّ له أسماء كثيرة، ذكره في كتاب «فهوم الآثار». قلت: وقد قيل في المسيح: إنه اسم علم لعيسى عليه السلام غير مشتق، وقد سمّاه الله روحاً وكلمة، وكانوا يسمّونه أيل الأيلين، ذكره الجوهري في «الصحاح».

(١) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الاندلسي النحوي اللغوي المفسر توفي سنة (٦٨١) هـ بمراكش.

(٢) كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري أبو اسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذوا عنه كثيراً من أخبار الأمم الغابرة. خرج الى الشام فسكن حمص ومات فيها سنة (٣٢) هـ عن (١٠٤) سنين، وفي البحار ج ٥٧ ص ٩٠: كان عند عمر فاعترف بأن أمير المؤمنين عليه السلام أعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله فغضب عمر، وقال ابن أبي الحديد كما في البحار ج ٢٤ ص ٢٨٩: كان كعب الاحبار منحرفاً عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٧١.

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن علي الحنبلي المفسر الواعظ صاحب تصانيف معروفة، توفي سنة (٥٩٧) هـ.

وذكر البيهقي^(١) في دلائل النبوة عن الخليل بن أحمد^(٢): خمسة من الانبياء ذو اسمين: محمد وأحمد نبينا ﷺ، وعيسى والمسيح، واسرائيل ويعقوب، ويونس وذو النون، وإلياس وذو الكفل صلى الله عليهم وسلم.^(٣)

وفي «عيون الأخبار» باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل وفيه: سأله عن ستة من الأنبياء لهم إسمان؟ فقال عليه السلام: يوشع بن نون، وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو اسرائيل، والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وأحمد ﷺ.^(٤)

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وفي أحاديث أهل البيت عليه السلام تصريح بذلك، منها ما رواه ابن بابويه عليه السلام^(٥) في «علل الشرائع» باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص توأمين، فولد عيص، ثم ولد يعقوب فسمي يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو اسرائيل، ومعنى اسرائيل عبد الله، لأن اسرا هو عبد، وإيل هو الله ﷻ.^(٦)

(١) خليل بن أحمد الأزدي البصري صاحب العربية والعروض وصاحب كتاب العين في اللغة توفي سنة (١٧٥) هـ على أحد الأقوال، العبرج ١ ص ٢٦٨.

(٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي الشافعي الخسروجردي الحافظ الفقيه، توفي بنيسابور سنة (٤٥٨) هـ.

(٣) تفسير القرطبي: ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٥ ب ٢٤ ح ١.

(٥) هو أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي شيخ الحفظه ووجه الطائفة رئيس المحدثين والصدوق فيما يرويه عن الائمة الطاهرين عليه السلام توفي سنة (٣٨١) هـ ودفن بالري قرب عبد العظيم الحسيني قدس الله روحه، هدية الأحاب: ص ٤٩.

(٦) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ١.

وروي في خير آخر: أن لسرا هو للقوة، وليل هو الله ﷻ فمعنى إسرائيل: قوة الله ﷻ. (١)

يابني إسرائيل خطاب لأولاد يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى ولم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل كما تقدم أن معناه عبد الله أو قوة الله أو صفوة الله فهزهم بالاضافة إليه فكأنه قيل: يا بني عبد الله أو يا بني صفوة الله، فكأن في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في العبودية لله والاصطفاء، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطع الله فتضيفه الى ما يحركه لطاعة الله، لأن الإنسان يحب أن يقتفي آثار آباءه وإن لم يكن بذلك محموداً فكيف إذا كان محموداً.

قال شيخ الطائفة^(٢) في «التبيان»: قال أكثر المفسرين: إن المعنى بهذا الخطاب أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله ﷺ، وهو المحكي عن ابن عباس.

وقال الجبائي^(٣): المعنى به بنو إسرائيل من اليهود والنصارى ونسبهم الى الأب الأعلى، كما قال: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٤) (٥). قال أبو حيان: المراد بقوله: «يا بني إسرائيل» من كان بحضرة رسول الله ﷺ

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ٢.

(٢) هو أبو جعفر الطوسي محمد بن الحسن شيخ الطائفة المحقة توفي في ٢٢ محرم سنة (٤٦٠) هـ قال صاحب تحفة المقال السيد حسين البروجردي صاحب تفسير الصراط المستقيم هذا الكتاب في منظومته:

محمد بن الحسن الطوسي أبو جعفر الشيخ الجليل الأنجب
جل الكمالات اليه ينتسب تنجز القبض (٤٦٠) وعمره (٧٥) عجب

(٣) هو أبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة، وأبو شيخ المعتزلة أبي هاشم، توفي سنة (٣٠٣) هـ العبرج ٢ ص ١٣١.

(٤) الاعراف: ٣١.

(٥) التبيان: ج ١ ص ١٨١.

بالمدينة وما يولاهنا حين بني لسير لئيل، أو من أسلم من اليهود وآمن بالنبي ﷺ أو أسلاف بني إسرائيل، أقوال ثلاثة والأقرب الأول، لأن من مات من أسلافهم لا يقال له: ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ﴾^(١) إلا على ضرب من التأويل، ومن آمن منهم لا يقال له: آمِنُوا... إلا بمجاز بعيد^(٢) وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفرًا بها.

﴿اذكُرُوا﴾ فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل، وهو مشتق من الذكر - بكسر الذال وضمها - بمعنى واحد، ويكونان باللسان والجنان .

قال الكسائي^(٣): هو بالكسر للسان، وبالضم للقلب. وضد الأول الصمت، وضد الثاني النسيان .

وعلى الأول يكون المعنى أمرُوا النعم على السنتكم ولا تغفلوا عنها، فإن إمرارها على اللسان ومدارستها سبب لأن لا تنسى .

وعلى الثاني يكون المعنى تتبهنوا للنعمة ولا تغفلوا عن شكرها .

﴿نِعْمَتِي﴾ هي مفعول به منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف إليه .

(١) البقرة: ٤١ .

(٢) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٤ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن حمزة الكوفي الكسائي، أحد القراء السبعة ومؤدب هارون والأمين، وكان من تلامذة الخليل .

قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي مات سنة (١٨٩) هـ العبرج ١ ص ٣٠٢ .

«حدّ النعمة» قال الراغب^(١) في «المفردات»: النعمة: (بالكسر) الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة (بفتح النون): التمتع وبنائها المرّة من الفعل، كالضربة والشتمة، والنعمة، والنعمة (بالكسر) للجنس يقال للقليل والكثير، قال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢)، ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(٣).

وقال الرازي في «مفاتيح الغيب»: النعمة هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان الى الغير، وقولنا: المفعولة على جهة الإحسان لأنها لو كانت منفعة وقصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول به أو قصد الإضرار به لم يكن ذلك نعمة .

إذا عرفت النعمة فلنذكر مطلبين: الأول: أن كل ما يصل إلينا أثناء الليل والنهار في الدنيا والاخرة من النفع ودفع الضرر فهو من الله تعالى على ما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(٤) ثم إن النعمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمة تفرد بها الله تعالى نحو الخلق، والرزق .

وثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره، بأن خلقها وخلق المنعم، ومكّنه من الإنعام، وخلق فيه داعيته ووفقه عليه وهداه إليه، فهذه النعمة في الحقيقة أيضاً من الله ﷻ، إلا أنه تعالى لما أجزاها على يد عبده كان ذلك العبد مشكوراً، ولكن

(١) الراغب الاصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد المفضل الشافعي صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر والادب توفي سنة (٥٠٢) هـ.

(٢) النحل : ١٨ .

(٣) البقرة : ٤٠ .

(٤) النحل : ٥٣ .

المشكور في الحقيقة هو الله عزوجل، ولهذا قال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِرِوَالِدَيْكَ﴾^(١) فبدأ بنفسه .

وثالثها: نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا وهي أيضاً من الله تعالى، لأنه لولا أنه سبحانه وتعالى وفقنا على الطاعات وأعاننا عليها وهدانا إليها وأزاح الأعذار لما وصلنا الى شيء منها. فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله تعالى .

المطلب الثاني: أن نعم الله تعالى على عبده ممّا لا يمكن عدّها وحصرها على ما قال: ﴿وَ إِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢) لأنّ المنفعة هي اللذة، أو ما يكون وسيلة الى اللذة، وجميع ما خلق الله تعالى كذلك، لأنّ كلّ ما يلتذّ به وهو وسيلة الى دفع الضرر فهو كذلك، والذي لا يكون جالباً للنفع الحاضر ولا دافعاً للضرر الحاضر فهو صالح لأن يستدلّ به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة الى معرفته وطاعته وهما وسيلتان الى اللذات الأبدية، فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، والعقول قاصرة عن عدّها .

فإن قيل: فاذا كانت النعم غير متناهية، وما لا يتناهى لا يحصل العلم به في حق العبد فكيف أمر بتذكّرها في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ؟

الجواب أنها غير متناهية بحسب الأشخاص والأنواع، إلا أنّها متناهية بحسب الأجناس، وذلك يكفي في التذكّر الذي يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم^(٣).

(١) لقمان: ١٤ .

(٢) النحل: ١٨ .

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٠-٣١ .

مضافاً إلى أن المراد بالنعيم في الآية، النعم المخصوصة ببني إسرائيل بقريظة «أنعمت عليكم» والنعيم المخصوصة بهم متناهية بكثرتها منها: استنقاذهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه، وأبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض وتخليصهم من العبودية كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٢﴾﴾ (١).

ومنها: جعلهم أنبياء وملوكاً بعد أن كانوا عبيداً للقط، فأهلك أعدائهم واورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٢).

ومنها: أنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمة سواهم كما قال عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

روي عن ابن عباس أنه قال: من نعمة الله على بني إسرائيل أن نجّاهم من آل فرعون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى في التيه، وأعطاهم الحجر الذي كان كراس الرجل يسقيهم ما شاؤوا من الماء متى أرادوا، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم، وأعطاهم عموداً من النور ليضيء لهم بالليل، وكان رؤوسهم لا تنشعث وثيابهم لا تبلى.

(١) القصص: ٦.

(٢) الشعراء: ٥٩.

(٣) المائدة: ٢٠.

واعلم أنه سبحانه ذكرهم بهذه النعم لوجوه:

أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد ﷺ، وهو التوراة والإنجيل والزبور.

وثانيها: أن كثرة النعم توجب عظم المعصية، فذكرهم تلك النعم لكي يحذروا فخالقه ما دعوا إليه من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن.

وثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

ورابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصهم من بين سائر الناس بها، ومن خصّ أحداً بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكأن تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الآتية، وذلك الطمع مانع من إظهار المخالفة والعصيان.

فإن قيل: هذه النعم ما كانت للمخاطبين بهذه الآية، بل كانت لأبائهم فكيف تكون سبباً لعظم معصيتهم؟

قيل في الجواب وجوه:

أحدها: لولا هذه النعم على أبائهم لما بقوا وما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها تعم على الأبناء.

وثانيها: إن الانتساب إلى الآباء وقد خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد.

وثالثها: الأولاد متى سمعوا أن الله تعالى خصّ آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم وإعراضهم عن الكفر والجحود رغب الولد في هذه الطريقة، لأن الولد مجبول على التشبه بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكير داعياً إلى الاشتغال

بالخيرات والاعراض عن الشرور .

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ .

للمفسرين في هذا «العهد» أقوال:

أحدها: جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف .

الثاني: ما حكى عن الحسن البصري^(١) أنه قال: المراد منه العهد الذي أخذه

الله على بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٢) وقال

تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا دُخْلَنَّاكُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٣) فمن وفى الله بعهده، وفى الله له بعهده .

ثالثها: أن المراد أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي

أوف بعهدكم، أي أَرْضَى عَنْكُمْ وَأَدْخَلَكُمْ الْجَنَّةَ، وهو الذي حكاه الضحاك^(٤) عن

ابن عباس، وتحقيقه ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾^(٥).

(١) الحسن بن يسار أبو سعيد البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ومات سنة (١١٠) هـ

العبر ج ١ ص ١٣٦ .

(٢) المائدة: ١٢ .

(٣) المائدة: ١٢ .

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير، كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف

صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم إذا عيى، مات بخراسان سنة (١٠٢) هـ العبر: ج ١ ص

١٢٤ .

(٥) التوبة: ١١١ .

رابعها: أن المراد من هذا العهد ما أثبتته في الكتب المتقدمة من وصف محمد ﷺ، وأنه سببعته على ما صرح بذلك، في سورة المائدة بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(١) إلى قوله ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سِيبَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٢).

قال الطبرسي في «مجمع البيان»: إن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبياً يقال له: محمد. فمن تبعه كان له أجران إثنان: أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراة، وأجر باتباعه محمداً وإيمانه بالقرآن. ومن كفر به تكاملت أوزاره وكانت النار جزاءه. فقال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ في محمد ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أدخلكم الجنة، عن ابن عباس فسمى ذلك عهداً لأنه تقدم به إليهم في الكتاب السابق، وقيل: إنما جعله عهداً لتأكيد بنزلة العهد الذي هو اليمين، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣) وهذا القول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن.^(٤)

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الوفاء ضد الغدر وهو الحفظ والإتمام وعدم النقض.

قال الراغب: وفي بعده يفي وفاءً، وأوفى إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٣ - ٩٤.

واشتقاق ضده وهو الغدر ويدل على ذلك وهو الترك .

وكثيراً ما يستعمل في القرآن متعدياً من باب الإفعال كما في المقام. وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَقُونَ بَعْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(١) ويستعمل من باب التفعيل أيضاً كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾^(٢).

والعهد: حفظ الشيء ومراعاته. حالاً بعد حال والاهتمام به، وهو من الصفات الإضافية له تعلق بالعاهد، والمعهود إليه والمعهود به إلا أن في الأول يكون من الإضافة الى الفاعل، وفي الثاني كذلك إذا كان مع العوض، كما يكون من الإضافة الى المفعول أيضاً.

قال الراغب في «المفردات» قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾^(٣) عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وسنة رسله، وتارة بما نلتزمه كالندور وما يجري مجراها وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ﴾^(٤).

والفرق بين الميثاق والعهد أن الميثاق أخص من العهد لأنه العهد المؤكد بانحاء التأكيدات والتوثيقات، سواء أكان بين الله تعالى وبين خلقه، أم بين خلقه بعضهم مع بعض ومادة «وثق» تدل على كمال التثبيت .

(١) البقرة: ١٧٧ .

(٢) النجم: ٣٧ .

(٣) يس: ٦٠ .

(٤) التوبة: ٧٥ .

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ المعنى: أوفوا بعهدي الذي أبلغته اليكم بواسطة الأنبياء والرسل من المواثيق والطاعات والعبادات، وهي كثيرة يأتي في الآيات التالية تعداد أصولها، ومنها ما عهد إليهم الإيمان بشريعة خاتم المرسلين كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾^(١).

والوفاء بالعهد سواء أكان من الناس أم من الله تعالى يرجع الى مصلحة الناس أنفسهم، وإنما سمي سبحانه ذلك عهداً وأوجب وفاءه على نفسه تحثناً منه وترغيباً لعباده الى الطاعة حيث يكون لهم حق مطالبة الجزاء مع الشرط، فيصير المقام نظير آية الاشتراء: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٢)، مع أن السلعة والمشتري وقدرته وإرادته من الله تعالى.

﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب من باب الإفعال وقرأ الزهري^(٣): «أوفٍ» بالتشديد من باب التفعيل، يمكن أن يكونا بمعنى، ولا فرق بينهما، ويمكن أن يراد به الكثير، وهو إشارة الى عظيم كرمه وإحسانه ومزيد امتنانه، حيث أخبر وهو الصادق أنه يعطي الكثير في مقابل القليل، وهو صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٤).

عن تفسير الإمام عليه السلام: قال الله ﷻ: «يا بني اسرائيل ولد يعقوب اسرائيل الله

(١) البقرة: ٤١.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد العلماء الكبار، ولد

سنة (٥٠) هـ ومات سنة (١٢٤) هـ غاية النهاية: ج ٢ ص ٢٦٢.

(٤) الانعام: ١٦٠.

« اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » لما بعثت محمداً وأقررتة في مدينتكم، ولم أجشمكم الحطّ والترحال اليه، وأوضحت علاماته ودلائل صدقه لئلا يشتهه عليكم حاله. ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ الذي أخذته على أسلافكم وأنبيائكم، وأمرُوا أن يؤدوا الى أخلافهم ليؤمننّ بمحمد العربي القرشي الهاشمي المُبان بالآيات، والمؤيد بالمعجزات التي منها أن كلمته ذراع مسمومة وناطقه ذئب، وحنّ إليه عود المنبر، وكثر الله له القليل من الطعام، وألان له الصلب من الأحجار، وصلبت لديه المياه السائلة، ولم يؤيد نبياً من أنبيائه بدلالة إلا وجعل له مثلها أو أفضل منها، والذي جعل من أكبر آياته علي بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه الباتر، بعد أن قطع معاذير المعاتدين بدليله القاهر، وعلمه الفاصل، وفضله الكامل ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة ومستقر الرحمة، ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ في مخالفة محمد، فإني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على مرافقتي، وهم لا يقدرُون على صرف إنتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي. (١)

وفي تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير (٢)، عن جميل (٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال له رجل: جعلت فداك إن الله يقول: ﴿ اذْعُونِي ﴾

(١) تفسير الامام: ص ٧٦، وعنه البحار: ج ٩ ص ١٧٨ ح ٦ و ج ٢٦ ص ٢٨٧، وتفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ١.

(٢) هو محمد بن زياد بن عيسى المعروف بابن أبي عمير أوثق الناس عند الخاصة والعامة ومن أصحاب الاجماع توفي سنة (٢١٧) هـ.

(٣) هو جميل بن دراج بن أبي الصبيح هو أيضا من أصحاب الاجماع توفي أيام الرضا عليه السلام.

أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(١) وَإِنَّا نَدْعُوا فَلَا يَسْتَجَاب لَنَا؟ قَالَ: لَأَنْكُمْ لَا تُوْفُونَ اللَّهَ بِعَهْدِهِ، وَأَنْ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وَاللَّهُ لَوْ وَفَيْتُمْ اللَّهَ لَوْفَى اللَّهُ لَكُمْ.^(٢)

وفي «أصول الكافي» عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قال: بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أَوْفِ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ.^(٣)

وفيه: عن أحمد بن محمد، عن محمد الحسين، عن عبد الله بن محمد، عن الخشاب، قال: حَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا خَيْثَمَةُ نَحْنُ شَجَرَةُ النَّبُوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمِفْتَاحُ الْحِكْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمَخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَوْضِعُ سِرِّ اللَّهِ، وَنَحْنُ وَدِيعةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَنَحْنُ حَرَمُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَنَحْنُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ عَهْدُ اللَّهِ. فَمَنْ وَفَى بِعَهْدِنَا فَقَدْ وَفَى بِعَهْدِ اللَّهِ، وَمَنْ أَخْفَرَهُمَا^(٤) فَقَدْ خَفَرَ ذِمَّةَ اللَّهِ وَعَهْدَهُ.^(٥)

وفي «تفسير الفرات»^(٦) عن جعفر بن محمد الفزاري^(٧)، عن محمد بن

(١) غافر: ٦٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٣١ ح ٨٩.

(٤) الخفر: الوفاء بالعهد، والإخفار: نقض العهد، والهمزة فيه للإزالة والسلب.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٢١، مرآة العقول: ج ٣ ص ١٠.

(٦) هو أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي من أعلام الشيعة ومن معاصري الكليني، وربما كان من الناحية الفكرية زيدياً ولعلّ السبب في عدم ذكره في الكتب الرجالية هو أنه لم يكن إمامياً حتى تهتم الإمامية به، ولم يكن سنياً حتى تهتم السنة به - راجع مقدمة التفسير ص ١٠ - ١١ - بتحقيق محمد كاظم.

(٧) هو جعفر بن محمد بن مالك الفزاري أبو عبد الله الكوفي وثقه الشيخ الطوسي وقال: يضعفه قوم، روى الفرات عنه في أكثر من مئة مورد.

الحسين الصائغ^(١)، عن موسى بن القاسم^(٢)، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ قال: أوفوا بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فرض من الله أوف لكم الجنة^(٣).

وفي «معاني الأخبار» باسناده إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وفى له، ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه سام، فما وفّت أمته له، ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه اسماعيل، فما وفّت أمته، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون، فما وفّت أمته، ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء، وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا، فما وفّت أمته، وإني مفارقكم عن قريب، وخارج من بين أظهركم، ولقد عاهدت إلى أمتي في عهد علي بن أبي طالب، وإنها لراكبة سنن من قبلها من الأمم في مخالفة وصيي وعصيانه، ألا وأني مجدّد عليكم عهدي في عليّ فمن نكث فأنما ينكث علي نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

أيها الناس إنّ علياً إمامكم، وخليفتي من بعدي عليكم، وهو وصيي ووزير وأخي وناصر ووزوج ابنتي، وأبو ولدي وصاحب شفاعتي وحوضي ولوائمي من

(١) محمد بن الحسين أبو جعفر الصائغ توفي سنة (٢٦٩) هـ.

(٢) موسى بن القاسم بن معاوية البجلي قال النجاشي: ثقة ثقة جليل حسن الطريقة له كتب، ووثقه الشيخ وقال: له ثلاثون كتاباً.

(٣) تفسير الفرات: ص ٥٨ ح ١٨.

أنكره فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله تعالى ومن أقرّ بامامته فقد أقرّ بنبوّتي،
ومن أقرّ بنبوّتي فقد أقرّ بوحدانية الله ﷻ.

يا أيها الناس من عصي عليّاً فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصي الله، ومن
أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله ﷻ.

يا أيها الناس من ردّ عليّ في قول أو فعل فقد ردّ عليّ ومن ردّ عليّ فقد
ردّ الله فوق عرشه .

يا أيها الناس من إختار منكم عليّ عليّاً فقد إختار عليّ نبياً، ومن إختار
عليّ نبياً فقد إختار عليّ الله ﷻ ربّاً .

يا أيها الناس إنّ عليّاً سيّد الوصيّين وقائد الفرّ المحجّلين، ومولى المؤمنين،
ووليّه وليّتي، ووليّ الله، وعدوّه عدوّي وعدوّي عدوّ الله ﷻ.

أيها الناس أوفوا بعهد الله في عليّ يوف لكم بالجنة يوم القيامة. (١)
﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ﴾ إياي ضمير منفصل منصوب بفعل مقدّر بعده يفسّره
الفعل المذكور أي إياي إرهبوا، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «فارهبون» لأنه
مشغول كما لا يجوز في قولك: «زيداً فأكرمه» أن يكون منصوباً بقولك «فأكرمه»
وعدم ظهور الفعل الناصب لاستغناءه عنه بما يفسّره .

﴿فَارْهَبُونَ﴾ الرهبة، والخشية، والمخافة نظائر .

وقال الراغب في «المفردات»: الرهبة والرهب مخافة مع تحرّز واضطراب،

«وإياي فارهبون» أي فخافون. (٢)

(١) معاني الأخبار: ص ٣٧٢-٣٨٣ ح ١، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ٥ .

(٢) المفردات كتاب الراء: ص ٢٠٤ .

وقال الشيخ في «التبيان»: الفرق بين الخوف والرهبة أن الخوف هو شك في أن الضرر يقع أم لا. والرهبة معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط، فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع. (١)

وقال الرزاي في «مفاتيح الغيب»: اعلم أن الرهبة هي الخوف، قال المتكلمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه، وقد يقال في المكلف: إنه خائف على وجهين: أحدهما مع العلم، والآخر مع الظن، أما مع العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به، واحترز عن كل ما نهى عنه، فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل، وعلى هذا تصف الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْعِهِمْ﴾ (٢) وأما الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل الأمور واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب .
واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس .

روي: أنه ينادي مناد يوم القيامة: وعزتي وجلالي إني لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، ومن أمني في الدنيا خوفته يوم القيامة، ومن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة. (٣)

(١) التبيان: ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) النحل: ٥٠ .

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠، الخصال: ج ١ ص ٣٩، وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع لك أمنين، فإذا أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة .

اعلم أن الفاء في «فَارْهَبُونِ» وأمثاله المكررة في القرآن كثيراً فيها قولان: أحدهما: أنها فاء الجواب المقدر، تقديره: تنبهوا، كقولك، «الكتاب فخذ» أي تنبه فخذ الكتاب، ثم قدّم المفعول إصطلاحاً للفظ ثلثاً تقع الفاء صدرأ، والقول الثاني: أنها زائدة .

والنون في «فارهبون» ليس نون الجمع لأنها مكسورة ونون الجمع محذوفة جزماً، بل هي نون الوحدة والوقاية تدلّ بكسرها على ياء محذوفة .
وقرأ ابن أبي اسحاق: «فارهبوني» بالياء على الأصل .^(١)

قال الطبرسي في «المجمع»: حذف الياء لأنه رأس آية ورؤوس الآي لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوي فيها الوقف، كما يفعل ذلك في القوافي، وأجمعوا على إسقاط الياء من قوله: «فارهبون» إلا ابن كثير^(٢)، فإنه أثبتها في الوصل دون الوقف، والوجه حذفها لكرهية الوقف على الياء، وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء .^(٣)

ويستفاد من جملة «وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ» حصر الرهبة في الله تعالى، كما في «إِيَّاكَ نَعْبُدُ»، بل قال الزمخشري: «وهو أوكذ في افادة الاختصاص من «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» .^(٤)

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٧٦ .

(٢) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو عبد المكي القاريء المقري في مكة المكرمة ولد بها سنة (٤٥) هـ ومات سنة (١٢٠) هـ غاية النهاية: ج ١ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢ .

(٤) الكشاف للزمخشري: ج ١ ص ١٣١ .

قال المجلسي قدس سره في البحار: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ قيل: الرهبة خوف معه تحرّز، ويدلّ على أنّ المؤمن ينبغي ألا يخاف أحداً إلا الله ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾^(١)، أي بالايمن واتباع الحق والإعراض عن الدنيا، وقيل: الرهبة مقدّمة التقوى.^(٢)

وفي «الخصال»: أنواع الخوف خمسة: خوف، وخشية، ووجل، ورهبة، وهيبة، فالخوف للعاصين، والخشية للعالمين، والوجل للمحبّتين، والرهبة للعابدين، والهيبة للعارفين.

أما الخوف فلأجل الذنوب، قال الله ﷻ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٣)، والخشية لأجل رؤية التقصير، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤)، وأما الوجل فلأجل ترك الخدمة قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٥)، والرهبة لرؤية التقصير قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٦) يشير الى هذا المعنى.^(٧)

(١) البقرة: ٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) حج: ٣٥.

(٦) آل عمران: ٢٩ و ٣٠.

(٧) الخصال: ٢٨١.

﴿وَإِنِّي قَارِهٌ بَيْنَ﴾ أي لا بد أن يكون الخوف من الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير، والمطلع على الضمائر والظواهر، فإن الرهبة إن كانت لأجل عظمة الموهب منه وجلاله فلا نهاية لهما فيه ﷺ، وإن كانت لأجل علمه بموجبات السخط والعقاب فلا يعزب عن علمه شيء في السماوات والأرض، وإن كانت لأجل قهاريته التامة فهي من أخص صفاته، وعهوده هبات منه ﷺ فيكون نقضها عظيماً.

تفسير الآية (١)

﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِتُونَ﴾

﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ عطفت على ما تقدم، وتفصيل بعد إجمال، فإن قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾^(١) يشمل الإيمان بالنبي ﷺ، إلا أنه تعالى ذكره بالخصوص تنبيهاً لهم، وتعظيماً لأمره، وهذه الآية المباركة تدل بالدلالة الالتزامية العادية على اخبار موسى ﷺ بشريعة خاتم الأنبياء ﷺ لأن كل شريعة سابقة لا بد أن تخبر بالشرعية اللاحقة، كما أخبر تعالى عن الشرائع السابقة في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ يدل على تصديق هذه الشريعة لما تقدم

من الشرائع.

(١) سورة البقرة: ٤٠.

﴿وَأْمِنُوا﴾ المخاطبون به هم بنو إسرائيل بدليلين: الأول: أنه معطوف على قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾^(١) والثاني: قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف^(٢) وأصحابه علماء اليهود ورؤسائهم فهو أمر لهم، وأفرد سبحانه الإيمان بعد إندراجهم في ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ بمجموع الأمر به والحث عليه المستفاد من قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ للإشارة إلى أنه المقصود للوفاء بالعهود.

والظاهر أن المخاطبين بهذه الآيات جميع بني إسرائيل كما تقدم ويندرج فيه كعب ومن معه.

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

﴿يَمَا أَنْزَلْتُ﴾، ﴿مَا﴾ موصولة و﴿أَنْزَلْتُ﴾ صلته والعائد محذوف، أي أنزلته.

وقيل: ﴿مَا﴾ مصدرية، قال أبو حيان الأندلسي: وابتعد من جعل ما مصدرية

(١) سورة البقرة: ٤٠.

(٢) كعب بن الأشرف الطائي من بني نهبان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية. يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر والطعام، أدرك الإسلام ولم يسلم. وأكثر من هجو النبي وأصحابه وتحريض القبائل عليهم. والتشبيب بنسائهم، وخرج إلى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها وحض على الأخذ بثارهم، وعاد إلى المدينة، وأمر النبي بقتله فانطلق إليه خمسة من الانتصار وقتلوه سنة (٣) هـ، الاعلام: ج ٦ ص ٧٩ - ٨٠.

وَأَنَّ التَّقْدِيرَ - وَأَمِنُوا بِانزَالِي لِمَا مَعَكُمْ مِنَ التَّوْرَةِ - فَتَكُونُ اللَّامُ فِي ﴿لِمَا﴾ مِنْ تَمَامِ الْمَصْدَرِ لَا مِنْ تَمَامِ ﴿مُصَدِّقًا﴾، وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يَكُونُ ﴿لِمَا مَعَكُمْ﴾ مِنْ تَمَامِ ﴿مُصَدِّقًا﴾، وَاللَّامُ عَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فِي ﴿لِمَا﴾ مَقْوِيَةٌ لِلتَّعْدِيَةِ كَاللَّامِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾^(١).

والمراد بما أنزل الله تعالى هو القرآن، والذي معهم هو التوراة والانجيل.
وقال قتادة^(٢): المراد بما أنزلت من كتاب ورسول يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل^(٣).

وإذا تدبرنا الكتاب الكريم وتعقلنا معنى النزول والإنزال من الله تعالى علمنا أن النزول والإنزال لم يكونا من السماء المحسوسة بالبصر، فإن الله سبحانه وتعالى منزّه عن المكان بل المراد النزول والإنزال عن مقام أسمى من التصور.

فكما أن القرآن نازل إلى أراضي القلوب من سماء الربوبية كذلك الرسول نازل برسائله ووحيه - وتحمّل الآية الكريمين كليهما - وصرّح سبحانه بأنه تعالى أنزل كتابه وأنزل رسوله - قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ

(١) البروج: ١٦.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري - مفسر حافظ ضريبر أكمه - كان أحفظ أهل البصرة - ولد سنة (٦١) هـ ومات بواسط سنة (١١٨) هـ، الاعلام: ج ٦ ص ٢٧.

(٣) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي محمد بن يوسف المتوفى (٧٥٤): ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧.

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ - ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٢).
وكما أن القرآن يصدق كتبهم المنزلة من الله تعالى وانبيائهم كذلك الرسول ﷺ يصدق كتبهم وانبيائهم.

قال صدر المتألهين (٣) في تفسير في ذيل الآية الكريمة: أمرهم بالإيمان بعدما أمرهم بايفاء عهد الله تنبيهاً على أنه العمدة في ذلك، بل لأحد أن يقول: إن الإيمان بما أنزل الله هو عين الإيفاء بعهد الله، على التأويل الذي سبق ذكره (٤) في معنى العهد، وهو النور الذي يتنور به القلوب - ويسلك به سبيل الآخرة، وينكشف به حقائق الأمور، ويطلع به الإنسان على الحضرة الإلهية وأفعاله وآثاره ولطفه، وحكمته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٥)
فالنور هو جنس معاني القرآن والكتاب آيات أفاضه وهو آي القرآن منزل

(١) الكهف: ١.

(٢) الطلاق: ١٠ - ١١.

(٣) هو محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الحكيم المتأله كان عالم أهل زمانه في الحكمة صاحب الأسفار الأربعة - توفي بالبصرة وهو متوجه الى الحج سنة (١٠٥٠) هـ يروي عن المحقق الداماد والشيخ البهائي - قال صاحب تفسير الصراط المستقيم في منظومته الرجالية:

ثم ابن ابراهيم صدر الأجل	في سفر الحج (مريض) ارتحل
قدوة أهل العلم والصفاء	يروى عن الداماد والبهائي

(٤) تفسير الصدر: ج ٣ ص ١٩١.

(٥) المائدة: ١٥.

من الله تعالى الى قلب النبي ﷺ أمرهم بالتصديق بهذا القرآن المنزل، وأخبرهم أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة والإنجيل لأن الذي في القرآن مصداق لهما ومؤكد للايمان بهما. من حيث إنه مطابق لهما في القصص، والمواعيد، والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة، والعدل بين الناس، والنهي عن المعاصي والفواحش.

وما يخالفها من الأحكام الجزئية إنما هو بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحدة منها حقٌ بالإضافة إلى زمانه، مراعى فيها صلاح الأنام، ومن خوطب بالكلام من الله، حتى لو نزل المتقدم من الأحكام في الأيام المتأخر منهما لكان على وفقه بأبلغ وجه، ولذا قال ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي»^(١).

وقيل: معنى «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» أنه تصديق بالتوراة والإنجيل لأن فيهما الدلالة على أنه حق، وأنه من عند الله، وفيهما البشارة ببعثة محمد ﷺ، وبيان نعوته وصفاته، فكان الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن تصديقاً للتوراة والإنجيل، وتكذيبه تكذيباً لهما.

والتفسير الثاني أولى لأن يكون حجة عليهم إذ على التفسير الأول لقائل أن يقول: التوافق في بعض المعاني لا يوجب أن يكون القرآن من عند الله فلا يلزم عليهم وجوب الايمان به.

وأما على الثاني فيلزم عليهم الإيمان بحقيقة القرآن وتصديق الرسول ﷺ إذا

اشتمل الكتابان على كون محمد ﷺ صادقاً، فالإيمان بهما يوجب الإيمان بما يقوله ﷺ.

وبالجملة فالدال على اثبات نبوته هاهنا وجهان: أحدهما: شهادة كتب الأنبياء عليها وهي لا تكون إلا حقاً، والثاني: إخباره عما في كتبهم ولم يكن له معرفة بما فيها إلا من قبل الوحي. (١)

﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ الظاهر أن ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، وهي حال مؤكدة، والعامل فيها «أنزلت» واللام في «لما» مقوية، و«ما» إسم موصول في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمصدقاً، و«معكم» ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الأعراب لأنه صلة الموصول. سؤال، وجواب، هل القرآن يصدق كل ما مع اليهود، أي يصدق العهد العتيق بأجمعه أي التوراة التي بأيديهم الآن، أم لا يصدق كله بل بعضه وماذا هو البعض؟ هناك آيات تصرح بأن اليهود والنصارى حرقوا أقساماً من آيات الوحي، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.... قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٣).

(١) تفسير صدر المتألهين: ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٧٩.

فلا يعقل أن يصدق القرآن الأكاذيب التي أدخلوها في التوراة إذا فليس المراد تصديق كل ما معهم، بل المصدق بعض ما معهم، وما هو إلا البشارات الموجودة في التوراة، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾^(٢).

وقد يشير إلى ما معهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).
 ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لا تسارعوا إلى الكفر به من بين أهل الكتاب أو من بني اسرائيل، فإن وظيفتكم أن تكونوا أول المؤمنين به لأنكم تعرفون حقيقته، وقد كنتم من قبل تقولون: إنا نكون أول تابع له.

ولا يكون المراد بالأول مطلقاً، فإن كفار مكة كانوا قد سبقوهم إلى الكفر به. ونقل عن أبي العالية^(٤) أنه قال: معناه «لا تكونوا السابقين إلى الكفر به، أي

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة النساء: ٤٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) هو زُفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري أدرك الجاهلية وأسلم بعد إرتحال النبي ﷺ بسنتين، وروى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه جماعة، كان عالماً بالقرآن، وقال أبو بكر

لا تكونوا أئمة في الكفر به»^(١)

ولا يبعد هذا الوجه فإنّ الناس في المذاهب والملل يتبعون أهل الكتاب وأهل العلم في أكثر الأزمنة، ومعلوم أنّ الخطاب في الآية مع أئمة أهل الضلال وعلماهم الذين شأنهم كتمان الحق الذي في الكتب، وتلييسه بالباطل، وتحريف الكلم عن مواضعه كما هو عادة علماء السوء.

وعظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم وقدوتهم في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم وكفرهم أشدّ، إذ كما أنّ السابقين من الإبطان أعظم قدراً في الثواب واشدّ قرباً من الله تعالى لقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) كذلك السابقون إلى الكفر كانوا أعظم ذنباً متّين بعدهم واشدّ ضللاً وأكثر بعداً عن الحق.

ولما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(٣).

وعن ابن جريح^(٤): أن المعنى: لا تكونوا أول جاخذ جحد صفة النبي ﷺ في

= بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، مات يوم الثالث من شوال سنة (٩٠) هـ تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٢٠.

(١) مجمع البيان: ج ٦ ص ٩٤.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) كنز العمال: ج ٥ ص ١٨٠، بحار الانوار: ج ٧١ ص ٢٥٧.

(٤) هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الرومي المكي قيل: إنه كان أول من صفّ به

الكتب بالحجاز. توفي سنة (١٥٠) هـ المعبر: ج ١ ص ٢١٣.

كتابكم - فعلى هذا تعود الهاء في «به» الى النبي ﷺ .

قال الطبرسي في «المجمع»: وليس في نهيه عن أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه يجوز أن يكونوا آخر كافر، لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال، وخصّ أولاً بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر^(١):

من اناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
وليس يريد أن فيهم فحشاً آجلاً^(٢).

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ قال الرازي: فيه سؤالان: أحدهما: كيف جعلوا

أول من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب؟

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفة من به وبصفته، ولأنهم كانوا هم المبشرون بزمان محمد ﷺ والمستفتحون على الذين كفروا به فلما بعث كان أمرهم على العكس لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٣).

ثانيها: يجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك من أهل مكة، أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه المذكوراً في التوراة والإنجيل مثل من لم يعرفه

(١) هو سويد بن أبي كاهل شبيب بن حارثة بن حسل بن مالك أبو سعد شاعر متقدم من مخضرمي الجاهلية والاسلام وكان من المعتمدين مات بعد سنة (٦٠) هـ، خزانة البغدادي: ج ٢ ص ٥٤٧.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٨٩.

وهو مشرك لا كتاب له.

ثالثها: ولا تكونوا أول كافر به من أهل الكتاب، لأن هؤلاء كانوا أول من كفر بالقرآن من بني إسرائيل وان كانت قريش كفروا به قبل ذلك.

ورابعها: ولا تكونوا أول من كفر بكتابكم، يقول ذلك لعلمائهم، أي ولا تكونوا أول من كذب كتابكم من أممكم، لأن تكذيبكم بمحمد ﷺ يوجب تكذيبكم بكتابكم.

خامسها: أن المراد منه بيان تغليظ كفرهم، وذلك لأنهم لما شاهدوا المعجزات الدالة على صدقه عرفوا البشارات الواردة في التوراة والإنجيل بمقدمه فكان كفرهم أشد من كفر من لم يعرف إلا نوعاً واحداً من الدليل.

سادسها: ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة، لأن كفر قريش كان مع الجهل لا مع المعرفة.

سابعها: ولا تكونوا أول كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه.

السؤال الثاني: أنه كان يجوز لهم الكفر إذا لم يكونوا أولاً، والجواب من

وجوه:

أحدها: أنه ليس في ذكر تلك الجملة دلالة على أن ما عداها بخلافها.

ثانيها: أن في قوله تعالى: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ دلالة على أن كفرهم أولاً وآخرًا محظور.

وثالثها: أن قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾^(١) لا يدل على وقوع قتل

الانبياء بحق، وقوله تعالى عقيب هذه الآية: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا يدل على إباحة ذلك بالثمن الكثير، فكذا هاهنا، بل المقصود من هذه السياقة إستعظام وقوع الجحد والإنكار ممن قرأ في الكتب نعت رسول الله ﷺ وصفته.

رابعها: قال المبرّد^(١): هذا الكلام خطاب لقوم خطبوا به قبل غيرهم، فقيل لهم: لا تكفروا بمحمد ﷺ فإنه سيكون بعدكم الكفار فلا تكونوا أنتم أول الكفار، لأن هذه الأولية موجبة لمزيد الإثم، وذلك لأنهم إذا سبقوا إلى الكفر أولاً، فإن إقتدى بهم غيرهم في ذلك الكفر كان لهم وزر ذلك الكفر ووزر كل من كفر إلى يوم القيامة، وإن لم يقتد بهم غيرهم اجتمع عليهم أمران: أحدهما: السبق إلى الكفر، والثاني: التفرد به ولاشك أنه منقصة عظيمة.^(٢)

وقال أبو حيان في «البحر المحيط»: النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوْلَىٰ كَافِرِيهِ﴾ لا يدل على إباحة الكفر لهم ثانياً أو أخيراً لأن الصفة لا مفهوم لها هنا. ولما أشكلت الأولية هنا زعم بعضهم أن (أول) صلة يعني زائدة، والتقدير: ولا تكونوا كافرين به، وهذا ضعيف جداً.

وزعم بعضهم أن ثم محذوفاً معطوفاً تقديره: ولا تكونوا أول كافر به ولا آخر كافر، وجعل ذلك ممّا حذف المعطوف لدلالة المعنى عليه.

(١) هو أبو العباس المبرّد محمد بن يزيد الأزدي البصري إمام أهل النحو في زمانه، وصاحب التصانيف، أخذ عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني وتصدر ببغداد، من مصنفاته «الكامل» و«المقتضب» و«طبقات النحاة البصريين»، و«معاني القرآن»، توفي ببغداد سنة (٢٨٥) هـ، العبرج ٢ ص ٨٠، هدية الأحباب: ص ٢٢٩.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ج ٣ ص ٤١ - ٤٢.

وتأوله بعضهم على حذف مضاف، أي ولا تكونوا مثل أول كافر به، أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكوراً في التوراة موصوفاً، مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له .

وبعضهم على صفة محذوفة، أي أول كافر به من أهل الكتاب^(١)

❖ بحث صرفي لغوي نحوي ❖

قوله تعالى: ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ قال القيسي^(٢) في «مشكل اعراب القرآن»: «أول» اسم لم ينطق منه بفعل عند سيبويه^(٣)، ووزنه (أَفْعَل) فاؤه واو، وعينه واو ولذلك لم يستعمل منه فعل لاجتماع الواوات.

وقال الكوفيون: هو أَفْعَلٌ من (أوال) إذا لجأ، فأصله (أوال) ثم خففت الهمزة الثانية بأن أبدل منها واواً وأدغمت الأولى فيها كما قالوا في تخفيف «مقروءة»: «مقروءة».

وكان الأحسن - لو خفف على القياس - أن يقال: (أول) يلقي حركة الهمزة

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٧.

(٢) القيسي هو أبو عماد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني، ولد سنة (٣٥٥) وسكن قرطبة، ثم هاجر إلى مكة المكرمة ومصر وحضر عند أساتذة الأدب والقرآن والحديث وصنف مصنفات قيمة إلى أن توفي سنة (٤٣٧) هـ، بغية الوعاة: ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) هو أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البضاوي العراقي البصري النحوي، كان من تلامذة الخليل، صنف في النحو «الكتاب» ومات على الصحيح سنة (١٨٠) هـ العبر: ج ١ ص ٢٧٨ - هدية الاحباب: ص ١٥٣.

على الواو.

وقيل: إنَّ «أوّل» أفعل من «آل يؤول» فأصله «أءوّل» ثم قلب، فردّت الفاء في موضع العين، فصار «أوأل» فصنع به من التخفيف والبدل والإدغام ما صنع في القول الأوّل، فوزنه بعد القلب «أفعل»^(١)

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ يتخيّل هنا مشكلة وهي أنّه لماذا قال تعالى: ﴿كَافِرٍ﴾ ولم يقل: «الكافرين»؟

وأجيب بأنَّ «كافر» وصف لموصوف محذوف وهو مفرد لفظاً وجمع معنأً، وتقديره: «أول فريق كافر» وهذا من تأويل المفضّل عليه. ويمكن تأويل المفضّل، أي لا يكن كلّ واحد منكم كافراً والمراد عموم السلب كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾^(٢).

وبعض الناس لا يوجب في مثل هذا المطابقة بين النكرة التي أضيف إليها أفعل التفضيل وبين ما جرى هو عليه، بل يقول: يجوز الوجهان، واستدلّ بقول الشاعر:

وَإِذَا هُمْ طَعَمُوا فَأَلَأْمُ طَاعِمٍ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرٌّ جِيَاعٍ
وحكى سيبويه: هو أظرف الفتیان وأجمله.

(١) مشكل اعراب القرآن: ج ١ ص ٤٢.

(٢) سورة القلم: ١٠.

وزعم الأخفش^(١) والفراء^(٢): أنه محمول على معنى الفعل، لأنَّ المعنى أوَّل من كفر به^(٣).

وهنا مشكلة أخرى: وهي عدم تطابق الخبر والمبتدأ في الجمع والإفراد في جملة: «ولا تكونوا أوَّل»

وأجيب بأنَّ أفعال التفضيل إذا جُرِّد من «أل» ومن الإضافة - أو أضيف إلى نكرة يجب ان يكون مفرداً ومذكراً
يقول ابن مالك في الفَيْتة :

وأفعل التفضيل صلته أبداً بـ «من» إن جُرِّدا
وإن لمَنكُور يُضَفَّ أو جُرِّدا ألزم تذكيراً وأن يُوحَّدا

مركز تحقيق كتاب ترمذ علوم إسلامي

❖ تفسير الآية وباطنها وتأويلها ❖

وفي تفسير العياشي عن جابر الجعفي^(٤)، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية في باطن القرآن: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا

(١) هو الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي، ثم البصري ابو الحسن، نحوي عالم باللغة والأدب، وأخذ العربية عن سيبويه وصنف كتباً منها «معاني القرآن» مات سنة (٢١٥) هـ، الاعلام: ج ٣ ص ١٥٤.

(٢) الفراء: يحيى بن زياد الديلمي ابوزكريا النحوي اللغوي كان اعلم الكوفيين في النحو، مات سنة (٢٠٧) هـ هدية الاحباب: ص ٢١٠.

(٣) الجامع للقرطبي: ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) هو جابر بن يزيد الجعفي أبو عبدالله عليه السلام لقي أبا جعفر وأبا عبدالله عليه السلام، وثقه النجاشي وغيره توفي سنة (١٢٨) هـ وقال يحيى بن معين: مات سنة (١٣٢). جامع الرواة: ج ١ ص ١٤٤.

أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴿ يعني فلاناً وصاحبه ومن تبعهم ودان بدينهم قال الله يعينهم ولا تكونوا
أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ يعني علياً عليه السلام (١).

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الإشتراء مجاز عن الإستبدال لإختصاصه
بالأعيان، إمّا باستعمال المقيّد في المطلق كالمرسّن في الأنف، أو تشبيه الإستبدال
المذكور بالاشتراء الحقيقي في كونه مرغوباً فيه.

والمعنى والله أعلم: ولا تستبدلوا بآياتي العظيمة أشياء حقيرة خسيصة، ولو
أدخل الباء على الثمن دون الآيات لا نعكس المعنى إذ كان يصير المعنة أنهم بذلوا
ثمناً قليلاً وأخذوا الآيات.

قال الشيخ الطوسي رحمته في «التبيان»: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا﴾ فأدخل الباء في الآيات دون الثمن وفي سورة يوسف في الثمن في قوله:
﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (٢) قال الفراء: إنما كان كذلك، لأنّ العوض كلّها أنت مخير
فيها في إدخال الباء، إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساء، وإن شئت قلت إشتريت
بالثوب كساء، أيهما جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير
وضعت الباء في الثمن كقوله: «بثمن بخص» لأنّ الدراهم ثمن أبدأً (٣).

وقال أبو حيّان في «المحيط»: نفس الآيات لا يشتري بها فاحتيج إلى حذف
مضاف، فقيل: تقديره بتعليم آياتي، قاله أبو العالية، وقيل: بتغيير آياتي، قاله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤٢ ح ٣١ وعنه البرهان: ج ١ ص ٩١ وإثبات الهداة: ج ٣ ص
٥٤٠.

(٢) سورة يوسف: ٢٠.

(٣) التبيان: ج ١ ص ١٨٨.

الحسن^(١)، وقيل: بكتمان آياتي، قاله السدي^(٢)، وقيل: لا يحتاج إلى حذف مضاف، بل كني بالآيات عن الاوامر والنواهي.

وعلى الأقوال الثلاثة التي قبل هذا القول تكون الآيات ما أنزل من الكتب أو القرآن، أو ما أوضح من الحجج والبراهين، أو الآيات المنزلة عليهم في التوراة والإنجيل المتضمنة الأمر بالإيمان برسول الله ﷺ.

وعلى الأقاويل في ذلك المضاف والمقدر، والقول بعدها اختلفوا في المعنى بقوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

فمن قال: هو التعليم قال: الثمن القليل هو الاجرة على التعليم، وكان ذلك ممنوعاً في شريعتهم، أو الراتب المرصد لهم على التعليم فنهوا عنه. ومن قال: هو التغير قال: الثمن القليل هو الرئاسة التي كانت في قومهم خافوا قواتها لو صاروا أتباعاً لرسول الله ﷺ.

ومن جعل الآيات كناية عن الاوامر والنواهي جعل الثمن القليل هو ما يحصل لهم من شهوات الدنيا التي اشتغلوا بها عن إيقاع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

ووصف الثمن القليل لأن ما حصل عوضاً عن آيات الله كائناً ما كان لا يكون.

(١) المراد به الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري التابعي المولود بالمدينة سنة (٢١) هـ والمتوفى سنة (١١٠) هـ.

(٢) هو اسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد المعروف بالسدي كان ممن يفسرون القرآن بأرائهم نظير مجاهد، وقتادة، والشعبي، والحسن، ومقاتل وكان كوفيًا توفي سنة (١٢٨) هـ، هدية الاحباب: ص ١٤٨.

إلا قليلاً وإن بلغ ما بلغ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ (١) (٢).

وقال الشيخ في «التبيان» وتقييده بـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا يدل على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترى به، لأن المقصود من الكلام أن أي شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً، وأنه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (٣).

إنما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال، وأنه لا يجوز أن يكون له برهان، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ (٤)، وإنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، نظائر ذلك كثيرة (٥).

وقال الطبرسي في «المجمع» روي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: كان حبي بن أخطب (٦)، وكعب بن الأشرف (٧) وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة، فكروهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحرقوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره صلى الله عليه وآله وسلم فذلك الثمن الذي أريد في الآية (٨).

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) البحر المحيط ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) آل عمران: ٢١.

(٥) التبيان ج ١ ص ١٨٩.

(٦) حبي بن أخطب النضري: جاهلي من الأشداء الغتاة أسر يوم قريضة ثم قتلوه سنة (٥) هـ.

(٧) كعب بن الأشرف الطائي من بني تيهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني نضير فدان باليهودية وأدرك الإسلام ولم يسلم قتل في ظاهر حصنه سنة (٣) هـ، الاعلام: ج ٦ ص ٧٩.

(٨) جمع البيان: ج ١ ص ٩٥ وعنه كثر الدقائق: ج ١ ص ٣٩٩.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

رُوي عن ابن عباس أنه قال: إن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا، وعلموا أنهم لو اتبعوا محمداً ﷺ لانقطعت تلك الهدايا فأصروا على الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر.

قال الرازي بعد ذكر هذا الكلام عن ابن عباس: وذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جداً، فنسبتها إليه نسبة المتناهي إلى غير المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلة بالنسبة الى الدنيا، فالقليل جداً من القليل جداً أي نسبة له الى الكثير الذي لا يتناهي؟^(١)

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

■ مسألة فقهية ■

استدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ على حرمة أخذ الأجرة على كتاب الله تعالى، بل والعلم أيضاً.

قال القرطبي في «الجامع لاحكام القرآن»: قد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية وما في معناها، فمنع ذلك الزهري، واصحاب الرأي وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نيّة التقرب والإخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٣ ص ٤٢.

كالصلاة والصيام، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وروى ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «مُعلموا صبيانكم شراركم أقلهم رحمة باليتيم وأغظهم على المسكين».

وروى أبو هريرة، قال: قلت: يا رسول الله ما تقول في المعلمين؟

قال: «درهمهم حرام، وثوبهم سحت، وكلامهم رياء».

وروى عبادة بن الصامت^(١) قال: علّمت ناساً من أهل الصفة القرآن والكتابة،

فأهدى إليّ رجل منهم قوساً، فقلت: ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله، فسألت

عنها رسول الله ﷺ فقال: إن سرك أن تطوّق بها طوقاً من نار فاقبلها.

وأجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك، والشافعي، وأحمد^(٢)، وأبو

ثور^(٣) وأكثر العلماء لقوله ﷺ في حديث ابن عباس - حديث الرقبة -: إن أحق ما

أخذتم عليه أجرأ كتاب الله، أخرجه البخاري وهو نص يرفع الخلاف، فينبغي أن

يعول عليه.

وأما ما احتجّ به المخالف من القياس على الصلاة والصوم ففاسد، لأنه في

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الانصاري الخنزرجي أبو الوليد صحابي شهد العقبة، وكان أحد

النسباء، وبسدرأ، وسائر المشاهد مات بالرملة، أو بيت المقدس سنة (٣٤) هـ، الاعلام: ج ٤

ص ٣٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروني الاصل المولود سنة (١٦٤) والمتوفى سنة (٢٤١)

ببغداد.

(٣) هو ابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي الفقيه أحد الأعلام، تفقه بالشافعي، وجميع من

ابن عيينة وغيره توفي سنة (٢٤٠) هـ العبر: ج ١ ص ٤٣١ - الاعلام: ج ١ ص ٣٠.

مقابلة النص، ثم إنَّ بينهما فرقاً، وهو أنَّ الصلاة والصوم عبادات مختصة بالفاعل، وتعليم القرآن عبادة متعلّية لغير المعلم، فتجوز الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتاب القرآن.

قال ابن منذر^(١)، وأبو حنيفة: يكره تعليم القرآن بأجرة.

ثم قال القرطبي: أمّا الجواب عن الآية فالمراد بها بنو إسرائيل.

وشرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف، وهو لا يقول به؟

جواب ثان، وهو أن تكون الآية فيمن تعيّن عليه التعليم فأبى حتى يأخذ

عليه أجراً، فأما إذا لم يتعيّن فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنّة في ذلك، وقد يتعيّن

عليه إلا ليس عنده ما ينفقه على نفسه ولا على عياله فلا يجب عليه التعليم، وله أن

يقبل على صنّعه وحرفته، ويجب على الامام أن يعين لإعانة الدين إعانتته، والآ

فعلى المسلمين...

مركز تحقيق كتاب تيسر علوم إسلامي

وأما الجواب عن الأحاديث المتقدمة فليس شيء منها على ساق، ولا يصحّ

منها شيء عند أهل العلم بالنقل، أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن

عكرمة^(٢) عنه وسعيد متروك.

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري فقيه من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة المكرمة له

مصنّفات في الفقه والتفسير ولد سنة (٢٤٢) هـ وتوفي بمكة سنة (٣١٩) هـ، طبقات الشافعية:

ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) هو عكرمة بن عبدالله البربري مولى ابن عباس مات سنة (١٠٧) ترجمه غير واحد من

اصحاب التراجم منهم ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٢٨ الى ص ٢٣٤

وفيه: عن مصعب الزبيرى قال: كان عكرمة يرى رأي الخوارج، وكذّبه سعيد بن جبير، وقال

مالك بن انس في عكرمة: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه، وقال أبو الأسود: كان عكرمة قليل

العقل خفيفاً.

وأما حديث أبي هريرة فرواه علي بن عاصم^(١)، عن حماد بن سلمة^(٢)، عن أبي جره، عنه، وأبو جره مجهول لا يُعرف، ولم يرو حماد بن سلمة عن أحد يقال له أبو جره، وإنما رواه عن أبي المهزَم، وهو متروك الحديث أيضاً فهو حديث لا أصل له.

وأما حديث عبادة بن الصامت رواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلي^(٣)، عن عبادة بن حُسي، عن الأسود بن ثعلبة، عنه، والمغيرة معروف عند أهل العلم، ولكنّه له مناكير، هذا منها، قاله أبو عمر ثم قال: وأما حديث القوس فمعروف عند أهل العلم... إلى أن قال: وليس في الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل، وحديث عبادة يحتمل التأويل، لأنّه جائز أن يكون علّمه لله، ثم أخذ عليه أجراً.

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: «خير الناس من يمشي على جديد الأرض المعلمون كلّما خلق الدين جدّوه، أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم فإنّ المعلم إذا قال للصبّي: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبّي وبراءة للمعلم، وبراءة لابويه من النار»^(٤).

(١) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولا هم، قال ابن حجر: صدوق يخطيء ويصنّ ورُمي بالتشيع، مات سنة (٢٠١) هـ تقريبات التهذيب: ج ١ ص ٦٩٧.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة قال ابن حجر: تغرّ حفضه بأخيه، من كبار الثامنة، مات سنة (١٥٧) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) المغيرة بن زياد البجلي، أبو هشام أو هاشم الموصلي، قال ابن حجر: له أوهام مات سنة (١٥٢) هـ التقريب: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

فما قاله أصحاب الرأي وأبو حنيفة من حرمة الاجرة على تعليم القرآن أو كراهته خلاف الحق ولا وجه له حتى عند أهل السنة كما عرفت نعم يستفاد الكراهة من الأحاديث الواردة إذا اشترط الأجرة وأمّا في أخبارنا عن أهل البيت عليهم السلام المذكورة في الوسائل وغيره وهي بين الناهية عن كسب التعليم بالاجرة وبين ما يدل على خلافها بل يدل على نهاية المطلوبية، مثل ما رواه الفضل بن أبي قرّة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يقولون إن كسب المعلم سُحْتٌ، فقال عليه السلام: كذب أعداء الله، إنما ارادوا أن لا يعلموا اولادهم القرآن، لو أن المعلم أعطاه رجل دية ولده لكان للمعلم مباحاً^(١).

فمقتضى الجمع مع ذهاب أهل الأراء والمخالفين الى الحرمة أو الكراهة حمل النواهي في أخبارنا على التقية كالتقية علوم درسي.

﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ الكلام فيه كالكلام على قوله تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَازْهَبُونِ ﴾^(٢) ويقرب معنى التقوى معنى الرهبة، قال صاحب «المنتخب»^(٣) والفرق أن الرهبة عن الخوف، وأما الإتياء فإنه يحتاج إليه عند المجزم بحصول ما يتقي منه، فكأنه تعالى أمرهم بالرهبة لأجل أن جواز العقاب قائم، ثم أمرهم بالتقوى لأنّ تعيين العقاب قائم، انتهى كلامه. ومعنى جواز العقاب هناك وتعيينه هنا أن ترك ذكر

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١١٣ ح ٢.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٣) المنتخب لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجرجي المتوفى (٥٩٧) هـ.

النعمة والإيفاء بالعهد ظاهرة أنه من المعاصي التي تجوز العقاب، إذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك، وأما ترك الإيمان بما أنزل الله تعالى، وشراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصي التي تحتم العقاب وتعيته، ولذلك قيل هناك: «فارهبون» وفي هنا: «فاتقون»^(١).



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٩.

قد وقع الفراغ من تسويده على يد مؤلفه العبد الواثق بربه الغني الحسين بن
 رضا الحسيني الفاطمي العلوي البروجردي في الساعة الثالثة من الليلة الثالثة من
 العشر الثالث من الشهر الثالث من السنة الثامنة من العشر الثامن من المائة الثالثة من
 الألف الثاني من الهجرة النبوية المصطفوية على صاعها ألف ألف ألف صلاة وسلام
 وتحية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين
 ولعنة الله على أعدائهم أجمعين ابد الابدين ودهر الداهرين وقد اتفق الفراغ من
 تسويده في الساعة الرابعة من اليوم الخامس من العشر الاوّل من الشهر الرابع من
 السنة الثامنة من الشهر الثامن من المائة الثالثة من الالف الثاني من الهجرة النبوية
 المصطفوية عليه الاف التحية.

العشر
 مع



مركز تحقيق وتوثيق علوم آل البيت

تسّم وبسّمحمد الله الجزء الخامس من تفسير الصراط المستقيم

وسياتي بعون الله ومشيتته الجزء السادس منه طبع على نفقة

السيدة المؤمنة الحاجة المحسنة مريم بنت الحاج علي اللاري

فهرس الموضوعات

٥	تفسير الآية (٢٨)
١٥	تفسير الآية (٢٩)
٥٠	تفسير الآية (٣٠)
٧٢	في حقيقة الملائكة
٧٨	الملائكة عند الفلاسفة
٨٠	الملائكة عند النصارى والمجوس
٨١	الملائكة عند أرباب الهياكل
٨٢	قول المشركين في الملائكة
١٠٤	بسط في المقام للإشارة الى عصمة الملائكة <small>عليهم السلام</small> دفعاً لبعض الأوهام
١١٧	عصمة الملائكة وحقيقتها
١١٩	وجه تسمية آدم
١١٩	تفسير الآية (٣١)
١٢٩	الأسماء التي علمها الله سبحانه آدم
١٣٨	تفسير الآية (٣٢)
١٤٠	تفسير الآية (٣٣)
١٤١	الاقوال في نبوة آدم حين تعلم الاسماء
١٤٦	أسئلة وأجوبة
١٥٥	فضل الانبياء على الملائكة
١٨٠	نقض وإبرام على دفع حجج مفضلي الملائكة على الأنبياء <small>عليهم السلام</small>
١٩٦	دلالة الآيات الى المذهب الحق
١٩٨	الخلافة من الله سبحانه
٢٣٦	التناسب بين اللفظ والمعنى
٢٤٠	تفسير الآية (٣٤)

- ٢٤١ وقت الامر بالسجود
- ٢٤٢ في معنى السجود
- ٢٤٤ فلسفة سجود الملائكة لآدم
- ٢٥٢ الوجوه المحتملة في «خلق الله آدم على صورته»
- ٢٦٤ ابليس كان من الجن
- ٢٧٤ ما يستفاد من الآية الكريمة
- ٢٧٨ تفسير الآية (٣٥)
- ٢٩٦ في معنى الشجر لغة
- ٢٩٧ المراد بالشجرة
- ٢٩٧ القراءة
- ٣٠١ تفسير الآية (٣٦)
- ٣٠٣ كيفية دخول إبليس الجنة
- ٣١٠ مدة مكث آدم في الجنة
- ٣١١ تعدد الأيام وتغايرها
- ٣١٢ مكان هبوط آدم وحواء
- ٣٢٩ تفسير الآية (٣٧)
- ٣٢٩ توبة آدم بواسطة الكلمات
- ٣٣١ الكلمات واطلاقاتها
- ٣٣٦ الكلمات التي تلقَّيها آدم (ع)
- ٣٤٩ تفسير الآية (٣٨)
- ٣٥٨ تفسير الآية (٣٩)
- ٣٦٠ بسط في المقام للتنبيه على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٤٠٥ مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)
- ٤٣٣ تفسير الآية (٤٠)
- ٤٣٧ اسرائيل في اللغة
- ٤٥٧ تفسير الآية (٤١)

- ٤٦٨ بحث صرفي لغوي نحوي
- ٤٧٠ تفسير الآية (٤١) وباطنها وتأويلها
- ٤٧٤ تفسير الآية (٤١) / مسألة فقهية



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

فهرس الأعلام



- | | |
|---------------------------------|--|
| ابو جعفر الطوسي: ٤٤٠ | ابن الانباري محمد بن القاسم النحوي: ٥٤ |
| ابو جعفر القاري: ٤٣٦، ٢٥٦ | ابن ابي عمير: محمد: ٤٥٠ |
| أبو حامد الغزالي: ٣٦٥ | ابن بابويه: ٤٣٩ |
| ابو الحسن الأشعري: ٢١٢ | ابن الجريج الرومي: ٤٦٤ |
| ابو حمزة الشمالي ثابت بن دينار: | ابن حنبل: احمد بن حنبل: ٤٧٥ |
| ٤٣٤ | ابن درستويه النحوي: ٤٣٥ |
| ابو حيان الاندلسي: ٤٣٧ | ابن دريد البصري: ٢٢٩ |
| ابو مسهل البصري: ٢٣٥ | ابن السكيت: ٥٤ |
| ابو العالية رفيع بن مهران: ٤٦٣ | ابن عامر القاري: ١٤٠ |
| ابو العباس المبرد: ٤٦٧ | ابن كثير القاري: ٤٥٥ |
| ابو علي الجبائي: ٣٦٥، ٢١٢ | ابن كيسان محمد بن أحمد النحوي: ٥٥ |
| ابو عمرو القاري البصري: ٤٩ | ابن المنادي: ٣٢٥ |
| ابو الفرج ابن الجرجي: ٤٧٨ | ابن المنذر: ٤٧٦ |
| ابو هاشم الجبائي: ٢١١ | ابن الوليد محمد بن الحسين: ٣٦٤ |
| ابو يزيد البسطامي: ٢١٤ | ابن الهيثم داود النحوي الانباري: ٥٥ |
| أبي بن كعب: ١٣٤ | أبو ثور الكلبي: ٤٧٥ |

- الخليل بن أحمد العروضي: ٤٣٩
 دحية الكلبي: ٢٣.
 الراجز العجاج بن روبة: ٢٥٨
 الراغب الاصبهاني: ٤٣٢
 الزهري محمد بن مسلم: ٤٤٩
 سار أبو يعلى الديلمي: ٤٧
 السمعاني النيسابوري: ٢٠٣
 سويد الشاعر: ٤٦٥
 السيد الرضي: ٤٥١
 السيد المرتضى: ٤٧
 الشيخ الانصاري: ٤٤
 الشيخ جعفر النجفي: ٤٣
 صدر الشيرازي: ٤٦٠
 ضحّاك بن مزاحم: ٤٧٥
 عبادة الصامت: ٤٧٥
 عبدالرحمن بن سابط: ٥٧
 عبدالله بن سلام: ١٤١
 عكرمة البربري: ٤٧٦
 العلامة الحلبي: ٤٤
 اعلي بن عاصم: ٤٧٧
 اخطب خوارزم موفق بن أحمد: ٢٠٢
 الأخفش الأوسط: ٤٧٠
 الاعرج عبدالرحمن: ٣٥٨
 الأعمش سليمان: ٤٣٦
 الأعشى الشاعر عامر بن حارث: ١٢٩
 الباقلاني القاضي: ٣٦٢
 البكري أحمد بن عبدالله: ٦١
 البيضاوي: ٥٣
 البيهقي: ٤٣٩
 ثعلب النحوي أحمد بن يحيى: ٢٣
 جابر الجعفي: ٤٧٠
 جرير بن عطية الشاعر: ٩٩
 جعفر النجفي: ٤٣
 جميل بن درّاج: ٤٥٠
 الجواليقي اسماعيل: ١٢٣
 الجوهرى ابو نصر: ٥٥
 حسان بن ثابت الشاعر: ٢٤٤
 الحسن البصري: ٤٤٦
 حماد بن سلمة: ٤٧٧
 حبيّ بن أخطب: ٤٧٣

عمرو بن ابي المقدام: ٧٢

الفخر الرازي: ٤٣٣

الفراء النحوي: ٤٧٠

الفيض الكاشاني: ٤٦

قالون القاري: ٤٩

قتادة بن دعامة: ٤٥٩

القرطبي الأنصاري: ٤٣٧

قطرب: ٤٣٦

القيسي القيرواني: ٤٦٨

الكسائي النحوي القاري: ٤٩

كعب الأحبار: ٤٣٨

كعب بن الاشرف: ٤٥٨

ليد بن ربيعة: ٣٣١

الليث بن خالد: ٥٤

معمر بن المثنى: ٥٢

المغيرة بن زياد البجلي: ٤٧٧

موسى بن القاسم: ٤٥٢

نابغة الجعدي: ٤٣٤

نافع بن الازرق: ٣٦١

نافع القاري المدني: ٤٩

ورش القاري: ٤٣٦

يعقوب بن اسحاق البصري: ٨



مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية



تفسير القرطبي	القرآن الكريم
تفسير القمي	الاحتجاج للطبرسي
تفسير الكشاف للزمخشري	احقاق الحق للتستري
تفسير كنز الدقائق	إرشاد القلوب للديلمي
تفسير مجمع البيان للطبرسي	الاستيعاب
التوحيد للصدوق	الأمالي للسيد المرتضى
جامع البيان للطبرسي	الأمالي للصدوق
جامع الصغير للسيوطي	الانوار النعمانية
جواهر الكلام في الفقه	البحر المحيط لابي حيان الاندلسي
الخصال للصدوق	بصائر الدرجات للصفار
الدر المنثور للسيوطي	التفسير المنسوب للإمام العسكري ؑ
سعد السعود لابن طاووس	تفسير البرهان للبحراني
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد	تفسير التبيان للطوسي
صحيفة الرضا ؑ	تفسير جامع البيان للطبرسي
علل الشرائع للصدوق	تفسير الفخر الرازي
عوالي اللئالي	تفسير فرات بن ابراهيم

المنتخب لابن الجزري
 النهاية للجزري
 نهج البلاغة للسيد الرضي
 الوافي لفيض الكاشاني
 الوسائل للشيخ الحرّ العاملي
 ينابيع المودة للنقشبندی الحنفي

عيون الأخبار للصدوق
 فرحة الغري لابن طاووس
 الكافي للكليني
 كامل الزيارات لابن قولويه
 الكشاف للزمخشري
 كشف الظنون
 كنز الدقائق للمشهدي
 كنز العمال للمتقي الهندي
 لسان العرب لابن منظور
 مجمع البيان للطبرسي
 المحاسن للبرقي
 مرآت العقول للمجلسي
 المزهر للسيوطي
 مشكل اعراب القرآن
 مطالب السؤل لابن طلحة
 معاني الاخبار للصدوق
 ملحقات احقاق الحق
 المفردات للراغب الاصبهاني
 الملاحم لابن المنادي
 المناقب للخوارزمي
 المناقب لابن شهر آشوب
 المناقب لابن المغازلي

